حرب رمضان

الجولة العربية الإسرائيلية الرابعة

أكتوبر ١٩٧٣

الطبعة الخامسة

اللواء: حسن البدرى

اللواء: طه المجدوب

اللواء: ضياء الدين زهدى



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٧

حرب رمضان

الإهـــداء

الى شهداء العرب ... كل الشهداء
على درب الكفاح الطويل ...
من بدر الأولى عام ٦٢٤ ميلادية ...
الى بدر الثانية (حرب رمضان) ...
وما سوف يتلوها من حروب ؟

المؤلفون

« ســـوف يجىء اليوم الذى نجلس فيه لنقص ونروى ماذا فعل كل واحـد منا فى موقعه ، وكيف حمل كل منا أمانته وأدى دوره ، وكيف خـرج الأبطال من هذا الشـعب وهذه الأمة ، فى فترة حالكة ، يحملون مشاعل النور لتضىء الطريق حتى تستطيع أمتهم ان تعبر الجسر بين اليأس والرجاء » .

الرئيس الراحل **محمد أنور السادات**



بسم الله الرحمن الرحيم

مع دقة المهمة التى كلفنى القائد الأعلى بانجازها ، والتى جمعت بين أهداف العبور واقتحام قناة السويس وبين تحرير الأرض ٠٠ كان لابد أن أعمل على توفير كل أسباب النجاح قبل البدء فى التنفيذ ، وعلى هذا ، فقد حرصت على أن يكون التخطيط للمعركة محكما ودقيقا وأن يتم الاعداد لها على أسس علمية مدروسة ٠٠

وواصلنا العمل فى صبر وصمت ٠٠٠

وعندما وثق الجميع فى أنفسهم وفى قدرتهم على تحقيق مهامهم بنجاح ، تحدد التوقيت ، بعد دراسة عميقة وتنسيق كامل مع رفقة السلاح فى سوريا الشقيقة ٠

وانطلق الرجال نحو الهدف ٠٠ يساندهم شعبنا البطل الذى منحهم ثقته المطلقة ٠٠٠ فقاتلوا بشجاعة وبشرف ٠٠٠ وبرزت حقيقة معدنهم الأصيل ٠٠٠ وأكدوا أنهم بالتدريب الجاد ، وبالايمان بالهدف مع الاصرار على تحقيقه ، لقادرون على تحقيق النصر فى المعارك الحربية الحديثة ٠

لهذا فقد نصرهم الله ، أنه نعم المولى ونعم النصير ؟

١٩٧٤/٢/٢٤

مشير

احمد إسماعيل على

وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة الأسبق



الباب الأول

الوصايا العشرة

● المأزق العشرة

الأسباب والمسببات :

● تنطوى الفكرة الصهيونية في طبيعتها السياسية والاجتماعية على تصور خاص للانسان العربي من حيث طبيعته وحقوقه ، والصلات القائمة بينه وبين وطنه •
كما ترتكز الخطة التوسعية الاسرائيلية على نظرة معينة الى الانسان العربي تتنافى مع كل ما يمت الى حقوقه بصلة ، اذ تقف وأياه على طرفى نقيض ، وترسم هذه الحقيقة الطبيعة السياسية والاجتماعية للصراع العربى الاسرائيلي •
ذلك لأن الدعوة الصهيونية في مطامعها الرامية الى الاستيلاء على أجزاء من أرض العرب والسيطرة على مقدراتهم ليس بوسعها ان تعترف باية حقوق للانسان العربي ، ولا حتى بوجود ذلك الانسان صاحب هذه الحقوق •

وهذه النظرة الصهيونية ليست بنت الساعة ، بل ترتكز على رصيد تاريخى لا يجوز الاستهانة به ، أو بالملابسات التي واكبته وأسهمت فى تكوين رواسبه •

وبالاضافة الى ذلك فان الفكرة الصهيونية وليدة بيئة أوربية تشكلت خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، وهى وريثة موقف تعسفى انعزالى خاص عن العالم وشعوبه وحضاراته ، لم تعمل على تخطيه وتجاوز معطياته التاريخية الراهنة ، بل عكفت على تمثله واقتباسه ،

فاعتنقت العنصرية بحجة الدفاع عن اليهود ، وكرد فعل لظاهرة العداء للسامية ، واستنبطت فكرة « القومية اليهودية » بمثابة تعويض لكل مالحق باليهود من أذى على يد العنصرية الأوربية المتعصبة .

وهكذا لقد اقتبست القومية اليهودية شتى المفاهيم والتصورات التى كانت سائدة فى المجتمع الأوربى فى الربع الأخير من القرن الماضى لتحارب أعداء السامية بسلاحها ثم لتبقى أسيرة هذا السلاح نفسه بعد ذلك حتى مع العرب الساميين . ان النظرة الصهيونية الى حقوق الانسان العربى لا يمكن عزلها عن النظرة الصهيونية الى الانسان العربى نفسه ، ذلك لأنها وليدة الصورة التى شاءت الظروف أن ترسمها لها وفقا لمقتضيات أهدافها وميولها الخاصة .

والفكرة الصهيونية تركز على اغتصاب أرض عن طريق اقتلاع شعب بأكمله من تراب هذه الأرض ، واذا ما اصطدمت بمقتضيات العدل والشرعية الدولية فانها تلجأ الى تعميمات خبيثة تشكك بها فى علاقة القومية العربية بالوطن العربى فى فلسطين فتنادى بأنه من سوء طالع الصهيونية أنها « لم تحقق نواياها خلال العهد الذى لم تكن القومية العربية فيه قد استكملت ادعاءاتها بعد » ، فتكشف بذلك عن رأى خبيث يرى أنه .. « من سوء حظ الصهيونية أنها لم تغتصب فلسطين فى غفلة من أصحابها » . ثم يتساءل رأى آخر بخبث قائلا .. متى كانت فلسطين عربية وفى أى حقبة من التاريخ ؟ فيتغافل عن ثلاثة عشر قرنا من تاريخ العرب المتصل بفلسطين ، وعن حقوقهم فيها منذ فجر التاريخ ..

المخطط التوسعي الاسرائيلي :

هذا ولم تظهر مطامع اسرائيل التوسعية هذه فى أى وقت بشكل واضح محدد ، لأن مؤسساتها السياسية والعسكرية اعتبرت حداد الدولة الاسرائيلية المنشودة فى حركة ديناميكية مستمرة تتسع مع تزايد أسباب القوة والنفوذ .

لهذا نشأت اسرائيل كفكرة غامضة حيث لم يكن هناك شعب يهودى يسعى الى تحقيق ذاته سياسيا ، بل كانت هناك مجرد جمعيات دينية وعنصرية مختلفة ، تخطط على خرائط من بنات أفكارها حدوداً مصطنعه ، لبلاد لم تطأها أقدامهم بعد .

والملاحظ أن الغاية القومية الصهيونية نفسها عندما تبلورت ابعادها فى مؤتمر بال سنة ١٨٩٧ ، كانت تتسم أيضا بالغموض بما دعى تيودور هرتزل أن يقول « لو طلب منى أن ألخص مؤتمر بال فى كلمة ـ على الا أقولها بصوت مرتفع ـ لقلت « انه فى بال تم تأسيس الدول اليهودية ولو قلت ذلك بصوت مرتفع لضحك منى الجميع » .. ولكن المؤسسة العسكرية الصهيونية وقتها كانت تعى ما تقول ، وتعتمد على الاغراق فى

الغموض لقضاء حوائجها ، فبدأت تطالب بوطن قومي لليهود فى فلسطين ــ مجرد وطن قومي لهم ــ على حين هى تضمر فرض « دولة تشتمل على كل الأرض ، من النيل الى الفرات » ٠

وعندما رسمت اسرائيل خريطتها الأولى بحرب ١٩٤٨ ٠ التوسعية، جاءت على شــكل مثلث بالغ الطول شــديد النحول ، جملة مساحته ٢٠٧٠٠ كيلو متر مربع ومجموع أطوال حدوده وقتئذ ٩٥١ كيلو مترا ، منها ٥٣١ كيلو مترا مع الأردن ، ٧٠ كيلو مترا مع سوريا ومثلها مع لبنان ، ٢٧٤ كيلو مترا مع شبه جزيرة سيناء وقطاع غزة ٠

ومع مولد الدولة تعمدت قيادتها السياسية أن تغفل عمدا أى ذكر لشكلها الجغرافي ، وجاء دستورها خلوا من أى تحديد لحدود الدولة ، على حين نادى أول رئيس لوزرائها بأن ٠٠٠ « حدود اسرائيل تكون حيث يقف جنودها » فالقى بهذا التصريح العــدوانى بعض الضــوء على خبايا المطامع الصهيونية ومراميها التوسعية فى الوطن العربى ٠

وعنــدما اشتعلت ثورة العراق عام ١٩٥٨ ، وكشــف الزعيم عبد السلام عارف عن وثائق حلف بغداد الاســتعمارى ، ظهرت وثيقة صهيونية خطيرة كانت فى ملفات هذا الحلف ، تحمل وجهة نظر المؤسسة العســكرية الاسرائيلية فى بعض المناطق العربية المتاخمة ، وما توفره لاسرائيل من مزايا كبيرة اذا ما ضمتها الى رقعة دولتها ، مزايا استراتيجية وسياسية واقتصادية ٠

وبهذا كانت هذه الوثيقة أول دليل مادى على ما تبيته اسرائيل من خبايا توسعية فى الوطن العربى الكبير ، ولم تحظ هذه الوثيقة بأى اهتمام من العالم بفضل تحكم الصهيونية فى وسائل الاعلام العالمية ، كما انها لم تثر فى الدول العربية أى ردود فعل محسوسة ــ وهنا موطن الغرابة فعلا ٠

نقول ان هذه الوثيقة الصهيونية التى اكتشفها العرب فىمحفوظات حلف بغداد أظهرت خبايا المطامع الصهيونية التوســعية التى أشعلت اسرائيل على هديها عدة حروب عدوانية لغرض دفع حــدودها للأمام ، وأغتصاب المزيد من الأرض العربية المجاورة ٠ وقد نجحت فى عدوانهــا صيف عام ١٩٦٧ م ٠ أن تضم الى رقعتهــا ما يزيد على ثلاثة أمثــال مساحتها الأصلية قطعتها من أراضى مصر والأردن وسوريا ٠ وبمجرد أن تم لها ذلــك سارعت بالاعلان على لسان زعمائها السياسيين وقادتهــا العسكريين أنها لن تتزحزح قيد أنمله عن هــذه الحدود الجديدة التى زعمت انها توفر لها الأمن المنشود ٠

وفى الوقت نفسه راحت أجهزتها المختلفة تشــكك فى حق العرب القانونى فى ملكية هذه الأرض ٠ وكشفت اسرائيل بهذا المسلك عن أن الأهــداف الصهيونية الجائرة هى الدافع الحقيقى وراء الصراع العربى

خبايا المطامع الصهيونية فى الوطن العربى

م	المنطقة	المزايا السياسية	المزايا الاقتصادية	المزايا الاستراتيجية
ا	ب	ج	د	هـ
١	شبه جزيرة سيناء وقطاع غزة	- سهولة الوصول الى المحيط الهندى ودعم الاتصال مع دول افريقيا وآسيا - عزل مصر عن بقية العالم العربى والوقوف فى وجه تحقيق الوحدة العربية - الاستيلاء على مناطق تاريخية ذات صبغة دينية •	- استخدام تجارى غير محدود لخليج العقبة وميناء ايلات • - الاستيلاء على الثروات الطبيعية لشبه جزيرة سيناء وخاصة البترول• - استغلال الامكانات التجارية لقناة السويس أو المشاركة فيها •	- ضمان الوصول الى البحر الأحمر وتهديد الدول العربية الواقعة عليه • - تحسين الامكانات الدفاعية والقضاء على البروزات الجغرافية فى خطوط الحدود • - حرمان مصر من قواعد مناسبة للهجوم على اسرائيل •
٢	ضفتا الاردن الشرقية والغربية	- القيام بدور أساسى فى المخططات الامبريالية والمشاركة الفعالة فى مشروعات الدفاع عن الشرق الأوسط - الاستيلاء على مناطق تاريخية ذات صبغة دينية •	- اضافة المزيد من الأراضى الزراعية الخصبة • - استغلال الثروة الطبيعية للبحر الميت ومساقط المياه • - تحقيق أقصى استفادة من مياه الأردن والبرموك •	- تامين دفاع قوى من الشرق عن مناطق اسرائيل الحيوية • - تهديد مناطق حيوية بالسعودية والكويت والعراق • - تامين منطقة ايلات تامينا كاملا • - تامين منطقة البحر الميت كمصدر هام للثروة الطبيعية •
٣	المرتفعات السورية ودرعا وحوران	- الاتصال بمناطق الأقليات السورية وخلق حاجز منها يفصل بين سوريا واسرائيل • - تهديد العاصمة السورية مما يحقق فرض ضغط سياسى على سوريا •	- الاستيلاء على المناطق الزراعية الهامة واضافة المزيد من الأراضى الخصبة الى رقعة اسرائيل • - السيطرة على منطقة جبل الشيخ كمصدر أساسى للمياه • - السيطرة الكاملة على مياه نهر اليرموك •	- حرمان سورية من القواعد الصالحة للهجوم على اسرائيل • - تامين الحماية الكاملة لمياه نهر الأردن • - استكمال خط الدفاع الجغرافى الاستراتيجى عن مدخل افريقيا من الشرق وقناة السويس •
٤	حوض نهر الليطانى	- تشكيل عامل ضغط على لبنان - دعم الاستقلال السياسى مما يحققه من مزايا اقتصادية •	- توسيع نطاق مساحات الزراعة الخصبة • - السيطرة التامة على منابع نهر الأردن واستغلالها •	- تامين منطقة الجليل واقامة معقل دفاع منيع فى الشمال • - خلق فاصل طبيعى ومنيع بين سوريا ولبنان فى هذه المنطقة •

الاسرائيلى والمبعث الأول لاثارته ، يؤازرها فى ذلك مخطط قوى الاستعمار والامبريالية فى المنطقة العربية •

ان هذا الصراع الضارى فى حقيقة أمره نضال سياسى اقتصادى اجتماعى معنوى عقائدى تتفاقم فيه أسباب العداوة حتى تصل الى مستوى الصراعات المصيرية ، وتوجه أموره على هذا الجانب قوى استعمارية تسعى الى خلق كيان عنصرى دخيل ، يضرب جذوره فى كل أنحاء أرض العرب ، على حين تواجهه على الجانب المضاد حركة قومية تستهدف الحرية والوحدة•

لذلك تعتبر النظرية الصهيونية ان القومية العربية هى العدو الأول والقوة المضادة ذات الخطر الادهى الذى يعترض سبيل مخططها العدوانى المرسوم •

ويوضح شيمون بيريز وزير الدفاع الحالى خبايا هـــذه النظرية الصهيونية المعادية للقومية العربية للدرجة الأولى فيقول فى كتابه «المرحلة القادمة » (يجب أن تهتم أوربا وأمريكا بمـــا تملكه أيادينا ، فموقفنا الممتاز يعتبر قوة تمكننا من أن نسد الطريق فى وجه القومية العربية ، وأن نكون بديلا لقناة السويس ، وأن نشكل ضغطا على الدول المنتجة للبترول ، وتلك التى تنقله) • ومن الطريف أن نشير الى ان ما كانت تستحله اسرائيل وقتئذ صارت تحرمه اليوم عندما انقلبت الآية بعد نصر سنة ١٩٧٣ وصار العرب هم الذين يشكلون ضغطا بما يملكون من أرصدة البترول أو أسلحته • وجدير بنا ان نتذكر انه بمجرد ان ظهرت اسرائيل على أرض فلسطين العربية ، صارت هذه الدولة بمثابة التجسيد المادى لنظرية الاغتصاب والتوسع الصـــهيونية ، وسببت طوفانا متدفقـــا من العداء والرفض العربى لوجودها الغاصب وكيانها الدخيل ، وأصر العرب على مواجهة خططها العدوانية بالصراع الممتد حتى ولو استمر لأجيـــال كثيرة ، أو تطلب منهم ان يخوضوا معارك عديدة • وكان هـــذا الرفض العربى هو السمة الغالبة على طبيعة الصراع العربى الاسرائيلى من زواياه السياسية والاجتماعية وذلك لأن التحدى الاسرائيلى خطر يمس الكيان العربى ، والمصير العربى ومستقبل العرب • وهو خطر تتنوع فيه الصور وتتعدد فيه مصادر العداء ثم لا يقتصر أمره على مجرد اغتصاب واستيطان جزء من أرض العرب ولا مجرد التوسع فيها بل يسعى الى اعادة السيطرة الاستعمارية على الوطن العربى بصورة مستحدثة ، وفرض الوصاية على العرب فى ادارة أمورهم ، وفى أن يكونوا أصحاب القرار فى أى شأن من شئونهم •

وينبثق هذا الخطر الصهيونى عن الامبريالية الدولية والاستعمار الجديد الذى يسعى ـ عن طريق الفتح ـ وبكل قواه الى تفتيت الوحـــدة القومية والســـياسية والاقتصـــادية والعسكرية والروحية للعرب ، ثم لا تكتفى الامبريالية والصهيونية بكل ذلك ، بل تسعيان فى الوقت نفسه الى تفتيت الوحدة الوطنية داخل كل دولة عربية •

وتغفل الصهيونية ان الفتح ــ ومعناه استيلاء دولة عنوة على أجزاء من دولة أخرى ــ وان كان فيما مضى سبب جائز فى اكتساب الأرض ، على أساس ان الحرب ذاتها كانت نظاما قانونيا معترف بوجوده وآثاره ، فانه بعد ظهور المواثيق الدولية التى تحرم الحروب فقد الفتح علته ، ولم يعد يصلح سببا لنقل السيادة بمقتضاه على جزء من أراضى دولة الى دولة أخرى .

وننتهى مما سبق الى ان التوسعات الاقليمية التى تأتى وليدة العدوان تعتبر باطلة فى عرف القانون الدولى العام .

وحتى تتجنب اسرائيل هذا الدفع القانونى الذى يدين كل عمل عسكرى تهدف من ورائه الى الفتح والاستيلاء على أرض عربية مجاورة فقد اهتدت الى المبرر العصرى لمخططها التوسعى ، فنادت مع كل عدوان جديد شنته على العرب بأنها انما تسعى الى تأمين حدودها ، واكتساب المزيد من السلامة الجغرافية لدولتها ، التى تزعم انها تتعرض بصورة مستمرة الى خطر الابادة بالغزو العربى ، وبهذا التضليل حفظت لنظريتها التوسعية بديناميكيتها اللازمة لاستمرار اغتصابها أرض العرب مع توالى السنين ، وفاقت النازية والفاشيستية فيما كانت تقدمه فى الثلاثينات والأربعينات من هذا القرن من مبررات وأسباب لعدوانها المستمر على الدول والشعوب .

عن ديناميكية العدوان الصهيونى وتوسعاته الاقليمية :

لقد كان أساس توسع اسرائيل فى جولتها الأولى ضد العرب عام ١٩٤٨ م . هو رفضها قرار التقسيم الصادر من الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ م . والذى أوصى بانشاء دولتين فى فلسطين احداهما عربية والأخرى يهودية ، بالاضافة الى تدويل القدس ، وجعلها تحت وصاية الأمم المتحدة .

وقد قسم هذا القرار الأراضى الفلسطينية البالغ مساحتها حوالى ٢٧ مليون دونم الى منطقة عربية مقدارها ١١½ مليون دونم أى بنسبة ٤٢٫٨ ٪ من أجمالى مساحة فلسطين ومنطقة يهودية مقدارها ١٥¼ مليون دونم بنسبة ٥٦٫٥ ٪ ، ومنطقة دولية حول القدس مقدارها ١٧٥٠٠ دونم بنسبة ٫٧ ٪ .

ورغم أن هذا القرار الجائر قد خص اليهود بأكثر من نصف مساحة فلسطين على حين لم يكن اليهود يملكون وقتها سوى مليونى دونم فحسب أى ما يعادل ٧٫٥ ٪ من تلك الأراضى فان زعماء المؤسسة العسكرية الاسرائيلية لم يكتفوا بما خلعه عليهم قرار التقسيم من حقوق العرب بل بدءوا بعد صدور هذا القرار يشنون حملة ارهاب واسعة فى جميع أنحاء فلسطين بقصد طرد سكانها العرب منها واغتصاب أرضهم ودورهم وممتلكاتهم .

وعندما بلغ هذا الارهاب الصهيوني مداه بمذبحة دير يسن التى ارتكبها الصهاينة فى ٩ ابريل ١٩٤٨ م • أسرعت الدول العربيه الى التدخل العسكرى لمساعدة شعب فلسطين فى الدفاع عن حقوقه المشروعه والحفاظ على وطنه • وعندما وقعت اتفاقات الهدنة عام ١٩٤٩ م • كانت اسرائيل قد ضمت الى رقعتها بالغزو ٥٪ ملايين دونم زيادة عما خصها فى قرار التقسيم فقفز نصيبها من اجمالى أرض فلسطين من ٥٦٫٥ ٪ الى ٧٧٫٤ ٪ على حين انخفض نصيب العرب فى هذه الأرض من ٤٢٫٨ ٪ الى ٢٢٫٦ ٪ •

لقد كان هذا العدوان الاسرائيلي المسلح هو الجولة التوسعية الأولى فى جسم الأمة العربية وهى الجولة التى أطلق شرارتها رئيس وزراء اسرائيل فى ١٥ مايو ١٩٤٨ م • عقب اعلان ميلاد الدولة بقوله ••• « ليست هذه نهاية كفاحنا بل اننا اليوم بدأنا وعلينا أن نمضى قدما لتحقيق قيام الدولة اليهودية من النيل الى الفرات » •

ثم استخدمت اسرائيل الحرب للمرة الثانية كوسيلة لتحقيق توسعات اقليمية فى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ • وعندما احتلت قواتها شبه جزيرة سيناء أعلن رئيس وزرائها دافيد بن جوريون يوم ٨ نوفمبر ١٩٥٦ م • أمام الكنيست ضم شبه جزيرة سيناء وقطاع غزة الى رقعة اسرائيل • ووقف مع ١٢٠ عضوا ينشدون نشيد الأمل ـ هاتيكفاه ـ فرحين باقامة جزء من اسرائيل الكبيرة • ولكن أمورا خارجة عن ارادتهم ـ كان من بينها تصميم شعب مصر على الدفاع عن وحدة ترابه ، وكذلك الموقف الحازم الذى وقفته الأمم المتحدة فى وجه العدوان والتوسع الاسرائيلى ـ أجبرهم وهم كارهون على الانسحاب واعادة سيناء الى وطنها الأم •• مصر •

وجاءت بعد ذلك المحاولة الثالثة للتوسع الصيهونى عندما شنت اسرائيل العدوان على مصر والأردن وسوريا صباح الخامس من يونية ١٩٦٧ لتحقق توسعات اقليمية فى شبه جزيرة سيناء والضفة الغربية للأردن والمرتفعات السورية •

والجدير بالذكر ان الصهيونية راحت تنادى بعد هذا العدوان الاجرامى أن الأرض التى احتلتها فى الجولة الثالثة تشكل ضرورة أمن فضلا على الضرورات الاقتصادية والسياسية التى توفرها • كما نوهت أيضا ان استعمار الأرض بهذه الكيفية قد تكتنفه بعض القيود . أما استعمار مياه وأجواء البحر الأحمر والبحر المتوسط والبحر الميت فلا قيود عليه ، اذ هو مستباح لاسرائيل لآخر ما تصل اليه قبضتها الطويلة ويدها العليا •

وراح بن جوريون يبشر باستعمار البحار والسماء ويعدد مزاياه فيقول : « ان الأمن يعنى أيضا غزو البحر والجو كما يعنى استعمار

الأرض . ويجب أن تتحول اسرائيل الى قوة بحرية هامة ، وقد أكدت هذه الحاجة تلك المقاطعة الاقتصادية التى فرضها العرب علينا ، وغلق قناة السويس فى وجهنا » • لقد تحولت الشعوب الصغيرة فى العصور الوسطى والحديثة التى تعيش بجوار البحر الى قوى بحرية عظمى بفضل تطوير بناء السفن ومصايد الأسماك وأول مثل تاريخى لذلك قدمه لنا أناس عاشوا فى وطننا وكانوا يتكلمون العبرية مثلنا وأعنى بهم سكان صور وصيدا » (١) •

ولم يكن هذا العدوان التوسعى من جانب اسرائيل سوى حلقة جديدة من سياستها التوسعية طبقا لما ذكره وزير خارجيتها انذاك أبا ايبان فى مجلة الشئون الخارجية عدد يوليو ١٩٦٥ ، حيث قال انه من الممكن أن نتصور القادة العرب فى المستقبل وهم يطالبون اسرائيل بالعودة الى حدود ١٩٦٦ أو ١٩٦٧ كما يطالبون اليوم بالعودة الى حدود ١٩٤٧ م » •• ثم فيما أعلنه فى ١٦ يونيو ٦٧ بعد انتهاء الجولة الثالثة مباشرة من انه « حتى لو صوتت الأمم المتحدة بكل أعضائها ضدنا فسوف لا تنسحب اسرائيل من الأراضى التى تحتلها » •

وبذلك تكون اسرائيل قد استخدمت الحرب العدوانية للمرة الثالثة كوسيلة لتحقيق أطماعها التوسعية فى الأرض العربية •

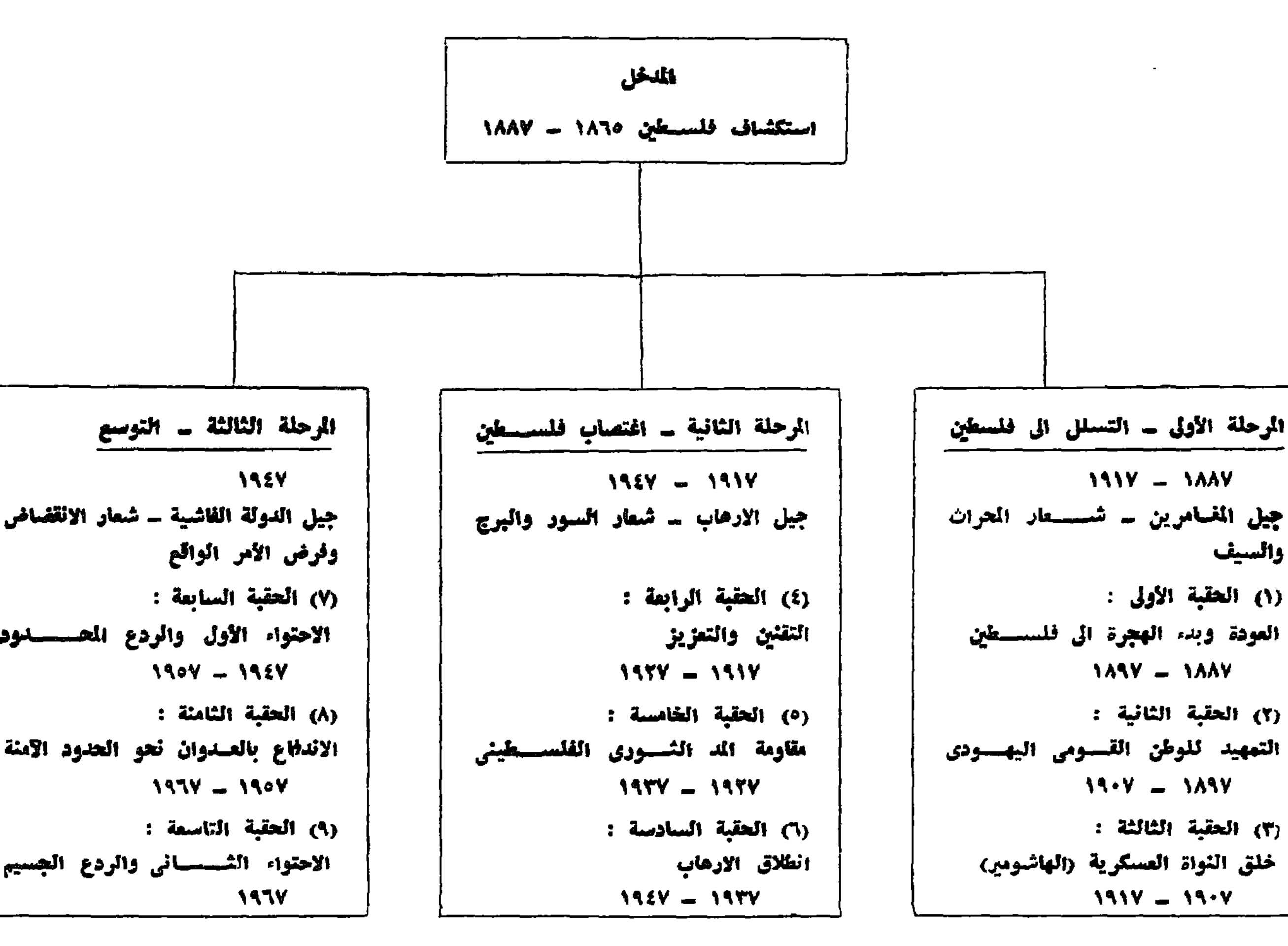
وتكشف المتابعة الدقيقة لأنشطة الصهيونية فى مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والفكرية عن وجود مخطط صهيونى مرسوم يستهدف غاية قصوى وأهدافا مرحلية نحو اقامة دولة اسرائيل الكبرى فى قلب الوطن العربى الكبير •

ان هذا المخطط الذى بدأ أعماله الايجابية منذ انطلقت دعوة « الخلاص والعودة الى فلسطين » فى أواخر القرن الماضى ، قد استمر ينمو حتى استفحل خطره بانطلاق العدوان الصهيونى نحو التوسع فى الستينات للقرن الحالى • ويجد الباحث بين ثنايا تلك الأعوام الطويلة انه يمكن تقسيم تلك الفترة التى تقع بين الربع الأخير من القرن الماضى والربع الأخير من القرن الحالى ، طبقا لتطور الفكرة الصهيونية وانجازاتها وتبعا للمخطط التوسعى العدوانى الاسرائيلى الى مدخل ثلاث مراحل رئيسية كالآتى (٢) :

---

(١) المؤسسة العسكرية الاسرائيلية المجلد الاول من العسكرية الصهيونية ـ مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ـ بمؤسسة الأهرام •

(٢) «كتاب اسرائيل سنوات التحدى» بن جوريون ص ٦٤ •


المخطط الصهيونى التوسعى العام
المدخل
استكشاف فلسطين ١٨٦٥ ـ ١٨٨٧
المرحلة الأولى ـ التسلل الى فلسطين
١٨٨٧ ـ ١٩١٧
جيل المغامرين ـ شعار المحراث والسيف
(١) الحقبة الأولى :
العودة وبدء الهجرة الى فلسطين
١٨٨٧ ـ ١٨٩٧
(٢) الحقبة الثانية :
التمهيد للوطن القومى اليهودى
١٨٩٧ ـ ١٩٠٧
(٣) الحقبة الثالثة :
خلق النواة العسكرية (الهاشومير)
١٩٠٧ ـ ١٩١٧
المرحلة الثانية ـ اغتصاب فلسطين
١٩١٧ ـ ١٩٤٧
جيل الارهاب ـ شعار السور والبرج
(٤) الحقبة الرابعة :
التقنين والتعزيز
١٩١٧ ـ ١٩٢٧
(٥) الحقبة الخامسة :
مقاومة المد الثورى الفلسطينى
١٩٢٧ ـ ١٩٣٧
(٦) الحقبة السادسة :
انطلاق الارهاب
١٩٣٧ ـ ١٩٤٧
المرحلة الثالثة ـ التوسع
١٩٤٧
جيل الدولة الفاشية ـ شعار الانقضاض وفرض الأمر الواقع
(٧) الحقبة السابعة :
الاحتواء الأول والردع المحدود
١٩٤٧ ـ ١٩٥٧
(٨) الحقبة الثامنة :
الاندفاع بالعدوان نحو الحدود الآمنة
١٩٥٧ ـ ١٩٦٧
(٩) الحقبة التاسعة :
الاحتواء الثانى والردع الجسيم
١٩٦٧

المدخل الى فلسطين :

وقد بدأ المدخل الى فلسطين بظهور فكرة « الاندماج » ثم اندثارها لتحل محلها فكرة « القومية اليهودية والدعوة الى الهجرة الى فلسطين » واستغرق ذلك الفترة من نهاية القرن الثامن عشر الى الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، بتكوين جماعات « حب صهيون » وانطلاق الهجرة الى فلسطين على يد طلائع هذه الجمعيات من حركة بيلو الى أن توحدت جهودها فى عام ١٨٨٧ لتبدأ أول المراحل الفعلية التى تشكل المنطلق العملى نحو الدولة اليهودية ٠

● أولا : مرحلة التسلل الى فلسطين :

وكانت بدايتها مع باكورة الهجرة لجيل من المغامرين أطلق عليه اسم « العلياء الأولى » ــ والعلياء كلمة عبرية تعنى الصعود ٠

ويعود الى هذا الجيل فضل ظهور أول الشعارات الصهيونية فوق أرض فلسطين وهو شعار « المحراث والسيف » عن استعمار الأرض والدفاع عنها ٠٠ أو بمعناه العملى الاستيلاء على الأرض ومنع أصحابها من استردادها ٠

ومنذ عام ١٨٨٧ وعلى امتداد ثلاثين عاما استمر المغامرون يتوغلون فوق وهاد فلسطين ويجوبون رباها ٠

وكانت **الحقبة الأولى** بسنواتها العشر جهدا متواصلا لنشر دعوة « **القومية اليهودية** » والحث على الهجرة الى صهيون واستيطان فلسطين ٠

وفى عام ١٨٩٧ بدأت **الحقبة الثانية** بتبلور الأفكار الصهيونية عمليا فى اطار « **المنظمة الصهيونية العالمية** » ، والتحول الى التخطيط الجاد المنظم ، والملتزم بقرارات محددة بشأن « اقامة وطن قومى يهودى فى فلسطين » ٠

وكان عام ١٩٠٧ هو بداية **الحقبة الثالثة** والأخيرة فى هذه المرحلة اثر استقرار رأى المنظمة ــ بصفة نهائية وبعد صراع طويل ــ على أنه لا بديل عن فلسطين وطنا قوميا لليهود ٠

وقد تميزت هذه الحقبة بتدفق موجات جديدة من المهاجرين «العلياء الثانية » تصاحبها مفاهيم سياسية جديدة مستمدة من الفكر الاشتراكى الذى كان سائدا فى شرق أوربا عامة وروسيا خاصة ، وان ظلت متمسكة بالأفكار النابعة من العقيدة الصهيونية بأن يكون العمل هو أساس الاستيطان ، وأن يكون النقاء اليهودى هو جوهر المجتمع ٠

وتجسيدا لهذه الأفكار خلقت نواه المؤسسة العسكرية الصهيونية فى فلسطين تحت اسم « الهاشومير » أى الحارس ٠

● **ثانيا : مرحلة اغتصاب فلسطين :**

يمكن اعتبار عام ١٩١٧ بداية مرحلة جديدة للعمل الصهيونى فى فلسطين والتى انتهت باغتصابها ٠ وقد نهض بهذا العمل جيـــل من الارهابيين اعتنق آسلوبا جديدا فى سلب الأرض تحت شـعار « السور والبرج » تعبيرا عن اغتصاب الأرض بالقوة والانغــلاق داخلها والدفاع عنها ٠ واحتوت هده المرحله تبعا لابرز أحداثها على ثلاث حقب ٠

الحقبة الرابعة : وكانت خاصة بالتقنين للوجـــود اليهودى فى فلسطين ، وصــدور وعد بلفور ــ عندما أعطى من لا يملك لمن لا يستحق وطنا قوميا فى فلسطين العربية ثم تأكد هذا الوعد فى صـــك الانتداب البريطانى على فلسطين بواسطة عصبة الأمم ٠

واستتبع ذلك تعزيز الوجود اليهودى فى فلسطين بتوسيع نطاقه فى ظل الانتداب وتكوين الكيانات السياسية وانشـاء المنظمة العسكرية « الهاجاناة » تمهيدا للقضـــاء على اليقظة العربية النامية فى فلسطين ، والتى بدأت بوادرها الفعلية تطفو على السطح منذ عام ١٩٢٧ لتضـــع بدايه الحقبة الخامسة وترسم معالمها ٠

وأتسمت **الحقبة الخامسة** بالعمل على مقاومة المد الثورى الفلسطينى، فكانت مشـحونه بالصراع الدامى ، وتحـولت الهجرة اليهـــودية خلالها الى هجرة جماعية واسعه يغذيها الاضطهاد النازى لليهود ٠ كما تبلور خلالها التنظيم السياسى الصهيونى فى شكل « الوكالة اليهودية الموسعة » وتطورت القوة المسلحه الصهيونيه على ضوء أنمـــاط جديدة من الفكر العسكرى المأخوذ عن البريطانيين أساسا ٠

ثم بدأت **الحقبة السادسة** عام ١٩٣٧ بانطلاق الأرهاب من عقـــاله وانتهت عـام ١٩٤٧ بصـــدور قرار تقسيم فلسطين من الأمم المتحدة ، وتميزت هذه الحقبة بتعدد أشكال المنظمات العســكرية الصهيونية ، واتساع مجال نشاطها ، خاصـــة أثناء الحرب العالمية الثانية عندما شكلت منظمة الهاجاناة قوة ضاربة هى « البالماخ » ٠ كما ازداد نشاط العمـــل الصهيونى الى حــد كبير وتركزت جهوده استعدادا لتحقيق هدف محـــدد هو « فرض الدولة اليهودية بالقوة المسلحة فى فلسطين » باستغلال فترة الارتباك والتضارب المنتظر أن تسود منطقة الشرق الأوسط والعالم أجمع فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ، لا قتناص فلسطين باعتبارها احـــدى بقاع الفراغ التى سوف تخلفها هذه الحرب ٠

⊕ ثالثا : مرحلة التوسع :

سيطر على أمور هذه المرحلة جيل الدولة الفاشية متخذا شعار « الانفصاض وفرض الأمر الواقع » ·

وبدأت المرحلة عام ١٩٤٧ **بالحقبة السابعة** التى تميزت بالعدوان الواسع على فلسطين ، ومحاولة ابتلاعها واحتوائها بعد تفريغها من سكانها العرب بالارهاب ·

وقد أعلنت الصهيونية فى مستهلها عن قيام الدولة الاسرائيليه فى ١٤ مايو ١٩٤٨ ، وتحولت المنظمات العسكرية السرية الى جيش نظامى موحد تحت اسم « قوات الدفاع الاسرائيليه » ·

وفى عام ١٩٥٦ شنت اسرائيل حربها العداونية الثانية ضد مصر فى ركاب العدوان البريطانى الفرنسى سعيا وراء القضاء على حركة التحرر العربى النامية والمتمثلة فى الثورة المصرية التى أخذت تدعو الى القومية العربيه سبيلا للقضاء على الامبريالية واقتلاع الصهيونية من المنطقة ·

ثم بدأت **الحقبة الثامنة** عام ١٩٥٧ بتلك الجهود الصهيونية الضخمة التى بذلتها اسرائيل فى الحقل العسكرى استعدادا للاندفاع من جديد نحو اغتصاب أرض عربية تحت ستار ما سمته اسرائيل « السعى الى حدود آمنه » ·

وقد تمكنت القوات الاسرائيلية فى صيف ١٩٦٧ أن تحقق مهام طموحه على أكثر من جبهة عربية ، اذ انتهت الجولة العربية الاسرائيليه الثالثة بابتلاع الصهيونية لكل فلسطين ولثلاثة أمثال مساحة فلسطين من الأراضى العربية المجاورة فى سيناء والضفة الغربية للأردن والمرتفعات السورية ·

وتلى ذلك **الحقبة التاسعة** للمخطط الصهيونى المرسوم ــ حقبة العمل المكثف لاحتواء التوسع الثانى ، وتأمين أكبر قدر من المكاسب التى ترتبت على الجولة الثالثة ·

الا أن الحرب الرابعة التى بدأها العرب ضد اسرائيل فى أكتوبر ١٩٧٣ م · قطعت على الصهيونية طريق هذا المخطط التوسعى ، وأجبرتها على الارتداد به نحو الخلف · وقد كانت هذه الحرب بمثابة نقطة التحول لتيار القومية العربية فى سعيه الحثيث نحو استعادة حقوقه المشروعة ، وفرض الحل العادل لمشكلة الصراع العربى الاسرائيلى المزمنه · وبذا شكلت الجولة الرابعة نكسة للصهيونية التوسعية وانكماشا لمخططها العدوانى فى الوطن العربى ·

السمات البارزة فى الصراع العربى الاسرائيلى :

ونستخلص مما سبق أن السمات البارزة فى الصراع العربى الاسرائيلى من حيث طبيعته السياسية والاجتماعية تتركز فى الآتى :

١ ـ ان اسرائيل استعمار طائفى أساسه التعصب الدينى والشذوذ الرجعى ٠

٢ ـ ان اسرائيل استعمار عنصرى يزعم أن الصهيونية جنس مميز هو شعب الله المختار ٠

٣ ـ ان اسرائيل استعمار سكنى يقوم على ابادة الجنس ـ العرب ـ وأقتلاع أصحاب حق وأرض من حقوقهم وديارهم وتحويلهم الى لاجئين منفيين بلا أمل فى العودة ٠

٤ ـ ان اسرائيل استعمار عسكرى يفرض وجوده بالقوة الغاشمة والبطش والارهاب ٠

٥ ـ ان اسرائيل قاعدة للاستعمار الجديد تضرب جذورها فى جسم الأمة العربية بالدم والنار ، وهى دولة عسكرية صرف فى تنظيمها وحياتها وارتباطاتها السياسية والاجتماعية مع الجوار ، ومع العالم أجمع ٠٠ جيشها هو شعبها ، وشعبها هو جيشها ، وهى فى هذا دولة فاشية صرفة ٠

ويقول الجنرال الاسرائيلى طال نائب رئيس الأركان السابق فى هذا الشأن « **ان مصير أى شعب من الشعوب يشكل سلوكه ، ومصيرنا جعل منا أمة من المحاربين شعبنا هو جيشنا ، وذلك لأننا لا نستطيع أن نتراجع ، فالى أين يمكننا ان نتراجع ٠٠ وجنودنا يوقنون انهم لا يمكنهم أن يخسروا ، والا حكموا بالاعدام على نسائهم وأطفالهم ٠ لهذا يجب على اسرائيل أن يظل شعبها هو جيشها** » ٠

ولهذا أمكن لاسرائيل أن تحشد فى مسرح الحرب كل مرة حوالى ١٣ ٪ من جملة تعداد شعبها على حين حشد العرب فى مواجهتها ٣ر٠ ٪ فقط ٠

٦ ـ ان اسرائيل استعمار اقتصادى يزداد نموا وأزدهارا بقدر ما يغتصب من أرض ، العرب وحقوقهم ، وهو عدوان طفيلى ابتزازى شره يسعى الى نزع ملكية شعب بأسره توطئة الى القضاء المبرم عليه ٠

٧ ـ ان اسرائيل استعمار توسعى عقد العزم على تمزيق أوصال الوطن العربى وتفريغ أهم مناطقه من أصحابها سواء بالطرد أو بالابادة ، لاقتناعها بأن هذه الأرض لا تتسع لها وللعرب معا ، وأن وجود احداهما هو نفى لوجود الآخر ، وبقاء هذا فناء لذاك ،

وأن الجدير بالوجود والبقاء من وجهة نظرها العنصرية هـــو شعبها المختار اسرائيل ٠

٨ ــ واسرائيل استعمار بالاصالة والوكالة ، فهي دولة قامت بمؤامرة الصهيونية العالمية وتعيش على مناورات الامبريالية ، وهي للأولى ملجأ وملاذ وموطىء قدم للاحتكار والاستغلال ، وهي للثانيه قاعدة ورأس جسر ووكيل استغلالى وعميل احتكارى ٠

٩ ــ واسرائيل سرطان أرضى يفصل مشرق العروبة عن مغربها ، ويفسد تجانس الوطن العربى ويعرقل وحدته ويستنزف طاقاته ويتربص بمصائره ٠

١٠ ــ واسرائيل بكل ما سبق تشكل بالنسبة للعرب أخطر تحديات الاستعمار في تاريخ كفاحهم المتصل ، وفى هذا الشـــأن يقول موشي ديان في كتابه ٠٠ يوميات معركة سيناء ٠٠ « ليس أمام اسرائيل من بديل عن استعمال القوة لتحقيق أى تســوية فى خلافاتها مع الدول العربية ٠ ولا تنحصر المسالة بينها وبين العرب فى ايجاد حل لهذا الأمر أو ذاك ، ولكن المسألة هى وجود اسرائيل نفسها » ٠

أما الاعتبارات السياسية التى تحدد لاسرائيل اطار استغلال القوة ضد العرب فيمكننا أن نجملها فيما يلى :

١ ــ ضرورة كسب عطف الرأى العالمى وضمان مؤازرة دولة كبرى قبل شن أى صراع فى المسرح كأحد الشروط الأساسية لبدء القتال ٠

٢ ــ اخفاء أى تواطؤ أو دعم أجنبى لعجلة الحرب الاسرائيلية وخاصة فى مراحل القتـــال الأولى حتى لا تثير الحرب مشكلة عالمية قد تضر بمصلحة اسرائيل ٠

٣ ــ عرقلة مساعى الهيئات والمنظمات الدولية لايقاف النار ــ أو اقرار السلام فى المنطقة حتى تظهر بوادر النصر الاسرائيلى ، أو تقوم تحت ستر هذه المساعى بتحقيق الهدف الأول باحتـــلال مناطق حيوية داخل أرض العرب تصلح كرهينه للمساومة فيما بعد ٠

٤ ــ ضـــمان التدخل الامبريالى الســافر والفورى اذا ما تهدد أمن اسرائيل ٠

٥ ــ تنشيط الجهود السياسية الرامية الى عزل مصر عن اشقائها العرب، وعرقلة أى تدابير لاقامة وحدة أو اتحاد أو تنسيق بين مصر والدول العربية وبخاصة فى المجال العسكرى ٠

٦ ــ مداومة خلق المواقف الاستراتيجية الملائمة لتحقيق غاية اسرائيل القومية واقرار سياسة الأمر الواقع عقب كل عـدوان تكسب به

اسرائيل مزايا أو نقتطع به آرضا عربية عن طريق استعمال القوة ·
هذا وقد أدى التزام اسرائيل بسياسة استعمال القوة هذه فى حل مشاكلها مع العرب الى اعتناقها مبدءين رئيسيين فى سياستها العسكرية ·

● **المبدأ الأول** : هو المحافظة على ميزان القوى العسكرية فى صالحها لتحقيق أغراضها السياسية الأساسية ويستلزم ذلك مداومة الحصول بكافة الطرق على مساعدات عسكرية ضخمة من الخارج حتى تضمن المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ترجيح ميزان القوى فى صالحها فى كل وقت ·

● **المبدأ الثاني** : هو تبرير سياسة اسرائيل التوسعية العدوانية أمام الرأى العام العالمى ، ويستلزم ذلك اختلاق الحوادث والمبالغة فى المواقف بما يدمغ العرب أمام العالم بالتعدى والتشدد ويظهر اسرائيل كدولة لا تبغى سوى التعايش مع جيرانها ·

وقد أدى التزام اسرائيل بالسياسة التوسعية الاستعمارية ، وصعوبة تحقيق غاياتها القومية دفعة واحدة ، الى اتباع منهج المرحلية فى تحديد أهدافها السياسية والعسكرية فى نسيجها التوسعى ·

ويقول موشى ديان عن مرحلية التنفيذ فى سياسة اسرائيل التوسعية ·· « لقد أخذنا ننتقل من غير الممكن الى الممكن ، وها نحن اليوم ننتشر بين قناة السويس ومرتفعات الجولان وقد أصبح ذلك ممكنا · اننا نصل الى الممكن عندما نؤمن بسلم يعقوب الذى تصل قمته الى السماء · وقد نجد أحيانا مثل هذه الأهداف المرحلية كما لو كانت مستحيلة التحقيق ، ولكن أقدامنا تقف على أرض الواقع ونحن نتقدم مرحلة بعد الأخرى من أرض الواقع نحو اقامة الأهداف الواسعة » (١) ·

ويعتمد المنهج المرحلى فى العمل السياسى الاسرائيلى على تفاعل كامل لأربعة مبادىء هى :

أولا : الواقعية : التى تعين الحد الأقصى لما تطالب به الحركة الصهيونية فى كل ظرف طبقا للأوضاع السائدة والامكانات المتوفرة ·

ثانيا : المرونة : التى تقوم بتكييف الأساليب والوسائل ·

ثالثا : التشدد : الذى يرسم الحد الأدنى للمطالب الصهيونية الذى لا يسمح بالتراجع عنه تحت أى ظرف ·

رابعا : التصعيد : الذى ينتقل من المرحلة التى تم تحقيقها الى المرحلة التالية التى تنشد منها الحركة الصهيونية مكاسب جديدة ، يكون حدها الأدنى هو نفس ما تحقق فى المرحلة السابقة كحد أقصى ومطلبا كاملا مزعوما ·

---

(١) كتاب خريطة جديدة وعلاقات مختلفة لموشى ديان ص ١٨٨ ـ مكتبة معاريف ـ اصدار عام ١٩٦٩م ·

العوامل السياسية والاجتماعية المؤثرة على الصراع العربى الاسرائيلى :

ويبين الجدول التالى العوامل السياسية والاجتماعية للصراع العربى الاسرائيلى كما تراها وتمارسها المؤسسة العسكرية الاسرائيلية :

العوامل السياسية والاقتصادية والجغرافية المؤثرة على الصراع العربى الاسرائيلى

	العوامل	اعتبارات فى السياسة العسكرية	اساليب التطبيق
العوامل السياسية	الالتزام بسياسة العنف لتامين كيان الدولة	(١) المحافظة على ميزان القوة العسكرية فى صالح اسرائيل .	(أ) الحصول على معلومات دقيقة عن قوة العرب العسكرية . (ب) عمليات عسكرية لاضعاف العرب فى حالة اختلال ميزان القوة (الحرب الوقائية) . (ج) الحصول على مساعدات عسكرية ضخمة من الخارج .
		(٢) ضرورة تبرير السياسة العدوانية امام الرأى العام العالمى .	(أ) اختلاق او المبالغة فى حوادث الحدود . (ب) تصوير العرب فى صورة البادىء فى العدوان .. واسرائيل كدولة مسالمة .
	الأغراض التوسعية الاستعمارية	صعوبة تحقيق الأغراض التوسعية دفعة واحدة .	المرحلية فى تحديد اهداف السياسة العسكرية .
	وضع اسرائيل فى المنطقة كدولة دخيلة وسط اعداء اكبر منها عددا واكثر موارد .	(١) الحاجة الى معلومات دقيقة عن كل ما يدور فى البلاد العربية .	(أ) جهاز مخابرات واسع النطاق (ب) شبكة جاسوسية داخل البلاد العربية . (ج) تبادل المعلومات مع اجهزة مخابرات الدول الأخرى .
		(٢) صعوبة الدفاع فى حالة هجوم عربى شامل من جميع الجهات .	(أ) مبدأ الحرب الوقائية . (ب) مفاجأة العرب بالهجوم قبل استكمال استعدادهم .

	العوامل	اعتبارات فى السياسة العسكرية	اساليب التطبيق
العوامل السياسية		من جميع اتجهات	(ج) التركيز فى الدفاع أو الهجوم على جبهة واحـدة مع تامين الجبهات الأخرى . (د) الاعتماد على سرعة الحركة فى نقل القوات من جبهة الى اخرى .
		(٣) ضرورة الحصول على التعضيد السياسى والعسكرى من الدول الموالية قبل الدخول فى اى حرب .	(أ) ممارسة الضغوط السياسية (ب) تهييج الرأى العام . (ج) اتفاقات سرية .
		(٤) الحاجة الى المحافظة على معنويات الشعب من التدهور .	(أ) عمليات عسكرية شاملة على فترات لاثبات تفوقها العسكرى . (ب) غـارات ارهابية متـكررة على السكان العرب لقرى الحدود .
العوامل الاقتصادية .	دولة ذات موارد محدودة	(١) صعوبة الاستمرار فى حرب طويلة الأجل .	(أ) تبنى اسـتراتيجية الحرب الخاطفة . (ب) الاعتماد على التدخل الخارجى لوقف الاشتباكات .
		(٢) ضآلة حجم الامكانات المخصصة للدفاع .	(أ) تطوير الموارد الموجودة الى اقصى درجة . (ب) التركيز على الصناعات الحربية والمساعدة . (ج) الاعتماد على المعونات الخارجية
	مستلزمات ميزانية الدفاع	احتياجات مالية ضخمة للدفاع لا تتناسب مع الدخل القومى للدولة	(أ) الاعتماد على المعونات العسكرية والمالية والخارجية . (ب) الاستعاضة عن الكمية بالنوعية فى التسليح . (ج) التخطيط العـلمى الـدقيق للعمليات العسكرية لاستخدام الطاقة القصوى المتاد . (د) التعاون الوثيق مع الـدول المساندة فى تطوير الأسـلحة الغير تقليدية .

	العوامل	اعتبارات فى السياسة العسكرية	اساليب التطبيق
العوامل الاقتصادية	موارد بشرية محدودة بالمقارنة بالدول العربية	(١) استحالة الاعتماد على التفوق العددى للقوات المسلحة •	(أ) الاعتماد على النوعية بالتدريب المستمر لرفع مستوى كفاءة القوات المقاتلة •
		(٢) استحالة التوفيق بين احتياجات التنمية الاقتصادية ومتطلبات الدفاع من القوى البشرية •	(أ) الاحتفاظ بقوات نظامية صغيرة وقت السلم • (ب) اعداد قوات احتياط ضخمة يتم استدعاؤها وقت الحرب • (جـ) تطوير نظام سريع دقيق للتعبئة العامة •
العوامل الجغرافية	المساحة الصغيرة	(١) الافتقار الى العمق الاستراتيجى للمناورة بالقوات المدافعة •	(أ) بناء شبكة مواصلات جيدة تكفل سرعة تنقلات القوات • (ب) نقل المعركة بسرعة الى أرض العدو •
		(٢) خطورة عامل الزمن فى حالة هجوم مفاجىء •	(أ) الاحتفاظ بمبدأ المبادأة • (ب) الاعتماد الكامل على الطيران ومستعمرات الحدود فى صد الهجوم (جـ) التعبئة السريعة لقوات الاحتياط •
		(٣) سهولة فصل أجزاء الدولة فى حالة الهجوم المركز	(أ) عدم السماح للقوات المهاجمة بالاختراق • (ب) تنظيم المستعمرات فى شكل قلاع دفاعية مستقلة •
	حدود طويلة وغير طبيعية	صعوبة الدفاع عن الخطوط الامامية	(أ) مستعمرات دفاعية للحدود • (ب) قوات خفيفة الحركة لحراسة الحدود • (جـ) الوصول بسرعة الى حدود طبيعية يسهل الدفاع عنها •
	تجمع السكان والزراعة فى مراكز محدودة •	صعوبة الدفاع عن المدن ومناطق الصناعة فى حالة هجوم جوى مركز	(أ) شبكات دفاع جوى قوية • (ب) الالتزام بسياسة الحرب الوقائية •

	العوامل	اعتبارات في السياسة العسكرية	أساليب التطبيق
			(ج) نقل المعركة بعيدا الى ارض العدو . (د) تدمير سلاح طيران الدول المعادية .
العوامل الجغرافية	طبيعة الأرض الصحراوية للمعارك .	صعوبة الدفاع عن الخطوط الأمامية المكشوفة .	(أ) اتباع استراتيجية وتكتيكات الدفاع الهجومي . (ب) الاعتماد على الطيران في تدمير القوات المهاجمة .
		(٢) سهولة تعرض القوات المهاجمة نهارا للتدمير من الجو .	(أ) الاعتماد على سرعة وخفة الحركة باستخدام القوات المدرعة والميكانيكية . (ب) اعداد وتدريب القوات المقاتلة على تكتيكات الاشتباكات الليلية .
		(٣) سهولة قطع خطوط الامدادات والاتصالات .	(أ) التركيز على المرونة واللامركزية في القيادة . (ب) الاعتماد على الالتفاف السريع وانزال المظلات خلف دفاعات العدو لقطع خطوط امداداته ، واتصالاته وعزلها عن بقية القوات .

الخلاصة :

ان الطبيعة السياسية والاجتماعية للصراع العربي الاسرائيلي تتصف بسمات خاصة تصبغ هذا الصراع بالنسبة لاسرائيل بالعدوانية والتوسعية والعنصرية وتدمغ أعمالها بالجور وانعدام الشرعية وخرق القانون العام ، وعلى الجانب الآخر يقف الصراع العربى المسلح فى وجه المطامع الصهيونية والمخططات الامبريالية المرسومة لاغتصاب أجزاء من أرض العرب واقتلاع مئات الآلاف من المواطنين العرب ، هذا الصراع المسلح عادل فى جوهره كما هو لازم لارساء قواعد العدل والسلام فى منطقة الشرق الأوسط •

ومن الطبيعى أن يترتب على العدوان الصهيونى المستمر اثارة أعمق مشاعر العداوة والبغضاء فى نفوس العرب كافة حيال هـــذا المعتدى الدخيل •

وتتسع حلبة هذا العداء فتشمل كل المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والروحية والعسكرية • وهو يشكل بهذا صراعا فريدا فى نوعه ، يتصف بالضراوة والتصاعد والاستمرار ، كمـــا أنه يستشرى فى الحجم والخطر مع توالى السنين الى الدرجة التى قد يتحـول معها من مجرد صراع محلى وحرب محدودة الى صراع عالمى وحرب شاملة بسبب الطبيعة السياسية والاجتماعية التى يتصف بها هذا الصراع •

مآزق اسرائيل العشرة :

وهكذا فان اسرائيل بالصراع الذى فجرته فى قلب الوطن العـربى قد أوقعت نفسها فى عشرة مآزق كبرى . لا سبيل الى حلهـــا كما تود وتأمل ، وسوف تكون فيها نهاية أحلامها .

١ ـ مأزق أن تقـوم على أسطورة غيبية تحاول بعثها من أكفان الماضى السحيق دون سند أخلاقى أو واقعى سـوى خرافة عفى عليهـــا الزمن عن أرض الميعاد •••

٢ ـ مأزق أن تقوم على تجـربة قد استنفدت أغراضها من تجـــارب الاستعمار الاستيطانى للعنصر الأبيض وسـط عوالم مقهورة مغلوبة على أمرها •

٣ ـ مأزق ان تقوم على فرضية تفوق عسكرى تظنه وقفا عليها بينما هو لا يعدو ــ حتى مع الاغراق فى التفاؤل ــ ان يكون حالة مؤقتة ، لا يســتقيم لثلاثة ملايين أن يحتفظوا بها طويلا فى مواجهـة مائة مليون .

٤ ـ مأزق أن تقـــوم فى عزلة عن كل ما حولها ، مرفوضة ومنبوذة ليس أمامها الا أن تعيش كل عمرها كحامية عسـكرية ، مثل مجتمع اسبرطة ، أو رايخ هتلر النازى .

٥ ــ مأزق ان تقوم على ذراع طويلة أو يد عليا ، فى عصر وفرت فيه مبتكرات التكنولوجيا ما هو كفيل ببتر هذه الذراع وشل تلك اليد .

٦ ــ مأزق ان تقوم على الالتصاق بقوة كبرى تستمد منها الحياة والبقاء على حين أن هذا الالتصاق لا يزودها بوثيقة سرمدية تؤمن كيانها حتى نهاية التاريخ ..

٧ ــ مأزق أن تقوم على اكذوبة ربط الأمن بالأرض فى عصر الصواريخ عابرة القارات والسابحات بين الأفلاك من الاقمار الصناعية .

٨ ــ مأزق أن تقوم على تفوق مادى آنى ، على حين أن المنطقة تذخر بثروات لا آخر لها ، وكلها جميعا تقع فى الجانب المضاد ، على ظهر أرض العرب أو فى بطنها ، فتكفل لهم التفوق المادى الآجل والمستديم .

٩ ــ مأزق أن تعيش بدون خريطة مقررة ، وحدود لا تنفك تتحرك ، ثم تطلب أن يعترف بهـا من حولها ، على حين ترفض هى أن تعترف لهم بكيان أو حقوق .

١٠ــ مأزق أن تقوم على وهم فرقة العرب وتشتت صفوفهم ، رغم أنهم ان لم تجمع بينهم وحدة الماضى والحاضر ، فسوف تجمعهم حتما وحـدة المستقبل والخطر الصهيونى الداهم الذى أحاط بهم فى فترة خلخلة تاريخية كانت نتيجة حتمية لانتقالهم من مناخ الحيرة الحضارية والسياسية والاجتماعية التى خلفها لهم الاستعمار والاستبداد الى آفاق القومية والنمو والازدهار .

نقطة التحول :

ولكن موضع الخطأ فى الصراع العربى الاسرائيلى يقع حيث تخيل مخطط الصهيونية ان الزمن قد تجمد بالنسبة للعرب ، وان التطور قد تجاوزهم .. فلما جاء اليوم الذى تحول فيه الكم العربى الى كيف ، كان طبيعيا أن تختل موازين اسرائيل ... وبمجرد أن اختلت ، كان لابد أن تقع حركة التصحيح .. لتكون نقطة العودة الى المسار السليم لهذا الصراع الذى طال أمده وتفاقمت أحداثه .

وليس ثمـة شك أن الجولة الرابعـة هى نقطة التحول فى صراع استخدمت اسرائيل جولاته الثلاث التى سـلفت لحـل مآزقها العشرة سالفة الذكر بالحرب ، على حين رمى العرب فى جولتهم الرابعة أن يجسدوا لها بعـد كل ما بذلته من عناء على امتداد الربع قرن المنصرم . وبعـد أن تخيلت ان قطوف العدوان أمست دانية ، نفس المآزق من جديد ، ولكن بصـورة أشدة حدة ، حتى ينتزعوا منها السلام العادل .. ولو بالحرب .

الباب الثانى

الخلفية السياسيّة

السلام بالحرب

*** بانتهاء الجولة العربية الاسرائيلية الثالثة صيف عام ١٩٦٧ ، ظنت اسرائيل انها الحرب التى انهت كل الحروب ، والنصر الذى ازال جميع المآزق ، وان العرب لم يبق امامهم الا الاستسلام ...**

وكان للعرب رأى آخر .. فما أن توقفت النيران ، حتى راحت الدول العربية تبذل جهودا سياسية ودبلوماسية واسعة ، لرفض الهزيمة ، وتهيئة الظروف المواتية لارساء قواعد سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط ..

وصاحب هذه الجهود عدة محاولات لايجاد تسوية للنزاع العربى الاسرائيلى ، قام بها المجتمع الدولى عامة ، والقوى الكبرى خاصة ، ثم مجموعة الدول العربية وجمهورية مصر العربية بخاصة ..

وتحطمت كل هذه الجهود وتلك المحاولات على صخرة الرفض والتعنت الاسرائيلى ، وظهر جليا أن ما يحتويه قاموس اسرائيل من مفاهيم لا يخرج عن .. العدوان .. والتوسع .. واغتصاب الحقوق .. وفرض الواقع بكل ما يحمله من ظلم واجحاف .. والاستهانة بالرأى العام العالمى .. وازدراء المنظمات الدولية .. واستبان لكل منصف أنه لا بديل للعرب عن الحرب ليحققوا السلام العادل المنشود ..

لقد كان من المستطاع أن يحقق القرار ٢٤٢ الصادر عن مجلس الأمن فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ تسوية مقبولة لمشكلة الشرق الأوسط ، وأن يرسى دعائم سلام عادل فى المنطقة .. ولكن اسرائيل والقوى

الامبريالية المساندة لها عملت بكل ما وسعها الجهد على عرقلة تنفيذ القرار ، ثم تجميده ..

وكان القرار يقوم على دعامتين أساسيتين هما :

١ ــ عدم شرعية الاستيلاء على الأراضى بواسطة الحرب .

٢ ــ ضرورة العمل من أجل سلام عادل ودائم ، تستطيع كل دولة من دول المنطقة أن تعيش فيه بأمان .

ويستطرد القرار فينص على سحب القوات المسلحة الاسرائيلية من الأراضى التى احتلتها فى عدوان ١٩٦٧ ، كما ينص على انهاء حالة الحرب ، والعيش فى سلام داخل حدود آمنة ومعترف بها ..

ويورد القرار ترتيبات معينة للملاحة فى الممرات البحرية ، وتسوية مشكلة اللاجئين ، وضمان السيادة الاقليمية لدول المنطقة ، وتعيين ممثل خاص للسكرتير العام يجرى اتصالات مع الدول المعنية للوصول الى اتفاق مقبول ..

ومنذ صدر القرار ، واسرائيل لا تنى عن وضـع العراقيل فى طريق تنفيذه ، وتتذرع بالابهام والغموض الذى يشوب تلك الفقرة فى النص الانجليزى القائلة « بسحب القوات الاسرائيلية من أراض احتلتها » لتبرر بقاءها فى الأراضى العربية المحتلة .. رغم ان بطلان هذا الزعم الذى تستند اليه اسرائيل تؤكده نفس مقدمة القرار ، اذ تنص على عدم جواز الاستيلاء على الأراضى عن طريق الحرب .

لقد قام السكرتير العام للأمم المتحدة بتعيين السفير جونار يارنج ممثلا خاصا له فى الشرق الأوسط ، لمداومة الاتصال مع الدول المعنية بهدف تشجيع الاتفاق ، والمساعدة بجهوده للتوصل الى تسوية سلمية مقبولة طبقا للنصوص والمبادىء الواردة فى القرار ٢٤٢ .

وقدم يارنج تقاريره الى مجلس الأمن عن مهمته ، واتضح منها ان اسرائيل اتخذت منذ الوهلة الأولى موقفا خاصا يقوم على أن التوصل الى حـل للأزمة لا يمكن أن يتم الا من خلال « المفاوضات المباشرة بين الأطراف المعنية » ، وان قواتها المسلحة لن تنسحب من الأراضى المحتلة قبل التوصل الى حل تقبله اسرائيل ، كما اقترح وزير خارجيتها برنامج عمل للمفاوضات المباشرة مع العرب ..

ورفضت اسرائيل اعطاء السفير يارنج تصريحا يؤكد استعدادها لتنفيذ قرار مجلس الأمن ، متذرعة بأن هذا القرار لا يخرج عن كونه مجرد اطار للاتفاق ، وانه يستحيل تنفيذه دون مفاوضات مباشرة .

وفى المرحلة الثانية من مهمة السفير جونار يارنج أكدت اسرائيل موقفها السابق بالنسـبة لتفسير قرار مجلس الأمن ، وأصرت على أن

الانسحاب يجب أن يتبع الاتفاق بين الأطراف على حدود آمنة ، على حين رأت مصر أن القرار يتضمن خطة لتسوية النزاع يتعين على الأطراف تنفيذها طبقا لاجراءات يضعها الممثل الخاص للسكرتير العام للأمم المتحدة .

وأخيرا ، وفى المرحلة الثالثة التى تميزت بمطالبة الأطراف بالالتزام — عن طريق مذكرة رسمية مكتوبة — بتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، وبعد قبول الأطراف مبادرة روجرز ، حاولت اسرائيل عرقلة المحادثات ، فامتنعت عنها لمدة أربعة أشهر .. وعندما استؤنفت الاتصالات ، وقدم السفير يارنج مذكرته فى فبراير ١٩٧١ طالبا من الأطراف المعنية تقديم بعض الالتزامات مقدما ، على أن تكون متبادلة ، وافقت مصر على هذه الالتزامات ، على حين جاء رد اسرائيل فى شكل تعليق على مذكرة مصر ، ولم تتعرض للالتزامات المطلوبة منها من قريب أو بعيد .. بل ظلت تصر على عدم الانسحاب الى حدود يونية ١٩٦٧ .

وبهذا الموقف المتعنت ، ورغم النداء الذى وجهه السكرتير العام للأمم المتحدة الى اسرائيل لكى ترد ايجابيا على مذكرة السفير يارنج ، ورغم صدور عدة قرارات للجمعية العامة تناشد السكرتير العام اتخاذ الاجراءات اللازمة لتنشيط مهمة الممثل الخاص ، فقد تمسكت اسرائيل بعنادها ، واستمرت فى الامتناع عن الرد على السفير يارنج ، كما رفضت الاعلان عن استعدادها لتنفيذ قرار مجلس الأمن ، معتمدة على مؤازرة الولايات المتحدة الأمريكية لها بلا حدود .

المحادثات الرباعية :

كانت الحكومة الفرنسية تعرب فى كل مناسبة عن أن أزمة الشرق الأوسط مرتبطة بالحرب الدائرة فى فيتنام ، وان الحل السلمى لهذه المشكلة يحتاج الى محادثات تجرى على مستوى الدول الأربع الكبرى . وفى ١٦ يناير ١٩٦٩ تقدمت فرنسا باقتراح لعقد محادثات رباعية ، للبحث عن الوسائل التى بمقتضاها تستطيع هذه الدول أن تسهم فى اقامة السلام المنشود ، طبقا للقرار رقم ٢٤٢ .

وعقد أول اجتماع رباعى يوم ٣ ابريل ١٩٦٩ ، ثم تأجلت الاجتماعات على أمل احراز بعض التقدم عن طريق المحادثات الثنائية الأمريكية السوفيتية . وفى أغسطس ١٩٧٠ وافق الممثلون الأربعة على مبادرة روجرز ، ثم توقفت المحادثات الرباعية لفترة من الوقت ، ثم استؤنفت مع استئناف مهمة يارنج ، حيث ناقشت الدول الأربع الكبرى خلال هذه المرحلة الضمانات التى يمكن أن تقدمها لتسوية المشكلة ، وذلك

بالرغم من معارضة اسرائيل ، الا أنها سرعان ما توقفت مرة أخرى نتيجة اشتداد الخلاف بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيني بشأن قوة حفظ السلام المقترح تشكيلها ..

وبذلك فشلت المحادثات الرباعية فى نهاية اغسطس ١٩٧١ ، بعد أن تعثرت نتيجة التباين في وجهات نظر الدول الكبرى ، بالاضافة الى تعثر مهمة السفير يارنج ، ومماطلة اسرائيل وحثها أمريكا لتجميد المحادثات ، وصاحب ذلك اقتراح الولايات المتحدة الخاص بالقيام بدور الوسيط بين مصر واسرائيل ..

ورغما عن أن مصر رحبت بالمحادثات الرباعية منذ بدأت ، وأعربت عن ضرورة تحمل الدول الكبرى لمسئوليتها تجاه السلام العالمى ، الا ان اسرائيل رفضت بعناد مجرد فكرة اسهام الدول الكبرى فى التسوية . ليس ذلك فحسب ، بل راحت تشوه الهدف من هذه المحادثات ، فوصفتها بأنها محاولة لفرض تسوية على الأطراف المعنية ، واتهمت فرنسا والاتحاد السوفيتي بالانحياز الى جانب مصر ، وعادت تؤكد أن السلام لن يتحقق الا بالمفاوضات المباشرة مع العرب .

وراحت اسرائيل تشكك فى شرعية المحادثات الرباعية . كما أعلنت أن العضوية الدائمة للدول الأربع الكبرى فى مجلس الأمن لا تعطيها سلطة خاصة ، ولا وضعا سياسيا متميزا ، يبرر قيامها بهذه المهمة .

ثم أعلنت اسرائيل ان المحادثات الرباعية قد فشلت ، وانه ليس هناك ما يدعو الى الاعتقاد بأنها ستنجح مرة أخرى ..

المحادثات الثنائية :

بدأت المحادثات الثنائية بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة للتوصل الى حل عادل لأزمة الشرق الأوسط مع بدء المحادثات الرباعية فى ابريل ١٩٦٩ ، وكان هدفها الرئيسي هو الوصول الى ترتيبات مقبولة ، تقنع الطرفين بالاعلان عن نواياهما السلمية ..

وبالرغم من صدور عدة تصريحات عن أن هذه المحادثات قد حققت شيئا من التقدم ، وأن أحد مظاهرها المشجعة هو اتفاق الجانبين على ان الترتيبات النهائية للسلام يجب أن تكون فى شكل اتفاق شامل وليس تسوية على مراحل ، الا ان القضية الأساسية الخاصة بالانسحاب من الأراضي العربية المحتلة . وكذا مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ، كانتا العقبة التى توقفت عندها المحادثات .

ليس ذلك فحسب ، بل ان وكيل وزارة الخارجية الأمريكية المستر جوزيف سيسكو صرح بأنه لا يعتقد أن على اسرائيل ان تعيد جميع الأراضي التى احتلتها فى حرب ١٩٦٧ ، لأن قرار مجلس الامن لم ينص على ذلك .

وهكذا ، ورغم موافقة مصر على المحادثات الثنائية ، وبذلها كل الجهود لانجاحها ، فقد رفضتها اسرائيل بداية . وتحركت الولايات المتحدة لتبذل كل وسعها فى تحطيم هذه المحادثات وافشالها ، رغم ما بذله الاتحاد السوفيتى من جهود كثيرة للوصول الى نتائج مقبولة ..

مبادرة روجرز :

نتيجة حرب الاستنزاف التى دارت فيما بين سبتمبر ١٩٦٨ ويوليو ١٩٧٠ ، وارتفاع خسائر اسرائيل فى الأفراد ، والمعدات والطائرات ، سارع المستر وليم روجرز وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية بتقديم مبادرة فى ٥ يونيو ١٩٧٠ بهدف ايقاف الاستنزاف ، والتزام كل من مصر واسرائيل بحبس النيران لفترة محددة ، كما وجه نداء الى الأطراف المعنية للدخول فى مفاوضات جديدة عن طريق السفير جونار يارنج ، من اجل تنفيذ قرار مجلس الأمن ٢٤٢ .

واستجابت مصر لهذه المبادرة ، فأوقفت النيران فى ٨ أغسطس ١٩٧٠ الا أن اسرائيل لم توف بالشق الثانى من المبادرة ، وهو العمل على انجاح مهمة يارنج وتنفيذ القرار ٢٤٢ ، وكان الأمر الأعجب هو أن الولايات المتحدة الامريكية لم تمارس أى ضغط على اسرائيل كى تستجيب للمبادرة التى قدمها نفس وزير خارجيتها ، الأمر الذى حكم عليها بالفشل الذريع ..

مبادرة السادات :

فى الخامس من فبراير ١٩٧١ أعلن الرئيس السادات عن مبادرة للسلام ، وحدد معالمها بعد ذلك بالتفصيل فى خطاب ضفاف القناه فى أول مايو ١٩٧١ ، تضمن الآتى :

١ ـ بمجرد الانسحاب الجزئى للقوات المسلحة الاسرائيلية عن الأراضى

العربية المحتلة ــ كمرحلة أولى من الانسحاب الكامل ــ تبدأ مصر في تطهير قناة السويس وفتحها للملاحة الدولية ..

٢ ــ بعد هذه الخطوة ، تقبل مصر مد وقف اطلاق النار لمدة محددة ، يضع خلالها السفير يارنج جدولا زمنيا لتنفيذ قرار مجلس الأمن ..

٣ ــ تعبر القوات المسلحة المصرية قناة السويس الى الضفة الشرقية ، وتقبل مصر الترتيبات التى تحقق عملية فصل القوات المتحاربة ، وذلك خلال فترة وقف اطلاق النار المحددة ، واذا انتهت هذه الفترة دون تقدم ملموس ، يكون للقوات المسلحة المصرية الحق فى تحرير الأراضى العربية المحتلة بالقوة .

٤ ــ ترفض مصر أى مناقشة حول نزع سلاح سيناء ، ولكنها على استعداد لقبول مناطق منزوعة السلاح على جانبى الحدود وفقا لقرار مجلس الأمن ..

٥ ــ ترفض مصر أى شكل من اشكال الوجود الاسرائيلى فى شرم الشيخ ..

وجاء رد الفعل الاسرائيلى معبرا عن نواياها الحقيقية ، اذ زعم قادة اسرائيل أن المبادرة لا تحوى جديدا ، وان اسرائيل ترفض الشرط الخاص بانسحاب قواتها المسلحة من الضفة الشرقية للقناة ، ثم أعلنت رئيسة وزراء اسرائيل انه لا يجدى اسرائيل فتيلا قبول المبادرة المصرية . وأعقبها وزير دفاعها فأكد أنه ليس لدى اسرائيل أية نية للانسحاب من أفضل خط استولت عليه ، ثم عادت مائير تعلن « أنها ترى أن يكون الاتفاق على اعادة فتح قناة السويس منفصلا لا صلة له على الاطلاق بمهمة السفير يارنج ، ولا بمباحثات الدول الكبرى » ..

وكان لموقف اسرائيل المتعنت ، ورفضها الربط بين اعادة فتح قناة السويس والانسحاب من الضفة الشرقية للقناة بالانسحاب الكامل من الأراضى العربية المحتلة وفقا للقرار رقم ٢٤٢ ، نتيجة حتمية .. هى اهدار فرصة أخرى من فرص تحقيق السلام ، فضلا على تحقيق هدف اسرائيل فى تجميد الموقف لفرض الأمر الواقع فى المنطقة ..

وهكذا تبين للمجتمع الدولى كافة أن اسرائيل مصممة على اغتصاب الأراضى بالغزو ، وتجاهل الحقوق المشروعة لغيرها ، وأنها تعتنق سياسة فرض الأمر الواقع بالعدوان ، ولا تقيم وزنا للرأى العام العالمى ، ولا لقرارات المنظمات الدولية .

واستغلت مصر هذا الموقف فكثفت اتصالاتها السياسية وجهودها الدبلوماسية ، للتركيز على أن اسرائيل تلعب بالنار ، وأنها تعرض السلام والأمن الدوليين للخطر بما قد يعود على البشرية كلها بالضرر

البليغ ، فبدأت اسرائيل تفقد تقدير العالم ، وتعانى من عزلة خانقة بفضل انتقاد الدول المحبة للسلام لمسلكها المشين حيال العرب . ولم يبق ملتفا حولها سوى الولايات المتحدة ، وأشقائها العنصريين الاستعماريين — البرتغال وجنوب أفريقيا وروديسيا وفيتنام الجنوبية ..

ولعل أهم ما يلفت النظر عن سعة صدر مصر ، وبذلها الجهود المضنية للوصول بالقضية الى حل عادل ومقبول ، أن تكون آخر كلمات المستر وليم روجرز للسيد الرئيس أنور السادات فى آخر لقاء بينهما فى القاهرة فى مايو ١٩٧١ قوله :

« لقد قدمتم — يا سيادة الرئيس — كل ما يؤكد طريق السلام ، ولم يعد هناك ما يمكن طلبه منكم من أجل السلام » ..

دعوة مصر لعقد دورة طارئة لمجلس الأمن فى يونية ١٩٧٣

واستمرت مصر فى بذل الجهود لتحقيق السلام العادل فى المنطقة ، والتنبيه الى ضرورة اضطلاع المجتمع الدولى بمسئوليته تجاه السلام العالمى . ثم طالبت ببحث ذلك على ضوء تقرير يقدمه السكرتير العام للأمم المتحدة ، عن مهمة ممثله الخاص السفير يارنج بهدف اتخاذ الاجراءات المناسبة لاقرار السلام طبقا للقرار ٢٤٢ .

وفى السادس والعشرين من يوليو ١٩٧٣ تم التصويت على مشروع هذا القرار ، الذى تقدمت به دول عدم الانحياز ، فحصل على موافقة ثلاث عشرة دولة من الدول الأعضاء فى مجلس الأمن ، بينما امتنعت الصين عن التصويت لرغبتها فى اصدار قرار واضح بادانة اسرائيل واجبارها على تنفيذ قرار مجلس الأمن السابق رقم ٢٤٢ . أما الولايات المتحدة فقد استخدمت الفيتو لتحطيم المشروع الذى أعرب عن أسف المجلس العميق لاستمرار احتلال اسرائيل للأراضى العربية بما يتعارض مع مبادىء ميثاق الأمم المتحدة ، واستمرار اسرائيل فى عرقلة مهمة السفير يارنج ..

واستمرت الولايات المتحدة تتبنى سياسة اسرائيل التوسعية . فزعمت ان المشروع يشوه القرار ٢٤٢ ، وردد مندوبها نفس الأسباب التى ذكرتها اسرائيل فى رفض المشروع .

وخلصت مصر من كل هذه المباحثات والمحادثات والمبادرات الى انه لا فائدة ترجى من اسرائيل التى عقدت العزم على مواصلة العدوان ، وفرض الأمر الواقع ، والتلويح باليد العليا وذراع الردع الطويلة . وأكد كل ذلك ما توصلت اليه القيادة السياسية المصرية عقب عدوان اسرائيل عام ١٩٦٧ من أن « ما أخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة » وأيقن كل منصف بحتمية استخدام العنصر العسكرى لكسر الجمود الذى أحاط بالقضية، والتوصل الى تسوية سياسية عادلة للنزاع .

وكان لا بد من اعداد سياسى حاذق لعزل اسرائيل دوليا ، مع مواصلة العمل لحل القضية بالطريق السلمى ، فاذا ما فشلت هذه الجهود ، يصبح لا مفر من استخدام القوة لايقاظ اسرائيل من أحلام الغرور ...

الاعداد السياسى للمعركة :

(١) فى مجال الأمم المتحدة :

راحت الدبلوماسية المصرية تمهد الجو السياسى داخل المجتمع الدولى لكشف سياسة اسرائيل التوسعية ، وانه لا بديل عن العمل العسكرى لاسترداد الحقوق المشروعة . ونجحت فى كل دورة من دورات الجمعية العامة للأمة المتحدة ، وغيرها من الهيئات الدولية ، فى الحصول على تأييد الغالبية العظمى من الأعضاء لمطالبها العادلة ، والفوز بقرارات تدل على تعاظم التأييد الدولى للقضية العربية ، وخاصة فيما يتعلق بحق استرداد الأراضى المحتلة ، وحق تقرير مصير الشعب الفلسطينى ..

(٢) فى المجال الأفريقى :

كان مؤتمر القمة الأفريقى المنعقد فى يونية ١٩٧١ نقطة تحول بالنسبة لدول القارة الأفريقية ، من مجرد التأييد اللفظى للعرب ، الى اتخاذ الخطوات الفعالة لصالح القضية . وكان لمهمة لجنة الرؤساء الأفارقة المنبثقة من هذا المؤتمر أبلغ الأثر فى ترسيخ الايمان بعدالة الموقف العربى ، وتعنت الموقف الاسرائيلى وعدوانيته .

اذ تشكلت لجنة من عشرة رؤساء أفارقة للسعى للتطبيق الكامل للقرار ٢٤٢ ، القاضى بانسحاب اسرائيل من جميع الأراضى المحتلة، وانبثقت عن « لجنة العشرة » ، « لجنة الأربعة » واضطلعت بمهمة الاتصال بالأطراف المعنية فى ازمة الشرق الأوسط .

وكان مما أتفق عليه بالنسبة لهذا التحرك الأفريقى أن يتم على مرحلتين ، الأولى تتقصى الحقائق ، والثانية تقدم مقترحات محددة لحل الأزمة ... وقامت لجنة الأربعة بجولتين فى المنطقة فى نوفمبر ١٩٧١ ، قدمت خلال الجولة الثانية منهما وثيقة لكل من مصر واسرائيل للرد عليها . ثم رفعت اللجنة تقريرها عن نتائج المهمة الى السكرتير العام للأمم المتحدة فى ٣ ديسمبر ١٩٧١ . وتضمن التقرير رد مصر واسرائيل على ستة نقاط محددة ، كما تضمن نداء وجهه وزير خارجية السنغال أمام الجمعية العامة ، طالب فيه اسرائيل أن توضح الطريق الذى تراه لاستئناف المحادثات ، وأن تعيد التأكيد بأنها لا تنوى ضم الأراضى العربية بالقوة ..

ولكن اسرائيل امتنعت عن اعلان نيتها في عدم ضم الأراضى العربية ، وبهذا فشلت مهمة الرؤساء الأفارقة ، وأيقنت افريقيا ان اسرائيل دولة توسعية عدوانية تعادى السلام ، وتقوم على الاغتصاب والتوسع ...

وزادت عزلة اسرائيل فى المجال الدولى ، وبدأت الدول الأفريقية تنصرف من حولها ، واصبح قطاع كبير من الراى العام **العالمى اكثر قبولا لحق العرب فى استخدام الوسيلة العسكرية للوصول الى سلام عادل ، وتحرير الأرض العربية المغتصبة ، واستعادة حقوق شعب فلسطين المهدورة .**

(٣) فى مجال دول عدم الانحياز :

حازت القضية العربية تاييد مجموعة دول عدم الانحياز فى جميع اللقاءات التى عقدتها تلك المجموعة التى تمثل اغلب دول العالم الثالث . سواء أكان ذلك فى مؤتمر القمة الذى عقد فى تونس فى سبتمبر ١٩٧٠ ، أم فى مؤتمر وزراء الخارجية فى جورجتاون فى أغسطس ١٩٧٢ ، أو فى مؤتمر القمة الأخير فى الجزائر فى سبتمبر ١٩٧٣ . وقد أعربت دول عدم الانحياز فى هذا المؤتمر الأخير الذى سبق حرب رمضان مباشرة عن تأييدها التام للقضية العربية ، واقتناعها العميق بعدالة مطالبهم فى العبارات التالية :

« ان الموقف فى الشرق الأوسط مازال متدهورا . وعناد اسرائيل واستمرار سياستها العدوانية والتوسعية بضم الأراضى ، وممارسة القمع ضد سكان المناطق التى تحتلها بالقوة ، يمثل تحديا للمجتمع الدولى وللأمم المتحدة ولحقوق الانسان ، كما يشكل تهديدا للسلام والأمن العالميين . واذ يذكر المؤتمر بعدم شرعية ضم الأراضى بالقوة ، يطالب اسرائيل بالانسحاب الفورى غير المشروط من جميع الأراضى

المحتلة ، ويتعهد بمساعدة مصر وسوريا والأردن على تحرير أراضيها بكل الوسائل . والمؤتمر يعتبر أن استعادة الشعب الفلسطيني لحقوقه الوطنيـــة شرط أساسي لاعادة الســـلام العادل والدائم فى هذا الاقليم » ..

وبهذا زادت عزلة اسرائيـــل فى المجال الدولى ، بعـــد أن دمغتها الدول غير المنحازة بالعدوان والتوســـع ، وممارسة القمع والبطش والارهاب . وكان ذلك بالغ الفائدة للمعركة العسكرية الوشيكة .

٤ ـ فى المجال الأوربى :

ودعمت مصر علاقاتها بالدول الاشتراكية فى أوربا ، وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى الصديق ، الذى عقدت معه اتفاقية تعاون وصداقة فى مايو ١٩٧١ ، أيد السوفييت بمقتضـــاها حق مصر فى استرجاع أرضها المحتلة بكافة الوسائل .

اما عن فرنسا فقد كان الجنرال ديجول متفهما لحقائق الصراع العربى الاسرائيلى ، ومدركا أن لفرنسا مصالح عديدة مشتركة مع الدول العربية . وفى أزمة يونيو ١٩٦٧ حدد الجنرال ديجول موقف فرنسا من اسرائيل ، على اساس انها بدات بالعدوان على الدول العربية ، فقررت الحكومة الفرنســـية فرض حظر كامل على بيع السلاح الفرنسى الى اسرائيل . ولم يغير الرئيس بومبيدو موقف فرنسا ، وظل يؤيد ضرورة تطبيق القرار رقم ٢٤٢ لســـنة ١٩٦٧ ، مما ترتب عليه فتور بالغ فى العلاقات الفرنسية الاسرائيلية ، قابله تحسن كبير فى العلاقات الفرنسية العربية .

كما أحرزت الدبلوماسية المصرية مكاسب جديدة فى مجال أوربا الغربية ، كان من أبرزها ذلك التحسن الذى طرأ على موقف بريطانيا بعد خطاب وزير خارجيتها السير اليك دوجلاس هيوم فى هاروجيت فى الحادى والعشرين من اكتوبر ١٩٧٠ ، والذى أعلن فيه :

« يجب ان تنسحب اسرائيل من الأراضى المصرية والأردنية الى الخطوط التى كانت عليها قبل الخامس من يونية ١٩٦٧ ، وأن تتخلى عن احتلال هضبة الجولان بسوريا » .

وفى نفس المجال طرأ تحسن نسبى على موقف ألمانيـــا الغربية ازاء القضية العربية ، وخاصة بعد اعادة العلاقات الدبلوماسية معها فى الثامن من يونيو ١٩٧٢ .

وهكذا تأكدت عزلة اسرائيل فى المجال الدولى ، واصبحت معظم الدول شرقا وغربا تدمغها بالعدوان والتوسع ، وتطالبها بالانسحاب من الأراضى العربية المحتلة ، واحترام حقوق شعب فلسطين .

وكان ذلك انجازا محمودا للدبلوماسية العربية فى طريق تهيئة المناخ الدولى لتقبل المعركة العسكرية الوشيكة ..

٥ ــ فى المجال العربى :

ولم يكن لكل هذه الجهود الدبلوماسية العريضة أن تؤتى ثمارها المرجوة دون تهيئة الجو المناسب للحركة فى المجال العربى ، فأقيمت دولة اتحاد الجمهوريات العربية فى السابع عشر من ابريل ١٩٧١ ، وأعلنت الوحدة الاندماجية بين مصر وليبيا فى التاسع والعشرين من أغسطس ١٩٧٣ ، وعقد اجتماع القمة لدول المواجهة فى العاشر من سبتمبر ١٩٧٣ ، ووطدت مصر علاقاتها الأخوية مع المملكة العربية السعودية الشقيقة ، وباقى الدول والامارات العربية المنتجة للبترول ، حتى يتم النجاح الذى احرزته مصر فى توطيد جو المصالحة والتعاون فى العالم العربى من المحيط الى الخليج .

وكانت سياسة مصر هى التعامل مع جميع الدول العربية الشقيقة بكل الصداقة والتقدير والمحبة ، دون تفرقة بينها . كما كان لزيارة الرئيس السادات للشقيقات العربية قبل المعركة كل الفضل فى أن تحققت المثى بمجرد أن بدأت حرب رمضان ، وظهرت أمة العرب فى أمجد مواقفها ، وفازت باحترام العالم وتقديره ، وأسهمت فى تدعيم المعركة غاية الاسهام ..

هكذا أصبح الضمير العالمى فى أشد لحظات تعاطفه مع العرب ، وتفهمه لعدالة قضيتهم . ثم دخل العرب أروع أيامهم فى السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ، فجعلوا بفضل الله كلمتهم هى العليا ، وحطموا نظريات وأقاموا محلها نظريات ، وغيروا الخريطة السياسية للشرق الأوسط ، وأصبحت الأمور بعد ٦ أكتوبر المجيد جدمختلفة عنها قبلها ..

وكان وراء ذلك قصة لا بد من سردها من البدء ..

الباب الثالث

في البدء..

● فى البدء ..

●ان حرب رمضان وان نشبت فى أكتوبر ١٩٧٣ ، الا أن بدايتها لم تقع فى السادس من ذلك الشهر ، بل سبقته بأكثر من ست سنوات ..

والنصر الذى حققته القوات المسلحة العربية لم يكن وليد ذلك اليوم وحده ، كما لم يأت صدفة أو بضربة حظ عارضة ، بل انتزعه العرب بالجهد والعرق والدم ، عن طريق النضال الطويل . لهذا لم يعد صوابا أن نقصر الحديث عن السادس من أكتوبر وما تلاه من أيام نضال، بل صار لزاما حتى تكتمل الصورة أن نعود الى الوراء ، لنستعرض كل أحداث تلك الحقبة الطويلة التى تلت الخامس من يونيو ١٩٦٧ .

ففى الجولة الثالثة منيت قواتنا المسلحة بمحنة اليمة ، اذ وجدت نفسها فى معركة غير متكافئة ، وفرض عليها صراع دون فرصة للقتال .. فكان أن هزمنا انفسنا وسلمنا للعدو نصرا لا يستحقه ، لقمة سائغة له .

انها قصة النكسة .. وقد كانت آثارها على القوات المسلحة العربية بالغة العنف ، فصمم الرجال على أن يأخذوا منها العبرة ، وأقسموا الا يتكرر الحدث الكئيب أبدا ..

وحفلت الفترة بين يونيو ١٩٦٧ وأكتوبر ١٩٧٣ بالجهود الشريفة للعبور من ظلام الهزيمة الدامس الى ضوء النصر الساطع ، قبل أن يبدأ العبور من ضفة القناة الغربية الى ثرى سيناء الحبيبة ..

وامتلأت هذه الفترة بالأحداث الجسام والأعمال العظام .. كما اشتملت على الكثير من البطولات والتضحيات ، والنماذج المشرفة للبذل

والفـــداء والعمل الصامت الدءوب ٠٠ لم يكن فى الامكان الحـديث عنها وقتئذ .. فالويل للمغلوب .. وقد آن الأوان للكشـــف عن بعض هــذه التضـحيات والبطولات ، حتى تأخذ حقها من البحث والدراسة ٠ بالقدر الذى يبرز وزنها الحقيقى ..

لقد أعادت القوات المسلحة البناء من الأساس نفســيا ومعنــويا وماديا . وفى الوقت نفسه كانت تواصل التــدريب الشــاق والتخطيط الجادلخوض معركة حتمية ، تستعيد بها كرامتها، وتحرر بها ما اغتصبه العدو من أرضها وحقوقها فى حربه الخاطفة .. كل ذلك وأعمال القتال نشطة بين القوات المسلحة الاسرائيليـــة ، التى حاولت ايقــاف أعمال البناء ، والقوات المسلحة المصرية التى صممت على اعادة بنــاء قوتهــا الذاتية ٠٠ وقد وفقنا الله الى اتمام هذا العمل الضخم فيما لا يزيد عن ست سنوات ٠٠ على حين كان خبراء الحــرب ومنهم الجنرال أندريه بوفر يقدرها بما لا يقل عن جيل من الزمان .. أما الجنرال موشى ديان فقــد راح يؤكد ان العرب بحاجة الى جيلين على الأقل ، قبــل أن تقوم لهم قائمة ، أو تكتمل لهم قوة حربية يؤبه لها ٠

ويمكن من واقع السجل التاريخى والأحداث الموضوعيــة لفترة السنوات الست السابقة على حرب رمضان ان نجزئها الى أربع مراحل رئيسية هى :

مرحلة الصمود : من يونية ٦٧ الى اغسطس ٦٨

مرحلة الدفاع النشط : من سبتمبر ٦٨ الى فبراير ٦٩

مرحلة الاستنزاف : من مارس ٦٠ الى أغسطس ٧٠

مرحلة ايقاف النيران : من اغسطس ٧٠ الى أكتوبر ٧٣

وكان لكل مرحلة من تلك المراحل هدفها وســماتها وانجازاتهــا وبطولاتها .. بما يطول شرحه لايفائه كامل حقه ، ولكننا سوف نوجز فيما يلى محتوى تلك المراحل بالقدر الذى يخدم السرد ، ويكشف عن الحقيقـــة الضائعة بين ارهاصات الدعاية الصهيونية الماكرة ، وأكاذيب المؤسسة العسكرية الاسرائيلية .

بدأت **مرحلة الصمود** فى يونية ١٩٦٧ ، واستمرت حتى اغسطس ١٩٦٨ ، وكان الهدف الرئيسى منها هو الالتزام بنوع من الهدوء لاتاحة الفرصة لاعادة البناء بعد رفع الانقــاض بأسرع ما يمــكن ، الى جانب تجهيز الدفاع عن جبهة القناة .

ورغم الالتزام الشديد بايقاف النيران ، الا ان تلك الفترة شهدت بعض الملاحم البطولية التى أدارتهــا قواتنــا المسلحة ، بما كان متيسرا لديها من أفراد وأسلحة ومعدات قليلة ، فكانت أول تلك الملاحم **معركة**

رأس العش ، وهى باكورة المواجهـة الحقيقية بعـد يونيو ٦٧ ، التى تكشف عن معدن المقاتل المصرى .. حيث تقدمت قوة مدرعة اسرائيلية فى الساعات الأولى من صباح أول يوليو ٦٧ (*) . وغرور النصر الرخيص يملأ جوانبها .. تقدمت من الجنوب لاحتلال بور فؤاد فى الشـمال ، فتصدت لها فصيلة من القـوات الخاصـة ، لا يزيد أفرادها عن ثلاثين مقاتلا مزودين بالأسلحة الخفيفة ، ولقنت العدو درسـا كانت خلاصته أن النصر السهل الذى اغتصبه قبل عشرين يوما فى غفلة من الزمن هو استثناء لن يتكرر أبدا .. وتمكن الرجال بأسلحتهم الخفيفة من ايقاف هجوم المدرعات الاسرائيلية ، وكبدوها خسائر فادحة مما أجبر العـدو على النكوص عن محاولة استثمار مكاسبه فى يونية ١٩٦٧ .. ولم يجرؤ بعدها ، وعلى امتداد ست سنوات ، أن يكرر محاولته لاحتلال بور فؤاد الصامدة ..

لقد أثبتت معركة رأس العش أن نكسـة يونيو ١٩٦٧ لم تؤثر فى ارادة المقـاتل المصرى ، وانه قادر على تحقيق النصر اذا ما أتيحت له الفرصة المتكافئة للمواجهة . كما أثبتت أيضا أن الجنـدى الاسرائيلى ليس تلك الأسطورة التى رددتها عنه الدعاية الصهيونية الخبيثة ..

وفى الجو قامت النسور المصرية يوم ١٤ يوليو ١٩٦٧ بقصف قوات العدو المدرعة والميكانيكية والمدفعية . وعندما تصدت لها طائرات العدو خاضت معها معركة جوية .. وكانت تلك الملحمـة فى السـماء مفاجأة تامة للعـدو ، الذى كان الصلف قد أخذ به كل مأخذ اثر ضربته الجوية المركزة التى لم يمض عليها أكثر من شهر الا قليلا ، ولم تفرغ الدعاية الاسرائيلية عن الطنطنة لها والتأكيد للعالم أجمع أن قوات مصر الجوية لن تقـوم لها قائمة فى المستقبل المتطور .. ولهذا كانت الملحمة الجـوية التى أدارها نسورنا البواسل يوم الرابع عشر من يوليو ١٩٦٧ مباغتـة كاملة للعـدو ، فر على أثرها جنـوده مذعورين الى الخلف وقد تركوا مواقعهم رعبا وهلعا ..

وفى البحر كان اغراق المدمرة (ايلات) ــ نصف قوة الأسـطول الاسرائيلى من المدمرات ــ يوم الحـادى والعشرين من أكتـوبر ١٩٦٧ ملحمة أخرى ، ولكن هذه المرة فوق الأمواج .. فقد قام أحد لنشـات الصواريخ المصرية بتحطيم تلك المدمرة وغيبها فى اليم ، لاجترائها على اجتياز مياهنا الاقليمية شمال شرق بور سعيد ..

كانت تلك الملحمة فوق الأمواج أولى معاركنا البحرية بالصواريخ. كما كانت أولى معارك الصواريخ البحرية فى التاريخ .. وقد ترتب عليها تغيير الكثير من النظريات البحرية العالمية ..

(*) من التوافق الغريب حقا أن يتولى اللواء أحمد إسماعيل على القائد العام للقوات المسـلحة خلال حرب رمضان قيادة الجبهة اعتبارا من الساعة ٥٠٠ . يوم أول يوليه ١٩٦٧ .

ثم **بدأت مرحلة الدفاع النشط** فى سبتمبر ١٩٦٨ ، واستمرت حتى فبراير ١٩٦٩ ، واتسم الصراع فيها بالتراشق بالنيران لفترات طويلة وبكثافة عالية .. وأثمر ذلك فى تقييد حرية العدو فى التحرك والمناورة والاستطلاع .. كما تكبد العدو خسائر متزايدة فى الأفراد والأسلحة والمعدات ..

بدأت معارك المدفعية فى سبتمبر ١٩٦٨ ، وزادت خسائر العدو ، فأسرع يقيم التحصينات وينشىء الملاجىء والمخابىء .. وقامت المدفعية بتدمير بطاريات الصواريخ أرض/أرض القصيرة المدى التى أقامها العدو فى مواجهة مدينتى الاسماعيلية والسويس وباقى قرى منطقة القناة ، لتنفيذ مخططه بتدمير تلك المدن والقرى .

وحاول العدو التدخل بالطيران ضد مدفعيتنا ، ولكنه فشل لبراعة اخفاء مواقعها ، ومرونتها فى الحركة والمناورة بنيرانها .. ومن هنا بدأ العدو يخطط لاقامة خط تحصينات قوية على طول مواجهة القناة .. وكان ذلك ايذانا بمولد خط بارليف الأول ..

ونجح العدو فى اقامة هذا الخط رغم ما تكبده من خسائر .. مستفيدا من سيطرة قواته الجوية فى ذلك الوقت ، ومن اضطرارنا الى تخفيف نيران مدفعيتنا ، حيث كان العدو يرد على قصفنا لمواقعه بقصف مدن وقرى منطقة القناة .. وبدأ تأثير نيران مدفعيتنا يقل نسبيا مع زيادة تحصينات خط بارليف .. وهنا راحت قواتنا تبتكر وتستحدث لتدمير هذا الخط بالكامل ، وايقاع الخسائر فى أشد ما يؤلم العدو .. جنوده وضباطه .. فاذا ما كانت الأسلحة والمعدات سهلة الاستعراض من ترسانة الولايات المتحدة ، وبلا مقابل ، فكيف يستعوض الأفراد وخسائره فيهم فادحة !!

ولتحقيق هذين الهدفين معا بدأت المرحلة الثالثة وهى **مرحلة الاستنزاف** فى الثامن من مارس ١٩٦٩ ، واستمرت حتى قبلت مصر مبادرة روجرز ، فصمتت النيران مرة أخرى يوم الثامن من أغسطس ١٩٧٠ ..

بدأت مدفعيتنا يوم الثامن من مارس ١٩٦٩ تقصف الخط بتركيز شديد .. واستمر القصف فىاليوم الأول لمدة خمس ساعات متواصلة .

وتوجه صباح التاسع من مارس **الفريق أول عبد المنعم رياض رئيس أركان حرب القوات المسلحة وشهيدها الغالى** ، ليرقب عن كثب نتائج هذا القصف .. وسقط وهو فى أقصى المواقع الأمامية ، ضاربا بذلك أروع مثل فى البطولة والفداء .. واستمر القصف شبه متواصل الى ان تحطم زهاء ٨٠٪ من خط بارليف الأول .

ولاحداث الخسائر فى أفراد العدو .. ولتنمية الروح الهجومية فى أفرادنا وتدريبهم على تنفيذ العبور .. بدأت عمليات الاغارة على مواقع العدو فى الضفة الشرقية للقناة ، وبالعمق القريب .. ليلا ونهارا ..

واستهلت قواتنا أعمال العبور بمجموعات صغيرة ، ثم تحولت الى اغارات كبيرة الحجم والهدف .. وصلت الى حجم السرية ثم أكبر .. ونجحت أعمال الاغارات .. وبرز نشاط قواتنا الخاصة وجماعات الاستطلاع والكمائن .. وتصاعدت انشطة قواتنا القتالية فأصبحت تنفذ ليلا ونهارا .. وتحولت من مهاجمة أهداف فردية منعزلة الى مهاجمة مواقع حصينة للعدو فى وضح النهار .. وارتفعت معنويات العرب مع كل عبور .. وتزايدت خسائر العدو فى الأفراد والمعدات .. وتميزت تلك الفترة بالاستنزاف المستمر ..

وزج العدو بقواته الجوية بتركيز شديد ضد مواقع الدفاع الجوى فى يوليو ١٩٦٩ . تمهيدا للتوسع فى قصف القوات البرية المصرية وتنفيذ الاغارات بالقوات الخاصة فى العمق ، ضد بعض الأهداف المدنية المنعزلة . مثل ابراج خط كهرباء الضغط العالى وما أشبه .. وحاول العدو مهاجمة بعض مواقع قواتنا المنعزلة ، كالجزيرة الخضراء ، وساحل خليج السويس ، وجزيرة شدوان .. وظهرت بطولات لقواتنا ليس هنا مجال سردها .. ولكن يكفى أن نقول أن العدو لم يحاول تكرار تلك الاغارات مرة أخرى ، لفداحة الثمن الذى دفعه فيها ..

وفى مواجهة ذلك قامت القوات المصرية بتنفيذ بعض الاعمال القتالية الخاصة ، التى أقنعت العدو الا أمان له ولا أمن طالما استمر يغتصب الأرض العربية ، ويفرض وجوده الكريه فيها ..

وقامت قواتنا البحرية بقصف مواقع العدو فى رمانة وبالوظة على الساحل الشمالى لسيناء ، وشنت الضفادع البشرية هجوما على ميناء ايلات الاسرائيلى يوم ١٦ نوفمبر ١٩٦٩ فأغرقت للعدو ثلاث قطع بحرية داخل الميناء ، ثم كررت مهاجمة نفس الميناء يوم السادس من فبراير ١٩٧٠ فأغرقت له قطعتين بحريتين كانتا مكدستين بالمعدات والذخائر .. وكان انفجارهما مروعا ، حطم الكثير من تجهيزات الميناء ومقدمة البلدة .

ومع كل هذه العمليات كانت قواتنا الجوية تشب عن الطوق .. وتفاجىء العدو بين الحين والحين بضربات موجعة ، وتتصدى لطائرات العدو الجديدة من طراز الفانتوم ، التى نشط العدو بالدعاية لها .. وفى التاسع من ديسمبر ١٩٦٩ كانت بداية تحطيم الأسطورة ، اذ اسقطت طائرة ميج ٢١ طائرة فانتوم .. ورسخت ثقة قواتنا الجوية فى نفسها وسلاحها وقدرتها ..

وجن جنون العدو ، وهو المختال بنصره .. وراعه توالى الفشل وراء الفشل .. على حين أن قوات العرب تحقق نصرا بعد نصر .. وكان أشد ما يحنق العدو ويحزنه شعوره بالعجز عن ايقاف أنشطتنا المتلاحقة برا وبحرا وجوا .. وهداه تفكيره الخسيس الى أن يتجه وجهة أخرى ، لا تفتقر الى الضعة .. فبدأ بقصف الأهداف المدنية ، ولعل ذلك يخفف من ضغط قواتنا عليه ، ويرخى تكتلها أمامه .. ويزعزع ثقة الشعب

فى قواته المسلحة ويهز ثباته .. فقصف مدرسة بحر البقر الابتدائية للاطفال ، ومصنع أبى زعبل المدنى .

وفشل مخطط العدو الجديد .. فقد ووجه بعملاق ضخم ، تصدى لطائراته المغيرة بجدارة ومهارة .. هو شبكة الصواريخ المضادة للطائرات ، فركز اهتمامه نحوها ، وحاول اعاقة بنائها .. وظهرت بطولات رائعة ، واستبان الاصرار الكامل لرجال الدفاع الجوى والمهندسين والعمال المدنيين، الذين اشتركوا فى عملية البناء ، واستشهد الكثير من العسكريين والمدنيين .. ولكنهم واصلوا تنفيذ المهمة ، برغم كل الغارات والقصف المجنون الذى قام به العدو .

وبدأت فترة استنزاف طائرات العدو ، وتمكنت قوات دفاعنا الجوى من اصابة وتدمير احدى وعشرين طائرة معادية خلال شهر واحد هو شهر يوليو ١٩٧٠ ، مما كان له أكبر الأثر فى قبول العدو بالحاح مبادرة وزير خارجية أمريكا المستر روجرز بايقاف اطلاق النار يوم الثامن من اغسطس ١٩٧٠ .

ومنذ هذا التاريخ دخلت مصر مرحلة جديدة .. هى مرحلة التخطيط والاعداد لمعركة العزة والكرامة .. ونشط العمل فى صبر وصمت ...

الباب الرابع

في صبر.. وصمت

الفصل الأول

التخطيط .. والإعداد

اللاحرب واللاسلم :

● فى أواخر عام ١٩٧٢ كانت مصر قد استنفدت كل الوسائل السياسية والدبلوماسية لتحريك القضية من مازق ((اللاحرب واللاسلم)) ، فقبلنا كل قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن .. وقبلنا كافة المبادرات الدولية .. وأيدنا مساعي الدول غير المنحازة ، والدول الافريقية ، ومبادرة روجرز الأولى والثانية ، ومبادرة يارنج فى فبراير ١٩٧١ .. بل تقدم الرئيس السادات بمبادرته الخاصة فى الشهر نفسه ، ثم أكدها فى مايو من العام نفسه .. وقبلنا الاقتراح الأمريكى بالمحادثات عن قرب .. وعقدنا معاهدة صداقة مع الاتحاد السوفيتى فى مايو ١٩٧١ ..

كل ذلك فعلناه لمعالجة تجميد الموقف فى الشرق الأوسط ، وكل ذلك فعلناه أملا فى تحريك القضية والوصول بها الى حل عادل ، الا أن كل ذلك ذهب هباء دون أن نصل الى نتيجة مقبولة ، على حين انصرفت اسرائيل الى استغلال مرور الوقت لتصعيد شروطها المتعنتة ، وسد كل الطرق أمام العرب حتى تبقى ارادتها هى العليا .

وفى الواقع ، فاننا لم نضيع هذا الوقت سدى ، بل قضيناه ونحن ندعم قوتنا ونعمق من تأثير جوانبها العديدة سياسيا واقتصاديا ومعنويا وعسكريا . ولما تحققت لنا أسباب هذه القوة المنشودة كان طبيعيا أن ندرس استخدام العامل العسكرى لكسر الجمود السياسى للازمة ،

وتهيئة الظروف المناسبة والمناخ الملائم لاستخدام باقى جوانب القوة المتاحة لنا .

وكان قرار استخدام العامل العسكرى .. وليد اقتناع القيادة السياسية والعسكرية باننا لن نخرج من هذه الحالة الا بالقوة المسلحة . كوسيلة أخيرة لاقناع اسرائيل بعدم جدوى مداومة العدوان ، أو استمرار احتلال الأراضى العربية بالقوة ، أو تجاهل الحقوق المشروعة للعرب الفلسطينيين ..

القرار الجرىء

كانت أوجه الاختيار المطروحة امام القيادة العسكرية المصرية والتى ناقشتها وطرحتها للبحث والمقارنة والتفضيل تنحصر فى مجالى عمل محددين هما :

- **العودة الى حرب الاستنزاف .**
- **القيام بجهد عسكرى يفوق مستوى حرب الاستنزاف .**

وانتهت المناقشات المستفيضة الى أن حرب الاستنزاف قد استنفدت أغراضها خلال الفترة التى مارسناها من قبل ، كما أن اسرائيل لن تقبل بالعودة اليها لعدة عوامل وقيود عسكرية واقتصادية وبشرية معروفة . ولذا فان أى محاولة من جانبنا لفرض حرب الاستنزاف جديدة سوف تواجه من اسرائيل — ولا شك — برد فعل أقوى وأبعد مدى ، وكان ذلك يعنى اننا كنا أمام احتمال قيامنا بعمليات صغيرة يقابلها العدو برد فعل كبير ، يزيد كثيرا على قيمتها السياسية والعسكرية .

وهكذا استبعدت حرب الاستنزاف بأشكالها المختلفة ، والتى كانت تشتمل على تراشقات بالمدفعية وغارات بالقوات الجوية واغارات القوات الخاصة والقوات البرية والقوات البحرية ، وغير ذلك من الأعمال المشابهة .

وبقى أمامنا أن نفكر فى القيام بجهد عسكرى أكبر ، وأن نحدد نوع هذا الجهد ومداه ، بحيث يساوى على الأقل تعرضنا لرد فعل كبير من العدو . وبمعنى آخر فلتكن ضربتنا ضد العدو كبيرة على حين نتأهب فى الوقت نفسه ونكون على تمام الاستعداد لصد ضربة العدو المضادة ، التى سوف يوجهها يقينا ، ومهما كانت حدود واتجاهات ضربتنا ..

ولذا تقرر أن تكون ضربتنا ضد العدو شاملة . وكان انشاء القيادة العسكرية لدولة الاتحاد اضافة جديدة للموقف .. اذ فتحت مجالات لأن تكون هذه الضربة مشتركة من جبهتين ، وانشئت هيئة عمليات

للقيادة العامة الاتحادية تعين اللواء بهى الدين محمد نوفل رئيسا لها ، وقام بمهام التنسيق وتنظيم التعاون المشترك .

واتخذ القرار السياسى باستخدام القوة العسكرية ، كما استعدت القوات المسلحة لشن عمليات تعرضية رئيسية ضمن اطار استراتيجية شاملة ومباشرة ، يكون الدور الرئيسى فيها للقوات المسلحة ، بغرض تغيير موازين الموقف السياسى والعسكرى فى الشرق الأوسط ، وتهيئة الظروف المناسبة لاستخدام باقى أوجه القوة المتوفرة للعرب .

ولم يات هذا القرار السياسى الجرىء نتيجة أفكار عشوائية أو ضغوط نفسية ، بل جاء نتيجة معرفة واقعية بأن الوقت هو أفضل وقت ، وان أغلب – ان لم يكن كل – ابعاد الواقع المحيط بصانع القرار تبدو مناسبة ، بل ملحة ، لتحقيق الهدف المنشود .. وكانت واقعية هذا الهدف شديدة الارتباط بواقعية الرؤية الشاملة للظروف المحيطة به ، والعوامل التى تسمح بتحقيقه أو تعترض سبيله..

لهذا كله حدد صانع القرار قراره العظيم بما يناسب هذه الظروف جميعا ، فجاء مناسبا تماما ، فلا هو يعلو عليها فيلهو به فراغ اللاواقع، ولا هو يهبط دونها فيردمه الواقع بركامه .

ومن خلال نظرته الموضوعية الفاحصة للظروف المحيطة ، وتجاربه العريضة عبر الجولات العربية الاسرائيلية ، وعبر السياسة المصرية والعربية . وعبر صور الأزمة النفسية التى خلفتها هزيمة ١٩٦٧ ، وتحت الاصرار على بلوغ الهدف ، حدد صانع القرار قرار الحرب، وبين الاطار والأسلوب وفسحة التنفيذ والهدف المنشود ، فجاءت كلها شديدة التناسق مع متطلبات النجاح .

وحدد الهدف العسكرى ليكون هزيمة تجميع قوات العدو الاسرائيلى فى سيناء والهضبة السورية والاستيلاء على مناطق ذات أهمية استراتيجية تهىء الظروف المناسبة لاستكمال تحرير الأراضى المحتلة بالقوة المسلحة وان تشكل عنصر ضغط لفرض الحل السياسى العادل للمشكلة .

وبناء على هذا الهدف الواضح كان على القيادة العامة المصرية أن تخطط للقيام **بعملية هجومية استراتيجية مشتركة** ، تنفذ بالتعاون مع القوات المسلحة السورية ، وتقوم فيها **مصر** بالاقتحام المدبر لقناة السويس وتدمير خط بارليف ، والاستيلاء على رءوس كبارى بعمق ١٠ – ١٥ كيلو مترا على الضفة الشرقية للقناة ، وتكبيد العدو أكبر خسائر ممكنة ، وصد وتدمير هجمات وضربات العدو المضادة ، والاستعداد لتنفيذ أى مهام قتالية أخرى تكلف بها فيما بعد . أما **سوريا**

فتشن الهجوم وتخترق دفاعات العدو بالجولان وتجزىء تجميعه وتدمر قواته وتصل الى الخط ــ نهر الأردن ، الشاطىء الشرقى لبحيرة طبرية .

وبدأت القيادة العامة عملا طويلا شاقا ، فأجرت العديد من التقديرات والدراسات ، ووضعت فى الاعتبار جملة عناصر أساسية لا غنى عنها لبلوغ النجاح ، وتحقيق التخطيط الحاذق والتنسيق الوثيق ، كان أهمها :

١ ــ دقة تحليل نظرية الأمن الاسرائيلى ، وتحديد جوانب القوة والضعف فيها .

٢ ــ تقييم الظروف الطبوغرافية والجوية للمعركة القادمة لانتخاب أفضل الأوقات لأدارتها من وجهة النظر العربية .

٣ ــ دراسة المزاج النفسى للقيادة العسكرية الاسرائيلية ، والأسلوب المتوقع منها للتصرفات وردود الفعل .

٤ ــ جمع المعلومات الدقيقة عن العدو ، ودراسة نظامه الدفاعى على قناة السويس ، وتقييم قدراته تقييما واقعيا ، دون تهويل أو تهوين .

٥ ــ انتخاب الأسلوب المناسب لاعداد وتنظيم القوات المسلحة المصرية بما يتلاءم وطبيعة المهام الصعبة التى سوف تواجهها .

٦ ــ التركيز الكامل على وسائل توفير النجاح ، وعلى رأسها تحقيق المفاجأة الاستراتيجية والتعبوية والتكتيكية ، مع حسن استغلال العوامل السياسية والعسكرية المحيطة بالموقف .

العوامل :

كان الهدف الأول امام المخطط العسكرى المصرى هو اهدار نظرية الأمن القومى الاسرائيلى القائمة على أكذوبة ((الحدود الآمنة)) ، وحتمية الاحتفاظ بالبادأة ((والقدرة على الردع)) ، وضرورة مواجهة العرب فرادى ، وضمان مؤازرة قوة عظمى كحليف موثوق بنجدته فى كل وقت .

* **يرتبط مفهوم « ضمان مؤازرة قوة عظمى كحليف موثوق بنجدته فى كل وقت »** بطبيعة نشأة وتطور اسرائيل فى الشرق الأوسط ، فالنزاع الذى ترتب على تلك النشأة لم يأت نتيجة تفاعلات على قمة النظام الدولى ، ولكنه ارتبط بها نتيجة طبيعة نشأة وتطور الطرف الاسرائيلى فيه ، وكونه جسما دخيلا بغيضا ، لا يستطيع منفردا أن يواجه العملاق العربى الذى لا شك سوف يلفظه خارج أرض العرب ..

ومن هنا كان لا مناص امامه منذ البداية أن يرتبط عضويا ــ كأى كائن طفيلى ــ بجسم آخر قوى ، كى يستمد منه أسباب الأمن والحياة الى أن ينتشر فى المنطقة ويتشعب فى حناياها وشعابها ، فيسيطر على اهم أعضائها واطرافها ..

* **ويتبلور مفهوم الحدود الآمنة** فى الفكر العسكرى الاسرائيلى فى ضرورة تأمين المجال البرى والجوى والبحرى لاسرائيل بضم مساحات واسعة من الأراضى والمياه العربية التى تحقق :

١ ــ الاستناد على مانع طبيعى منيع ، يحرم الدول العربية القدرة على القيام بأى تحرك عسكرى ، وفى الوقت نفسه ، يسمح لاسرائيل بحرية العمل الهجومى ضد أى دولة عربية .

٢ ــ أن يقع هذا المانع بعيدا عن قلب اسرائيل ، بحيث يوفر لها عمقا استراتيجيا يضمن لها المزيد من الأمن ، ويفسح لقواتها مجالات أرحب لحرية العمل والمناورة ، بما يؤمن اسرائيل ويهدد عمق الدول العربية .

٣ ــ أن يمكن الدفاع عن هذا المانع بأقل قدر من القوات التى تستطيع باستغلال المانع أن توقف هجوم العرب لأطول مدة ممكنة ، حتى تتاح الفرص الكافية لتعبئة القوات الاحتياطية الاسرائيلية ، وتحريكها من العمق صوب أماكنها المجهزة لها مسبقا فى الخطة العامة على جبهتى سيناء والجولان .

٤ ــ أن يكون المانع من القوة والضخامة بحيث يحقق تأثيرا نفسيا كبيرا على القوات العربية المواجهة ، وأن يولد لديهم شعورا بالعجز واليأس مع توالى الزمن .

ومن الواضح أن مفهوم الحدود الآمنة فى قاموس اسرائيل ينبع اساسا من فكر توسعى عدوانى . اذ كلما زادت أراضى الدولة اتساعا زادت حاجتها الى نقل حدودها الى أرض جديدة على حساب جيرانها ، الأمر الذى لا يمكن ان يقف عند حد معين ، أو يحكمه منطق عاقل كما أكده الجنرال الفرنسى أندريه بوفر الفيلسوف الاستراتيجى الشهير ، ونوه عنه كل من السناتور وليم فولبرايت رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الامريكى ، والمستر جيمس شليزنجر وزير الدفاع الامريكى .

* **أما عن مفهوم « القدرة على الردع »** أو كما اطلق عليه بعض زعماء وقادة اسرائيل تعبير « اليد العليا » و « الذراع الطويلة » فهو قائم على عدة عناصر يأتى فى مقدمتها :

١ ــ رفض الانتظار لحين وقوع الضربة الأولى من الجيوش العربية ، ايمانا بفكرة « الضربة المسبقة » ، والتى تفترض توفر القدرات الكفيلة بكشف النوايا العربية مبكرا فى الوقت المناسب ، بواسطة

جهاز مخابرات ممتاز ، يتعاون مع اجهزة المخـابرات الأجنبيـة الغربية ، ويعتمد عليها .

٢ ـ الاعتماد على القـوات الجـوية المتفوقة ، والتى تمثل أداة الردع الرئيسية ، المزودة بأحدث وأقوى الطائرات الامريكية ذات المدى البعيد ، القادرة على تهديد أعمق أعماق الدول العربية .

٣ ـ تدمير أى هجـوم عربى فى كل مراحـله بل فى ساعاته الأولى ، بضربات برية مركزة بقوات مدرعة كثيفة ، على درجة عاليـة من الكفاءة القتالية .

٤ ـ الالتزام بأسلوب الحرب الخاطفة لانهاء القتال فى بضع أيام قليلة حتى لا تضطر الدولة الى الاحتفاظ بمخزونات استراتيجية هائلة ، أو تواصل فرض التعبئة الشاملة لمدة طويلة ، فيترتب على ذلك توقف عجلة الانتاج والاضرار باقتصاد الدولة . زد على ذلك أن الحرب الخاطفة تحصر خسائر اسرائيل فى أضيق نطاق ممكن ، وخاصة فى الأفراد .

والى جانب هذه المفاهيم الرئيسية لنظرية الأمن الاسرائيلى فقد اهتمت اسرائيل اهتماما بالغا بتأمين مواصلاتها البحرية مع شرقى أفريقيا وجنوب شرقى آسيا بصفة كونها مصدرها الرئيسى من المـواد الخام ، وبخاصة البترول . وتخيلت اسرائيـل انه يكفيها لتأمين هذه المواصلات أن تتمسك بمنطقة شرم الشيخ المصرية وترفض التخلى عنها ، مع فرض سيطرتها على الساحل الغربى لخليج العقبة حتى ايلات .

ولاهدار نظرية الأمن الاسرائيلى ، حددت القيـادة المصرية عـدة اتجاهات رئيسية بنت عليها خطتها ، كان أهمها :

١ ـ **حرمان العدو من تفوقه الجوى** ، وذلك بانشاء نظام دفاع جوى حديث وقوى يستطيع شل قدرة طيران اسرائيل ، ويعمـل على استدراجه الى مناطق قتل بالصواريخ والمدافع ، مع اتخـاذ كل الاجراءات اللازمة لضمان قدرة القوات الجوية المصرية على البقاء والعمل طوال الحرب ، بحيث تشكل تهديداً مستمراً للعدو .

٢ ـ **حرمان العـدو من التمتع بمزايا توجيـه الضربة الأولى** ، وذلك بمفاجأته ومبـاغتته تماما ، وعلى كافة المسـتويات ، وسبقه فى توجيه الضربة الأولى .. وفى الوقت نفسه ، وضع المخطط المصرى نصب عينيه أن هناك احتمالا ــ ولو ضئيلا ــ فى أن يكتشف العدو نية هجومنا مبكرا .

٣ ـ **حرمان العـدو من القدرة على توجيه ضربات مضادة قوية بقواته المدرعة فى المراحل الأولى للهجوم** ، وذلك بفرض المعركة على العدو قبل اتمام استعداد قواته واستكمال حشدها ، مع استغلال نتائج

المفاجأة ، وحالة الارتباك التى سوف تسود قياداته ، وما يترتب على ذلك من اتخـــاذ قرارات عفـوية دافعهـا العجلة بلا تخطيط مسبق .

وفى الوقت نفسه تقـوية الدفاع المضـاد للدبابات لقواتنـا البرية المهاجمة ، وبخاصـة فى الأسلحة الخفيفة المضـادة للدبابات من المدافع والصواريخ .

٤ ــ **اقناع العدو بعدم جدوى وجوده العسكرى فى شرم الشيخ ، وانعدام فائدة تمسكه بها** ، وذلك بقفل الطريق الوحيـد لامداد اسرائيل بالبترول من ايران ، بفرض الحصار البحرى على باب المندب والبحر الأحمر ، وكذا اغلاق خليج السـويس لايقـاف اغتصابها لبترول سيناء .

وكان الهدف الرئيسى من ذلك كله هو اقناع اسرائيل والعالم اجمع أن وجودها فى شرم الشيخ ليس هو الحـل المثـالى لتأمين الملاحة الاسرائيلية فى البحر الأحمر ، وان الضمان الوحيد لذلك هو تحقيق السلام العادل فى منطقة الشرق الأوسط .

٥ ــ **حرمان اسرائيل من ميزة الاسـتناد على موانع طبيعية وصناعية قوية** ، وذلك بالتخطيط الدقيق والاعداد المسبق والتدريب الشاق على اقتحام قناة السويس بالقوة وتدمير تحصينات خط بارليف الأسطورية المقـامة على ضفتها الشرقيـة ، وتوفير كل مقـومات النجاح لهذا العمل الفذ .

٦ ــ حرمان اسرائيل من ممارسـة أسـلوب الحرب الخـاطفة بفرض المعركة الطويلة عليها ، لاستنزاف طاقتها ، واظهار نقط الضعف الكامنة فى بنيان الدولة ، وكشف اعتمادها المطلق على الحليف فى كل شئون حياتها ، وبخاصـة الحربية منها ، بالاضافة الى ايقاع الخسائر الجسيمة فى أفراد قواتها المسلحة ، ومعداتها الثقيلة .

لقد استمرأت اسرائيل حصد مزايا الحـرب الخـاطفة فى الجولات الماضية ، فلم يتجاوز قتالها النشط فى الجولة الثانيـة خريف ١٩٥٦ م ثمانية أيام ، فيما بين ٢٩ اكتوبر و ٥ نوفمبر ، كما لم تزد على سبعة أيام فى الجولة الثالثة صيف ١٩٦٧ م فيما بين ٥ و ١١ يونيـة ، ألغت بعدهما التعبئـة وعادت بالدولة الى ظروف الحياة العادية .

وفى مواجهة ذلك صار مد زمن القتـال وتحويله الى حـرب طويلة أمر يتعارض مع استراتيجية اسرائيل ، ويخرج بها عن اطار قدراتها الاقتصادية والعسكرية .

وكانت ركائز النجاح امام هيئة التخطيط المصرية هى ثقة بالله ليس لها حدود ، وثقة بعدالة القضية ، وثقة باصالة المقاتل العربى ، وثقة بصلابة الجبهة العربية .

واحتلت دراسة الفكر العسكرى الاسرائيلى مكانا هاما فى تقديرات جهاز التخطيط بالقيادة العامة المصرية . وكانت تلك الدراسة العميقة لمفاهيم الفكر العسكرى الاسرائيلى ، ومعتقداته وقوالبه ، وأنماط تصرفاته ، هى حجر الزاوية فى تحديد العوامل المؤثرة على تحقيق المفاجأة ، والمنطلق المناسب لامكان خداع العدو ومباغتته ، وادارة الأعمال التحضيرية والتنفيذية بشكل لم يألفه العدو من قبل .

وكان الغرض من هذه الدراسة هو تحديد الاتجاهات الفكرية للعسكرية الاسرائيلية للوصول الى أفضل السبل لاستغلالها بما يحقق نجاح العملية الهجومية . ونتيجة لهذه الدراسة **برزت المعالم الآتية للفكر العسكرى الاسرائيلى :**

١ ـ تعانى القيادة الاسرائيلية من ثقة مفرطة بالنفس تجاوزت حد المعقول الى متاهات الغرور الأحمق فى قدرتها على ردع وارهاب العرب ، وبث الخوف فى نفوسهم ، بما يشل قدرتهم على العمل. كما تخيلت هذه القيادة انها قادرة على ترويض العرب واخضاع العقلية العربية ذات الأصالة والتاريخ العريق ـ لمفاهيم معينة .

٢ ـ ومنذ عام ١٩٦٧ واسرائيل تطلق ادعاءاتها عن تفوقها على العرب ، وتؤكد بوجود فجوة حضارية كبيرة ، وفارق تكنولوجى ضخم . وتصور العربى كانسان ضعيف القدرة على العمل الجاد ، أو التخطيط المنسق السليم .

وعلى ذلك فان مجرد الزعم بالقدرة على التخطيط لاقتحام مانع مائى مثل قناة السويس واختراق خط حصين مثل قلاع بارليف انما هو امر يستحيل على العرب انجازه ، اذ يصعب تحقيقه على أكثر الجيوش تقدما ، وأقواها بأسا واحدثها تسليحا، فكيف بالجيوش العربية المتخلفة !

٣ ـ ومن المعتقدات التى ملأت اذهان قادة اسرائيل ضعف قدرة القيادة السياسية المصرية على اتخاذ القرار أو ادارة الصراع المحسوب بكفاءة ضمن اطار الموقف الدولى المعاصر والظروف العربية السائدة .

٤ ـ ومن ناحية اخرى كانت اسرائيل تعتقد أن الوحدة العربية مجرد خرافة ، وبالتالى ، فان هجوما شاملا تشترك فيه أكثر من دولة عربية امر بعيد الاحتمال ، ان لم يكن ضربا من الخيال .

ان هذه المعتقدات التى عششت فى تلافيف الفكر العسكرى الاسرائيلى قد طمست بصيرته ، وأدت بقادة اسرائيل الى استنتاجات خاطئة عن الطبيعة العربية التى تتمسك بالحق ولا تفرط فيه ، ولا تساير النفس العربية التى تترسب فى اعماقها مشاعر العزة والكرامة ، والتى ينبض وجدانها بالحياة ويعمر قلبها الايمان ، ويملأ صدرها الاصرار على استرداد الحق والأرض مهما طال الزمن أو تعددت

الصعاب . فالحق يعلو ولا يعلى عليه .. والعـرب خير أمة أخـرجت للنـاس .. وسجلهم المشحون بالسؤدد الملء بالفخار ، يمكنه أن يحتمل أقسى النكسات ثم يواصل الحياة الحرة الكريمة .. ويحقق المعجزات .

وقامت القيادة العربية باستغلال هذه المفاهيم البالية التى سيطرت طوال ربع القرن المنصرم على العقلية الاسرائيلية المخدوعة ، وصبتها فى قالب من الجمود عكس أثاره السيئة على التفكير الاستراتيجي والتعبوى للقيادة الاسرائيلية ، التى لم تحاول بصدق أن تقترب من العقلية العربية اقترابا كافيا ، بل غرقت فى الأراجيف والأباطيل التى ذهبت تروجهـا عن العرب ، حتى صدقت أفكها ، فخدعت نفسـها بنفسـها ، وضلت طريقها .. رغم وجود المعاهد الاسرائيلية التى تدعى لنفسـها التخصص فى الدراسات العربية السحيقة والمعاصرة ..

وكان العامل الثالث الذى واجهه التخطيط واسـتوجب عقـد الدراسات المستفيضة هو تحديد حقيقة قدرات العدو ، ونقط القـوة ومكامن الضعف فى نظامه الدفاعى على قناة السويس .

ونتيجة لهذه الدراسة قدرت القيادة العسكرية ان العدو يملك عدة مزايا أساسية أهمها ، استناد نظامه الدفاعي على مانع مائى قوى هو قناة السويس ، وعلى تجهيزات دفاعية حصينة تتحكم فيه وتسيطر على ضفته الشرقيـة ، فضـلا على احتياطيات عديدة من القوات المدرعة والميكانيكية المنظمة فى انساق متتالية على طول العمق .

أما أهم نقط الضعف فى نظـامه الدفاعى فكانت طـول خطـوط مواصلاته ، وطول مواجهة دفاعاته على امتداد القناة ، واضطراره الى الاحتفاظ بقوات عاملة صغيرة نسبيا فى سيناء فى غير وقت الحـرب ، ومن ناحية أخرى فان رصيده البشرى لم يكن ليسمح له بقبـول الخسائر الكبيرة الأمر الذى جعـل وقوعها ذا تأثير حاسم ومبـاشر على تفـكيره وتصرفاته ومعنوياته . وأخيرا ــ وكما سبق القول ــ فهو عدو أصابه الغرور فظن أن تحصيناته على قناة السـويس بمثابة مقبرة قد أعدها لجيش مصر ليرقد فيها رقدته الأخيرة ! .

وكان لزاما على القيـادة المصرية أن تعمـل قدر المسـتطاع على اضعاف أو تجميد نقط قوة العدو واستغلال نقط ضعفه . وعلى ذلك ، استصوبت أن يتم الهجوم المصرى على طول مواجهة القناة (١٧٥ كم) ، بل مده الى الجنوب من قناة السويس حتى مسافة ١٣٠ كم على امتـداد الساحل الشرقى لخليج السـويس ، ودفعه فى عمق سيناء حتى مسافة ٥ كم شرقا ، على أن يبدأ كل ذلك فى وقت واحد . فمثل هذا الهجوم الشامل سوف يحقق الآتى :

● يرغم العدو على توزيع ضرباته الجوية الموجهة لقواتنا ، وبذلك يصبح تأثيرها ضعيفا .

● يخدع العدو عن الاتجاه الرئيسى لهجوم قواتنا ، وبالتالى يحرمه من تركيز جهود قواته الجوية ضد قواتنا فى هذا الاتجاه او ذاك، فضلا على تأخير وارباك ردود فعله على الأرض ، ويؤجل شن ضرباته المدرعة الى أن يتحقق من اتجاه المجهود الرئيسى لقواتنا ودرجة خطورته عليه .

وكان معنى قرار القيادة المصرية مهاجمة العدو على امتداد مواجهة دفاعاته هو أن تقتحم القوات المصرية قناة السويس عنوة ، وأن تهاجم وتدمر قلاع بارليف فيما بين السويس جنوبا وبور سعيد شمالا .

وحينما قررت القيادة المصرية ذلك كانت تعلم تماما أن عبور قناة السويس بجيش كبير ، بل بجيشين فى وقت واحد ، بأقصى ما يملكان من أسلحة وعتاد ، وفى وجه مقاومة عنيفة من العدو المتأهب على الضفة الشرقية ، كانت تعلم تماما انها مشكلة ضخمة يصعب حلها ، بل قد تبدو للبعض معضلة بالغة الخطورة ان لم تكن مستحيلة .

فمما اظهره سجل الحروب أن عبور الموانع المائية كان دائما أشق العمليات وأعقدها واكثرها فداحة فى الخسائر . وكم من جيوش حاولت عبور الموانع المائية قديما أو حديثا ففشلت واصابتها الكوارث . وقد يزعم قائل ان الموانع المائية قد قلت قيمتها بفضل تطور اسلحة القتال وظهور المركبات والدبابات البرمائية . **ولكن قناة السويس مانع فريد، جد مختلف عن باقى الأنهار والمسالك المائية الأخرى ، التى سبق اجتيازها بالجيوش على مدى التاريخ للأسباب التالية :**

١ ــ يحد القناة شاطىء شديد الانحدار ، مغطى بستائر أسمنتية وحديدية ، تمنع نزول وصعود المركبات البرمائية الا بعد تجهيزات هندسية مسبقة ، وهى صفة تنفرد بها قناة السويس عن مختلف قنوات وأنهار العالم ، فيما عدا قناة بنما فحسب .

٢ ــ تتعرض القناة لظاهرة المد والجزر ، فيختلف منسوب المياه تبعا لارتفاعها وانخفاضها عدة مرات فى اليوم الواحد . ويبلغ فارق المنسوب بين أعلى مد وادنى جزر حوالى ٦٠ سنتيمترا فى شمال القناة ، على حين يزيد هذا الفارق كلما اتجهنا جنوبا حتى يصل الى المترين قرب مدينة السويس . وتفرض هذه الظاهرة أثرها الكبير على تخطيط العبور ، والأعمال الفنية الخاصة باقامة المعديات وانشاء الكبارى .

٣ ــ وهناك عامل آخر كان له تأثيره المباشر على تخطيط العبور هو سرعة التيار واتجاهه . اذ تتميز القناة بشدة التيار وسرعته التى تبدأ من ١٨ مترا فى الدقيقة فى القطاع الشمالى ، وتصل الى ٩٠ مترا فى الدقيقة فى القطاع الجنوبى . وفضلا على ذلك فان اتجاه التيار يتغير دوريا كل ست ساعات من الشمال الى الجنوب وبالعكس .

٤ – ويتراوح عرض القناة بين ١٨٠ ، ٢٢٠ مترا ، أما طولها فيصل الى ١٧٥ كيلو مترا . ويتراوح عمقها بين ١٦ و ١٨ مترا ، وينخفض سطح المياه على حافة الشاطىء بحوالى مترين ، وبذلك لا يمكن عبور القناة بالمعدات المختلفة .. لا طفوا ولا خوضا ولا سيرا على القاع ..

ومن الخصائص المميزة لقناة السويس انه كان يوجد على ضفتها الشرقية ساتر ترابى من ناتج حفرها ومداومة تطهيرها ، يتراوح ارتفاعه من ستة الى عشرة أمتار ، وقد أوحى هذا الساتر للعدو أن يستغله فى اقامة خط دفاعى محصن على امتداد القناة ، فقام بتعليته حتى وصل فى بعض القطاعات الى ٢٥ مترا ارتفاعا فى المتوسط .

وفى جوف هذا الساتر الترابى الكبير أقام العدو عدة نقط حصينة بذل فى بنائها جهدا ضخما وأموالا وفيرة ، واستخلص الخبرات المكتسبة من مسارح الحرب المعاصرة فى علوم التحصينات والموانع وفنونها ، وطبقها على خط بارليف .

وقد أراد العدو أن يجعل من المانع المائى الفريد الذى تشكله قناة السويس سدا منيعا يحول بين جيش مصر وارض مصر فى سيناء ، فلم يكتف برفع الساتر الترابى نحو السماء ، بل قام بازاحته غربا حتى لامس حافة القناة تماما ، بزاوية ميل تزيد على ٤٥ درجة ، ليضع أمام المقاتل المصرى مزيدا من العقبات ، وأن ينمى فى وجدانه شعورا بالعجز واليأس . ثم اقام داخل هذا الساتر وفوق قمته والى الخلف منه عدة خطوط دفاعية محصنة ، تشكل فى مجموعها منطقة دفاعية من أقوى المناطق الدفاعية التى عرفها التاريخ . وقد أطلق اسم « خط بارليف » على الخط الأول منها ، الذى تكلف انشاؤه ٢٣٨ مليون دولار ، أى ما يقرب من نصف تكاليف السد العالى (*) .

ولا تعتبر هذه المنطقة الدفاعية من الناحية العسكرية دفاعا مجهزا فقط ، بل هى منطقة حصينة على امتداد قناة السويس ، من شرق بور فؤاد شمالا حتى رأس مسلة على خليج السويس جنوبا ، وبعمق يمتد الى الشرق حوالى ٣٠ – ٣٥ كيلو مترا . حتى منطقة المضايق . وتحتوى هذه المنطقة الحصينة ، والتى تناهز مساحتها ٥٠٠ كيلو متر مربع على نظام كامل من التحصينات الهندسية والسواتر الصناعية والموانع القوية وحقول الألغام المضادة للدبابات والأفراد ، وتخترقها طرق طولية وعرضية للمناورة بالقوات ، كما تنتشر بها المستودعات والمخازن وورش الاصلاح .

(*) كان هذا هو الرقم الذى أعلن سابقا ، ولكن ظهر فى كتاب « التقصير » الاسرائيلى أن جملة ما انفق على الخط يزيد عن خمسمائة مليون دولار ، وبررت تلك التكاليف بالسرقة والرشاوى والاختلاسات . ولا يزال الرقم الحقيقى سرا لم تعلنه اسرائيل بعد .

وتعمل فى هذه المنطقة قوات العدو المدرعة ومشاته الميكانيكية ومدفعيته ووحدات دفاعه الجوى ، وجميعها مدربة على مهامها تدريبا جيدا بفضل المشروعات والمناورات المتالية التى عقدتها على امتداد ست سنوات ، وبخاصة شن الهجمات المضادة ، وأساليب التحرك والفتح لتنفيذها ، وأعمال المناورة لصد القوات المهاجمة ، والقيام بالهجمات والضربات المضادة ، فى تعاون وثيق مع القوات الجوية التى تقف على أهبة الاستعداد للتدخل .

وتستند المنطقة الحصينة الى موانع طبيعية قوية تمتد فى جميع الاتجاهات ، فالى الغرب توجد قناة السويس ، والى الشرق يقع خط المضايق الجبلية والى الشمال البحر الأبيض المتوسط ، والى الجنوب هضبة العجمة الجبلية وخليج السويس . وبكل هذه الخصائص والصفات اعتبر خبراء الحرب تحصينات خط بارليف منطقة حصينة فريدة من نوعها ليس لها مثيل من القوة والمناعة من سجل التاريخ الماضى والمعاصر .

ويتكون هيكل الدفاع فى المنطقة الحصينة من عدة خطوط دفاعية ، ومناطق مجهزة لتمركز الاحتياطات المدرعة ، ومواقع المدفعية ، وشبكه الطرق الرئيسية والفرعية ، وشبكة الصواريخ المضادة للطائرات طراز (هوك) ، والمدفعية المضادة للطائرات ، والمناطق الادارية ، وخطوط أنابيب المياه .

ويتكون الخط الأول وهو « خط بارليف » من ٢٢ موقعا حصينا ، تضم ٣١ نقطة قوية ، تبلغ مساحة كل نقطة منها حوالى ٤٠٠٠ متر مربع أو أكثر وهى عبارة عن منشأة هندسية معقدة تتكون من عدة طوابق تغوص فى باطن الأرض وتعلو حتى تصل الى قمة الساتر .

ويتكون الطابق الواحد من عدة دشم (غرف) من الأسمنت المسلح المقوى بقضبان السكك الحديدية والواح الصلب ، ويفصل كل طابق عن الآخر طبقة من القضبان الحديدية والخرسانة المسلحة والأتربة والأحجار ويبلغ سمك هذه الطبقة مترين .

وقد جهزت كل دشمة بعدة فتحات تمكنها من الاشتباك فى جميع الاتجاهات . هذا فضلا عن دشم أخرى مجهزة الأسلحة المدفعية والدبابات . وتتصل جميع هذه التجهيزات بعضها البعض عن طريق خنادق مواصلات عميقة ، مبطنة بألواح الصلب وشكائر الرمل .

وقد وفرت هذه التحصينات والأعمال الهندسية المختلفة وقاية للنقط القوية ضد القنابل الثقيلة حتى ١٠٠٠ رطل أو يزيد .

ولزيادة مناعة النقط الحصينة ، أحاطها العدو بنطاقات كثيفة من الأسلاك الشائكة وحقول الألغام المضادة للدبابات والأفراد ، والتى بلغ عمقها حوالى ٢٠٠ متر . هذا بالاضافة الى الشراك الخداعية التى

تغطى ميول الساتر الترابى وقمته . كما جهز العدو بعض النقط بخزانات الوقود ومواد النفط ، وتخرج منها مواسير الى القناة ليتسرب خلالها الوقود طبقا لنظرية الأوانى المستطرقة ، لتغطية سطح القناة ولاشعالها حتى تتحول مياهها الى مسطح هائل من اللهب ترتفع السنته الحارقة لأكثر من المتر ، وتصل درجة حرارته الى ٧٠٠ درجة مئوية .

واهتم العدو فى اختيار هذه النقط الحصينة ان تغطى الاتجاهات الصالحة لعبور القناة وتقدم القوات الى عمق سيناء وأن تتبادل المعاونة فيما بينها بالنيران ، وهكذا تخلق هذه النقط بالاضافة للسد الترابى العالى وحاجز اللهب المشتعل سدا آخر من نيران الأسلحة المختلفة المتوسطة والثقيلة ، حيث جهز العدو مواقع لدباباته فوق الساتر الترابى بفاصل ١٠٠ متر على طول مواجهة القناة .

وحتى يتبين القارىء حقيقة هذه القلاع والحصون التى اشتمل عليها خط بارليف المنيع ، وتكتمل فى ذهنه الصورة الواقعية عنها ، نسوق له فيما يلى وصفا موجزا لأحد هذه الحصون كمثال لما قامت عليه دفاعاته المنيعة على طول امتداد ضفة القناة الشرقية ، كما ندعم الوصف بعدة صور فوتوغرافية ومخططات هندسية لزيادة الايضاح ..

هناك بين سهل الطينة والملاحات شرقا ، وراس العش وبحيرة المنزلة غربا ، وعلى لسان ضيق من الأرض ، قرب علامة الكيلو متر ١٠ ، يقع الحصن الذى يشكل أقصى شمال قلاع بارليف على ضفة القناة الشرقية .

ويلف الحصن من الشمال والجنوب خمسة عشر نطاقا من الأسلاك الشائكة التى تفصل بينها حقول الغام كثيفة ، أما من الغرب فيوجد ثمانية نطاقات أسلاك شائكة تفصل بينها أيضا حقول الغام . والحصن مزود بأجهزة الانذار والشراك الخداعية التى تكشف اى تسلل أو محاولة اقتراب منه ليلا أو نهارا .

ويرتفع الساتر الترابى حول الحصن الى ١٨ مترا ، ويحيط به من جميع الاتجاهات ، ويقع داخله الكثير من الدشم والملاجىء للأسلحة الصغيرة والرشاشات المتوسطة والثقيلة المبنية فى جسم الساتر الترابى على طول محيط الحصن لتوفر له الدفاع من جميع الاتجاهات .

وتتعاون هذه الدشم مع بعضها فى انتاج النيران المتقاطعة والمائلة ، ويصل عددها الى ٢٤ ملجأ ثقيلا للأفراد والمعدات ، ٢٦ دشمة للرشاشات ، ٤ دشم للاسلحة المضادة للطائرات ، وعدد من مصاطب الدبابات والأسلحة المضادة للدبابات المجهزة بسواتر لحمايتها من الأمام والأجناب .

ويحتوى الساتر الترابى ايضا على اماكن لمبيت وراحة الجنود تتوفر لها الوقاية من كافة النيران الثقيلة غدا القنابل الذرية ، وبها كل

أسباب الترفيه والاعاشة والتكديسات التى تكفى المدافعين لأشهر طويلة من الحصار .

ويصـــل بين جميع الدشـــم والملاجىء خنادق عميقة تكفل لأفراد الحصن التحرك تحت الأرض بطريقة مختفية .

وكل ملجأ أو دشمة يمكنها ان تتحمل القصف الجوى أو البرى الثقيل بفضل ما وفره العـدو لها من شكاير رمال وطبقات من قضبان السكك الحديدية ثم طبقات الردم التى يصل ســمك الطبقة الواحدة منها الى ٣ أمتار ، ثم سبعة صفوف فوق بعضها من البلاطات الخرسانية ، ثم طبقة أخيرة من الردم السميك ، وفوق كل ذلك سور من السلك الشائك الدائرى ، وصناديق سلك معبأة بالدبش والحجارة للوقاية من أسلحة الضرب المبـــاشر .. وكل ذلك هو نتـــاج الخبرة المكتسبة من تحصينات مســارح الحرب المعاصرة ، ومعين لا ينضـب من دولارات المعونة والتعويضات والتبرعات .

وهذه الملاجىء والمخابىء مجهزة للوقاية من الأســلحة الكيماوية وغازات الحرب ، وتتوفر بها كل سبل الراحة ووسائل التهوية والترفيه والاضاءة والتدفئة والاتصال التليفونى بالعائلات فى الخلف .

ويخرج من الحصن مواسير تخترق بطن الساتر الترابى لتلامس صفحة الماء ، وتتصل بخزانات وقود خاصة فى الخلف ، يمكن اشعالها فى حالة اقتحام المصريين للقناة ، فتحيل صـفحتها الى شـعلة من نار لا تنطفىء ، ولا تبقى ولا تذر .

وبالحصن معدات الاسـعاف الأولى وطبيب معالج ، وبه أماكن للاستحمام بالمياه الساخنة والباردة ، ودورات مياه ، ومطابخ ، وصالة عرض أفلام سينمائية ، ومقصـف ومنتـدى للاجتمعات والنشـاط الاجتماعى . وفى قلبه ملاعب للكرة ولمختلف الألعاب الرياضية . وليس كل ما قدمناه من وصف لحصن الكيلو متر ١٠ من خط بارليف ــ وهو ليس قطعا أقوى الحصون التى يشتمل عليها هذا الخط ــ سوى شرح بالغ الايجاز يقصر كثيرا عن واقعه .. ولعل الصور الفوتوغرافية المرفقة بالكتاب تساعد القارىء على الالمام بالصورة الحقيقية لحصون هذا الخط الأسطورى المنيع ..

وبين الخط الأول على ضفة القناة الذى سبق شرحه . وخط المضايق الجبلية ، انشأت القوات الاسرائيلية خطين دفاعيين آخرين هما الخط الثـانى والثالث . ويبعد الخط الثـانى حوالى ٣٠٠ ــ ٥٠٠ متر عن الخط الأمامى ، ويتركز فى الاتجاهات الاكثر صلاحية لعبور القناة وتقدم القوات الهاجمة ، وقد انشىء هذا الخط بنفس مواصفات الخط الأول وان كان اقل امتدادا واتصالا .. وهو مجهز أساسا لاحتلاله بالقوات المدرعة الموجودة على الأجناب وفى الخلف .

أما الخط الثالث فيمر على مسافة تتراوح بين ٣ ــ ٥ كيلو مترات من القناة ، على بعض الاتجاهات الهامة ، وعلى أجناب الطرق الرئيسية المؤدية الى العمق .

وبين هذه الخطوط والى الخلف منها حتى خط المضايق ، انشأ العدو مجموعة من التلال والسواتر الصناعية ، وجهزها كى تحتل بالدبابات ليصد بها هجوم القوات المصرية أو يستخدمها كخطوط فتح لشن الهجمات المضادة ، ويقع أهمها على بعد ١٠ ــ ١٢ ، ١٥ ــ ٢٠ كيلو مترا شرقى القناة .

وبالاضافة الى كل ما سبق من خطوط وحصون ونيران ، فقد جهزت القوات الاسرائيلية مناطق تجمع للاحتياطيات المدرعة داخل نطاق المنطقة الحصينة . وتقع مناطق التجمع هذه على أعماق مختلفة تتراوح بين ٥ ــ ٣٠ كيلو مترا من قناة السويس . وتتمركز فى هذه المناطق احتياطيات العدو المدرعة ، والأسلحة المضادة للطائرات ، والصواريخ المضادة للدبابات .

وداخل اطار المنطقة الحصينة قام العدو بتجهيز عدد كبير من مواقع بطاريات مدفعية الميدان المتوسطة وبعيدة المدى ، بلغ مقدارها حوالى ٢٤٠ موقعا مجهزا ، يعمل ٣٠ موقعا فى الحالات العادية ، ويعمل جزء من الباقى فى حالات التوتر ، ويعمل الباقى كمواقع تبادلية يتم الانتقال اليها فى حالة تدمير أحد المواقع الأساسية لقصف المدفعية المصرية المؤثرة .

ومن ناحية أخرى قام العدو بانشاء شبكة ضخمة من الطرق الطولية والعرضية شرقى القناة وحتى مسافة ٣٠ كيلو مترا منها ، وذلك لتسيير حركة قواته فى أى اتجاه ، وللمناورة بها حسب تطور القتال . وبلغ اجمالى أطوال هذه الطرق داخل المنطقة الحصينة حوالى ٧٥٠ كيلو مترا ، ومعظمها طرق عرضية تخدم التحركات من محور طولى الى محور آخر .

والى جانب اعتماد اسرائيل على قواتها الجوية لتوفير الدفاع الجوى عن القوات المدافعة فى المنطقة الحصينة ، فانها أنشأت شبكة قوية من الصواريخ طراز هوك ، وزودتها بأحدث الأجهزة الالكترونية والرادارات الحديثة ، وذلك لحماية مراكز القيادة والنقط القوية والقلاع وغيرها من الأهداف الهامة .

كانت تلك مجرد عجالة عن منطقة العدو الحصينة وقلاع خط بارليف المنيع ، أما عن عمق سيناء فقد جهزه العدو بمناطق عديدة لتتجمع فيها احتياطياته التعبوية المدرعة ، وخطط أن تسع كل منها لواء مدرعا مدعما ، فى تأهب تام للقيام بالهجمات المضادة القوية ، وشن الضربات المضادة الحاسمة ، بمجرد شعوره باهتزاز الموقف الدفاعى داخل المنطقة الحصينة ..

وظل الاعتماد الرئيسي للقيادة الاسرائيلية على المنطقة الحصينة ، وقلاع خط بارليف بصفة خاصة ، ولذا لم تأل جهدا أو مالا أو خبرة لتحويله الى مانع يستحيل اقتحامه ..

من ذلك كله نجد أن قناة السويس وخط بارليف لم يكونا مجرد مانع حصين فحسب ، بل مانع فريد ليس له مثيل فى العالم ، وليست هناك خبرة سابقة فى التاريخ العسكرى لعبور مثله . ويحضرنا فى هذا المجال قول الجنرال دافيد أليعازر رئيس أركان الجيش الاسرائيلى عن خط بارليف « انه سيكون مقبرة للجيش المصرى » . فاذا بالجيش المصرى يقتحم هذا الخط ويحيل دفاعاته الأسطورية الى مقبرة لاليعازر (*) وأقرانه من صقور اسرائيل الذين عادوا بعد الهزيمة يعترفون بكفاءة الجندى المصرى فيقول اليعازر عنه : « لقد كانت أكبر مفاجآت هذه الجولة هى روح الجندى المصرى العالية وكفاءته » .

كان على القيادة المصرية أن تفحص عدة مشاكل وأن تعالجها الواحده بعد الأخرى ، حتى تحقق للمقاتل المصرى أفضل الظروف لاظهار كفاءته وقدراته الكامنة .. اذ كان عليه أن يعبر القناة فى وجه سد من اللهب والنيران ، وأن يصل سليما هو وسلاحه الى الضفة الشرقية ، ويتسلق الساتر الترابى العالى ، ويقتحم بما فى يده من أسلحة خفيفة خط التحصينات ، ويدمر قلاعه القوية ويصد ضربات العدو المدرعة وقصفات طيرانه ثم يرفع علم مصر خفاقا فوق أعلى الروابى والقمم .

ثم كان عليه بعد ذلك أن يتابع تقدمه ويواجه دبابات العدو ويقاتلها ويقضى عليها .. كل ذلك تحت ظروف صعبة ولعدة ساعات حرجة تناهز الست ساعات . لقد كان على الجندى المصرى المترجل أن يقاتل بمفرده الى أن تقام المعابر وتصل الدبابات والأسلحة الثقيلة الأخرى الى الضفة الشرقية .. وكان ذلك ضربا من الاعجاز البشرى .. ليس له مثيل فى سجل الحرب .

* **فالمشكلة الأولى** هى أن يجد الوسيلة لاخماد النار فوق سطح الماء ، أو يمنع اشتعالها أصلا ، ولتحقيق ذلك تقرر دفع بعض الأفراد لاغلاق مواسير النابالم بالاسمنت ، وعبور مجموعات من الصاعقة للاستيلاء بسرعة على مستودعات المواد الملتهبة . كما تم انتخاب قطاعات العبور بحيث تجتاز قواتنا صفحة القناة فوق التيار ، لتتفادى النيران المشتعلة فوق الماء .

(*) عزل بعد الحرب من منصبه ، بعد أن أدانته لجنة تحقيق اجرانات .

* **والمشكلة الثانية** كانت فتح الممرات فى الساتر الترابى على الضفة الشرقية حتى يمكن اقامة المعديات وتركيب الكبارى لعبور الدبابات والأسلحة الثقيلة ٠ وأجرى ما يزيد على ٣٠٠ تجربة ومحاولة مضنية على امتداد عدة سنوات تمت فيها اختبارات كثيرة لفتح هذه الممرات التى لا غنى عنها لنجاح العبور ـ بالمدفعية وبكل أنواع المفرقعات والصواريخ والألغام وقنابل الطائرات ذات الأوزان الثقيلة ٠٠ التى فشلت جميعا فى أن تحقق شيئا من المطلوب ٠٠

واهتدى أحد الضباط الى فكرة استخدام مدافع المياه ، وفى التو واللحظة قابلت الفكرة التشجيع اللائق بها ، ودرست من كافة الزوايا والتفاصيل ، وتقرر استخدام طريقة التجريف بالمياه تحت ضغط كبير بالاعتماد على مضخات المياه القوية ، والتى أطلق عليها اسم « مدافع المياه » ، بعد تعديلها بواسطة المهندسين المصريين ٠ وكان الأمر يتطلب فتح ٨٥ ممرا فى الساتر الترابى ، يحتاج كل منها لازالة ١٥٠٠ متر مكعب من الرمال والأتربة ، أى ما يساوى ١٢٧٥٠٠ متر مكعب ، تحتاج لجهود نصف مليون رجل/ساعة لرفعها بالطريقة التقليدية ، ولكن مدافع المياه كفلت لنا أن يتم فتحها جميعا خلال ٣ ـ ٥ ساعة ٠

* **والمشكلة الثالثة** كانت تأمين اقتحام المجموعات الأولى من القوات ضد نيران العدو المصوبة برشاشاته ومدفعيته ودباباته ، والتى كان قد ضبط مراميها لتغطى سطح القناة وتحيله الى سد من النيران المتشابكة ٠ ولهذا الغرض خططت أعمال المدفعية وأسلحة الرمى الأخرى لتنفيذ أقوى تمهيد نيرانى شهده الشرق الأوسط على امتداد تاريخه الحافل بالمعارك ٠

* **والمشكلة الرابعة** كانت ارتقاء الساتر الترابى الذى فاق ارتفاعه العشرين مترا ، والأفراد يحملون كامل أسلحتهم وذخائرهم ومعداتهم ٠ وقد ابتكر الكثير من الأدوات والأجهزة لتسهل صعود هذا الساتر الحاد الزاوية ٠٠ كما كان لتصميم الجنود وعنادهم الفضل فى نجاح الجميع فى ارتقاء الساتر ٠٠ بالمعدات المبتكرة حينا ، وبالأظافر والأنياب أغلب الأحيان ٠٠

* **أما المشكلة الخامسة** فكانت تتلخص فى توفير القدرة للقوات المترجلة على القتال ضد دبابات العدو وعرباته المدرعة ، التى سيدفعها لشن الهجمات المضادة بعد الدقائق الأولى لاقتحام جنودنا القناة ٠ ولهذا الغرض تم تخطيط عدة اجراءات أهمها :

١ ـ أن يحمل جنود الموجات الأولى أكبر قدر من الأسلحة والذخيرة وأقل قدر من التعيينات والمياه ٠

٢ ــ أن تبتكر وتصنع عربات صغيرة لنقل مالا يستطيع الجنــود حمله ، على أن تجر بالأيدى ليتسلقوا بها الساتر الترابى ٠

٣ ــ أن تزاد نسبة تسليح الجنود بالأسلحة الخفيفة المضادة للدبابات، مع زيادة نسبة الصواريخ الخفيفة المضادة للدبابات ، وأن تجهز خطط النيران لمدفعية الميدان للمعاونة من الضفة الغربية ٠

٤ ــ أن تدرب الأطقم على فك المدافع وحملها بالأيدى حتى اتمــام صعود الساتر الترابى ، ثم يعاد تركيبها بسرعة لتستخدم فى تدمير دبابات العدو المقتربة ٠

٥ ــ أن تجهز سواتر عالية على الضفة الغربية للقناة لتحتلها الدبابات والأسلحة القوية المضادة للدبابات ، لتشتبك بالضرب المبــاشر ــ من الضفة الغربية ــ ضد دبابات العدو التى سوف تهاجم قواتنا فى الضفه الشرقية ٠

٦ ــ أن تشكل مجموعات اقتناص دبابات لتدفع تحت ستر نيران المدفعية قبل اقتحام القناة بالقوات الرئيســية ، لتتوغل داخل موافع العدو ، وتقيم الكمائن على طرق تقــدم دباباته ، وتمنعها من الاقتراب صوب القناة ٠

ولعل ابرز معالم العبور كانت تتلخص فى الآتى :

١ ــ لم يحدث فى تاريخ الحروب أن نفذت عملية عبور أو اقتحام لقناة صناعية مجهزة هندسيا ومقام عليها قلاع حصينة كما جهزت قناة السويس وضفتها الشرقية ٠

٢ ــ كان لزاما أن يتم اقتحام قناة السويس وقلاع خط بارليف بالمواجهة ، بخلاف المتبع فى مهاجمة المواقع الحصينة بالالتفاف حولها ، اذ لم يكن هناك مجال لتفادى خط المياه أو خط التحصينات المتصــلة أو الالتفاف حولها ٠ ويعتبر ذلك أعقد أنواع الاقتحام للخطوط الدفاعية الحصينة ٠

٣ ــ كانت المرحلة الأولى للاقتحام تمثل اخطر مراحل العمليــة وأكثرها حرجا بالنسبة للقوات المهاجمة ، وأسهلها بالنسبة للعدو المدافع ٠ اذ كان على الجنـدى المترجل المهاجم أن يســتمر فى قتال دبابات العــدو لمدة لا تقل عن ٦ ساعات قبل أن تبدأ الدبابات والأسلحة الثقيلة الأخرى فى عبور القناة والوصول اليه لترفع عنه عبء مقاتلة دروع العدو منفردا بصدره المكشوف ٠

وتذكرت مجموعة التخطيط أن موقفا كهذا سبق أن واجه القيادة البريطانية فى أكتوبر ١٩٤٢ وهى ترسم هجوم الجيش الثامن فى العلمين

ضد حصون المحور التى كانت تستند على حقول ألغام كثيفة تضم حوالى نصف مليون لغم وشرك ..

كان الهجوم التقليدى وقتها يقضى باتمامه فى ثلاث مراحل تبـــدأ باختراق دفاعات العدو ، ثم القتال المتلاحم معه داخل مواقعه الدفاعية ، ثم الانطلاق بالمدرعات فى الأرض المفتوحة غرب دفاعات المحور ..

وكان الخطر الذى يتهدد هذه الخطة هو وقوف قوات البانزر عن كثب من عملية القتـــال المتلاحم وما يمكن أن يحققه الماريشـــــال روميل بها من مغامرات قد تقضى على الهجوم فى مراحله الأولى ..

وبعد امعان الفكر .. خرجت مجموعة التخطيط بالحل الأمثل ... بأن أعادت ترتيب مراحل الهجوم .. لتصنع الاختراق ، ثم تدفع المدرعات البريطانية خلال دفاعات المحور لتنتشر خلفها وتحتل مواقع مجهزة لمنع البانزر الألمانى من التدخل فى مرحلة القتال المتلاحم حتى تفسح لمشاتها المتفوقة الفرصة كاملة للانفراد بمشاة العدو وطحنها .

تذكرت مجموعة التخطيط المصرية ذلك ، وابتكرت لمشاكلها حلولا لا تقل حذقا عن حلول لجنة التخطيط البريطانية فى هجوم العــــلمين الشهير ..

فبمجرد بدء الاقتحام ، تندفع مع الموجات الأولى جماعات مترجـلة كثيرة مسلحة بالصواريخ والمدافع المضادة للدبابات لتنفذ من بين حصون بارليف دون التورط فى القتال ، بهدف الوصول بأقصى سرعة الى حافتها الشرقية حيث تتربص لدبابات العدو التى سوف تندفع من العمق القريب لتحطم موجات الهجوم بجنازيرها ونيرانها .. وبدلا من أن تحطم هـــذه الدبابات مشاتنا التى كانت تعمل فى هذه المرحلة دون ستر دروعها لعدم اكتمال كبارى العبور ، حطمتها جماعات اقتناص الدبابات ، وسترت بذلك عملية القتال المتلاحق داخل حصون بارليف .. أما طائرات اسرائيل فكان الرجاء معقودا بدفاعنا الجوى أن يطردها عن سماء المعركة .

كانت لجنة التخطيط ترى قوة هذا الحل فى بساطته ، تماما مثل بيضة كولومبس التى ما أن نجح فى حفظها معتدلة على مائدة الملك فردينانز بعـد أن فشلت الحاشية كلها حتى تعالت صـيحات الموتورين بالاحتجاج لبساطة الحل الذى أفحم الجميع ..

وبالاستخدام الجديد للصاروخ الذى ابتكرته لجنة التخطيط المصرية تحولت مكامن قوة اسرائيل ومبعث فخر جيشها – الطائرة والدبابة – الى نقاط ضعفها وسبب هزيمتها .

التجهيز الهندسى لمسرح العمليات :

لقد احتلت أعمال التأمين الهنـــدسى دورا هاما فى التحضير للعملية الهجومية ، وتشعبت تلك الأعمـــال وتعددت أنواعها واستغرقت وقتا طويلا واستنفدت جهدا كبيرا • وكانت أهم تلك الأعمال هى اجراءات التجهيز الهندسى فى منطقة الجبهة وفى باقى المناطق العسكرية ، التى بدأت منذ يونية ١٩٦٧ ، واستمرت حتى انطلقت الشرارة الأولى لحـرب رمضان الســـاعة ١٤٠٥ يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ •

وسار التجهيز فى خدمة التخطيط ومرتبطا بفكرة قرار الهجـــوم القادم • فأعدت مناطق ابتدائية تكفى كتائب مشاة مدعمة عنـدما كان التخطيط مبنيا على أساس القيام بعمليات محدودة ، ثم طور التجهيز لمناطق ابتدائية تكفى ألوية مشاة مدعمة عندما اتسع التخطيط ليكون الهجوم بألوية مشاة •

وأخيرا وضعت الخطة التى نفذت فى السادس من أكتوبر ١٩٧٣ على أن يتم الهجوم بفرق مشاة كاملة • وبذا ركزت الجهود لتجهيز المنطقة الابتدائية للهجوم لتكفى الفرق المشاة المدعمة فى النسق الأول ، فضلا على الأنســاق الثـــانية والاحتياطيات فى نطاق الجيش الثـانى والثالث الميدانى •

وكان تجهيز المنطقة الابتدائية للهجوم يهدف الى :

١ ـ تحقيق تقدم قوات الجيش واتخاذها أوضاعها فى المنطقـــة الابتدائية فى سرية تامة •

٢ ـ تحقيق الوقاية لقوات الجيشين من نيران العـــدو بجميع أنواعها •

٣ ـ تهيئة أنسب الظروف لتحول قوات الجيشين بسرعة الى الهجوم المفاجىء

٤ ـ القدرة على صد ضربات العدو فى حالة قيامه بالهجوم •

لقد تمت أعمال التجهيز الهندسى على عدة مراحل ، مع استغلال طاقات الشركات المدنية للانشاءات ، وشركة استصلاح الأراضى ، وكذا الهيئات التابعة لوزارة الرى • وبلغت التكاليف الاجمـــالية للتجهيز الهندسى فى منطقة الجبهة بمفردها ٣٠ مليون جنيه •

وبدأ التجهيز الهندسى للمنطقة الابتدائية باستخدام شكاير الرمل

لتكسية جميع التهجيزات الهندسية ·· خنادق النيران ، دشم الأسلحة ، مرابض المدفعية والدفاع الجوى ، مداخل الملاجىء ·· الخ · وان كانت الشكاير تتميز بسهولة استخدامها فى التجهيز الهندسى وامكانية تنفيذ حجم كبير من الأعمال فى وقت قليل · الا أن الشكاير كان يعيبها عيب رئيسى هو سرعة استهلاكها اذ لا تتحمل أكثر من سنة واحدة ، وفى بعض المناطق ذات التربة الملحية بضع شهور قليلة · ويعنى ذلك أن التهجيزات الهندسية تستهلك وتحتاج الى اعادة تجهيز كل ستة أشهر أو سنة واحدة فى أحسن الأحوال ·

ان تجهيزات الجيش الثانى الهندسية استخدم فى انشائها حتى أوائل ١٩٧١ ثلاثين مليون شيكارة ·· فهل كان من الممكن تدبير ثلاثين مليون شيكارة كل عام لاعادة انشاء التجهيزات الهندسية ·· وما تتطلبه من مجهود بشرى واستهلاك معدات هندسية لاعادة التجهيز !

لهذا تحول التفكير الى أسلوب آخر للتجهيز الهندسى يحقق استدامة التجهيزات الهندسية مهما طالت الفترة حتى يبدأ الهجوم ··· وهو استخدام البناء بالطوب لتكسية التجهيزات الهندسية ·

وفى نطاق الجيش الثانى مثلا استخدمت ثلاثين مليون طوبة لبناء خنادق النيران ومرابض المدفعية والدفاع الجوى ودشم الأسلحة ومداخل الملاجىء ·

وتم تجهيز مايزيد على مائتى مربض نيران كتيبة مدفعية ، وأكثر من خمسمائة مربض سرية مدفعية مضادة للطائرات وعدد ضخم من مرابض نيران كتائب الصواريخ المضادة للطائرات منها جزء كبير مجهز بمبانى الطوب · وقد حقق ذلك تجهيز مربض نيران رئيسى وأكثر من مربض تبادلى لكل كتيبة وسرية · وبذلك أمكن أن تتم اعادة تجميع هذه الوحدات بسهولة حيث كانت مواقعها مجهزة وبأعداد كبيرة تكفى الوحدات العضوية والوحدات المدعمة للتشكيلات والجيشين ·

ولم يتم اختيار المواقع اعتباطا ولكن بعد دراسة مستفيضة للأرض وللموقف ولفكرة العملية المقبلة ، ولذا فان بعض مواقع المدفعية جهز ملاصقا لمياه القناة على الضفة الغربية حتى يمكنه تقديم المعاونة الى أقصى عمق شرق القناة قبل أن تعبر المدفعية على المعديات والكبارى · كما أن بعض مواقع المدفعية المضادة للطائرات جهزت على مصاطب الدبابات فوق الساتر الترابى على الضفة الغربية لتحقيق أقصى وقاية للقوات أثناء عبورها القناة ، ولوحدات الكبارى منذ بدئها فى تجهيز معابر المعديات والكبارى ·

ولقد كان للعدد الكبير من المرابض أثره المحسوس فى سهولة المناورة من موقع لآخر ، وفى خداع العدو عن اتجاه الهجوم الرئيسى ،

واجباره على توزيع نيرانه على عدد كبير من المواقع كان معظمهـــا فارغ أو محتل بأهداف هيكلية ·

وكانت أبرز تلك الأعمال هي انشاء **ساتر ترابي** على الضفة الغربيه لقناة السويس لتوفير الوقاية لقواتنا من نيران ومراقبة العدو ، وانشاء **هيئات حاكمة** تعـــلو الساتر الترابي على الضفة الشرقية للقناة بحوالى ٤ ـ ٦ أمتار ، وذلك لاحتلالها بالدبابات والأسلحة القوية المضادة للدبابات وتجهيز **شبكة من الطرق والمدقات** لتسهيل مناورة القوات أثناء العبور ، وتجهيز **ساحات الاسقاط** لمعدات الكبارى قام المهنـدسون العسـكريون بالاشتراك مع شركات القطاع العام وشركة استصلاح الأراضى ، بتعليه الساتر الترابى الأمامى على الضفة الغربية للقناة · وتم فى سبيل ذلك تنفيذ أعمال تقدر بحوالى ٥ ملايين متر مكعب من الرمال والاتربة ·

أما « الهيئات الحاكمة » أو مصاطب الدبابات كمـــا اصطلح على تسـميتها ، فقد بلغ حجم الهيئة الواحـدة منهـا ١٨٠ ألف متر مكعب من الرمال والأتربة فى المتوسط ، وأنشىء منها عدة عشرات على طول المواجهة ، بحجم عمل اجمالى زاد على عشرة ملايين متر مكعب من الرمال والأتربة ··

واستمر تنفيذ الأعمال النهائية فى تلك الهيئات حتى بدأت المدفعية المصرية التمهيد النيرانى بعد ظهر السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ·· وكان هذا من مقتضيات خطة الخداع ··

ولتسهيل مناورة القوات المصرية أثناء الاقتحام والعبور تم انشاء شبكة مطورة من الطرق والمدقات بلغ طولها فى منطقة الجبهة وحدهـا حوالى ألفى كيلومتر ، كما تم اقامة ستائر على أجناب تلك الطرق وفى مواجهتها لاخفاء تحركات قواتنـــا عليها ، وتم أيضا تجهيز عدة عشرات من المخاضات على ترعتى الاسماعيلية والسـويس للربط بين شرق كل ترعة وغربها ، وذلك بالاضافة الى الكبـــارى التى كان يعيبها تعرضها للقصف الجوى والتدمير بفعل العدو ··

ولتأمين تقدم القوات والأسلحة لاتخاذ أوضاعها فى المنطقـــة الابتدائية ، ولتحرك وحدات الكبارى من مناطق تمركزها حتى حافة مياه القناة ، ولتقدم القوات والأسلحة الى المعابر تم انشاء شبكة ضخمة من الطرق والمدقات الطولية والعرضـية بواقع ٢١ ـ ٢٥ مدقا طوليا وثلاث مدقات عرضية فى المنطقة الابتدائية لكل فرقة ·

ونال تخطيط وتنفيذ هذه المدقات درجة كبيرة من الاهتمام لضمان سهولة تحرك المركبات وانسيابية المنحنيات والميول ، وكم كان هذا العمل

شاقا ومضـنيا فهناك مدقات تنشـأ فى المناطق الرملية وأخـرى عبر الملاحات ٠

وقد أدت هـذه المدقات دورها فى حرب رمضـان حيث جعلت تقدم وحدات الكبارى ثم القوات والأسلحة الى قناة السويس سهلا وانسيابيا ، وبمجرد قفل واحد من هذه المدقات كان هناك العـديد من المدقات التبادلية لمناورة القوات ٠٠

ولستر تحرك وحدات الكبارى الى قناة السويس وضمان وصونها سالمة الى ساحات ونقط الاسقاط كان لزاما تنفيذ الأعمال الهندسية التى تحقق ذلك ، حيث كانت سلامة وحدات الكبارى هى أول الضرورات الى سرعة انشاء المعابر لعبور الدبابات والمدفعية وباقى الأسلحة والمعدات ٠

وكانت هناك طريقتان لذلك ٠٠ اما أن ننشىء سواتر ترابية على جانبى الطرق (أو على أحد الجانبين) لاخفاء التحركات على هذه الطرق عن نقط الملاحظة الأرضية للعـدو ، أو أن ننشىء ستائر معدنية تحقق الغرض نفسه ٠

وبعد دراسة تفصيلية وجدنا أن أفضل وسـيلة هى الجمع بين الطريقتين : ـ

* انشاء سواتر ترابية بارتفاع يتراوح بين ٥ ـ ٧ أمتار على أجناب الطرق فى المنطقة الأمامية من قناة السويس وحتى عمق ثلاثة كيلومترات من القناة لتحقيق اخفاء التحركات وتأمين المركبات فى هذه المسافة من نيران الضرب المباشر ٠ وقد بلغ حجم هذه السواتر حوالى أربعة ملايين متر مكعب من الأتربة ٠٠

* انشاء ستائر معدنية على أجناب الطرق فى المنطقة التى تبعد عن القناة أكثر من ذلك ٠ وبلغ طول هذه السـتائر حوالى ثمـانين كيلومترا ، وهى وان كانت أسهل فى الانشاء وأقل تكلفة الا أنها تحقق الاخفاء من المراقبة الأرضية فقط ولا تحقق الوقاية من نيران الضرب المباشر ٠٠ ولذا فضلنا استخدامها بعيدا عن مدى نيران الضرب المباشر المعادية ٠٠

وقد حققت السواتر الترابية والستائر المعدنية نتائج رائعة حيث تقدمت وحـدات الكبـارى فى السادس من أكتوبر ١٩٧٣ من مناطق تمركزها الى قناة السويس فى سرية تامة ، وبدأت فى انشاء المعـابر على قناة السويس لتمهد طريق النصر ٠٠

واستعدادا لاقامة الكبارى على القناة فقـد تم تجهيز ساحات الاسقاط لوحدات الكبارى على الضفة الغربية للقناة ، وكذا المنازل اللازمة لاستخدام المعدات ، وذلك على طول المواجهة من السويس الى شمال

القنطرة ، على مسافات متساوية ، حتى لا يتمكن العدو من تحـديد قطاعات العبور مبكرا فيركز جهوده ضدها بما قد يفسد عملية العبـور أو يحبطها ..

وبذا فانه من بين أهم الأعمال لتجهيز المنطقة الابتدائية .. كان تجهيز الشاطىء الغربى لقنـاة السويس حتى يلائم اسـتخدام وسائل العبور المتيسرة فى القوات المسلحة لانشاء المعديات والكبارى . ويعنى ذلك أن تصل اللوارى المحملة بالبراطيم الى حافة المياه لتلقى بها فى مياه القناة حيث يتم تجميعها .

لقد كانت الفـكرة فى تجهيز الشاطىء الغربى هى خدمة خطة الخداع بتضليل العدو عن المواجهات التى سوف يتم فيها عبور قواتنا ، ولذلك وضعت الخطة على أساس تجهيز ساحات ونقط اسقاط البراطيم على طول مواجهة الجيشين وبالتساوى تقريبا فى جميع فرق النسـق الأول ، وبعدد كبير ، لمقابلة أى تعـديل فى خطة العملية الهجومية واستخدام أكبر قدر من وسائل العبور .

ولتوضيح الفرق بين ساحة الاسقاط ونقط الاسقاط ، فانه فى المناطق التى يبعد فيها الطريق عن القناة يلزم تجهيز ساحة اسقاط تتراوح مواجهتها بين مائة وخمسين مترا وثلاثمائة متر لتدخل اليها مجمـوعة من العربات من مدق خاص وتسقط البراطيم ثم تخرج من مدق آخر لتدخل مجموعة أخرى من العربات وهكذا ، ويتصل مدق الدخول ومدق الخروج بطريق القناة . أما فى المناطق التى يلتصق فيها طريق القنـاة بحافة المياه فلم يكن هناك بد من انشاء نقط اسقاط تسمح كل نقطة منها بوقوف عربة براطيم واحدة لتسقط البراطيم فى المـاء ثم تترك نقطة الاسقاط لتدخل عربة أخرى بعدها . وهكذا .

لتجهيز ساحات ونقط الاسقاط تم فتح ممرات فى الساتر الترابى على الضفة الغربية للقناة ، كما أنشئت مدقات تصل الى حافة المياه ، وتم تثبيت التربة فى ساحات ونقط الاسـقاط لتتحمل حركة اللوارى الثقيلة .

ولاعطاء القارىء فكرة عن حجم العمل الهـائل الذى نفذ فانه قد تم حفر وتمهيد مليون متر مكعب من الأتربة ، وتثبيت نصف مليون متر مسطح بالتربة الزلطية .

ثم ظهرت بعد ذلك مشكلة خطيرة ، فبعد أن قمنا بفتح ممرات فى الساتر الترابى على الضفة الغربية ، ومهدنا مدقات منهـا الى عمق مواقعنا ، أصبحت الفرصة متاحة أمام العدو لاستغلال هذه الفتحـات اذا فكر فى الهجوم .. ولذا كان لزاما أن يعاد قفل هذه الفتحات بطريقة يسهل فتحها قبل بدء هجوم قواتنا ، وفى الوقت نفسـه تعطل العـدو اذا حاول الهجوم .

وكان **الحل الأول** أن يعاد انشاء ساتر ترابى بارتفاع أقل وسمك أرفع على أن يتم فتحه بواسطة البلدوزرات مع بدء التمهيد النيرانى للهجوم . ولكن ماذا يكون الموقف اذا دمرت بعض البلدوزرات بنيران العدو .. ان ذلك سيجعل فتح الممرات أمرا مشكوكا فيه .

وكان **الحل الثانى** ـ وهو الذى تم تنفيذه ـ هو انشاء حائط من شكاير الرمال بسمك متر وارتفاع حوالى متر وثلاثة أرباع المتر يشبه الى حد كبير مربض الدبابة ليقفل كل فتحة من الفتحات . وتم التدريب على ازالة هذا المانع ، فقبل بدء التمهيد النيرانى تزال الألغام ومانع السلك الشائك فى سرية تامة ، ومع بدء التمهيد النيرانى تقوم جماعة مشاة من الوحدات التى تحتل الساتر الترابى بازالة كل مانع شكاير ويتم ذلك فى غضون سبع دقائق فقط تكون بعدها ساحات ونقط الاسقاط جاهزة تماما .. وهو ما حدث فعلا فى السادس من أكتوبر ١٩٧٣ .

ولتأمين تمركز وحدات الكبارى التى كانت موجودة فى المنطقة العسكرية المركزية والتى خطط لدفعها الى الجيشين قبل بدء العملية الهجومية بأيام قليلة ، كان لزاما أن تجهز مناطق تمركز لهذه الوحدات تحقق استيعاب الحجم المخصص منها للجيش وانتشارها ووقايتها من نيران العدو مع خداع العدو عن هذه المناطق ..

ولذا بدأ تجهيز هذه المناطق منذ عام ١٩٧٠ ومع مرور الوقت كان يتم تجهيز مناطق جديدة وتزويدها بحفر عميقة لعربات ومعدات الكبارى ، وحتى لا يكشف العدو احتلال وحدات الكبارى عند وصولهما الى هذه المناطق وضعت خطة خداع تقضى بأن تحتلها بعض العناصر الادارية حتى يتعود العدو على وجود مظاهر الحياة بها ، على أن تخيلها قبيل وصول وحدات الكبارى ليلا مع اخفائها قبل أول ضوء .

كانت مناطق تمركز وحدات الكبارى منتشرة على طول المواجهة وفى العمق .. فكانت مناطق تمركز الناقلات والمعديات البرمائية والمعديات داخل المناطق الابتدائية للتشكيلات ، أما مناطق تمركز الكبارى فكان لزاما أن تكون خارج مدى مدفعية العدو ولذا جهزت خلف المناطق الابتدائية لتشكيلات النسق الأول على مسافة تحرك حوالى ساعة ونصف من قناة السويس ، أما احتياطى كبارى الجيشين فكان على مسافة أكبر من ذلك .

ولم تكن مسافات مناطق تمركز الوسائل البرمائية والمعديات والكبارى من قناة السويس قد حددت جزافا ، ولكنها حددت فى توافق تام مع التوقيتات المخططة لتمام استعداد المعابر المختلفة مع مراعاة زمن التحرك الى المانع المائى وتوقيت بدء تحركها من مناطق تمركزها .

ولصيانة مناطق تمركز وحدات الكبارى دفعت دوريات الى نطاق الجيشين لتطهير الحفر وفى الوقت نفسه لاجراء استطلاع للطرق والمدقات التي تصلها الى قناة السويس واستطلاع ساحات ونقط الاسقاط ٠

مما سبق يمكن أن ندرك حجم الجهود الكبيرة التى بذلت لتجهيز المنطقة الابتدائية للهجوم على مرور السنين ٠ لقد استمر التجهيز الهندسى حتى بدأ التمهيد النيرانى ظهر السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ، وكان الشكل العام للمنطقة الابتدائية قبيل السادس من أكتوبر يوحى بالثقة والاطمئنان الى أن العملية الهجومية سوف تبدأ من أرض صلبة وأن النجاح سيكون حليفنا ٠٠

***

ولم تقتصر أعمال التأمين الهندسى على تلك الاجراءات التى سبق شرحها فحسب ، بل قامت قوات المهندسين والشركات المدنية من القطاعين الخاص والعام بأعمال مجيدة ضخمة شملت أراضى الجمهورية كلها ٠ والجدير بالذكر أن اجمالى تكاليف أعمال التجهيز الهندسى لتجهيز مسرح العمليات بلغ عشرات الملايين من الجنيهات ٠٠ ولذلك قصة يجمل بنا ألا نغفلها ٠٠

من المعروف أن كل عمل عسكرى يتطلب تأمينا هندسيا ، ودائما تفرض ظروف المعركة السياسية والعسكرية على المهندسين مكان العمل ، وتحدد لهم الأرض والميدان ، ويصبح على المهندس العسكرى أن يطوع علمه ومعداته للتجاوب مع الفروض التى أمليت عليه ، ولا يملك المهندسون العسكريون حلا وحيدا لمسألة ما ولكنهم يوالون البحث والتقصى عن مفاتيح متعددة لكل موقف ، وهو أمر يحتمه سعى العدو الى وضع العراقيل فى وجه كل حل ، فضلا عن نقص المعلومات الدقيقة فى بعض المواقف وبخاصة عن الأرض التى تتغير طبيعتها من مكان لآخر ٠

وعندما أتت الجولة الثالثة فى صيف يونية ١٩٦٧ بالعدو الى الضفة الشرقية لقناة السويس ، عثر عندها على ضالته فى شكل تلال متراكمة من الأتربة نزحتها الكراكات من قاع القناة وهى تعمل دائبة لتعميق المجرى على امتداد نيف ومائة عام ٠

وهكذا وجد العدو ــ فضلا على ستائر الصلب والحوائط الحجرية السائدة لمجرى القناة ــ أتربة سهلة التشكيل فى انتظاره ، فقام بتعلية هذه الأكوام من الأتربة وحولها الى ساتر ترابى يرتفع من نحو ثمانية أمتار الى نحو عشرين مترا وأكثر فى بعض القطاعات ، ودفعه الى حافة القناة مباشرة بميوله الحادة التى تعجز مركبات القتال عن تسلقها ، وصنع منه ومن الأرض خلفه نقطا قوية تعمل معا فى نظام متكامل يعتمد أساسا على دشم للأسلحة المضادة للدبابات والرشاشات ، وزود الدشم

الخرسانية بمزاغل قوية التحصين تسيطر بنيرانها على الشاطىء الغربى للقناة ، وعلى مياه القناة نفسها لمنع أية محاولة لعبورها ٠

وفى مواجهة ذلك ، كان علينا أن نقيم التحصينات لوقاية الأفراد وقطع السلاح والمعدات ، وأن نحفر الخنادق ومرابض نيران المدفعية ، وأن ننشىء مواقع للدفاع الجوى ، وأن نجهز مراكز القيادة على جميع المستويات حتى يستطيع القادة أن يسيطروا منها على رجالهم وأسلحتهم ٠

ثم كان علينا أن ننشىء نقطاً قوية مشكلة من سواتر ترابية ومرابض نيران وملاجىء وغير ذلك من التجهيزات الهندسية التى تستطيع منها قواتنا أن ترد على نيران العدو بالمثل ، بل تبدأه بقصفات رادعة اذا أبلغت نقط ملاحظتنا عن نواياه العدوانية ٠

ثم كان علينا أن نقيم نظاما من الموانع المضادة للدبابات والمضادة للأفراد فى تنسيق كامل مع خطة النيران ٠

كل هذا الجهد تم ونيران العدو وقنابل طائراته تنهمر فى محاولات لتحقيق صمود قواتنا فى أعقاب يونية ١٩٦٧ ٠

ويحق لنا أن نذكر نموذجين يوضحان أسلوب معالجة المهندسين للمواقف المختلفة تبعا لما تفرضه ظروف المعركة ٠

● **النموذج الأول** ـ والجميع يذكرون أن جزءا من سيناء بقى فى قبضة قواتنا بعد يونية ١٩٦٧ ، وهو منطقه بور فؤاد التى تتصل بمناطق سيطرة العدو بشريطين من الأرض ، أحدهما يصل الى مدينة القنطرة شرق مارا برأس العش والثانى يسير بحذاء ساحل سيناء الشمالى ٠

لقد أعد المهندسون الشريط الأول بمواقع متتالية يعتمد كل منها على سواتر ترابية ومرابض نيران وأحزمة من الموانع ٠ ولكن الثانى كان أكثر قسوة فرجالنا بمدافعهم وأسلحتهم ينتظرهم شتاء تشتد فيه نوات البحر ٠ وحمل المهندسون معداتهم واتجهوا الى البحر حيث قاموا بانشاء المواقع الدفاعية وحواجز الأمواج لحمايتها ، ثم ربطوا بينها بطريق ذى تصميم خاص يكفل له الحماية من أمواج البحر ٠ وفى الوقت الذى كانت الحجارة والمواد الأخرى تنقل الى نقط العمل على طول الشريط بجميع الوسائل بحرا وبرا كانت نيران العدو تنهال فوق رءوس الرجال ٠

● **النموذج الثانى** ـ حيث قام العدو بضرب ترعة الاسماعيلية بالقنابل الثقيلة فى فرعها المتجه الى بورسعيد بهدف قطع المياه عن نحو خمسين ألفا من الرجال الذين صمدوا فى المدينة الباسلة ٠٠ وهناك بين القناة وترعة الاسماعيلية لسان ضيق من الأرض يسهل قطعه بقنابل

الطائرات الثقيلة فتتدفق المياه العذبة من الترعة الى مياه القناة المالحة ، والأرض كلها ما بين القناة وبحيرة المنزلة لسان محدود يسميه الرجال « رقبة الأوزة » • وعلى المهندسين أن يتحركوا بما أعدوه من خطط ومواد ومعدات لايقاف تدفق المياه •• كما تتحرك ضدهم دبابات العدو لتواصل صنع الخراب والدمار ولتمنع الاصلاح ، ولكن المهندسين ـ فى كل مرة ـ كانوا سرعان ما ينجحون فى اعادة الأمور الى نصابها •

وبحث المهندسون عن طرق أخرى لامداد المدينة بحاجتها من المياه فمدوا خطـوط أنابيب طاقتها عدة آلاف من الأمتار المـكعبة فى اليوم ، وأنشئوا خزانات للمياه داخل المدينة تكفى الاستهلاك عدة أيام •

ولا يكتفى المهندســون بكل ذلك ، بل يقومون بتجهيز صنادل عائمة تحمل المياه من مدينة المنزلة الى بور سعيد عبر البحيرة • وعندما يقصف العدو المجرى الملاحى فى بحيرة المنزلة بالقنابل الموقوتة ، يقوم المهندسون بتطهير المجرى أولا بأول •

اتجه العدو بعد ذلك الى ضرب منشآت الصيانة والتحكم فى مناسيب مياه الترعة الحلوة فى ساقها المتجه من القاهرة الى الاسماعيلية ، وفرعيها المتجهين من الاسماعيلية الى كل من السويس وبور سعيد • فقصف هاويس مدينة القنطرة الذى يتحكم فى منسوب المياه المتجه الى بور سعيد لتحقيق هدفين أولهمـا قطع المياه عن بور سـعيد ؛ وثانيهما تحويلها الى الأرض الواطئة لاغراق مواقعنا ورجالنا حول مدافعهم بالمياه الغزيرة المنصرفة من الترعة • وكان هذا أمرا متوقعا ومحسوبا ، وسرعان ما تحكم رجال الرى فى فيض الميـاه من بوابات الاسماعيلية ، على حين سعى المهندسون لاصلاح نتيجة القصف المتكرر وانشاء السدود المؤقتة •

وقصف العدو سحارة أبو صوير حيث تنساب مياه الصرف أسفل الترعة ؛ ودارت دوامة رهيبة تشـــفط مياه الترعة الى المصرف • وقام المهندسون ابتداء ـ وفق تخطيط مسبق ـ بمحاولة سد السحارة ، ولكن الدوامة البشعة التهمت كل ما ألقى فيها من دبش ورمال •

وأسرع رجال الرى بخفض مناسيب المياه فى البوابات والأهوسة من شبرا الى الاسماعيلية • على حين سد المهندسون الترعة ذاتها بحجارة كانت معدة لهذه المهمة من قبل حتى تم اصلاح المجرى المائى ومنشآته •

ولم يحقق العدو هدفه فى اغراق الأرض بما عليهــــا من مزروعات وما فوقها من رجال وسلاح • وتشهد بور سعيد الخالدة للمهندسين بأن المياه لم تنقطع عنها يوما واحدا •

والى جوار الأعمال الهندسية التى نفذت لتحقيق صمود قواتنا البرية تم تنفيذ أعمال هندسية على نطاق واسع لتحقيق صمود قواتنا الجوية ، بل لمعاونتها فى انزال ضربات ضد العدو •

ولهذا الغرض تم تطوير شبكة المطارات والقواعد الجوية بانشاء نحو عشرين مطارا جديدا ، واعداد الممرات التبادلية فى جميع المطارات والقواعد الجوية • كما تم تجهيز ملاجىء محصنة للطائرات من الخرسانة المسلحة زودت بأبواب الصلب بأسلوب علمي مبتكر ، وتصميم هندسى مصرى بحت يعد مفخرة للمهندسين المصريين ؛ عسكريين ومدنيين •

واذ تتكلم الأرقام لتنصف أى عمل هندسى ، تتكلم أرقام هذا العمل الذى تم بالجهود المشتركة للمهندسين العسكريين وشركات القطاع المدنى فتقول ان التكلفة فى هذا المجال فقط قد جاوزت مائة مليون من الجنيهات، وأن العمل قد شمل أربعة وعشرين مليونا من الأمتار المكعبة من أعمال الحفر والردم ؛ وصب المهندسون خرسانة مسلحة وعادية تجاوزت مليونا ونصف متر مكعب ، واستخدموا كمية من الحجارة تجاوزت مليونى متر مكعب ، أى انها وصلت فى مجموعها الى قرب ما يحتويه الهرم الأكبر من أحجار ، وأضافوا عليها مليونا ونصف المليون من المواد الأسفلتية ، ولقد بلغ وزن أبواب الدشم الخرسانية نحو خمسة عشر ألف طن من الصلب •

وقام المهندسون بتشكيل وحدات هندسية لخدمة كل مطار ، اشتملت على عناصر قادرة على توفير حاجته من الأعمال الهندسية خلال المعركة ؛ واستعادة كفاءته فى حالة تعرضه للقصف الجوى فى أسرع وقت ممكن ، بما فى ذلك عناصر ازالة القنابل الموقوتة وتلك التى لم تنفجر •

وفى اطار توفير التأمين الهندسى للقوات الجوية الذى سار جنبا الى جنب مع كل الأعمال الخاصة بالقوات البرية ، فقد درس المهندسون المشكلتين اللتين تنجمان عن كل قصف جوى •

كانت المشكلة الأولى هى كيفية اصلاح الممرات بعد قصفها بقنابل الطائرات ؛ فى وقت محدود ، يسترد المطار بعده كفاءته ، ويطلق طائراته نحو السماء ، وتم التنسيق مع وزارة البحث العلمى ، واستغرق الجهد المشترك نحو ستة شهور ، الى أن انتهى الدارسون الى خلطة تستخدم فى رصف المساحات المدمرة من الأسفلت والأسمنت سريعة التصلب شديدة التحمل •

ولم يلبث رجالنا ـ فى متابعتهم للبحث والتطور العلمى ـ أن عثروا على ألواح صلب تصلح لهذا الغرض ، وأمكن تصنيعها فى مصانعنا ،

وكانت المشكلة الثانية هى ازالة القنابل التى لم تنفجر بعد ارتطامها بالأرض ، وتلك التى تحتوى على أجهزة تفجير موقوتة ؛ بهدف منع رجالنا من اصلاح ما تم تدميره ، وابقاء المطار فى حالة شلل انتظارا لانفجارها ، وتم تشكيل وحدات هندسية كاملة لهذا الغرض صار تزويدها بأحدث الأجهزة •

ولتوضيح مدى نجاح تلك الأعمال التحضيرية يجدر بنا أن نسبق

الحوادث قليلا فنذكر أن التجهيز الذى تم فى المطارات والقواعد الجوية قد اثبت كفاءته ، اذ صمدت الدشم الخرسانية التى صممها ونفذها المهندسون المصريون لهجمات العدو الجوية بجميع أنواع القنابل والصواريخ ؛ وكان صمودها دليل نجاح مهندسينا وقدرتهم على التصميم والتنفيذ ، فلم تحدث أى اصابة تذكر لطائراتنا وهى داخل الدشم ، كما أن شبكة الممرات التبادلية التى تم انشاؤها بكل مطار وقاعدة جوية فوتت على العدو فرصة اغلاق المطارات ؛ أو منع طائراتنا من مغادرتها أو العودة اليها ·

أما رجال وحدات ازالة القنابل فقد أثبتوا أنهم من خيرة رجال المهندسين فى البذل والفداء ·· لقد نجحوا فى رفع القنابل من الأهداف التى تعرضت للقصف الجوى ·· ونظرة على كشف حسابهم تكفى لتبيان أنهم قد رفعوا نحو خمسة آلاف قنبلة مضادة للدبابات ، وما يزيد على عشرة آلاف قنبلة مضادة للأفراد ، وأكثر من الف قنبلة ثقيلة من أوزان الألف رطل ·· وجميعها من أنواع مختلفة ، ومزودة بأحدث ما اكتشفه العلم من شراك خداعية ·

ونعود لنستأنف الحديث عن **أعمال التجهيز الهندسى لقوات الدفاع الجوى وللقوات البحرية ··**

فى نهاية عام ١٩٦٩ صدرت الأوامر بتركيز جميع الجهود والامكانات لانشاء شبكة مواقع وحدات صواريخ الدفاع الجوى بما يحقق وقاية مناسبة للأفراد والمعدات ضد قصف العدو الجوى · وكان للمهندسين العسكريين خبرتهم فى تصميم المنشآت الوقائية بهذه المواقع ، والتى استفاد بها أصدقاؤنا فى حلف وارسو كما استفادت بها الدول العربية الشقيقة ·

وبدأ العمل بشكل مكثف فى يناير ١٩٧٠ ؛ تحت قصف جوى شديد استمر نهارا وليلا ، لخشية العدو من اتمام انشاء مواقع الدفاع الجوى واحتلالها ، والتى تعنى بداية النهاية لتفوق العدو الجوى ·

لقد تكاتفت جهود مؤسساتنا الانشائية المدنية مع جهود وحدات المهندسين العسكريين لتنفيذ هذه المهمة · وأسهمت نساء مصر وشبابها فى بعض المحافظات فى أعمال الانشاء بجهد كبير وعزيمة لا تلين بما أثبت للملأ أن الارادة المصرية لا تقهر ·

وأعيد انشاء كثير من المواقع عدة مرات عقب اصابتها بقنابل طائرات العدو ؛ وأزيل من هذه القنابل مئات كانت موقوتة قبل أن تنفجر · ولجأ المهندسون الى العمل ليلا حيث تقل كفاءة العدو فى القصف الجوى ، وتم تنفيذ معظم هذه الأعمال فى ضوء القمر وأنوار المصابيح اليدوية الصغيرة ·

وقبل ايقاف اطلاق النار فى أغسطس ١٩٧٠ تمت المهمة ، واحتلت الصواريخ مواقعها المحصنة ، واختفت طائرات العدو من سمائنا ·

وحيث تتكلم الأرقام نجد أن المهندسين قد أتموا بنـاء عدة مئات من مواقع وحدات الصواريخ ، وعددا مماثلا من المواقع المموهة ؛ شمـل انشاؤها نحوا من ١٢ر٥ مليون متر مكعب من أعمال الحفـر والردم ، ومليونا وثلاثة أرباع متر مكعب من الخرسانة المسلحة والعـادية ، وتم انشاء آلاف الملاجىء مسبقة الصنع ؛ كما تجاوزت أطوال الطرق الداخلية فى هذه المواقع أربعة آلاف كيلو متر أى مثل المسافة بين القاهرة الى طرابلس ، وأنفق المهندسون فى هذه الأعمال نحوا من ثمانين مليونا من الجنيهات فى هذه المهمة .

ولم يخل واجب المهندسين من تجهيز مواقع لرجال بحريتنا وما يتطلبه ذلك من تعامل مع موج البحر ، وتصميمات خاصة تناسب المياه المالحة ، كما شمل ذلك مراكز قيادات ومواقع ونقط الدفاع الساحلى .

أما عن ضفاف القناة ومسألة العبور :

فقد كان على المهندسين أن يعدوا أنفسهم للاشتراك فى تنفيذ قرار العبـور مهما كانت الصعاب التى تقابلهم . فبدءوا بشبكة للطرق بلغت جملة أطوالها أكثر من ألفى كيلو متر ؛ أى عشر مرات قدر طول القنـاة نفسها ، لتأمين تقدم قواتنا الى القناة ، ومعها وحدات الكبارى .

وتلى ذلك تجهيز ساحات ومنازل اسقاط مهمات العبور فى ميـاه القناة بطول المواجهة من السويس جنوبا حتى شمال القنطرة . وكان التجهيز يتم على مسافات متقاربة بما يحرم العدو من تحـديد القطاعات الحقيقية المخططة لانشـاء المعابر ، كما يوفر فى الوقت نفسه لقواتنا الحـرية فى مناورتها من اتجاه لآخر حسب الموقف .

ولتأمين عبور القوات فى عملية هجومية شاملة كان لا بد من اعداد الحجم الكافى من معدات العبور ومهماته . وتمت دراسات على أعلى مستوى من الفكر الهندسى لتحويل أنواع قديمة من الكبارى العادية التى يستغرق انشاؤها يوما كاملا الى كبارى اقتحام لا تستغرق أكثر من بضع ساعات . وجرى تنفيذ هذه الأعمال الفنية وغيرها محليا فى الورش والمصانع المصرية بما حقق زيادة فى وسائل العبور تعادل نصف الكمية التى وردت من الاتحاد السوفيتى .

أما عبور المشاة فى المرحلة الأولى من العملية لحماية الكبارى وتأمين رءوس الجسور فكانت تستلزم تدبير ألفين وخمسمائة قارب ؛ وقد أمكن للمهندسين توفيرها بتصنيع نصفها محليا .

ولمعاونة المشاة فى تسلق الساتر الترابى لخـط بارليف ابتكر المهندسون سلالم من الحبال وزلاقات من الصاج وغيرها انتجت فى ورش المهندسـين .

ورغم بساطة هذه المهمات فانها حققت نجاحا كبيرا اذ مكنت قواتنا خلال الفترة من بدء العبور حتى بدء تشغيل الكبارى والمعديات من أن تنقل أعدادا كبيرة من المدافع الخفيفة المضادة للدبابات والرشاشات المتوسطة والرشاشات المضادة للطائرات وصناديق الذخيرة وغيرها من الأسلحة والامدادت اللازمة للقوات فى الساعات الأولى من المعركة ٠

وقد كانت أعقد المشاكل التى قابلت المهندسين ، هى الوصول الى انسب أسلوب لفتح الممرات فى الساتر الترابى الهائل الذى أنشأه العدو على حافة الضفة الشرقية ، وذلك حتى يتمكن رجال الكبارى من انشاء وتشغيل الكبارى والمعديات ؛ وحتى تجد مركبات القتال ـ من عربات ودبابات وجرارات تحمل قطع المدفعية والصواريخ الثقيلة ـ ميولا خفيفة تستطيع صعودها الى خلف الساتر الترابى ٠

وعلى امتداد خمس سنوات أجريت مئات من التجارب على فروع النيل جهزت بحيث تمثل الواقع تماما على القناة ، وقد استخدمت طرق متعددة فى التجارب منها النسف بالمفرقعات ، والقصف بالطيران ، والرمى بالمدفعية والصواريخ ؛ الا انها لأسباب مختلفة لم تحقق النتائج المطلوبة ٠

وفى سبتمبر ١٩٦٩ استخدمت لأول مرة طريقة التجريف بالمياه لفتح الممرات فى الساتر الترابى باستخدام مضخة كبيرة تسمح بضخ خمسمائة متر مكعب من المياه فى الساعة ، ورغم انها نجحت فى فتح ممر فى توقيت مناسب الا انها اعتبرت وسيلة غير ناجحة لثقل وزن المضخة وحاجتها الى مصدر كهرباء لامدادها بالطاقة ، بالاضافة الى مشاكل أخرى لم يكن من المتيسر حلها ٠

وفى أواخر ١٩٧٠ طور مهندسو الجيش الثانى أسلوب التجريف بالمياه باستخدام عدد من المضخات الصغيرة الخفيفة ، التى يمكن حملها بالأفراد وتحميلها على القوارب التى تعمل بالوقود السائل ، وقد حقق هذا الاسلوب النجاح المنشود ، واعتبر التجريف بالمياه هو الأسلوب الرئيسى الذى يحسن التركيز عليه وتطويره ٠

وكان التطوير المنشود هو تدبير مضخات مياه خفيفة الوزن تعمل بالوقود ولها قدرة عالية على ضخ المياه ٠ وأمكن تدبير نوعين من المضخات يحققان المواصفات المطلوبة ؛ أحدهما يعمل بالوقود العادى ، وقدرته متوسطة ، ويحتاج فتح ممر واحد الى نحو خمس مضخات ، وثانيهما مضخات تربينية تعمل بالوقود العادى أيضا الا أن قدرتها تفوق قدرة النوع الأول ، وبذلك أمكن اختصار عدد المضخات اللازمة للممر الواحد الى ثلاث بدلا من خمس ٠

ونتطرق الى مسائل التدريب على العبور فنجدها تشمل بالنسبة لوحدات المهندسين القائمة بالتنفيذ على مسائل ثلاث ، تدريب وحدات

العبور على انشاء وتشغيل الكبارى والمعدات والناقلات البرمائية ، وتدريب القوات على العبور بالقوارب والكبارى ووسائل العبور الأخرى ، وتدريب نحو ثمانين وحدة صغرى من وحدات المهندسين على فتح الممرات فى الساتر الترابى تدريبا مشتركا مع وحدات العبور ، وذلك لتحقيق مستوى عال من الكفاءة فى انشاء المعابر المتكاملة ، سواء كانت معابر كبارى ؛ أو معابر معديات ، أو معابر ناقلات برمائية .

ولعل أعقد برامج التدريب التى قابلت المهندسين هو انتخاب وتجهيز أجزاء من المجارى المائية تتوفر فيها طبيعة قناة السويس من حيث العرض والعمق وسرعة التيار وتغير منسوب المياه ، ثم تجهيز شواطئها بالتكسيات والسواند المشابهة للقناة ، وانشاء سواتر ترابية ونقط قوية تطابق تلك التى أنشأها العدو على الضفة الشرقية للقناة .

كذلك كان يلزم توفر المسافات الكافية من حيث مواجهات وأعماق الأرض على كلا الشاطئين بحيث تماثل طبيعتها تلك الموجودة على جانبى القناة ، ثم امكان استخدام الذخائر الحية بجميع أنواع الأسلحة والطائرات مع الحد الى أدنى قدر مستطاع من الخسائر المحتملة فى الأرض المزروعة والممتلكات الأخرى القريبة . وكل هذه العوامل كانت تعتبر حيوية حتى يسير التدريب بصورة واقعية .

وليس من بأس فى أن نسوق بعض الأرقام حتى نقرب الى الذهن ما تطلبه التدريب على فتح الممرات فى الساتر الترابى من جهد وتكاليف .

ان مجرد اعداد وحدة مهندسين لفتح ممر فى الساتر الترابى كان يستلزم تدريبها مرتين نهارا ومرتين ليلا على أقل تقدير . ولو فرضنا أن كمية الأتربة التى يلزم ازاحتها لفتح الممر فى المتوسط تصل الى ألف وخمسمائة متر مكعب . لوجدنا أن الوحدة تجرف ستة آلاف متر مكعب فى مرات التدريب الأربع . ثم لاعادة الساتر الترابى الى ما كان عليه يلزم نقل وتشكيل ستة آلاف متر مماثلة بدلا من تلك التى جرفت . أما اعادة القطاع المائى الى حالته الأولى فيلزم له استخدام الكراكات لتطهير المجرى المائى من ستة آلاف متر مكعب جرفت من الممر وتحولت الى وحل فى القاع . أى أن تدريب كل وحدة كان يستلزم تحريك أتربة تصل الى ثمانية عشر ألف متر مكعب ؛ فى حين ان العملية الفعلية لا تتطلب سوى ازاحة جزء من اثنى عشر جزءا من هذه الكمية أى ألف وخمسمائة متر فقط .

ولاتمام تدريب ثمانين وحدة بهذا الشكل كان يلزم القيام بنقل تربة تصل فى حجمها الى مليون ونصف مليون متر مكعب ، فى حين أن ما سيتم تجريفه منها فى العمليات الفعلية لن يزيد على مائة وعشرين ألف متر .. هذا بخلاف أعمال نقل الأتربة التى تمت أثناء اجراء مئات التجارب التى

عقدت للوصول الى أنسب أسلوب لهذه العملية ، والتى لا تقل عن نصف مليون متر مكعب أخرى ٠

هكذا امتدت الأعمال المجيدة التى قامت بها قوات المهندسين العسكريين والشركات المدنية من القطاعين الخاص والعام فشملت أراضى الجمهورية كلها ٠٠ استعدادا واسهاما فى المعركة الوشيكة ٠٠

اعداد القوات :

من العوامل الهامة التى وضعتها القيادة العامة المصرية فى تقديراتها أن الظروف قد فرضت على القوات المسلحة أن تقضى ست سنوات ونصف وهى تمارس اعمال الدفاع التى تتسم عادة بالجمود ، الأمر الذى قد يصيب اى قوات تتعرض لمثل هذه الظروف بما يسمى « مرض الخنادق » ٠ ولذلك كان لزاما أن يكون هدفنا الأول من اعداد القوات المسلحة للعملية المقبلة هو تخليصها من آثار حرب الخنادق وعقدها ..

ولهذا الغرض وضعت سياسة حكيمة لاعداد القوات المسلحة ، استغرق تنفيذها فترة طويلة ، وركزت على مجموعة من اللزوميات لاعادة الحيوية والايجابية الى القوات ، وتنقية معنوياتها من شوائب الماضى ، ومن أبرز هذه اللزوميات :

١ ـ اقناع كافة القوات أن القتال امر حتمى لا مفر منه ولا حل دونه مصداقا للآية الكريمة « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم » .

وكانت جولات الرئيس السادات العديدة وزيارات وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة المتتالية لتفقد القوات أثرها فى تحقيق هذا الهدف .

وكان الخط الأساسى الذى تضمنته توجيهات الرئيس السادات يدور حول الوضع المتجمد الذى لا مناص من تغيره . وان هذا التغيير يجب أن يتم بأيدينا نحن قبل أن يفرض علينا العدو الأمر الواقع بكل ما يعنيه من اجحاف ومهانة ، وان حالة « اللاسلم واللاحرب » غير قابلة للاستمرار الى ما لا نهاية ، فاذا لم نبدأ نحن بالقتال فان العدو سوف يسبقنا يوما اليه ، ليكرس احتلاله لأراضينا ، واغتصابه لحقوقنا المشروعة ٠٠

٢ ـ تدعيم ثقة الرجال فى سلاحهم وتغيير المفهوم القديم الذى يقول بأن « الرجل بالسلاح » فالحقيقة هى « ان السلاح بالرجل » ..

فالرجل اذا لم يكن واثقا من نفسه فأى سلاح سوف يحميه ؟ واذا وثق من نفسه فكل سلاح سوف ينصره . وقد كان هذا العامل الهام من العوامل الحاسمة فى القتال ، اذ تمكن المقاتل المصرى فعلا أن يجد ذاته وأن يواجه بسلاحه أقوى أسلحة العدو فيفتك به وبها .

٣ ـ ومن نافلة القول ان نذكر ان التخطيط مهما بلغت دقته فان نجاحه يتوقف بالدرجة الأولى على كفاءة التنفيذ . لذلك كان التدريب المضنى على مهام العمليات أمرا ضروريا ، كما كان استيعاب السلاح ، ورفع قدرة المقاتلين على السيطرة الكاملة عليه أمرا حيويا .

ففى مواجهة هذه المهام العديدة التى كان على هذا المقاتل أن يذللها فان التدريب الشاق كان هو الحل الوحيد لضمان القدرة على تنفيذ اعقد المهام وأصعبها بنجاح .. فقطرة العرق فى التدريب توفر قطرات دم فى الحرب .

٤ ـ واذا كنا قد وصلنا بالرجال الى اقتناع بحتمية القتال وثقة السلاح ومهارة بالتدريب الشاق فقد كان لزاما علينا أن نعمل على كسر حاجز الرهبة ، وتغطية الفارق بين التدريب والواقع ، بأن ترى القوات رأى العين ما سوف تواجهه من أهوال ومشاق .

ولهذا تركز الاهتمام على واقعية التدريب ، واختيار الميادين القريبة الشبه الى قصى حد بظروف وطبيعة المهمة التى سوف تواجه القوات ، وأولاها واهمها مهمة عبور القناة والتغلب على ساتر اللهب فوق المياه ، ومواجهة تحصينات العدو وقلاعه . وتم اختيار مجار مائية مشابهة للقناة أقيمت على ضفتها السواتر المماثلة لسواتر العدو وأنشئت عليها النقط القوية المماثلة لنقط العدو . بل انه فى بعض الحالات نفذ التدريب فى القناة نفسها ، فى منطقة تمتد القناة فيها فى فرعين ، أحدهما ناحيتنا وتحت السيطرة الكاملة لقواتنا .. وذلك عند جزيرة البلاح .

المفاجاة وكيف خططنا لها ؟

كانت المفاجأة وأسلوب تحقيقها من أهم الأمور الجوهرية التى شغلت بال القيادة العامة المصرية لفترة طويلة ، واستنفدت منها جهودا مضنية . ولقد نجحت القيادة فى ابتكار الأساليب الايجابية والسلبية التى تحقق هذه المفاجأة سواء على المستوى الاستراتيجى

أو التعبوى أو التكتيكي .. وكان من العوامل الرئيسية التى ساعدت على تحقيق المفاجاة وضـع خطة محكمة وشاملة للخداع الاستراتيجى فى كل من مصر وسوريا، على مستوى الدولة ككل ، تنظمها وتشترك فيها أجهزة الدولة المختصة ، على أن تتمشى مع خطة الخـداع العسكرى لتحقيق الآتى :

١ ـ خداع العدو عن احتمال استخدام القوات المسلحة فى عمليـات هجومية قريبة ..

٢ ـ الاحتفاظ بالسرية الكاملة لفكرة العمليات الهجومية .

٣ ـ اخفاء التوقيت المحدد لبدء الحرب .

كما تم توجيه الأجهزة السـياسية والاعلامية لتوحيد جهودها وتركيزها لتضليل العدو عن نوايانا الهجومية . وقد تم التنسيق اللازم فى سرية كاملة ، وحددت خطوط العمل .

واعتمدت فكرة الخداع الاستراتيجى على تنسيق جهود وزارات الأعلام والخارجية والحربية قبل بدء العمليات بمدة ٥ ـ ٦ أشهر ، لتنفيذ مجموعة من الأعمال والقاء بعض التصريحات التى تهدف الى حجب استعدادنا العسكرى للقيام بأى اعمال قتالية قريبة ، مع خداع العـدو عن التوقيت الحقيقى لبدء العمليـات . وفى الوقت نفسه تم التنسيق كاملا مع سوريا ..

وتحدد هدف الخداع الاستراتيجى من وجهة النظر العسـكرية ليكون خداع العدو عن نية شن عملية هجومية حاليا وستر توقيتاتها واتجاه الضربات الرئيسية وحجم القوات المشتركة فيها .. ويتم ذلك بالايحاء للعدو بأن قواتنا تواصل استكمال استعداداتها الدفاعية ورفع كفاءتها القتالية وتنفيذ تدريبها ومناوراتها العادية ..

اجراءات الخداع العسكرى :

تضمنت الخطة الكثير من اجراءات الخـداع التى استمر تنفيذها عدة شهور ومن هذه الاجراءات :

١ ـ متابعة تمام الاستعداد لاستكمال مطالب العملية الدفاعية وتجهيز الخطوط الدفاعية فى العمق استعدادا لصد اى هجوم مفاجىء للعدو .

٢ ـ تحريك قوات فى اتجـاهات مختلفة وثانوية ، واجراء تحركات عرضية داخل الجبهة ، وعكسية من والى الجبهة ، تحت ستار

التدريب ، مع التغيير المستمر فى حجم واوضاع القوات البرية ، وأماكن تمركز القطع البحرية فى الموانى والمراسى المختلفة داخل وخارج الجمهورية .

٣ - استغرق تجميع القوات للهجوم فترة من ٣ الى ٤ أشهر ، بدفع الوحدات فى عناصر صغيرة ، وتكديس الاحتياجات تباعا فى الجبهة . كما دفعت القوات الرئيسية من العمق الى الجبهة قبل ثلاث أسابيع من بدء الهجوم ، تحت ستار القيام بأعمال هندسيه لاجراء مناورة كبرى مشتركة ، وبدأ القتال فعلا أثناء هذه المناورة .

٤ - وضعت خطة خاصة لتحريك معدات العبور من الخلف الى الجبهة، وهى تعتبر اخطر الشواهد على نية الهجوم خاصة مع حجمها الكبير . وقد تضمنت الخطة تحركات كثيرة لهذه الوحدات من الخلف للأمام ، ومن الأمام للخلف ، بالاضافة للتحركات العرضية كنوع من التدريب على التحرك .

٥ - تضمنت الخطة اجراء تجارب استدعاء افراد الاحتياط على فترات منتظمة ، بحيث تقع أضخمها فى الفترات المحددة لتنفيذ الهجوم . بل انه تم تسريح ٢٠ الف جندى قبل بدء العمليات بمدة ٤٨ ساعة .

٦ - وحددت الخطة الخداعية الخطوط الرئيسية للتحرك الاعلامى والسياسى الخداعى ، ونفذ كثير من الأعمال والاجراءات الاعلاميه والسياسية لخدمة الخطة الموضوعة ، وقد حققت كلها نجاحا كبيرا .

ويكفى القول أن مخطط الخداع الاستراتيجى - التعبوى قد حقق نجاحا ساحقا ، أدى الى وصول أجهزة المخابرات العالمية ، وعلى رأسها وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، وكذا المخابرات الاسرائيلية الى استنتاجات خاطئة ، وبالتالى فوجىء العالم أجمع بالهجوم المصرى السورى المباغت .

لقد حاول المتحدثون العسكريون الاسرائيليون تعليل ما حدث بقولهم « انهم قد رأوا ولكنهم لم يفهموا » . كما برروا الفشل بأن اسرائيل كانت تعلم ولكنها تركت مصر توجه الضربة الأولى . وهذه الأقوال مردودة عليها ، فقبول الضربة الأولى يتعارض تماما مع جوهر الاستراتيجية الاسرائيلية ، القائمة على ضرورة السبق فى توجيه الضربة الأولى كتدبير وقائى لا غنى عنه لاحباط التحضيرات العربية .

ومن ناحية أخرى فان ما حدث داخل اسرائيل وأمريكا بعد الحرب من تحقيقات انتهت الى ادانة بعض كبار المسئولين عن اجهزة المخابرات الاسرائيلية والأمريكية خير دليل على نجاح الخطة المصرية والسورية فى خداع اسرائيل واجهزة المخابرات العالمية الضالعة معها .

اختيار انسب التوقيتات لتنفيذ العملية الهجومية :

من أهم العوامل الرئيسية فى تحقيق المفاجأة الاستراتيجية اختيار انسب التوقيتات الملائمة لتنفيذ العملية الهجومية وضمان نجاحها . وقد تضمنت هذه العوامل اختيار الآتى :

١ ـ انسب شهور السنة .

٢ ـ انسب ايام الشهر .

٣ ـ انسب وقت لبدء الهجوم أو ساعة « س » أى ساعة الصفر .

ولهذا الغرض اجريت دراسات مستفيضة لتحديد هذه التوقيتات، نظرا لما تمثله من أهمية كبرى ليس فقط فى تحقيق المفاجأة ولكن كذلك لتوفير واختيار أنسب ظروف الارصاد الجوية والأحوال الجومائية والهيدروجرافية التى تساعد اعمال العبور وتؤمن اعمال القتال البحرى والجوى . ومن ناحية أخرى كان ضروريا اختيار أفضل التوقيتات التى تناسب تنفيذ الهجوم على الجبهتين المصرية والسورية فى وقت واحد .

اولا : اختيار انسب شهور السنة

هدفت الدراسة الى اختيار شهر من السنة يتوفر فيه الآتى :

- ظروف جوية مناسبة لقواتنا و قل مناسبة للعدو
- امكان تحقيق المفاجأة الاستراتيجية والتعبوية والتكتيكية .
- امكان الاستفادة من الظروف السياسية الداخلية والخارجية . والمناسبات والأعياد التى تؤثر على الموقف العسكرى للعدو .
- أن تكون قواتنا قد استكملت رفع كفاءتها واستعدادها الكامل لتنفيذ المهام المخططة فى العملية الهجومية ، وأتمت التجهيزات الهندسية فى الجبهة .
- اعتدال الطقس ومراعاة احوال الجو فى الجبهتين المصرية والسورية ، حيث يبدأ موسم تساقط الثلج فى سوريا فى شهر نوفمبر أو ديسمبر وتختل الأحوال الهيدروجرافية فى القناة فى نهاية فصل الخريف .
- أن يتميز بليل طويل حتى يمكن استغلال ساعاته فى اتمام عبور القوات .

وقد توفرت كل هذه الشروط فى شهر اكتوبر حيث :

- تستعد اسرائيل لاجراء انتخابات الكنيست فى ٢٨ منه .
- يزدحم شهر أكتوبر بالأعياد الاسرائيلية والدينية ، وهى عيد الغفران ، وعيد المظال ، وعيد التوراة .
- ويأتى شهر رمضان المبارك خلال هذا الشهر ، بما له من تأثير معنوى على قواتنا ، فضلا عما يمكن تحقيقه من مفاجأة استراتيجية بشن الهجوم فى شهر الصيام ، الأمر الذى لا يتوقعه العدو .
- وليل اكتوبر طويل يصل الظلام فيه الى حوالى ١٢ ساعة .
- والطقس صالح فى الجبهتين لتنفيذ عمليات حربية واسعة .
- وهو افضل أشهر السنة بالنسبة للأحوال الجومائية المناسبة للعمليات البحرية .

ثانيا : اختيار انسب ايام الشهر

كما هدفت الدراسة الى اختيار احد الايام الذى يتوفر فيه الآتى :

- أن يكون عطلة رسمية أو عيدا أو عطلة نهاية الأسبوع بالنسبة للعدو .
- أن يكون فرق المنسوب بين المد والجزر أقل ما يمكن لتوفير ظروف أفضل لاقامة المعابر والكبارى على القناة .
- ان يتميز بضوء القمر الساطع ، خاصة فى نصفه الأول حتى يساعد على اقامة المعديات والكبارى ليلا ، ثم يبدأ عبور القوات فى الظلام خلال النصف الثانى من الليل . وهذا يتطلب الا تقل مدة الاضاءة القمرية عن ٥ ــ ٦ ساعات قبل ان يغرب القمر ويأفل ضوؤه .

وقد توفرت كل هذه الشروط فى السادس من اكتوبر ١٩٧٣ حيث :

- تتوقف الحياة فى اسرائيل فى هذا اليوم ، فضلا عن كونه يوم سبت وعطلة نهاية الأسبوع .
- يوافق يوم ١٠ رمضان حيث القمر مناسب ومضىء من غروب الشمس حتى منتصف الليل .
- يعتبر فرق منسوب مياه القناة فى هذا اليوم مناسبا حيث سيتزايد بعد ذلك مع اكتمال القمر بدرا .

ثالثا : اختيار ساعة (س) ــ وقت بدء الهجوم

وأخيرا هدفت الدراسة الى اختيار الوقت المناسب الذى يوفر عددا محدودا من ساعات النهار يحقق الآتى :

- أن تتمكن القوات السورية من تنفيذ مهمتها الحيوية الاولى ، التى تتضمن اجتياز خندق مضاد للدبابات حفره العدو على طول امتداد الجبهة ، ثم تستولى على خط هام من المرتفعات ، وذلك فى ضوء النهار .

- أن يتوفر للقوات الجوية السورية والمصرية الوقت الكافى لتوجيه ضربة جوية مركزة فى ضوء النهار ، وان تتاح لها فرصة تكرارها قبل آخر ضوء اذا تطلب الموقف ذلك .

  وفى الوقت نفسه لا تدع للعدو الفرصة الكافية من ضوء النهار لتركيز قواته الجوية والرد على ضربتنا الجوية قبل آخر ضوء اليوم الأول للعمليات . وبذلك نحرم العدو من رد الفعل المؤثر قبل صباح اليوم الثانى ، اذ كانت هذه الفترة ضرورية لتنفيذ أعمال العبور الرئيسية دون تدخل جوى معاكس من العدو .

- أن تتوفر نهارا القدرة الجيدة لمراقبة وتصحيح نيران المدفعية أثناء التمهيد النيرانى للهجوم ، وأثناء قيام قواتنا بصد هجمات العدو المضادة المتوقعة فى الساعات الأولى التى تلى العبور .
- أن يمكن اسقاط معدات العبور الثقيلة فى مياه قناة السويس بمجرد هبوط الظلام ، على أن يبدأ تركيبها فى ضوء القمر ، بحيث يبدأ العبور عليها بعد غروب القمر فى منتصف الليل .
- أن تكون أشعة الشمس فى أعين العدو أثناء عبور قواتنا فى ضوء النهار ، بما يقلل من كفاءته فى المراقبة والتصويب .

وبناء على كل ما سبق تم اختيار ساعة « س » لتكون قبل آخر ضوء بمدة ٣½ ساعة ، حتى يتم خلالها انجاز الأعمال الرئيسية التالية :

- توجيه الضربة الجوية المشتركة بالقوات المصرية والسورية بقوة حوالى ٣٠٠ طائرة .

- تنفيذ التمهيد النيرانى بالمدفعية خلال اربع قصفات مركزة بحوالى ٢٠٠٠ مدفع ولمدة حوالى ساعة .

- تحريك الكبارى من مناطق تجمعها الخلفية الى الضفة الغربية للقناة ، وبدء اسقاطها فى المياه .

- فتح الممرات فى الساتر الترابى باستخدام مضخات المياه بوحدات المهندسين .

• ابرار قوات الصاعقة في عمق العدو قبل آخر ضوء مباشرة .

لقد كانت الدراسات التي أجريت لتحديد هذه التوقيتات على درجة عالية من الدقة والمهارة حتى أنها حققت كافة أهدافها دون استثناء . وعلى رأس هذه الأهداف تحقيق المفاجأة الاستراتيجية على العدو ، وما يترتب عليها من أحداث لاحقة . وخير ما يعبر به عن قيمه هذا العمل هو ما ذكره القائد العام للقوات المسلحة المصرية في مجال تعليقه على عوامل تحديد يوم الهجوم وساعته اذ قال :

« لقد كان تحديد يوم (ى) عملا علميا على مستوى رفيع .. أن هذا العمل سوف يأخذ حقه من التقدير ، وسوف يدخل التاريخ العلمى للحروب كنموذج من نماذج الدقة المتناهية والبحث الأمين » .

سرية التخطيط والتجهيز للعملية :

مع بداية مرحلة التخطيط للعملية الهجومية « بدر » تم تحديد الأسلوب الذى يتبع فى هذه المرحلة بما يكفل سريتها المطلقة واختير أسلوب « التخطيط المتتالى » بحيث يسير العمل من مستوى الى مستوى أدنى تدريجيا ، ووفقا لجدول زمنى محدد . كما اقتصر التخطيط فى كل مستوى على مجموعة معينة ومحدودة من ضباط القيادة ، ومنع تداول وثائق الخطط لغير هذه المجموعة.

ومن ناحية أخرى تم تلقين مهام العمليات لبعض المستويات على زعم أنها مشروعات تكتيكية وضعت خصيصا لهذا الغرض لكى تجرى بمعرفه قيادات وقادة هذه المستويات . كما وضع نظام خاص لتداول وثائق خطة العمليات على جميع المستويات ومن المستوى الاعلى الى المستوى الأدنى مع تحديد الوظائف المسموح لها بتداول هذه الوثائق .

وكانت النتيجة البارزة التى جمعت محصلة النتائج التى حققتها مفاجأة العدو هى احداث تغيير جذرى وفورى فى ميزان القوى العسكرى بالمنطقة وخلق موقف استراتيجى جديد خلال الساعات الأولى من القتال وبالاضافة الى ذلك فقد حققت المفاجأة النتائج التالية :

١ ـ شل وارباك القيادات العسكرية الاسرائيلية على كافة المستويات ، ومنعها من العمل السريع أو التصرف السليم أو رد الفعل الفورى الذى تشتهر به ، وقد استمرت هذه الحالة قائمة عدة أيام .

٢ ـ حرمان العدو من تعبئة قواته المسلحة وموارده البشرية والاقتصادية وحشدها فى الوقت المناسب والمكان الملائم قبل بدء الهجوم .

٣ ـ تنفيذ مهام العمليات المعقدة وعلى رأسها اقتحام قناة السويس وتدمير قلاع بارليف فى ظروف أكثر سهولة ٠

٤ ـ الاقلال الى حد كبير من الخسائر التى تتعرض لها القـوات المصرية مع تكبيد القوات الاسرائيلية أفدح الخسائر فى القوى البشرية وفى الأسلحة والمعدات ٠٠

الخطوط الرئيسية للفكرة العملية

وعلى ضوء هذه العوامل العديدة رسمت الخطوط الرئيسية لفكرة العملية الهجومية الاستراتيجية ، ووضع نصب العين عامل أساسى حاكم هو حقيقة قدرات العدو ، وقدرات القوات المسلحة المصرية ٠

وعلى هذا الأساس روعى الآتى بالنسبة للعدو :

١ ـ أن يتم تحقيق الهدف من خلال تدمير الجزء الاكبر من القوات المسلحة للعدو فى البر والجو والبحر ٠٠

٢ ـ اضعاف قدرة العدو الجوى وشل فاعلية قواته الجـوية على العمل السريع الحاسم ، وحرمان قواته البرية من التمتع كعهدها السابق بسلاح المعاونة الرئيسى والعنصر الهام فى أعمـال الحسم ، ونعنى به قوات اسرائيل الجوية ٠٠

٣ ـ شل قيادات العدو وارباكها لفترة زمنية مناسبة ، وعرقلة اجراءات التعبئة السريعة أو الحشد الفعال ٠٠

٤ ـ اعاقة تحركات العدو وحرمانه من القدرة على المناورة السهلة أو السهل من خطوط داخلية ضد أكثر من جبهة عربية واحدة فى وقت واحد أو بالتتالى السريع كما حدث فى الجولتين الأولى والثالثة ٠

٥ ـ اسكات مصادر نيران العدو منذ اللحظات الأولى للقتـال ، وافساد خططه الدفاعية القائمة على سرعة الحركة والمرونة الفائقة للقوات والنيران ٠

وبالنسبة للجبهة المصرية فقد روعى الآتى :

١ ـ أن تستعد للعمل تحت ظروف تفوق العدو الجوى ، وتحت ستر غطاء دفاعنا الجوى فى وقت واحد ٠

٢ ـ أن تكون مهمتها الأولى بعد العبور هى تدمير قوات العدو على مراحل ، وبخاصة الدبابات ٠

٣ ـ أن تعمل على امتصاص ردود الفعل المعادية ، وقدرات العدو الهجومية بأعمال دفاعية وايجابية نشطة ٠

٤ ـ أن تتأهب لتطوير الهجوم فى اتجاه الشرق ، على ضوء ما سوف تسفر عنه المعارك فى رءوس الكبارى ٠

٥ ـ أن تشن الهجوم على طول المواجهة ، وفى عمق سيناء وجنوبها ، وأن يتم كل ذلك فى وقت واحد ٠

على أساس هذه الخطوط العريضة وضعت العملية الاستراتيجية الهجومية المشتركة وسميت بالاسم الرمزى « بدر » واستكملت الخطة جوانبها وأصبحت جاهزة للتنفيذ رهن الاشارة وصدور القرار الجرىء من قائدنا الأعلى ببدء القتال ، سيرا على درب النضال فى سبيل تحرير الأرض وتحقيق النصر ٠

التنسيق مع الجبهة السورية

كان مجلس رياسة الجمهوريات العربية قد قرر فى العاشر من يناير سنة ١٩٧٣ تعيين الفريق أول أحمد اسماعيل قائدا عاما للقوات المسلحة الاتحادية ٠ وعلى أثر ذلك أوكل الى هيئة عمليات القيادة العامة الاتحادية دراسة الموقف العسكرى على الجبهتين السورية والمصرية ، واستعراض طرق الحل المفتوحة أمام الاستراتيجية العربية ، ووضع أسلوب السيطرة الاتحادية على الجبهات العربية ٠

وقرب نهاية الشهر كانت هيئة عمليات القيادة العامة الاتحادية قد أتمت حصر قوات الدعم من دول الخط الثانى التى سوف تحشد فى المسرح لخدمة المعركة المرتقبة جنبا الى جنب مع أشقائها قوات دول المواجهة ٠

وفى العاشر من مارس ١٩٧٣ أتم قائد عام القوات المسلحة الاتحادية دراسة التخطيط للضربة الجوية المشتركة لاضعاف القوات الجوية الاسرائيلية وشل شبكة السيطرة والحرب الالكترونية المضادة فى بدايه المرحلة الافتتاحية للعملية الهجومية العربية المقبلة ٠

وفى الحادى والعشرين من مارس عقد القائد العام للقوات المسلحة الاتحادية دراسة مستفيضة مع هيئة عملياته ، تناول فيها دقائق يوم (ى) وسعت (س) كما ناقش احتمالات رد فعل العدو ، واستعرض الاطار العام لتنظيم التعاون الاستراتيجى بين الجبهات العربية القائمة بالهجوم ، وأسلوب الخداع السياسى والاستراتيجى لمفاجأة العدو ومباغتته فى العملية الهجومية المرتقبة ٠

وفى أول ابريل تم تنظيم التعاون على الجبهة السورية واعتمد القائد العام للقوات المسلحة الاتحادية أسلوب القيادة والسيطرة على الجبهتين وطرق تبادل المعلومات بينهما ، كما درس الطرق المختلفة لسحب احتياطيات العدو الاستراتيجية من جبهة الى أخرى بما يكفل تهيئة الظروف المناسبة لهزيمة العدو على مراحل مسبقة التخطيط ٠

وحرمانه من ميزة العمل من خطوط داخلية ضد الجبهات العربية الواحدة بعد الأخرى كما اعتاد فى أغلب جولاته العدوانية السابقة .

وفى صباح الثانى من مايو اجتمعت القيادتين الاستراتيجيتين المصريه والسوريه للاتفاق بصفة مبدئيه على توقتيات يوم ى وسعت س مع مراعاة كافة العوامل المؤثرة بالنسبة لمصر وسوريا . وفى المساء جرى التخطيط العام للضربه الجوية السورية المصرية المركزة ضد اسرائيل ، فحددت أهدافها وشكلها وأسلوب السيطرة عليها ، وتم حصر امكانات مصر وسوريا التى يمكن تخصيصها لشن هذه الضربة التى كان الجميع على يقين من تأثيرها البالغ على كل ما سوف يتلوها من أعمال قتال .

وفى الثانى والعشرين من مايو أصدر القائد العام للقوات المسلحه الاتحادية توجيهاته بالفكرة العامة للعملية الهجومية الاستراتيجية « بدر » لكل من الجبهتين السورية والمصرية ، وحدد لكل جبهة الاجراءات والأعمال المنوطة بها ، والمدة الزمنية المفروضة لانجازها .

وفى صباح السابع من يونية قام الفريق أول أحمد اسماعيل بتحديد الهدف الاستراتيجى العسكرى للعملية الهجومية للقيادتين السورية والمصرية ، واستعرض التشكيل التعبوى لهما وكذا الاحتياطى العام للجبهتين .

وفى نفس اليوم السابع من يونية قام اللواء بهى الدين نوفل بتنظيم التعاون بين الجبهتين المصرية والسورية .

وفى أغسطس ١٩٧٣ تم بثغر الاسكندرية واحد من أهم مؤتمرات التخطيط والتنسيق وأطولها ، اذ اجتمع القائد العام للقوات المسلحة الاتحادية برؤساء أركان القوات المسلحة السورية والمصرية وقادة الأفرع الرئيسية ورؤساء هيئات العمليات المصرية والسورية والاتحادية لمناقشة مختلف العوامل المؤثرة على تحديد درجة استعداد القوات المسلحة للعملية الهجومية ويوم بدء الهجوم بالنسبة للجبهتين ، وفحص حالة البحر والمد والجزر ، والجو والطقس وطول الليل والنهار ، والقمر ، ومستوى تدريب القوات وكفاءتها القتالية . كما استعرض الأوضاع الداخلية فى اسرائيل حتى نهاية عام ١٩٧٣ ، وفحص المناخ الدولى من زاوية تأثيره على سير القتال المرتقب .

وتم الاتفاق على أن أنسب توقيت للعملية الهجومية بالنسبة لكافة هذه العوامل هو شهر سبتمبر أو أكتوبر ١٩٧٣ ، مع اعتبار أن التوقيت الثانى هو الأفضل ، ثم أمر الفريق أول أحمد اسماعيل أن يترك البت النهائى فيه للقيادة السياسية .

وفى اجتماع تال مع هيئات العمليات اتفق على أن أنسب يوم لبدء الهجوم هو يوم ١٠ رمضان المبارك ، الموافق ٦ أكتوبر (تشرين أول) .

وفى مساء ٦ سبتمبر أصدر الفريق أول أحمد اسماعيل توجيهات القيادة العامة الاتحادية باستعداد القوات المسلحة السورية والمصرية لشن العملية الهجومية (بدر) فى ظرف خمسة أيام اعتبارا من أول ضوء ١ أكتوبر ١٩٧٣ (تشرين أول) ·

وفى أول أكتوبر (تشرين أول) أصدر الفريق أول أحمد اسماعيل توجيهاته الاتحادية بتنفيذ الضربة الجوية المشتركة السورية المصرية سعت ١٤٠٥ يوم ٦ أكتوبر ، وكذا الأمر ببدء تنفيذ العملية بدر ·

وفى الثالث من أكتوبر توجه الفريق أول أحمد اسماعيل الى دمشق وبصحبته اللواء بهى الدين نوفل حيث اجتمع بزميله وزير الدفاع السورى اللواء مصطفى طلاس وقيادته وتم الاتفاق على اللمسات النهـائية للعملية الهجومية « بدر » على الجبهتين المصرية والسورية طبقا للخطط الموضوعة والتوقيتات المحددة ·

وختم الفريق أول أحمد اسماعيل المؤتمر المصيرى بتأكيده أن المعركة الوشيكة سوف تكون قاسية وطويلة ، وأن العرب سوف يضربون بكل قوتهم وفى كل مكان وفى العمق ، وأن الكل يدرك خطورة القرار الجرىء ومنتهى الأمل أن ننجز عملا ناجحا وأن نقبل المخاطر المحسوبة ·

وفى الظهيرة استقبل الرئيس حافظ الأسد القـائد العام للقوات المسلحة الاتحادية واعتمد له العملية الهجومية الاستراتيجية « بدر » لتبدأ الساعة ١٤٠٥ يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، ثم قفل الفريق أول أحمد اسماعيل عائدا الى القاهرة ليضع اللمسات الأخيرة لمعركة المصير ··

اللمسات الأخيرة

● **أتمت القوات المسلحة لجمهورية مصر العربية الفتح التعبوى طبقا لخطة دقيقة ، نفذت خـــلال فترة زمنية طويلة ، وكان هدفها احداث تغيير فى أوضاع وتجميع قوات الجيــوش الميدانية تدريجيا وبأسلوب ينطلى على العدو ، دون أن يثير شكوكه بما يدور على الجبهـــة المصرية ·· وكان ذلك أحد العوامل الرئيسية لخــداع العدو الخداع الـكامل بالنسبة للعملية الهجـــومية الوشيكة ·**

كما استهدفت أعمال الفتح التعبوى اتخاذ باقى الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة ـ ونعنى بها القوات البحـرية والقوات الجـــوية وقوات الدفاع الجوى ـ الأوضاع المناسبة لتنفيذ مهامها المخططة ضمن اطار العملية الهجومية الاستراتيجية ·

ولم تقتصر أعمال المرحلة التحضيرية على اجراء الفتح التعبوى للقوات المسلحة فحسب ، بل شملت أيضا ـ وبطبيعة الأمر ـ مختلف الاجراءات التنظيمية للعملية المقبلة ، بدءا باتخـــاذ القرار الاستراتيجى ، وحتى تخصيص المهام لكل فرد ، فضلا على مختلف الأعمال التحضيرية والتنفيذية من تكديس وتشـــوين المعـــدات والذخائر والامدادات ، وتجهيز مسرح العمليات ، وتدريب واعداد القوات والقيادات ··

وانتهت تلك الأعمال وقد اتخذت القوات أوضاعها الملائمة لشـــن الهجوم ، وأتقن كل فرد مهامه فى العملية المقبلة ، وتدرب عليهـــا وملأ الشوق جوانبه لخوض المعركة وأداء الواجب ·· وفى الوقت نفسه ، وبنفس الخطى السريعة الهادفة ، وطبقا لمخطط محكم ، سار اعداد الدولة والشعب

للحرب المقبلة ·· للجولة الرابعـــة في الصراع العربي الاسرائيلي ·· لمعركة المصير ··

وفى الحقيقة ، فان الاعداد للحرب والتحضـير لها كان قد بدأ منذ رفض الشعب المصرى ·· بل الأمة العربية كلها الهزيمة بانتفاضة ٩ ، ١٠ يونيه ١٩٦٧ ، وعندما أعلن الزعيم الخالد جمـــال عبد النـــاصر « أن ما أخذ بالقوة لن يسترد بغير القوة » ··

وعندما قرر برنامج ٣٠ مارس ١٩٦٨ « أن لا صوت يعلو على صوت المعركة » ·· وعندما سلم الشعب المصرى الشعلة الى الرئيس محمد أنور السادات ليقود النضال الشريف على طريق زميله في الكفاح نحو النصر ·· وعندما تولى الرئيس السادات رياسه وزارة المواجهة الشاملة ·· استعدادا لتحمل قدره فى الكفاح ·· وعندما أعلن فى مجلس الشعب « أن التمنى بلا ارادة نوع من احلام اليقظة » ·· كانت هذه جميعا سمات اصرار أكيد على خوض جولة أخرى ·· والاعداد لها بكل ما تملك مصر من قدرات ·

ولذا صار من غير المستساغ ، بل من غير الممكن ، أن نتكلم هنـــا بالتفصيل عن مراحل واجراءات اعداد الدولة والشعب والقوات المسلحة للحرب ·· فهى اجراءات استغرقت سنوات عدة ، وكلفت الشعب المصرى آلاف الملايين من الجنيهات ·· دفعها راضيا ·· اســـهاما فى نصيبه من الكفاح الحتمى ، أملا فى تذوق حلاوة النصر ··

وسوف نقصر الحديث هنا على سرد أهم الاجراءات التى نفذت فى ختام المرحلة التحضيرية قبيل المعركة :

* رفعت درجة استعداد القوات المسلحة المصرية الى الحالة الكاملة اعتبارا من سعت ٠٨٠٠ يوم ١ أكتوبر ١٩٧٣ · وتم احتلال جميع مراكز القيادة والسيطرة على مختلف المستويات ·· وقد أعلن حينذاك أن تلك الاجراءات قد فرضت لأغراض التدريب ، ولتنفيذ مشروع استراتيجى تعبوى · كان من المعتاد اجراؤه فى الموعد نفسه من كل عام ·

وقد استمرت القوات البرية فى تنفيذ اجراءات التحضير للعمليـة الهجومية ، واعادة التجميع والفتح التعبوى تحت ستار التدريب ، ورفع كفاءة التجهيز الهندسى لمسرح العمليات تحت ستار تحسين الدفاعات ·

* واستمرت القوات الجـوية والبحرية وقوات الدفاع الجـــوى فى تنفيذ مهامها العادية (الروتينية) لحماية سماء ومياه الجمهورية · وكانت أبرز تلك الأعمال فتح المدمرات والغواصات فى المناطق المحددة لهـــا ، واتخاذها الأوضاع الأخيرة ·

* ورغم ذلك كله فلقد استمر نشاط العدو على مستواه السابق ، وان انحصر أساسا فى المستوى العسكرى فقط ·· أما المستوى السياسى

والاعلامى فقد تزايدت حدة تهديدات العدو الكلامية وتصريحاته المتشددة ، التى تهدف الى التأثير النفسى والمعنوى على الشعب المصرى وتثبيت صورة القوات الاسرائيلية « الرادعة » فى أذهان الرأى العام العالمى بصـــفة عامة ، والاسرائيلى بخاصة ٠

وعلى الجانب المصرى استمرت عجـلة الاستعداد فى التزايد ، فتم تحديد الساعة ٦٠٠ ٠ يوم ٥ أكتوبر ١٩٧٣ لتكون وقت تمام استعداد القوات المسلحة المصرية للعمل ٠٠ وأصدرت القيادة العامة تعليماتها التى تحدد التوقيتات الرئيسية لبداية العملية الهجومية ، وأرسلتها الى القيادات والرؤساء المختصين طبقا للخطة الزمنية المحددة ، التى راعت المحافظة على سرية النوايا ٠٠ كما أصدرت القيادة العامة تعليماتها بعدم السماح بدخول السفن التجارية المصرية والأجنبية الى موانى ومراسى خليج السويس ، وتخفيض عدد السفن المدنية الموجودة هناك ٠٠ وذلك للمحافظة على أرواح البحارة المدنيين من أى أعمال غادرة قد يقوم العدو بها ٠٠

ويجدر بنا أن نسبق الأحداث لنذكر أن العدو عندما لم يتمكن من الانتقام لخسائره فى القطع البحرية الحديثة ، وخاصة فى لنشات الصواريخ « سعر » التى ملأ الدنيا ضجيجا بشأنها ، عمد الى تركيز نشاطه البحرى والجوى لاغراق عدد من قوارب الصيد المدنية الصغيرة التى تصادف وجودها فى البحر الأحمر ٠

لقد بدأت آلة الحرب فى الدوران سعت ٦٠٠ ٠ يوم ٥ أكتوبر وأصبح من المستحيل ايقافها ٠

ومنذ الصباح الباكر ليوم ٦ أكتوبر المجيد ٠٠ تزايدت سرعة دوران آلة الحرب والاستعداد العسكرى ٠٠ فقد قامت قوات المهندسين العسكريين بفتح الثغرات فى موانعنا على الضفة الغربية على طـول المواجهة لتسهيل تقدم قواتنا لاقتحام قناة السويس ، كما قامت بقفل مأخذى المياه لترعة السويس والاسماعيلية ، لتسهيل عبـور الدبابات والحاملات والعربات الترعة الحلوة عبر المخاضات والمعابر من عمق قواتنا الى الضفة الغربيـة لقناة السويس ٠٠

وأتمت جميع القـــوات تحركاتها واتخذت أوضاعها ٠٠ واحتلت الصواريخ أرض ــ أرض التكتيـــكية والتعبوية مواقعهـــا ٠٠ وعـادت الدوريات التى تسللت فى هدوء لتلقى نظرة استكشاف أخيرة على النقط الحصينة وما وراءها من « خط بارليف » ، كما عادت الجماعات الخاصة التى دفعت لاحبـــاط تحضيرات العدو لاشعال سطح القنـــاة بالوقود الملتهب ، وذلك بعد أن قصـــت الخراطيم وسدت المواسير بالأسمنت ، وأغلقت المحابس والصنابير ٠

وقد يثير العجب أن هذه العملية قد تمت بنجاح تام ، فلم يفلح

العدو فى اشعال حريق واحد فوق سطح القناة ، واستولت قواتنا على مستودعات المواد الملتهبة سليمة بكل ما فيها ، مما دفع العدو الى انكار وجود هذه التجهيزات الشيطانية أصلا ، رغم وقوع أحد مهندسى صيانتها اسيرا فى يد مصر ، وافشائه كل أسرار النابالم وكيفية اشعاله لصفحة القناة بسعير من النيران ٠

وعلى مستوى الدولة سارت أيضا الاستعدادات للحرب بوتيرة متزايدة فى السرعة ، فرفعت درجة استعداد الدفاع المدنى الى « الحالة ج » اى الى حالة الاستعداد الكاملة سعت ١٣٤٠ ، قبل بدء العمليه الهجومية بخمس وعشرين دقيقة فحسب ٠ وللمحافظة على سرية النوايا أعلنت القيادة العامة أن هذا اجراء وقائى ضد أعمال محتملة للعدو ٠٠ وأخيرا صدرت الأوامر بايقاف حركة الطيران المدنى والمساعدات الملاحية ٠٠

وفى مركز قيادة القوات المسلحة المصرية وضعت آخر اللمسات استعدادا لبدء العمليات ، فرفعت خرائط ووثائق المشروع التدريبى الاستراتيجى التعبوى ، وفتحت الخزائن المغلقة ونشرت الخرائط والوثائق الحقيقية ، وتم ضبط جميع الساعات الى أقرب ثانية ٠٠ كما ضبطت كذلك مع كل القيادات المشتركة فى العملية ضمانا للدقة المتناهية فى التنسيق ٠٠ حتى أن الضبط المبدئى للساعات الرئسية تم مع اشارات ضبط الوقت من الاذاعة المصرية سعت ١٢٠٠ يوم ٦ أكتوبر ٠

ووصل الرئيس محمد أنور السادات رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة الى مركز قيادة العمليات ، واتخذ مكانه على رأس هيئة القيادة العامة فى القاعة الرئيسية . وجلس عن يمينه الفريق أول أحمد اسماعيل ، وعن يساره الفريق سعد الشاذلى ، وعن قرب منه اللواء محمد عبد الغنى الجمسى ، وأشارت عقارب الساعة الى تمام الساعة ١٣٣٠ يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، وامسك التاريخ قلمه ليسطر اروع الأحداث ٠٠

وكان المشهد رهيبا ومثيرا الى أبعد الحدود ٠٠

وفى معسكر العدو كان المشهد جد غريب ٠٠ فبمجرد عودة السيدة مائير يوم الأربعاء ٣ أكتوبر من رحلتها الى النمسا ، ترأست « مجلس المطبخ » الذى اعتادت الاجتماع به فى منزلها لتناقش ما طرأ من أحداث فى غيبتها ٠ وجلس حولها ايجال آلون وموشيه ديان واسرائيل جاليلى ذو الحظوة عندها٠٠واستمعوا جميعا الى العميد اربيه شلومو مساعد مدير المخابرات الحربية وهو يستعرض الموقف ثم يخرج منه باستنتاج أن الحرب بعيدة الاحتمال ٠٠

كان الياهو زاعيرا متغيبا لوعكة ألمت به ، أما العميد زفى زامير مدير المخابرات العامة فلم يدع أصلا الى مجلس المطبخ ، ولم يفتقده أحد ، ولا أقترح حضوره فى الجلسة القادمة ٠

وعلى مدى ساعه كاملة قدم لوبيه شلومو تقديره للموقف ، وبكل الغرور قطع فى نهايته بتصوره أن العرب لا يقدرون ولن يجرءوا على تعكير صفو السلام على اسرائيل فى المستقبل • المنظور •• ثم أكد أنه قادر على توفير انذار عن احتمال الحرب قبل وقوعها بمدة طويلة ، لن تقل بحال عن ٢٤ ساعة فى أسوأ الظروف ، ذلك مع التسليم جدلا بوقوعها وهو وقت أكثر من كاف من وجهة نظر شلومو لسحق العرب قبل أن يتحرك منهم أحـد ••

وعندما انتهى شلومو من الحديث استرخى الحاضرون فى مقاعدهم ، وظهرت على وجه ديان تعابير الغبطة ، ولم ينس وهو يوجه التقريظ الى مرءوسه أن يخلطه ببعض عبارات التوبيخ لاطالته العرض وتورطه فى التفاصيل ••

ثم انصرف مجلس المطبخ كل الى حال سـبيله وهو يمنى النفس بعطلة هادئة •

لم يكن مجلس المطبخ لجنة وزارية معتمدة لممارسة شئون الأمن ، ولا حتى قسم من مجلس الوزراء مفوض بأمن اسرائيل ، ولكنه احدى شطحات مائير وحلقة من أصدقائها المقربين اعتادت الجلوس معهم كلما حزبها أمر يشغل البال « للدردشة » معهم ••

ولم تكن النتـائج لتختلف لو اتبعت مائير أسلوبا أكثر انضـباطا فجمعت مجلس الوزراء بكامل هيئته صباح يوم الأربعاء هذا ، ولا حتى لو حضر زاعيرا نفسه أو زمير أو كلاهما ، فقد كان الغرور يعمى زعمـاء اسرائيل وقادتها ، صقورهم وحمائهم ، فراحوا يعيشون فى أكذوبه من صنعهم ، بأن العرب ليس لهم وجود ••

وسرعان ما حصدت اسرائيل ثمرة غرورها :

١ ـ اذا عميت عن فتح مصر وسوريا للهجوم فى المناطق الأمامية رغم وصول تحذيرات كافية عنه ••

٢ ـ وتجاهل مجلس المطبخ انذارات كثيرة من مخابرات صديقه ••

٣ ـ وتغافلت الأركان العـامة الاسرائيلية عن اتخـاذ أدنى الاستعدادات فى مواجهة الخطر المتزايد استهانة به •

وتبلور كل ذلك فى حالة غريبة من التسيب كانت عليها التشكيلات الميدانية الاسرائيلية ، وبخاصة فى جبهة سيناء ، فكان أن باغتتها جيوش العرب وهى فى غفوة القيلولة من عصر يوم الغفران •• فصرخ بنحـاس سابير يوم الأحـد ٧ أكتوبر قائلا •• « لم تكن هنـاك سوى خطوة واحدة باقية وتباد اسرائيل » •

وكانت نصيحة لجنة اجرانات حيال هذا التسيب أن يتم فورا :

١ - تعيين مستشار خاص لرئيس الوزراء لشئون المخابرات .

٢ - دعم ادارة التقديرات والمعلومات فى وزارة الخارجية واعادة تنظيمها .

٣ - تحديد قواعد توزيع المعلومات على المختصين بوضوح .

٤ - اجراء تغييرات جذرية فى أجهزة المخابرات العامة والحربية .

٥ - انشاء وحدة تقدير للتقارير التى تضعها أجهزة المخابرات العامة (الموساد) ومتابعتها ..

ثم اجتمعت الحكومة الاسرائيلية ظهر الجمعة ٥ اكتوبر . ودارت المناقشات واحتدم الجدل .. وكان تقرير المقدم يونا بندمان رئيس فرع مصر فى المخابرات الحربية هو محور الحديث الذى بدأته السيدة مائير فى الساعة ١٣١٥ .. كان التقرير حاسما وجازما .. اذ تقول الفقرة رقم . منه .. « على الرغم من ان اتخاذ مصر مواقع التأهب على جبهة القناة ينطوى فى حد ذاته على دلائل يمكن أن تشير الى مبادرة هجوميه ، فانه حسب تقديرنا لم يستجد جديد على ميزان القوى بيننا وبين المصريين وبناء عليه نرى ان احتمال قيام المصريين بتجديد القتال ضئيل جدا .

ثم انفض الجمع وقد جزمت السيدة مائير بأن لا خطر للحرب . ولا احتمال لهجوم عربى وشيك وانصرف كل الى سبيله ليحتفل بعيد الغفران ، رغم أنه على اجانب العربى وقع حدثان كانا كافيان لكشف نوايا الهجوم العربى الوشيك لو صادفا ما يستحقانه من دراسة وتمحيص من أجهزة المخابرات الاسرائيلية .

اما الحدث الأول فهو بدء رحيل عائلات بعض المدنيين الاجانب من مصر وسوريا على وجه الاستعجال ، وأما الحدث الثانى فكان اصدار وزارة الطيران المدنى أمرا بايقاف حركة الطيران المدنى فى سماء مصر وايقاف مساعدات الملاحة الجوية ظهر يوم ٥ أكتوبر ، وان تداركت القيادة العامة ذلك باصدار الأمر الفورى باستئناف حركة الطيران المدنى بشكلها المعتاد .

وفى فجر ٦ أكتوبر دارت الشكوك فى صدر الجنرال دافيد اليعازر .. فالشواهد تجمع على اتمام الحشد العربى على الجبهتين المصرية والسورية .. وكان أن اجتمعت الوزارة مرة أخرى .. وعندما انفض الجمع ظهر السبت ٦ أكتوبر كان القرار أن تتكفل السيدة مائير بالاتصالات السياسية لتخفيف حدة التوتر ، فاتصلت بوزير خارجيتها الذى تصادف وجوده بأمريكا ، وأمرته بابلاغ وزير خارجية الولايات المتحدة تأكيد اسرائيل أنه اذا كان العرب يخشون هجوما اسرائيليا وشيك الوقوع فان اسرائيل لا تعتزم الهجوم ..

وتمت المحادثات التليفونية بين ايبان وكيسنجر في الساعة الواحدة وعشر دقائق ظهرا حسب توقيت القاهرة ..

وفي الوقت نفسه رفضت السيدة مائير اقتراح رئيس الأركان بتوجيه ضربة اجهاض ضد القوات المصرية .. فقد كان المتوقع أن تهجم مصر في آخر ضوء اليوم نفسه .. وكأنما عاد الزمن ست سنوات الى الوراء ، الى ٢٧ مايو ١٩٦٧ ، عندما انتهجت اسرائيل الأسلوب التخديري نفسه لكسب الوقت لتوجيه ضربة ٥ يونية الغادرة ..

ونسي رئيس الأركان ان الجيش الاسرائيلي صباح يوم ٦ أكتوبر لم يكن يملك فعلا القدرة على توجيه ضربة الاجهاض (١) .

ثم أمرت السيدة مائير الجنرال ديان برفع درجة استعداد القوات المسلحة الى اقصى حالاتها مع البدء في التعبئة القومية ..

وظهر اليوم نفسه وقع حدث ثالث كاد أن يكشف نية الهجوم ، اذ خلت سماء مصر على غير العادة من أية طائرة ، فدارت باسرائيل الظنون وأرسلت طائرة استطلاع فوق البحر المتوسط شمال الدلتا للتحقق من أسباب هذا الهدوء المريب ، وتدارك قائد القوات الجوية المصرية الأمر وأصدر توجيهاته بصعود طائرات التدريب الى السماء ، وبمجرد أن فعلت ذلك هدأ بال اسرائيل .

* * *

أما عند جبهة القناة فقد كان المشهد بالغ العجب..ففي الضفة الغربية كانت جماعات من جنود مصر يجلسون على حافة القناة في استرخاء وتكاسل ، البعض يمص أعواد القصب ، والبعض الآخر يمص رحيق البرتقال ، وهناك من يسبح في القناة ، ومن يصطاد سمكا .. والشركات المدنية جد نشطة بمعداتها الميكانيكية في تعلية الساتر الترابي على الضفة الغربية .. والجميع في متعة وخلو بال . وقد تركوا أسلحتهم وخوذاتهم في الخنادق الخلفية امعانا في خداع العدو على حين كان الجيشان الميدانيان في أقصى درجات الاستعداد للوثوب الى الشرق ..

وعلى الضفة الشرقية ، راح بعض جنود اسرائيل يلعبون الكرة ، والبعض الآخر يجهزون ولائم العيد ، والمراقبون الاسرائيليون قد خلعوا خوذاتهم ، وجلسوا في أبراج المراقبة يلعنون ظروف الخدمة في هذا المكان ويتثاءبون من رتابة الحال وركود الموقف سنوات اثر سنوات ..

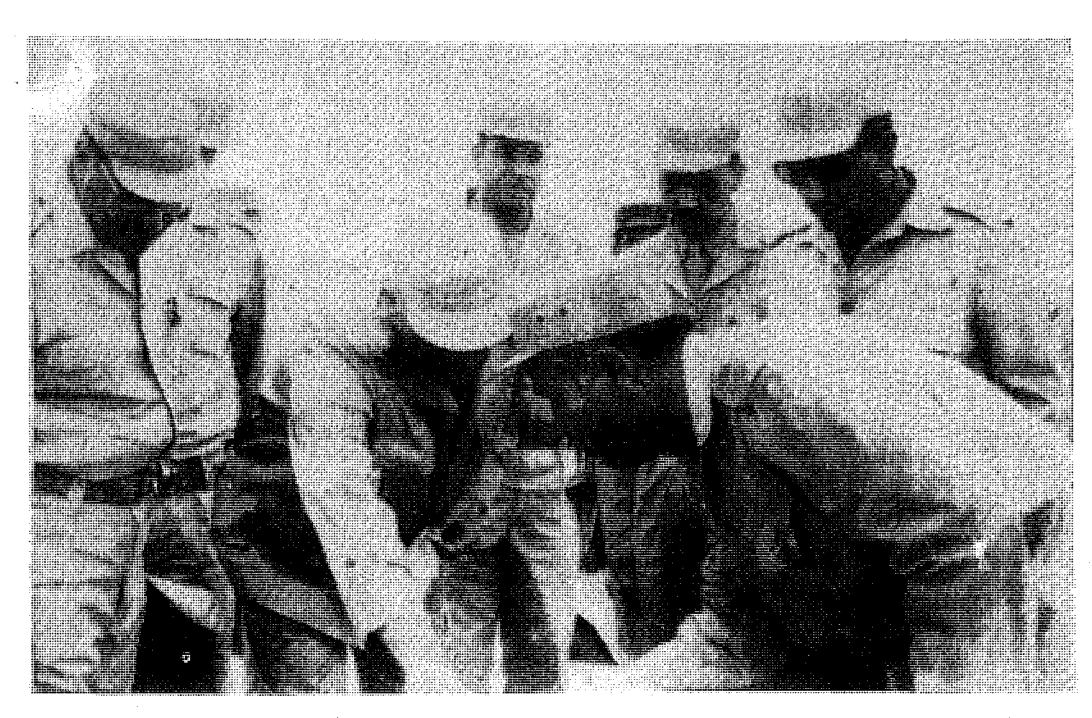
وكان هذا هو المشهد في الثواني السابقة على بدء حرب رمضان .. ثم دارت المعركة ..

---

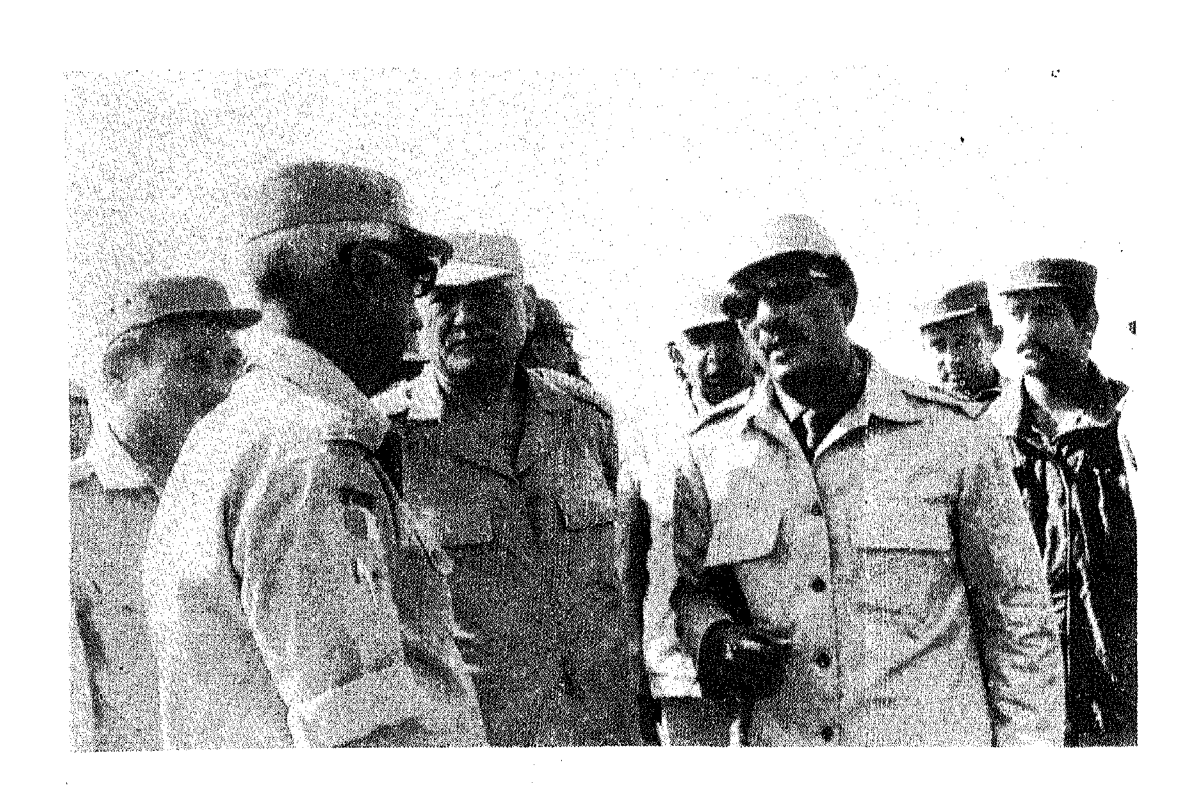
(١) مقالة الجنرال متتياهو بيليد في جريدة معاريف ـ يوم ٢٤ فبراير ١٩٧٥ تحت عنوان « تغييرات في الفكر الاستراتيجي الاسرائيلي » .



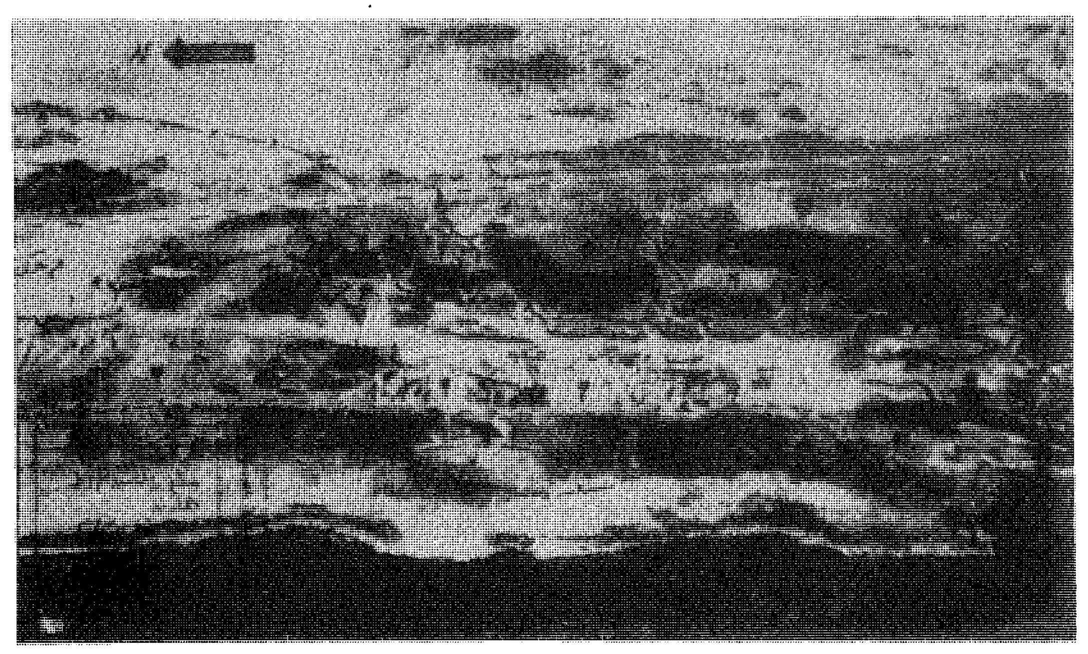
وكان الأمر الأعجب هو أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تمارس
أى ضغط على إسرائيل



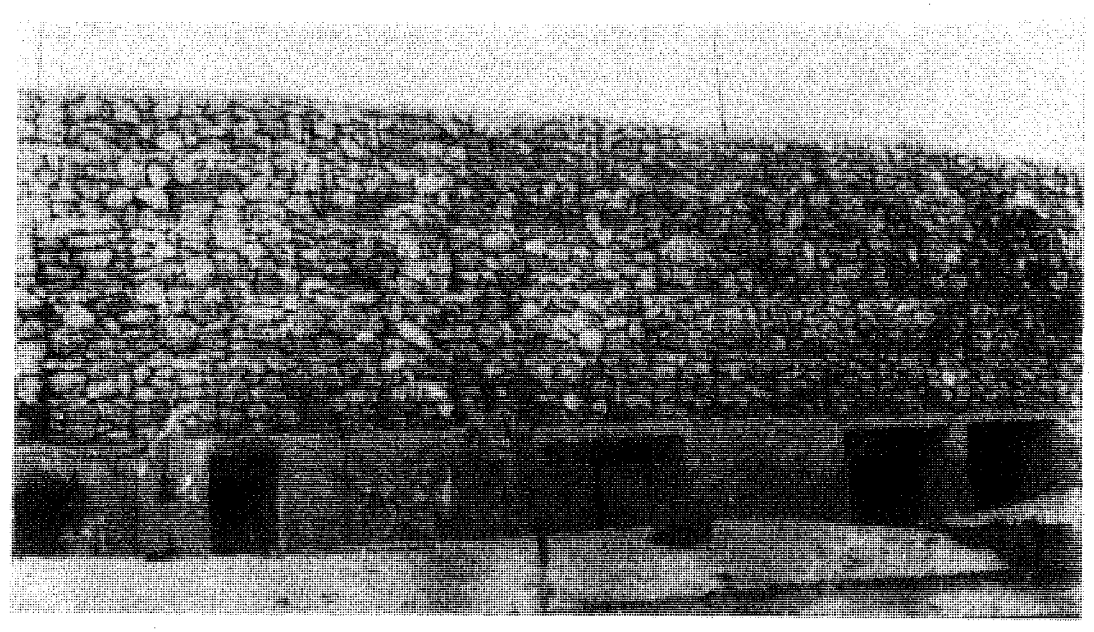
« ... وكان على القيادة المصرية أن تفحص كل المشـاكل وأن تعالجها مشكلة بعد الأخرى »



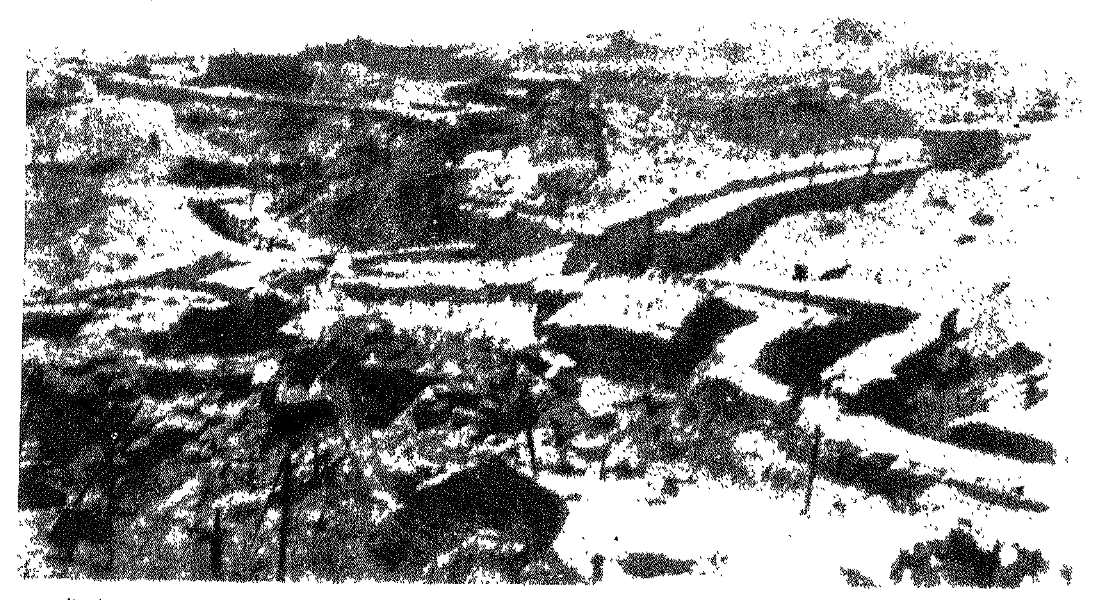




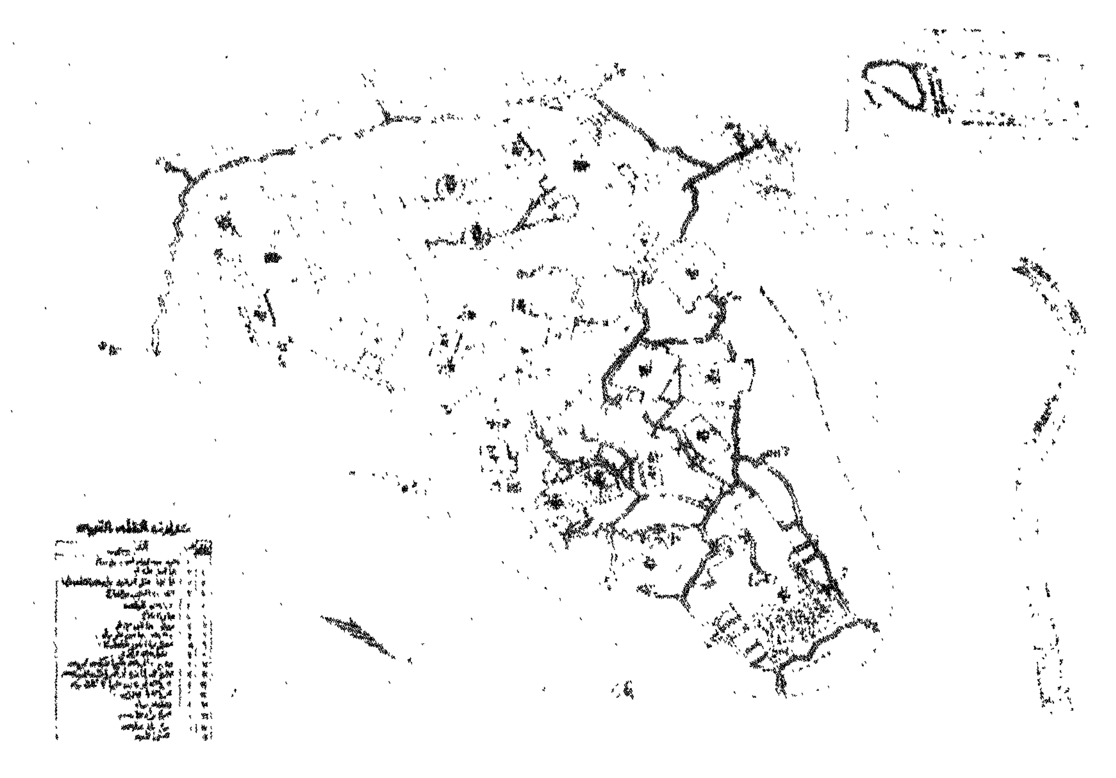
« والنقطة القوية عبارة عن منشأة هندسية معقدة تتكون من عدة طوابق تغوص فى باطن الأرض وتعلو حتى تصل إلى قمة الساتر »



« . . . وكل دشمة يمكنها أن تتحمل القصف الجوى أو البرى الثقيل بفضل شكائر »



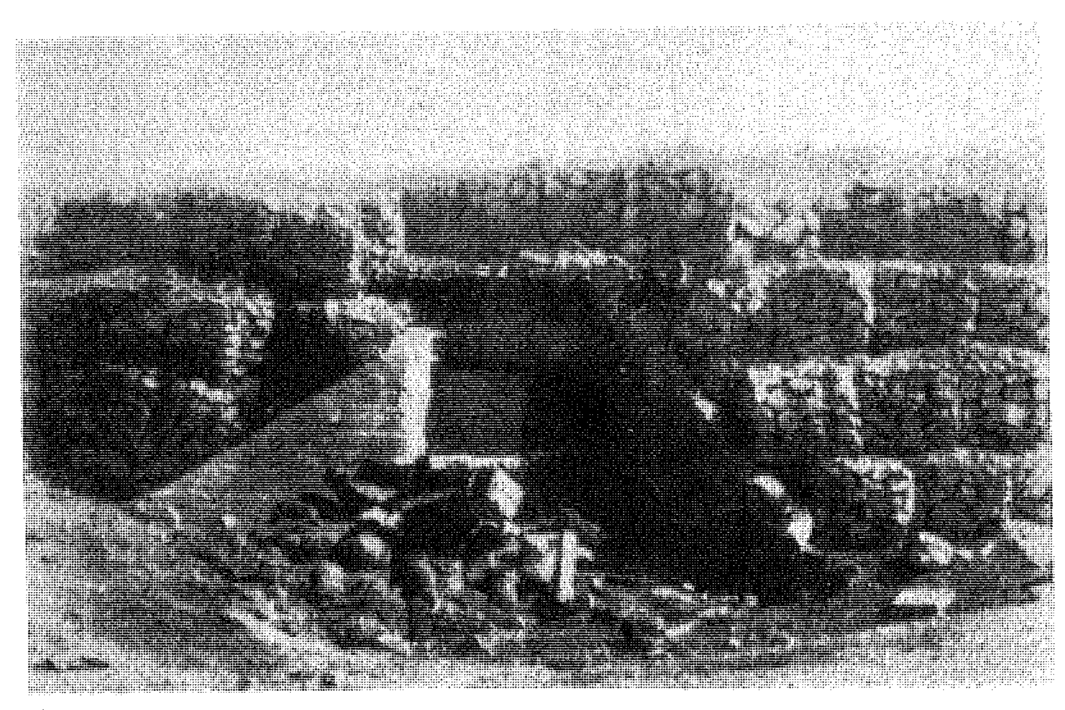
« ... وتتصل جميع الدشم ببعضها البعض عن طريق خنادق مواصلات عميقة مبطنة بألواح الصلب وشكائر الرمال »



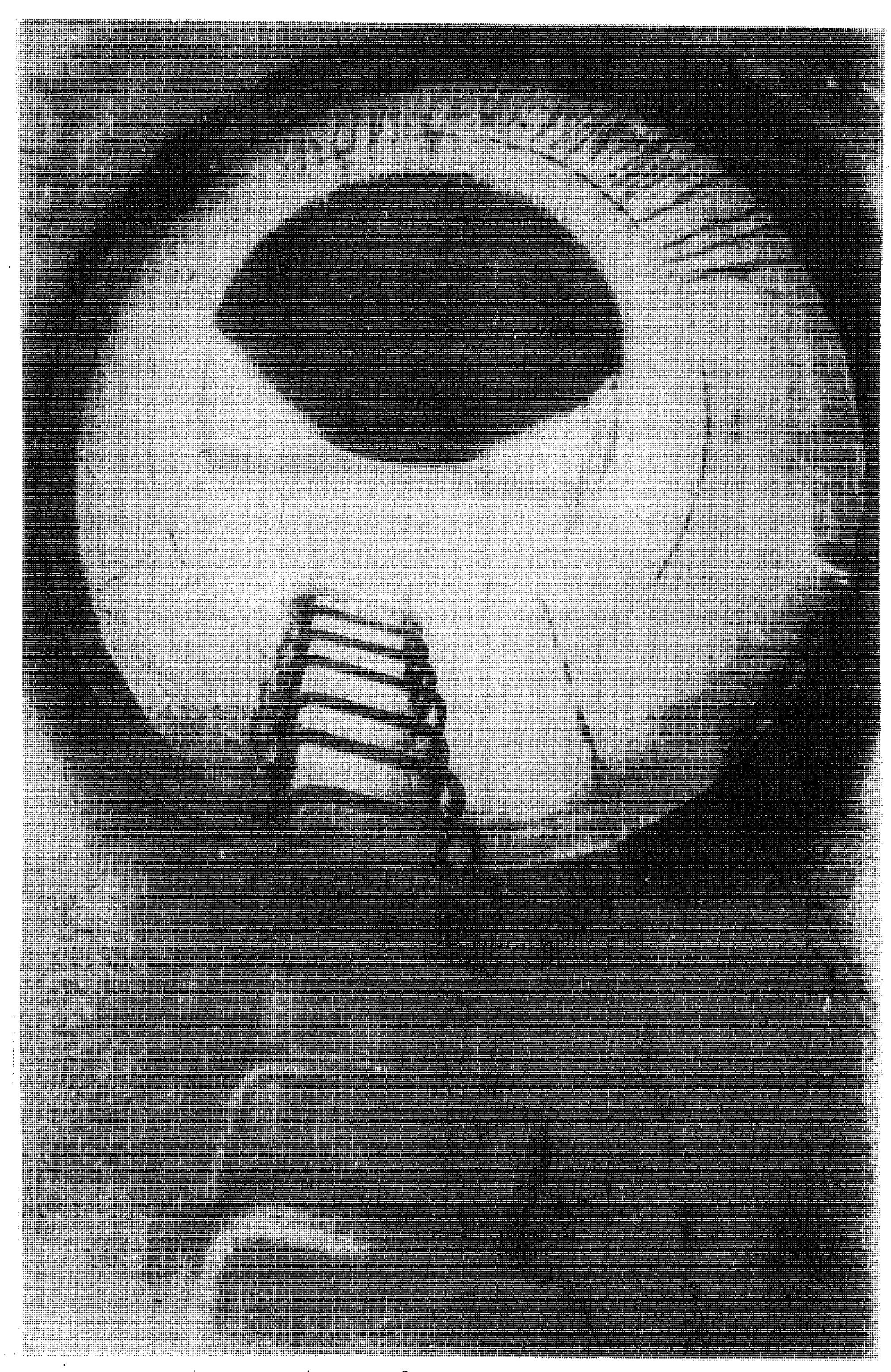
« ... وتبلغ مساحة كل نقطة حوالى ٤٠٠٠ متر مربع »



« . . . ولزيادة مناعة النقط الحصينة احاطها العدو بنطاقات كثيفة من الأسلاك الشائكة وحقول الألغام »

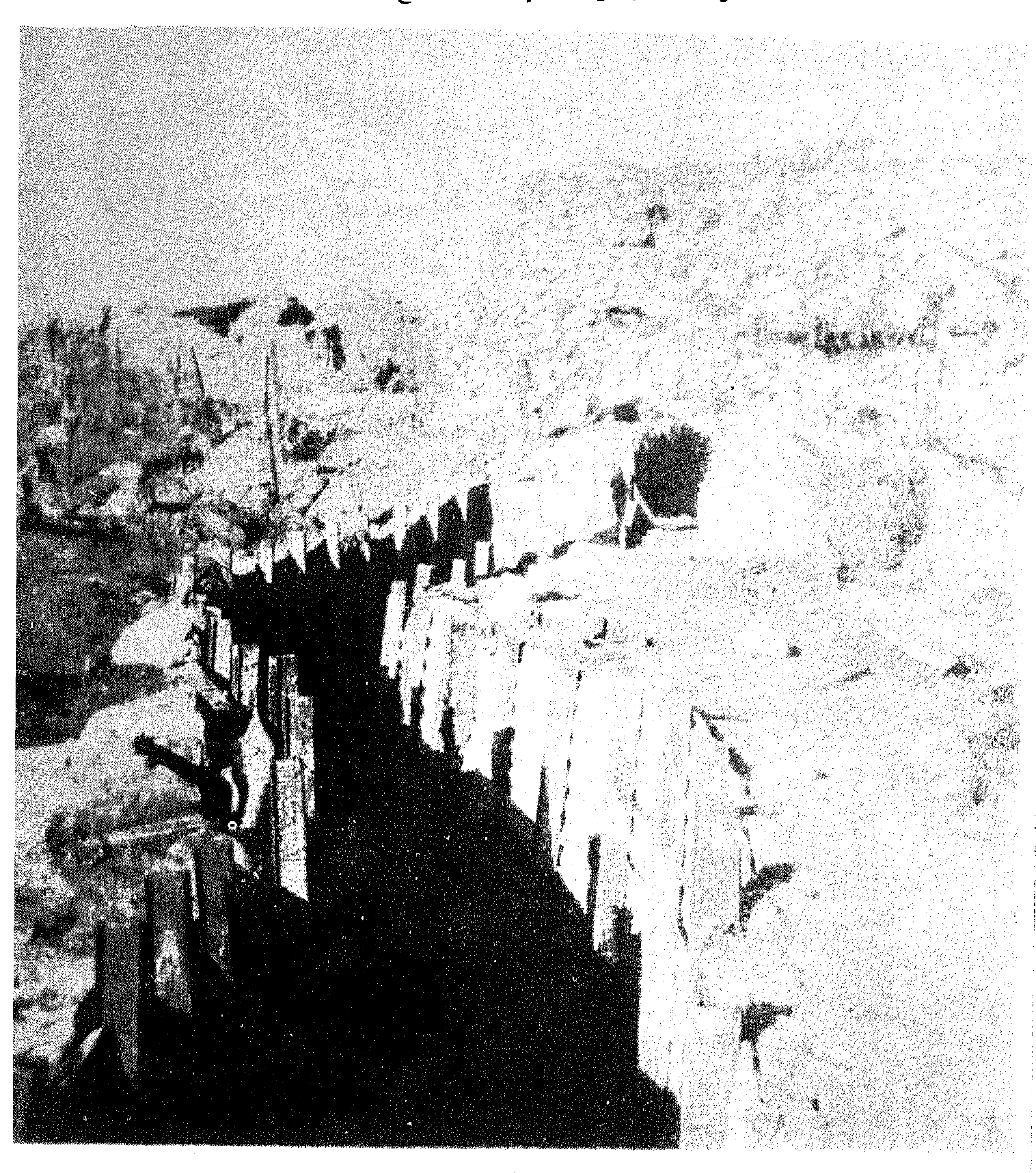


« .. وجهزت كل دشمة بعدة فتحات لأسلحة المدفعية والدبابات »



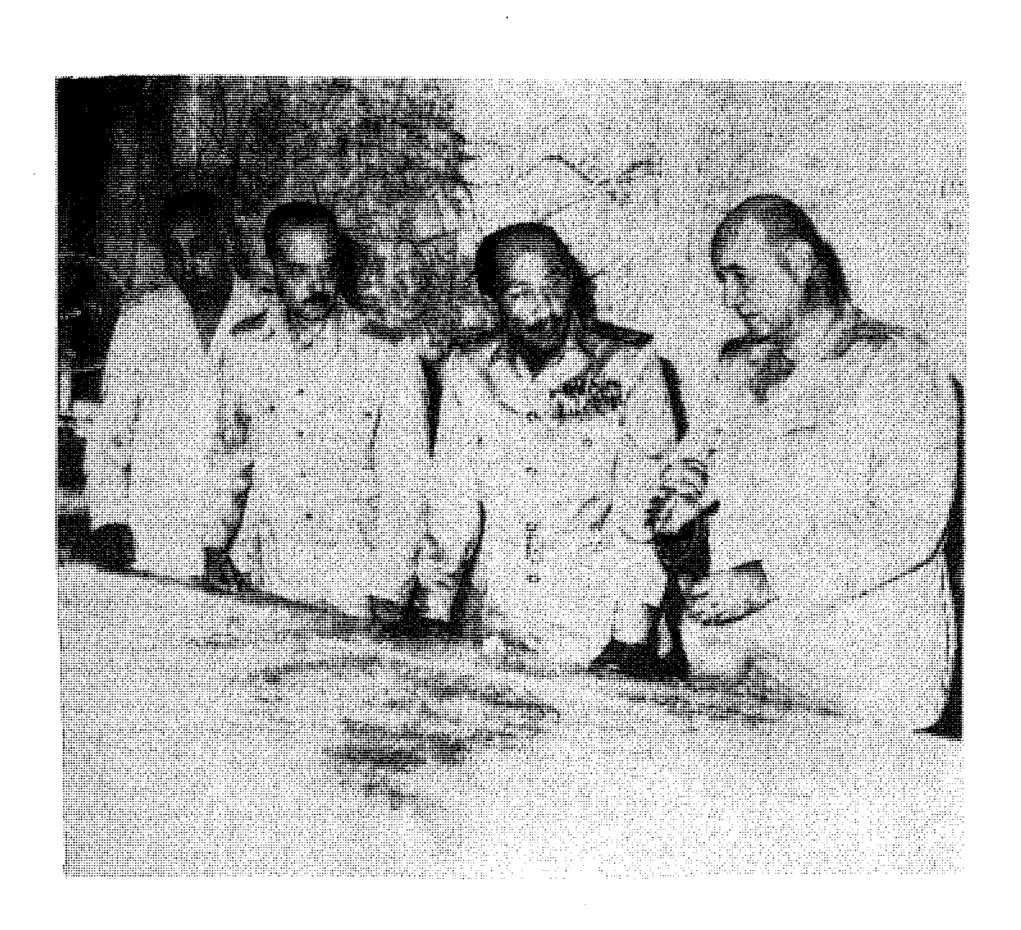
« . . . وكل ذلك هونتاج الخبرة المكتسبة من تحصينات مسارح الحرب المعاصرة »

« . . . وظل الاعتماد الرئيسى للقيادة الإسرائيلية على قلاع خط بارليف بصفة خاصة »





« . . . وفى الساعة ١٣٣٠ اتخذ الرئيس السادات مكانه على رأس هيئة القيادة العامة »



الباب الخامس

المعركة

الحرب .. للسلام

(من الساعة ١٤٠٥ يوم ٦ أكتوبر الى الساعة ١٢٣٠ يوم ٢٨ أكتوبر ١٩٧٣)

● كانت عقارب الساعة تشير الى الثانيـــة وخمس دقائق من بعد ظهر ٦ أكتوبر ١٩٧٣ عنـــدما عبرت طائرات سوريا ومصر خطوط المواجهـــة مع اسرائيل ، واتجهت نحو اهدافها المحددة فى الخطة المشتركة ، ثم هدرت مدافع العرب على طول الجبهتين الشمالية والجنوبية فى أقوى تمهيد نيرانى شهده الشرق الأوسط •

فعلى الجبهة المصرية انطلقت مائتان وخمسون طائرة مصرية تشق عنان السماء ، فى طريقها المرسوم الى عمق سيناء ، حيث تقع أهدافها المنتخبة بحذق ومهارة ، لتنفيذ الضربة الجوية المركزة التى كان عليها تحطيم ثلاثة مطارات وقواعد جوية ، وعشرة مواقع صواريخ هوك ، وثلاثة مراكز قيادة وسيطرة واعاقة الكترونية ، بالاضافة الى عدد آخر من محطات الرادار ، وموقعى مدفعية بعيدة المدى ، وثلاث مناطق شئون ادارية ، وحصـــون العدو شرقى بورفؤاد •

وفى اللحظة نفسها هدرت نيران أكثر من ألفي مدفع على طول الجبهة، بين مدفعية ميدان ومدفعية متوســـطة وثقيلة ، ومدفعيات وهاونات تشكيلات ووحدات المشاة والمدرعات ولواء صواريخ تكتيكية متوسطة المدى أرض / أرض ••

وبينما استمر الألفا مدفع ونيف تصب حممها على خط بارليف ونقطه الحصينة ، بدقة وكثافة لم يسبق لها مثيل ، ولمدة ٥٣ دقيقة كاملة ، راح عدد كبير آخر من المدافع يطلق نيرانه بالتنشين المباشر المحكم التصويب

على دشم العدو وأهدافه المتطورة ، التى نجح المراقبون فى كشف خباياها رغم ما بذله العدو من جهد ومال لاخفائها وتمويهها عن المراقبة الأرضية والجـوية ..

وتحت ستر هذه النيران القاتلة ، التى ناهز وزنها الاجمالى ثلاثة آلاف طن على امتداد فترة التمهيد النيرانى للعبور المجيد ، أخذت جماعات من الصاعقة ومفارز اقتناص الدبابات تعبر مياه قناة السويس ، لتبث الألغام والشراك فى مصاطب دبابات العدو ، وتقيم الكمائن على طرق اقتراب المدرعات الى القناة ، لتشل حركتها ، وتمنعها من التدخل فى عملية الاقتحام الوشـيكة ..

لقد كانت الساعة الثانية وخمس دقائق هى ساعة البدء التى حددها الفريق أول أحمـد اسماعيل القائد العـام للقيادة الاتحادية المصرية والسورية . كمـا كانت هى السـاعة التى طال انتظار العرب لها .. ليثأروا لنكسات سابقة ، ويستردوا حقوقا مسلوبة .. كانت هى الساعة التى أراد العرب أن يبدءوا فيها الجولة الرابعة مع اسرائيل ..

وسرعان ما تتابعت الأحداث الجسام .. فى وتيرة عالية .. ثم استمر تتابعها ثلاثة وعشرين يوما حافلا بأخطر الامور .. أيام كانت كلها مشحونة بالقتـال الضـارى العنيف .. الذى تحطمت خلاله أسـاطير ، وتهاوت نظريات ، وسقطت عقائد ، وتوارت استراتيجيات ، وانكشف الزيف للمزاعم الصهيونية الباهتة ، وافتضحت الدعاوى الاسرائيلية الرخيصة ، التى طالما نفخت بهـا أبواق الدعاية الاسرائيلية على امتداد ربع القرن المنصرم ، عن العرب .. وتخلفهم الحضارى المزعوم .. والفجوة التكنولوجية التى تمسك بتلابيبهم .. وعن نظريات الغزو والتوسع الاسرائيلى .. وأمن اسرائيل والحدود الآمنة .. والجيش الذى لا يقهر .. والذراع الطويلة وحصانة خط بارليف الرهيب .. وكل تلك الأكاذيب والافتراءات التى نقلتها أجهزة الاعلام الصهيونية عن تل أبيب ، ثم راحت تروج لها بامكاناتها الواسعة فى مشارق الأرض ومغاربها .. حتى صدقها الكثيرون .. وقديما قيل « يستمر الرجل يكذب حتى يصدقه من حوله .. ثم يكذب حتى يصدق نفسه .. وهنا تقع الطامة » ، وقد وقعت باسرائيل فزلزلت بنيانها المنفوش .

لقد صدقت اسرائيل أكاذيبها ، حتى خرج عليها يوم ٢٤ أكتوبر رئيس دولتها ابراهام كاتزير يوقظها من أحلام الخيال ، ويكشف لشعبها المخدوع طرفا من الحقائق الأليمة فيقول ..

« لقد كنا نعيش فيما بين عام ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ فى نشوة لم تكن الظروف تبررها ، بل كنا نعيش فى عالم من الخيـال لا صلة له بالواقع . وهذه الحالة النفسـية هى المسئولة عن الأخطاء التى حدثت قبل حرب أكتوبر ، وفى الأيام الأولى للحرب ، لأنها كانت قد تفشت فى

كل المجالات العسكرية والسياسية والاجتماعية ، وأحدثت فيها مواطن ضعف خطيرة، يجب على الاسرائيليين جميعا أن يتحملوا مسئوليتها ، وعلينا أن نتعلم بعد هذه الحرب الفظيعة أن نكون أكثر تواضعا وأقل نزوعا الى المادية ، كما يتحتم علينا أن نبذل كل طاقاتنا لازالة الفجوة الاجتماعية ، والتغلب على المادية التى أحدقت بنا » ٠

وقبل أن يتكلم ابراهام كاتزير ، وبعد أن تكلم ، كانت الحقائق تفرض نفسها على المسرح ٠٠ فيتناقلها العالم أجمع بين الدهشة والانبهار ٠٠

* **فعن أكذوبة التخلف الحضارى العربى** التى افترتها اسرائيل بعد جولة ١٩٦٧ ٠٠ خرجت جريدة الفيجارو الفرنسية يوم ٩ أكتوبر تقول « ان الرئيس السادات يدرك بحق أن مصر وخلفها سبعة آلاف عام من الحضارة تشتبك فى حرب طويلة الأمد مع اسرائيل التى تكافح اليوم لكى تعيش غدا ، ثم لا تفكر أبدا فيما قد تصبح عليه حالتها بعد ٢٥ عاما مثلا » ٠

* **وعن الفجوة التكنولوجية** التى زعمت اسرائيل أنها سوف تحرم العرب من اللحاق بها حتى منتصف القرن الواحد والعشرين على أقل تقدير، قالت مجلة نيوزويك الأمريكية يوم ٢١ أكتوبر ٠٠ « ان ثقة اسرائيل فى تفوقها التكنولوجى على العرب قد سقطت » ٠

كما قالت مجلة الأوبزرفر البريطانية قبل ذلك بيوم واحد ٠٠ « يبدو الآن أن مصر قد لحقت باسرائيل بل سبقتها تكنولوجيا » ٠

ثم قالت مجلة تايم الأمريكية يوم ٥ نوفمبر ٠٠ « ان التكنولوجيا المصرية قد جعلت العصر الذى كانت الدبابات والطائرات تسود فيه ميدان القتال يذهب فى ذمة التاريخ » ٠

* **وعن سياسة إسرائيل التوسعية** ٠٠ قال اليهودى ناتان ليفنجستون الأستاذ بجامعة كوينز كولج فى جريدة التايمز اللندنية يوم ١٣ أكتوبر ٠٠ « ان عدوان اسرائيل وسياستها التوسعية التى تحاول فرضها عن طريق الحرب واقامة المستوطنات هى التى تسهم الى حد كبير فى استمرار النزاع فى الشرق الأوسط » ٠

وقالت جريدة النجم الأحمر السوفيتية فى اليوم نفسه ٠٠ « ان تل أبيب قد بدأت تدفع ثمنا غاليا لسياسة الغزو العدوانية التى تعتنقها » ٠

* **وعن حرب اسرائيل الخاطفة** قال الجنرال متياهو بيليد فى جريدة معاريف يوم ٧ فبراير ١٩٧٥ ٠٠٠ من دروس حرب عيد الغفران

انه لم يكن فى حوزة الدولة احتيــاط كاف من الذخائر لمواصلة القتال • لقد استعدت الأركان العامة لحرب خاطفة لا تزيد عن ستة أيام قتــال فقط ، ولكن الحرب اســتمرت ١٨ يوما فتعرض جيش الدفاع تبعــا لذلك الى عجز فى ذخائره ، ومن هنا ظهرت ضرورة تخزين ذخائر تكفى ثلاثة أسابيع قتال على الأقل ، حتى اذا نشبت الحرب من جديدة لا يكون علينا أن ننتظر الجسر الجوى ليحمل لنا الذخائر الى القوات التى تقاتل وقتئذ فى مختلف الجهات •

* **وعن نظرية الأمن القومى الإسرائيلى** ، نقلت وكالة رويتر عن تل أبيب يوم ٢١ أكتوبر افتتاحية العدد الأسبوعى للجيروسالم بوست التى تحمل تســاؤلا يراود الاسرائيليين الذين عجزوا عن طرحه لعــدم شعورهم بالأمن وهو •• « ما الذى حدث ؟ وأين يكمن الخطأ ؟ » •

أما جــريدة لومانيتيه الفرنســـية فتؤكد فى عددها الصادر يوم ١٧ أكتوبر •• « ان الأحداث الخطيرة التى تجرى الآن فى الشرق الأوسط توجه ضربة قاتلة لنظرية الحدود الآمنة كما يفهمها حكم تل أبيب » •

وقبل ذلك صرحت جريدة الديلى تلجراف اللندنية يوم ١٥ أكتوبر بأن « أسطورة الأمن الإسرائيلى قد تحطمت تماما ، ويجب على اسرائيل بعد الآن أن تتخلى عن فكرة أن أمنها يمكن أن يتحقق بمجرد احتلال قطعة من الأرض دون أى برنامج سياسى » •

* **وعن أسطورة جيش إسرائيل الذى لا يقهر** ، قال أريك سيلفر مراسل ألجارديان البريطانية فى القدس •• « كانت الصدمة الحقيقية لحرب يوم الغفران هى أن الجيش الإسرائيلى قد بدأ فى مظهره على نحــو لا يختلف عن سائر الأنشطة فى إسرائيل ، لقد كان الجيش بعيدا عن الاتقان فى تصرفاته ، وكان يرتجل ، وقد دهمته الأمور وهــو فى اغفاءة تنم عن تكاسل ورضا » •

أما جورج ليزلى رئيس المنظمة اليهودية فى ستراسبورج فيقول يوم ٢٩ أكتوبر فى المعنى نفسه •• « لقد أسفرت الجولة الرابعة عن كارثة كاملة بالنسبة لاسرائيل ، فنتائج المعارك والانعكاسات التى بدأت تظهر عنها فى اسرائيل تؤكد أهمية الانتصارات التى حققتها القوات العربية فى المعركة ، تلك الانتصارات التى أنهت الشعور بالتفوق الإسرائيلى وجيشها الذى لا يقهر ، وأكدت كفاءة المقاتل العربى وتصميمه وفاعلية السلاح الذى فى يده » •

* **وعن ذراع اسرائيل الطويلة وقواتها الجــوية الرادعة** ، يقول توماس تشيتهام مراسل وكالة اليونيتدبرس من تل أبيب يوم ١٦ أكتوبر•• « ان الطيران الاسرائيلى لم يتمكن من تحقيق النجاح الذى كان عامة الشعب الاسرائيلى يتوقعه له قبل الحرب • لقد وضح من خلال سير

العمليات أن التأكيدات الرسمية التى كانت تتحدث عن قدرة القوات الجوية الاسرائيلية على القيام بعمل سريع ضد العرب فى حالة تجدد القتال كانت مزاعم غير دقيقة » .

أما جان فرنسوا لى موف فيقول يوم ٢٧ أكتوبر .. « لقد شد انتباه الخبراء الغربيين الذين درسوا سير الصراع العربى الاسرائيلى وفنون الحرب التى استخدمها المتصارعون أنه بينما انتصر الاسرائيليون عام ١٩٦٧ بفضل تفوقهم الجوى الكامل ، اذ بنشاطهم الجوى يضمحل هذه المرة فى القتال والقصف بفضل تسلح العرب بالصواريخ سام . ويرى بعض الخبراء العسكريين أن مبدأ التفوق الجوى الذى اعترف به خبراء الإستراتيجية منذ الحرب العالمية الثانية قد يعاد النظر فيه على ضوء أحداث الجولة الرابعة ، على حين لا يتردد البعض الآخر فى تأكيد أن هذا المبدأ قد انهار تماما » .

* **وعن مخابرات اسرائيل** التى « لا تفوتها شاردة ولا واردة ، فلعل ما حدث ذو دلالة خاصة وهو أن تستهل لجنة تقصى الحقائق عملها فى البحث عن أسباب الهزيمة العسكرية فى جيش اسرائيل يوم ٢٧ نوفمبر برياسة القاضى شمعون اجرانات رئيس المحكمة العليا الاسرائيلية ، فتبدأ بالتحقيق مع الجنرال الياهو زعيرا رئيس المخابرات العسكرية الاسرائيلية ، الذى سبق توجيه الكثير من النقد والاتهامات الى جهازه لاساءته تقدير الموقف على الجبهتين المصرية والسورية ، مما جعل اسرائيل تفاجأ بالحرب ، وكادت هذه المفاجأة أن تعرضها لكارثة محققة . هذه المفاجأة التى وصفها الجنرال حاييم بارليف فى الصنداى تايمز يوم ٩ ديسمبر بقوله .. « لقد هاجمونا ونحن فى غفلة » .

ثم لا يقف الأمر عند أجهزة مخابرات إسرائيل بل يتعداها الى مخابرات الولايات المتحدة الأمريكية نفسها التى أكدت مجلة يو اس نيوزاند ورلد ريبورت « ان هناك دلائل تشير الى أن وزارة الدفاع الأمريكية غير راضية عن تقارير المخابرات التى تلقتها عن الاجراءات الحاسمة حول الحرب فى الشرق الأوسط ، والدليل على ذلك أن ثلاثة من كبار الضباط فى وكالة المخابرات الأمريكية قد أقيلوا من مناصبهم بصورة مفاجئة فى نهاية شهر أكتوبر ١٩٧٣ » .

* **وعن خط بارليف المنيع** يقول الناقد العسكرى باولوبترونى فى مجلة أنابيلا الأسبوعية الايطالية الصادرة فى ٣٠ أكتوبر .. « ان خط بارليف الذى شيدته اسرائيل على غرار خط ماجينو قد تحطم تحت ضربات القوات المصرية ، تماما كما سقط خط ماجينو منذ ٣٤ عاما.. لقد فر الجنود الاسرائيليون من هذا الخط بعد أن كانوا يجلسون فى خنادقه وهم يلتقطون أنفاسهم وقد علت القذارة أبدانهم وشحبت

وجوههم ·· لقد فرت فلولهم من الجحيم الذى أطلقه عليهم الهجـوم المصرى المفاجىء » ·

* **وعن شرعية العمل العربى العســكرى** صرح أنتونى ناتنج الوزير البريطانى السابق لجريدة التايمز يوم ١٣ أكتوبر بقوله ·· « هل يمكن أن يوصف بالعدوان رجل يذود عن أرضه ضـد جيش احتلال طالبته أعلى سلطة دولية مرارا وتكرارا بالانسحاب ؟ ·

وهل يصل الافتراء بالبعض الى درجة الزعم بأن مثل هذه المحاولة الباسلة لاسترداد الأرض تشكل تهديدا على وجود المحتل فيها ؟ ان اللعب بالألفاظ والحقائق بهذه الطريقة الرخيصة يشكل وضعا مشــينا » ·

وفى المعنى نفسه تساءل ميشيل جوبير وزير خارجية فرنسا يوم ٩ أكتوبر ·· « هل تعنى محاولة عودة أناس الى ديارهم ـ بالضرورة ـ عدوانا مفاجئا ؟ » ·

* **وعن اعجاز العبور** قال الرئيس محمد أنور السادات ··· « ان القوات المسلحة قامت بمعجزة على أى مقياس عسكرى » ···

أما توماس تشيتهام مراسل وكالة ى · ب · أ فى تل أبيب فيقول يوم ١٢ أكتوبر ··· « لقد واجهت اسرائيل كارثة مثل بيرل هاربور تماما ، وسوف تأتى بعدها فضيحة ووترجيت أخرى ، فمن الواضح أن اسرائيل على أبواب فضية · لقـد عبرت القوات المصرية والسـورية خطوط وقف اطلاق النار فجأة يوم السبت ٦ أكتوبر · وقد أمسكت هذه العملية بالقيادة الاسرائيلية وهى عارية ، وتلك حقيقة لا تقبل الجدل » ·

وفى المعنى نفســه يقول هارولد سييف مراسـل الديلى تلجراف بالقاهرة يوم ٢٩ أكتوبر « لقـد غيرت الساعات الست الأولى من يوم ٦ أكتوبر ، عندما عبر الجيش المصرى قناة السويس واقتحم خط بارليف، غيرت مجرى التاريخ بالنسبة لمصر ، وبالنسبة للشرق الأوسط كله » ·

* **وعن كفاءة المقاتل العربى** اعترف موشى ديان فى محاضرة ألقاها فى النادى الهندسى بتل أبيب ونشرتها جريدة هامو دياع يوم ١ يناير ١٩٧٤ انه كوزير للدفاع لم يقدر فعالية وكفاءة الجنـــدى العربى القتالية حق قدرها اذ ظهرت على درجة أعلى بكثير جدا مما كانت بيانات ومعلومات المخابرات الإسرائيلية تؤكده للجميع ···

* **وعن الشرف والكرامة العربية** فقد ناشدت جريدة الصنداى اكسبريس اللندنية يوم ١٤ أكتوبر الرئيس السادات بوقف القتال ·· « بعد أن سلم الشرف العـربى ، وأصبح الرجل الذى يمكنه وقف النار صباح اليوم هو الرئيس السادات » ·

وكتب فى المعنى نفسه أديبنا الكبير الاستاذ توفيق الحكيم فى جريدة الأهرام القاهرية يوم ٩ أكتوبر قائلا « عبرنا الهزيمة بعبورنا الى سينا ٠٠ ومهما تكن نتيجة المعارك فان الأهم الوثبة ٠٠ فيها المعنى أن مصر هى دائما مصر ٠٠ تحسبها الدنيا قد نامت ولكن روحها لاتنام ٠ واذا هجعت قليلا فان لها هبة ، ولها زمجرة ، ثم قيام ٠٠ سوف تذكر مصر فى تاريخها هذه اللحظة بالشكر والفخر » ٠

ثم خرجت صحيفة المجاهد الجزائرية يوم ٢٣ أكتوبر باقتتاحية تقول فيها ٠٠ « ان الأمة العربية كلها تحس اليوم بفخر عظيم وشكر عميق لجيوش مصر وسوريا التى حققت للعرب أول انتصار لا رجوع فيه ، ومهما تكن النتائج النهائية للمعركة فسوف تبقى حقيقة أنها أنهت مهانة ١٩٦٧ ، وجددت الكرامة العربية » ٠

* وعن السبب الحقيقى وراء رضوخ اسرائيل لقرار ايقاف النيران قالت نيوزويك الأمريكية فى عددها الصادر يوم ٢٩ أكتوبر ٠٠ « من العوامل التى دفعت اسرائيل الى قبول وقف اطلاق النار أنها كانت تترنح وتئن تحت وقع خسائرها المروعة » ٠

* وعن كشف الأرباح والخسائر للجولة العربية الاسرائيلية الرابعة أذاعت وكالة ٠ ى ٠ ت ٠ يوم ١١ نوفمبر « ان المصادر العسكرية الأمريكية قد أكدت أن الميزان الاستراتيجى فى الشرق الأوسط قد مال بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ لصالح العرب » ٠

أما مجلة نيوزويك الأمريكية فقالت فى عددها الصادر فى اليوم نفسه « ان الحرب الأخيرة قد كلفت اسرائيل غاليا ، ولولا وقف النار لوجدت تلك الدولة الصغيرة نفسها وقد اقتصرت فى معيشتها على الكفاف ٠ ان الحزام مشدود الآن على البطون فى اسرائيل الى أقصى درجة ممكنة » ٠

وكتبت جريدة يوركشاير بوست يوم ١٥ أكتوبر تقول ٠٠ « ان هناك أمرا واحدا مؤكدا تماما الآن ، وهو أن العرب أصبحوا فى الوقت الحاضر فى مركز تفاوض أقوى بكثير مما كانوا عليه من أسبوع مضى ، وان اسرائيل قد أصبحت فى مركز أسوأ بكثير مما كان العرب أو أى أحد يعتقده ممكنا قبل بداية الحرب » ٠

ومن البنتاجون صرحت وكالة ى ٠ ب يوم ٢٩ أكتوبر بأن توقعات المسئولين العسكريين الأمريكيين تقدر الخسائر الأولية لاسرائيل فى حرب أكتوبر بحوالى ١٠٠٠ دبابة و ٢٠٠ طائرة وما بين ٨٠٠٠ الى ١٠٠٠٠ قتيل وجريح ٠

ومن تل أبيب أذاعت وكالة الأنباء الفرنسية يوم ١٩ أكتوبر ٠٠٠ « ان الشعور بالألم يسود شوارع اسرائيل حيث الوجوه مقطبة وجامدة ، ولم يحدث من قبل أن تركت حرب مثل هذا الشعور بالحسرة والمرارة فى

اسرائيـل . انه لم يعد يتردد فى اسرائيل اليوم سوى سيرة الموت هنا وهنـاك » .

مراحل النضـال

يعرف خبراء الحرب ان المعـارك تسير وفق ما خطط لها اذا كان التخطيط شاملا لأدق التفاصيل ومختلف الاحتمالات ...

لقد بلغت الثقة بالماريشال برنارد لو مونتجمرى فى خطته ان ذهب لينام فى موعده المعتاد والمعركة الفاصلة على وشك الاشتعال ... وكان مرد هذه الثقة جهدا خارقا للعادة بذله وهيئة أركانه فى التخطيط للهجوم الذى لم يترك شيئا للظروف ...

وعلى الطرف الآخر يذكر خبراء الحرب ان هناك معارك أخرى ما ان بدأ فيها القتال حتى خرج عن الطوع وسار على نقيض ما كان يرجى له بسبب قصور التخطيط وسطحيته أو ضعف التدريب عليه ...

ولكن حرب رمضان كانت قمة فى التخطيط والتدريب ، ولهـذا سارت مراحلها طبقا للخطة ، حتى دخول الولايات المتحدة الأمريكية بكل ثقلها الى جانب اسرائيل ، فكان طبيعيا أن يحدث التحول عن الخطة ...

والحرب تنقسم الى مراحل طبقا لتوزيع المهام التعبوية على التشكيلات القائمة بالتنفيذ فهناك مرحلة تنفيذ **المهمة الأولى** التى اقتصرت فى حالتنا هـذه على اقتحام القنـاة واقامة خمسة رءوس كبارى فرق على الضـفة الشرقيـة ثم توحيدها فى رأس كوبريين لجيشين ميدانيين ، ثم **المهمـة الثانية** التى اشتملت على تحطيم الهجمات والضربات المضادة والتشبث برءوس الكبارى المكتسبة ، ثم **المهمة الثالثة** التى تبلورت فى استغلال النجاح وتعزيز الأرض المكتسبة .

هكذا كانت المراحل الثلاث المخططة لحرب رمضان على جبهة القناة ، الا أن ديناميكية القتال أضافت اليها مرحلتين عند التنفيذ ، كانت الأولى منهما لتخفيف ضغط قوات العدو على جبهة شقيقة ، وكانت الثـانية لدخول قوة عظمى شريكا بكل ثقله لمؤازرة العدو ....

هـكذا ، وعلى امتداد ثلاث وعشرين يوما من القتال الضارى النشـــط ، فيما بين السـاعة الثانية وخمس دقائق يوم ٦ أكتوبر ، عنـدما انطلقت طائرات العرب تشق عنان السماء ، وهدرت مدافع العرب تدك حصون إسرائيل ، وحتى الساعة ١٢٣٠ ظهر يوم ٢٨ أكتوبر عندما توقفت نيران الجولة الرابعة بين العرب واسرائيل،

قطاع رَأسى فى إحدى النقط الحصينة

(.... ويتكون خط بارليف من ٢٢ موقعاً حصيناً ، تضم ٣١ نقطة قويّة)

خريطة قناة السويس

طرق رئيسية
سكك حديد
ترع مياه عذبة
مواقع حصينة للعدو

انقســم القتال طبقــا لحجمه وطبيعته الى خمس مراحل متميزة هى :

● **المرحلة الأولى ولمدة ثمانية أيام فيما بين ٦ ، ١٣ أكتوبر :**

وتم خلالها اقتحام قناة السويس ، واحتلال خط بارليف الحصــين وقلاعه القوية ، والاستيلاء على رءوس الكبارى للألوية ثم الفرق ثم الجيوش الميدانية وتعزيزها •

وبدأت هذه المرحلة بتوجيه الضربة الجوية المفاجئة المركزة العربية ، وبالتمهيــد النيرانى الكثيف على كل من جبهتى القتال ، بدرجة عالية من التنسيق نوهت عنهــا الدوائر العســكرية الأمريكية يوم ١٠ أكتوبر ، ونقلتها عنها وكالة الأنباء الفرنســية الى كافة أرجاء المعمورة بقولها •• « لقد نسقت مصر وسوريا جهدهما العسكرى بصورة رائعة لم يسبق لها مثيل من قبل ، كما أنهما استوعبتا كافة دروس الجولات السابقة » •

كما أكدت الجارديان البريطــانية فى اليوم نفسه •• « ان الجيش المصرى والسورى قد برهنا أنهما أفضل تدريبا وأحسن تشكيلا واستعدادا وأشد جلدا وأفضل عتادا عما سبق » •

وعنــدما أشارت عقارب الساعة الى الثانية والثلث كانت الأمواج الأولى من طائراتنا تعبر القناة عائدة من مهامها الناجحة ، بعد أن قصفت أهدافها فى عمق سيناء حتى حطمتها •

وفى اللحظة نفسها إمتلأ المكان بصيحات ثمانية آلاف من المقاتلين البواسل•هم مهجة مصر وفلذة كبدها•يهللون بأعذب الكلمات وأسماها •• الله أكبر •• الله أكبر •• وامتلأت صفحة الماء بقوارب المطاط •• واندفعت موجات الاقتحام الأولى والعيون تحلق من المقل شوقا الى الرمال الذهبية الحبيبة • التى امض القلوب لوعة الحنين اليها • وعنــدما وصل الرجال الى الضــفة الشرقية •• كانت اللحظة ، وكان الحدث اللذين طال انتظارهما ••

وانطلق الجنود البواسل يصعدون ساترا ترابيا مليئا بكل ما تفتق عنه ذهن الصهاينة الجهنمى من شراك ومفجرات وألغــام ، ثم تحولوا الى قلاع خط بارليف يهدمونها بأسلحتهم تارة ، وبسواعدهم تارة أخرى ، وبأنيابهم وأظافرهم أكثر الوقت ••

واستمرت صيحتهم تملأ الأسماع •• الله أكبر •• الله أكبر •• والفيض لا ينقطع من الأمواج اللاحقة ، تقتحم وتنضم اليهم على أغلى ثرى فى أشرف مهمة • حتى تم لهم الاستيلاء على رءوس كبارى الألوية ثم الفرق المشاة ، الى أن وحدوها جميعا فى رأس كوبريين لجيشين ميدانيين •

● **المرحلة الثانية ولمدة يوم واحد هو يوم ١٤ أكتوبر :**

وتم فيهــا تطوير الهجوم شرقا نحو مضايق سيناء الغربية بهــدف تخفيف ضغط قوات العدو البرية والجوية على الجبهة السورية الشقيقة ، وجــذب جهد العدو الرئيسى نحو سيناء ٠٠ وبمجرد أن أيقنت القيــادة الاتحادية من تحقيق ذلك ، وبعد أن حول العدو مجهوده الجوى صوب مصر ، وبدأ فى تحــريك احتياطياته المدرعة الى ســيناء ، رأت أنه من الحــكمة والحذق أن تشدد قبضتها على رءوس الكبارى المكتسبة عبر القناة ، وأن تواصل دعمها حتى تجعل منها الصــخرة المنيعة التى تتحطم عليها كل أمواج العدو المهاجمة ، بالغا ما بلغت قوتها وكثافتها ، على أن يؤجل تطوير الهجوم شرقا لمرحلة تالية طبقا للخطة الموضوعية مسبقا ٠

● **المرحلة الثالثة ولمدة ثلاثة أيام فيما بين ١٥ ، ١٧ أكتوبر :**

وتم خلالها صــــد وتدمير كافة هجمات العدو وضرباته المضادة التى ركزها ضد رءوس الكبارى شرق القناة ، وبصفة خاصة على الجانب الأيمن للجيش الثــانى الميدانى ، فى محاولة مستميتة لتصفية رأس كوبرى هذه الفرقة الباسلة ، ثم الجيش الثــانى بالتالى ، توطئة لاعادة الاستيلاء على شريحة من الضفة الشرقية شمال البحيرات المرة لستر عبور بعض مفارزه المدرعة الى الضفة الغربية لتدمير ما يمكن تدميره من مواقع صواريخ الدفاع الجوى ، الى جانب ما يمكن أن تحققه مثل هذه العملية التليفزيونية كمــا أسماها الجنرال الفرنسى أندريه بوفر من كسب اعلامى ترفع به الروح المعنوية المنهارة فى اسرائيل ، وتحجب بعض آثار الأعمال الحربية المجيدة التى حققتها القوات العربية المسلحة على جبهتى مصر وسوريا فى المرحلتين السابقتين ، والتى كانت قد هبطت بمعنويات شعب اسرائيل الى الحضيض٠

● **المرحلة الرابعة ولمدة خمسة أيام فيما بين ١٨ ، ٢٢ أكتوبر :**

وتم خلالها ادارة أعمال القتال النشــطة على الضــفة الغربية لقناة السويس فى القطاعين الأوسط والجنوبى بين الطرفين المتصارعين ، حيث راح العدو يدفع بمزيد من القوات الى الغرب ، ويحاول بكل السبل توسيع رقعته غرب القنــــاة ، ثم الاستيلاء على احدى مدن القناة الرئيســـية (الاسماعيلية أو السويس) بأى ثمن ، ومهما بلغت الخسائر ٠٠

وإشتبكت القوات المصرية فى قتــال ضار مع العــدو شرق وغرب القنــاة ، وقصفته بالطائرات والصواريخ والمدفعية ، وهاجمته بالمدرعات والمشاة والقوات الخاصة والدفاع الشعبى ، لحصره وتثبيته ، توطئة لاتمام تدميره ، على حين استمرت تتمسك بقوة واصرار برءوس الكبارى المقامة على الضــفة الشرقية ٠٠

ثم جاء قرار وقف اطلاق النار الذى أصدره مجلس الأمن يوم ٢٢ أكتوبر بمبادأة وضمان الدولتين الكبرتين (الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى) ، وتأييد المجتمع الدولى بأكمله ٠٠ وأعلنت الأطراف المتحاربة عن قبوله بحيث تسرى أحكامه على القوات فى مسرح العمليات فى تمام الساعة ١٨٥٢ يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ ٠

● المرحلة الخامسة ولمدة ستة أيام فيما بين ٢٣ ، ٢٨ أكتوبر :

قبلت اسرائيل القرار وهى تضمر العدوان ٠٠ وكان وقف النار هو التأمين المنشود لما تعتزم شنه من عدوان جديد ، والإنتشار فى حمى قرار وقف اطلاق النار ، على حد تحليل الجنرال أندريه بوفر لأحداث هذه المرحلة فى ندوته التى عقدها بأكاديمية ناصر العسكرية العليا صباح يوم الخميس ١٥ نوفمبر ١٩٧٣ ٠

نعم ٠٠ إستغلت إسرائيل القرار لتأمين مغامرتها الجديدة حتى تجعل من موقفها الميئوس منه غرب القناة وضعا محتملا وقابلا للاستمرار٠٠

ولهذا راحت قواتها تضغط بجنون نحو مدينة الاسماعيلية ، فلما فشلت ٠٠ تحولت عنها الى السويس ٠٠ وتزايدت خسائرها بصورة رهيبة ٠٠ الى أن أعلنت عن قبولها إيقاف النار صباح ٢٥ أكتوبر ، وان إستمرت فى القتال حتى فصل مراقبو الأمم المتحدة بين جنودها وجنود مصر ظهر يوم ٢٨ أكتوبر ١٩٧٣ ٠

***

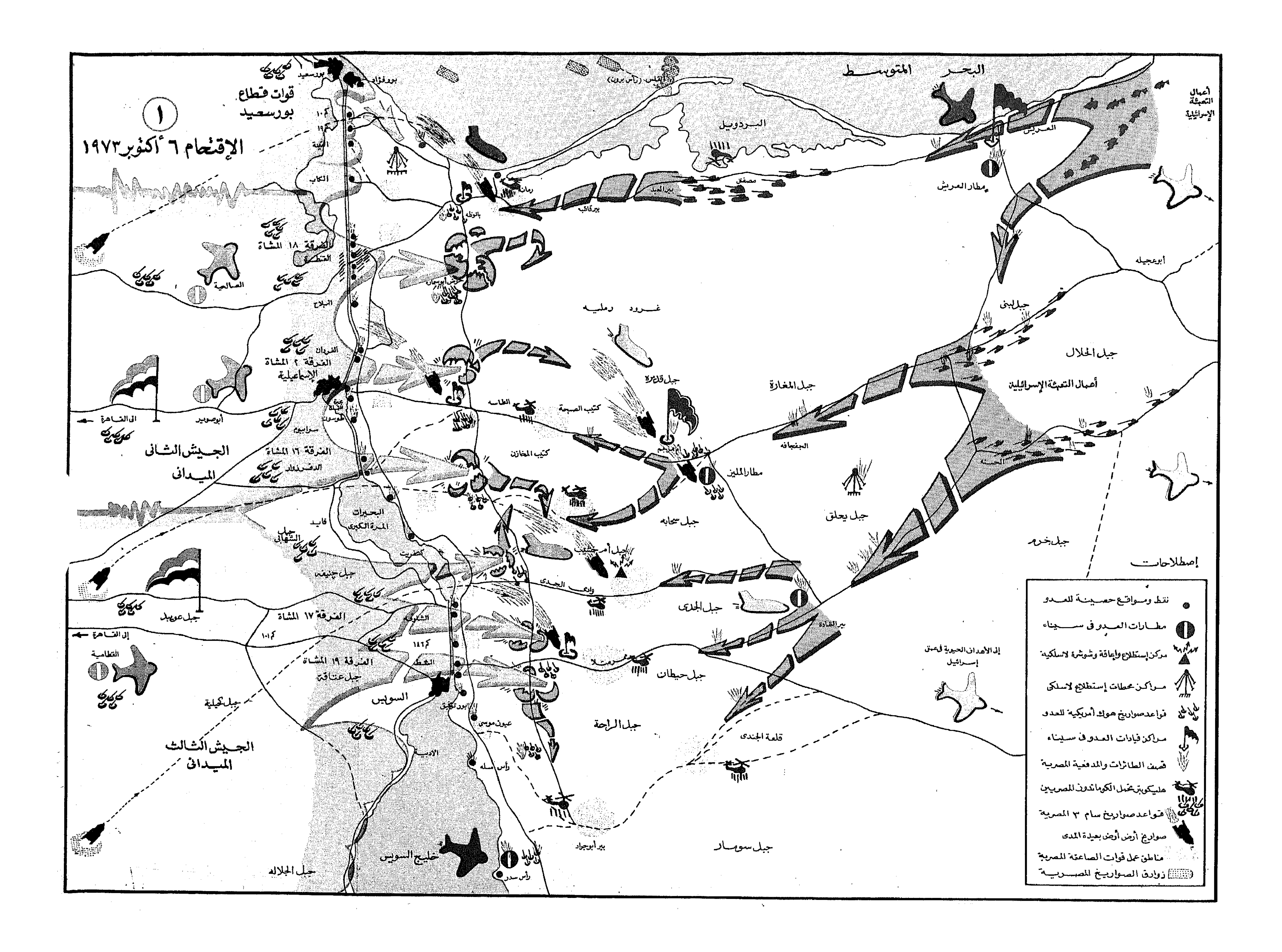
لقد كانت الجولة الرابعة هى المرة الأولى التى مارس فيها العرب العمل التعرضى وانتزعوا المبادأة من اسرائيل ، بعد صبر طال أمده وتجاوزت سنواته ربع قرن ٠

وبفضل التخطيط الحاذق والحشد المكتوم والفتح الماهر وشجاعة الرجال تهاوت نظريات وقامت نظريات ، وسقطت عقائد وارتفعت عقائد ، واحتجبت استراتيجيات وبرزت استراتيجيات ٠

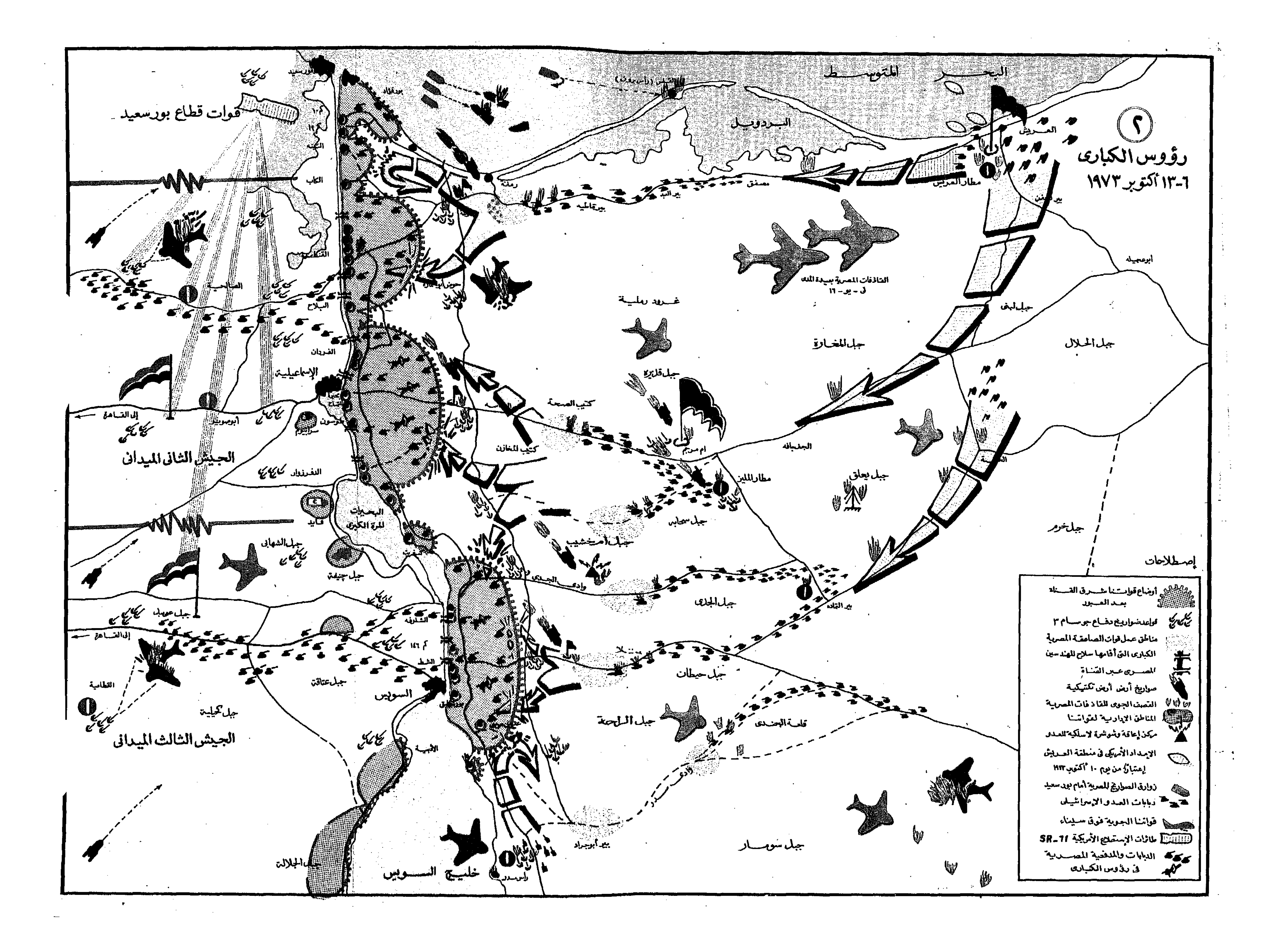
ولم تعد صنعة الحرب قبل السادس من أكتوبر تماثل صنعتها بعده ، اذ صرح الجنرال ارمين زيمرمان المفتش الأعلى لجيش ألمانيا الاتحادية يوم أول نوفمبر « بأن القوات المسلحة الألمانية تقوم بتحليل الجولة العربية الإسرائيلية الرابعة حتى تطبق الدروس المستفادة منها لتزيد من فاعلية قواتها المسلحة ، وأن ثمة ٣٥٠ ضابطا من قادة الجيش الألمانى خرجوا من هذا التحليل بدروس هامة » ٠

أما مراسل مجلة الأوبزرفاتور الفرنسية فيقول ٠٠ « ان الجولة الرابعة بين العرب واسرائيل قد أثبتت أنها أحد الأحداث الخمسة أو الستة

الهامه في التاريخ الحديث ، ويمكن ان نضعها على قدم المساواة في أهميتها السياسية والفلسفية الى جانب الفتوحات الاسلامية الكبرى في العصور الوسطى ، ومع النهضة التى حققها خلفاء بني أمية ، ومع دحر الصليبيين ، والنهضة العربية والمصرية ، وتأميم قناة السويس • وهى قطعا ليست مجرد نصر عسـكرى ، ولكنها خطوة حاسمة قد تضع حدا فاصلا لأفول نجم العرب الذى استمر خمسة قرون » •



١
الإقتحام ٦ أكتوبر ١٩٧٣
قوات قطاع بورسعيد
البحر المتوسط
البردويل
العريش
مطار العريش
أعمال التعبئة الإسرائيلية
بورسعيد
بورفؤاد
الكاب
رمانة
بالوظة
بيركاتب
بير العبد
مصفق
الفرقة ١٨ المشاة
القنطرة
الصالحية
البلاح
الفردان
الفرقة ٢ المشاة
الإسماعيلية
أبو صوير
إلى القاهرة
سرابيوم
الفرقة ١٦ المشاة
الدفرسوار
الجيش الثانى الميدانى
غرود رمليه
أبو عجيله
جبل لبنى
جبل الحلال
أعمال التعبئة الإسرائيلية
جبل المغارة
جبل قدره
الطاسه
كثيب الصبحة
كثيب المخازن
مطار المليز
الجفجافة
جبل سحابه
جبل يعلق
جبل خرم
البحيرات المرة الكبرى
فايد
جبل الشهابى
جبل جنيفه
جبل أم خشيب
وادى الجدى
جبل الجدى
بير الثمادة
جبل عويبد
الفرقة ١٧ المشاة
إلى القاهرة
كم ١٠١
الشلوفة
القطامية
الفرقة ١٩ المشاة
جبل عتاقة
السويس
بور توفيق
عيون موسى
جبل حيطان
جبل الراحة
قلعة الجندى
إلى الأهداف الحيوية فى عمق إسرائيل
الجيش الثالث الميدانى
رأس سدر
خليج السويس
جبل الجلالة
بير أبو جراد
جبل سومار
إصطلاحات
نقط ومواقع حصينة للعدو
مطارات العدو فى سيناء
مركز إستطلاع وإعاقة وشوشرة لاسلكية
مراكز محطات إستطلاع لاسلكى
قواعد صواريخ هوك أمريكية للعدو
مراكز قيادات العدو فى سيناء
قصف الطائرات والمدفعية المصرية
هليكوبتر تحمل الكوماندوز المصريين
قواعد صواريخ سام ٣ المصرية
صواريخ أرض أرض بعيدة المدى
مناطق عمل قوات الصاعقة المصرية
زوارق الصواريخ المصرية


٢
رؤوس الكبارى
٦-١٣ أكتوبر ١٩٧٣
البحـر المتوسـط
البردويل
العريش
مطار العريش
مصفق
بير العبد
بير قاطيه
قوات قطاع بورسعيد
القنطرة
البلاح
الفردان
الإسماعيلية
إلى القاهرة
أبوصوير
الجيش الثانى الميدانى
البحيرات المرة الكبرى
فايد
جبل الشهابى
جبل جنيفة
جبل عويبد
الشلوفة
السويس
جبل عتاقة
جبل كحلية
القطامية
الجيش الثالث الميدانى
الأدبية
جبل الجلالة
خليج السويس
رأس سدر
الطائرات المصرية بعيدة المدى ت - يو - ١٦
غرود رملية
جبل المغارة
جبل الحلال
جبل لبنى
أبو عجيلة
جبل قليرة
كثيب الصحة
كثيب المخازن
ام مرجم
الجفجافة
مطار المليز
جبل يعلق
جبل سحابى
جبل أم خشيب
وادى الجدى
جبل الجدى
بير التمادة
جبل خرم
جبل حيطان
جبل الراحة
قلعة الجندى
جبل سومار
إصطلاحات
أوضاع قواتنا شرق القناة بعد العبور
قواعد صواريخ دفاع جو سام ٣
مناطق عمل قوات الصاعقة المصرية
الكبارى التى أقامها سلاح المهندسين المصرى عبر القناة
صواريخ أرض أرض تكتيكية
القصف الجوى للقاذفات المصرية
المناطق الإدارية لقواتنا
مركز إعاقة وشوشرة لاسلكية للعدو
الإمداد الأمريكى فى منطقة العريش إعتباراً من يوم ١٠ أكتوبر ١٩٧٣
زوارق الصواريخ المصرية أمام بورسعيد
دبابات العدو الإسرائيلى
قواتنا الجوية فوق سيناء
طائرات الإستطلاع الأمريكية SR-71
الدبابات والمدفعية المصرية فى رؤوس الكبارى

الفصل الأول

تحطيم الأسطورة

المرحلة الأولى للعمــــلية الهجومية الاستراتيجية «بدر» اقتحـــام قنـــاة الســويس والاستيلاء على رءوس الكبارى وتعزيزها ..

٦ ـ ١٣ أكتوبر ١٩٧٣

اروع الأيام

**● بدأ القتال ســعت ١٤٠٥ بعبور طائراتنا الخطوط الأمامية للعدو شرق القناة والبــدء في تنفيذ الضربة الجوية المفاجئة المركزة بقوة ٢٥٠ طائرة ضــد أهداف العدو فى سيناء ، والتى تضمنت ثلاثة مطارات وقاعدة جــوية ، وعشرة مواقع صواريخ هوك ، وثلاثة مراكز قيــادة وســيطرة واعاقة الكترونية وبعض محطات الرادار ، وموقعى مدفعية بعيــدة المدى ، وثلاث مناطق شئون ادارية ، وحصــون بارليف شرقى بور فؤاد .
وقد نجحت هذه الضربة الجوية تماما وكانت خسائرنا فيها محدودة للغاية .**

وفى الوقت نفســه فتحت المدفعيــة المصرية نيرانها على طول جبهــة قناة السويس ، وبلغ اجمالى قطع المدفعية المشتركة فى التمهيد النيرانى

أكثر من ألفي مدفع وهاون ، بالاضافة الى لواء صواريخ تكتيكية أرض/أرض •

واستمرت المدفعية تصب حممها لمدة ٥٣ دقيقة على قلاع خط بارليف الحصين ، ونقطه القوية ؛ وتجمعات دبابات العدو ؛ وقيادته ، هذا على حين راح عدد كبير آخر من المدافع يطلق نيرانه بالتنشين المباشر على دشم العدو وأهدافه المنظورة •

وتحت ستر هذه النيران الكثيفة عبرت جماعات الصاعقة ومفارز اقتناص الدبابات شرقي قناة السويس ، لتبث الألغام فى مصاطب دبابات العدو ، وتشل حركتها بالكمائن ، حتى تمنعها من التدخل فى اقتحام قواتنا لقناة السويس •

وفى الساعة ١٤٢٠ بدأت الموجات الأولى لخمس فرق مشاة وقوات قطاع بور سعيد فى اقتحام قناة السويس ، مستخدمة حوالى ألف قارب اقتحام مطاط ، وبعد عدة دقائق وضع ثمانية آلاف جندى أقدامهم على الضفة الشرقية وهم يهللون بملء حناجرهم •• الله أكبر •• الله أكبر •• وبدءوا فى تسلق الساتر الترابى المرتفع ، واقتحام دفاعات العدو الحصينة، وهم يحملون أسلحتهم الشخصية ، والأسلحة الخفيفة المضادة للدبابات •

وسرعان ما رفرفت أعلام مصر فوق سيناء الحبيبة ، فارتفع أول البنود فى الساعة ١٤٣٠ فى نطاق هجوم الجيش الثالث الميدانى ، ثم فى الساعة ١٤٣٧ فى نطاق هجوم الجيش الثانى الميدانى ، فكان دفعة معنوية هائلة للقوات اللاحقة أن تسرع بالعبور ، وفى الوقت نفسه كانت الكتائب البرمائية تعبر البحيرات المرة من الجنوب ، وبحيرة التمساح عند الاسماعيلية •

وفى الساعة ١٤٤٠ اقتربت بعض طائرات العدو فى مجموعات زوجيه وفرادى وعلى ارتفاعات منخفضة لقصف قواتنا أثناء اقتحامها قناة السويس ، وأسقطنا أول طائرة اسرائيلية فى الساعة الثالثة الا عشر دقائق •

وقامت القوات بحصار نقاط العدو القوية ومراكز مقاومته وقلاعه الحصينة ، وبدأت مهاجمتها وتدمير تحصيناتها ، وسقطت أولى حصون العدو ـ القلعة رقم ١ ، فى منطقة القنطرة ـ فى الساعة ١٥٠٠ تماما واستمرت القلاع تتهاوى بعدها فسقطت القلعة رقم ٢ جنوب البحيرات فى الساعة ١٥٢٥ ثم القلعة رقم ٣ فى الكيلو متر ١٤٦ الساعة ١٥٣٨ ومعها القلعة رقم ٤ ، ٥ فى الشط والقلعة رقم ٦ فى الجباسات ، ثم أعقبها القلعة

رقم ٧ فى الفردان فسقطت فى الساعة ١٦٢٠ ، ثم القلعة رقم ٨ عند علامه الكيلومتر ١٠ جنوب بور فؤاد التى قدمنا عنها وصفا كاملا فى الصفحه ٧٢ آنفا ، وسقطت هـذه القلسة الحصـينه فى تمام الساعه ١٧٠٠ ، وفى الوقت نفسه سقطت أيضا القلعة رقم ٩ الى الجنوب منها ، وبعدها بنصف ساعة سقطت القلعة رقم ١٠ عند الكيلومتر ١٩ وسقطت معها القلعة رقم ١١ عند الكاب · ولم تمر خمس دقائق بعد ذلك حتى سقطتا القلعتين رقم ١٢ ، ١٣ جنوب القنطرة ومعهما القلعة رقم ١٤ شمال البلاح ·

وصدت قواتنا ودمرت هجمات العدو المضـــادة المحلية ــ وحتى الساعة ١٥١٠ كانت عناصر دفاعنا الجوى قد أسقطت للعدو أربع طائرات فى الجبهة ·

وتحت ستر قوات المشاة ونيران المدفعية تقدمت وحدات المهندسين العســكريين ، وقامت بفتح الممرات اللازمة فى الســاتر الترابى وذلك باستخدام مضخات المياه القوية (مدافع الميـاه) ، وأتمت فتح أول ممر منها فى زمن قياسى لم يتجاوز الساعة ، ثم استكملت فتح باقى الممرات على طــول المواجهه فى الساعة ١٥٢٥ · وفى أثناء ذلك كانت وحدات أخرى من المهندسين تقوم باسقاط معدات (براطيم) المعديات والكبارى وتقيمها فوق مياه القناة ··

ونجحت قواتنا فى اقامة عدد كبير من المعديات ، كما انشـــات ١٠ كبارى ثقيلة و ١٠ كبارى مشاة · وبدأ تدفق الدبابات والمعدات الثقيلة من الأرض المصرية فى الغرب الى الأرض المصرية فى الشرق ·· وســار العمل دقيقا بأكثر مما توقعه أحد ·· وأثبتت الخطـــة كفاءتها ، وكانت المهام تنفذ بجسارة واقتدار · وحتى الساعة ١٥٢٩ كانت عناصر دفاعنا الجوى قد أسقطت للعدو سبع طائرات بين فانتوم وسكاى هوك ··

وفى الساعة ١٥٥٠ استأنفت اذاعة اسرائيل ارسالها بعد صـــمت طويل منذ الصباح الباكر مراعاة لطقوس عيد الغفران ، وأصـدرت نداء سافرا لقواتها الاحتياطية للتوجه فورا الى مراكز التعبئة والحشد · وفى الساعة ١٦٠٠ شعرت القيادة الجوية الاسرائيلية فى أم مرجم بأن قصف الطائرات والصواريخ المصرية للمنطقة قد أخل بالسيطرة من مركز القيادة فى هذه المنطقة ، فقررت نقل السيطرة على القوات الجوية الى العريش ·

وفى الشمال ــ على ساحل البحر الأبيض المتوسط ــ قام جزء من قوات قطاع بور سعيد بهجوم مخادع على قلعة العدو الحصينة الموجودة شرق بور فؤاد ، وذلك لجذب اهتمام العدو بعيدا عن القوات التى تقتحم

القناة فى أصعب أماكنها بالمواجهة . ولما كان الطريق الســـاحلى يؤدى مباشرة الى مركز قيادة العدو الموجود فى منطقة رمانة ؛ فقد كان من المنتظر أن يوجه العدو جزءا محسوسا من احتياطياته المدرعة لايقاف هجوم أى قوات مصرية على هذا الطريق الساحلى ، وكذا توجيه جزء كبير من مجهوده الجوى هناك ..

ولقد صحت توقعات القيادة المصرية هذه ، اذ دفع العدو احتياطياته المدرعة الموجودة فى رمانة لنجدة تلك القلعة الحصينة ، ووجه مجهوده الجوى هناك .. وبذا تمكن ذلك الهجوم المخادع من تحقيق أهدافه ..

وظلت القوات المكلفة بقطع الطريق الساحلى شرق القلعة الحصـينة متمسكة بمواقعها لتمنع اقتراب اى قوات للعدو وذلك لمدة يومين ، بالرغم من صغر حجمها ، اذ لم تزد قوتها عن فصيلة من الصاعقة .. وعادت بعد ذلك لتنضم الى قوات قطاع بور سعيد ، ومعها أسراها وغنائمها ، متسللة خلال قوات العدو ..

وفى الوقت نفسه كانت وسائل دفاعنا الجوى قد حطمت للعدو ١١ طائرة فى الجبهة المصرية ، وبعد ٤٠ دقيقة ارتفع هذا العدد الى ١٣ طائرة مما أزعج كثيرا قائد القوات الجوية ، الجنرال بنيامين بيليد ؛ فأمر طياريه فى الساعة ١٧٠٠ بتحاشى الاقتراب من القناة لأقـــل من ١٥ كيلومتر شرقا ، وذلك باشارة لاسلكية مفتوحة التقطتها أجهزتنا الخاصة ، وعندما عاودت طائرات العدو نشـــاطها بعد ذلك كانت صـــواريخنا تقف لها بالمرصاد .

ويبين طبيب حصن مفنساح الملازم دان بيليج تأثير هذه الصواريخ على طائرات اسرائيل ، فيقول فى عدد معاريف يوم ١ نوفمبر ١٩٧٤ .. «كان من أشق الامور رؤية طائراتنا وهى تتحطم فى الســماء نتيجة اصابتها بالصـــواريخ المصرية .. لقـــد كانت السكاى هوك هى أشدها عرضة للاصابة ، وكم أحزننا أن نراها تنطلق غربا فى جمـــاعات لتعود بعدئذ فرادى أو لا تعـــود أبدا . لقد كان ذلك شديد التأثير على معنوياتنا التى زادها كمدا تلك السيمفونية التى راح الدفاع الجوى المصرى يعزفها بكل اقتدار ، والتى تعجز الكلمات عن وصفها .

أما عن جنود العدو فبمجرد أن أطبقوا على مواقعنا حدث لنا جميعا نوع من اليقظ ، اذ أدركنا لحظتها صـــورة جديدة للمقاتل المصرى الذى يستحيل صده ، والذى لا يتوقف أمام أى عائق .. » .

وهكذا اخلف الجنرال بيليد وعده وفشل في تنفيذ أى من خططه الخمس الموضوعة مسبقا لتدمير حائط الصواريخ المصرى بمجرد اشتعال القتال ٠

وقبل آخر ضوء السادس من أكتوبر كانت عشرات من طائرات الهليكوبتر المصرية تعبر القناة وخليج السويس وهى تحمل مجموعات من قوات الصاعقة ، صوب أهدافها المخصصة لها على طول المواجهة ، وعلى أعماق مختلفة وصلت الى ٣٠ ــ ٤٠ كيلو مترا ٠٠ وتم ابرار تلك القوات بنجاح ، وبدأت فى تنفيذ مهامها المحددة فانزلت بالعدو خسائر جسيمة ٠ وحرمت مدرعاته من حرية الحركة ٠٠

وفى الساعة ١٧١٠ وقع أول ضباط العدو أسيرا فى يد قواتنا فى منطقة جسر الحرش شمال الاسماعيلية ٠٠ وفى الساعة ١٨٢٩ أخطرت رياسة الأركان العامة الاسرائيلية قيادتها المرءوسة بالقنطرة عن انقطاع الاتصال مع قيادة جبهة سيناء الوسيطة ، وكلفتها أن تحل محلها فى قيادة كافة قوات اسرائيل على الجبهة المصرية ، الى حين أن تستعيد قيادة سيناء سيطرتها على هذه القوات ، بعد اصلاح وتعويض ما حطمته الطائرات والصواريخ المصرية من أجهزة ومعدات اشارة وسيطرة فى غاراتها المركزة عليها ٠

وفى أقل من ست ساعات ٠٠ وبالدقة فى الساعة ١٩٣٠ أتمت الفرق الخمس المشاة وقوات قطاع بور سعيد اقتحام قناة السويس على مواجهة ١٧٠ كيلو مترا ، بقوة ٨٠ ألف جندى من أعز أبناء مصر ، وذلك باستخدام قوارب الاقتحام المطاط ، ووسائل العبور والاقتحام الأخرى ، فى ١٢ موجة متتالية ٠٠ وأتمت الاستيلاء على ١٥ نقطة قوية للعدو فيما بين الساعة ١٥٠٠ والساعة ١٧٣٥ من هذا اليوم المجيد ، وأكملت حصار باقى النقط القوية ، كما تمكنت قواتنا من الاستيلاء على رءوس الكبارى بعمق حتى ٣ ــ ٤ كيلو مترات ٠

ابراج الحمام تتهاوى :

ويصف هذه الأحداث المقدم روبين قائد الكتيبه الشمالية من القطاع الدفاعى الذى كان يحتله اللواء الاورشليمى بقيادة العقيد بنحاس ، فيقول ان أغلب أفراد حصون بارليف نزلوا الى المخابىء العميقه بمجرد أن انهالت عليهم قذائف المدفعية المصرية ، اعتقادا منهم أن الأمر مجرد تراشق آخر بالنيران ، ولهذا لم يتركوا فى الخارج سوى بعض رجال

المراقبة لاعطاء التقارير عما يحدث ، وقـد وقعـوا لقمة سائغة لموجات الهجوم التى باغتتهم وهم فى قاع الملاجىء .....

ثم يمضى المقدم روبين في استعراض ما حدث عصر ومساء السادس من أكتوبر فيقول ، ان كل حصن كان يحتاج منه الى خمس دقائق كامله من الجدل بالتليفون حتى يدرك رجاله أنها الحـرب الحقيقية ، وقد أمرهم جميعا بتنفيذ خطة أبراج الحمام التى كانت المدرعات المتأهبة فى العمق القريب ركيزة نجاحها ، اذ وقع عليهـا عبء سد الثغرات بين الحصون ... وعندما بدأت هذه الدبابات تتقدم نحو ضفة القناة الشرقية ، واستمع روبين الى تقارير قادتها على أجهزة اللاسلكى ، ساوره القلق ..

كانت الدبابات المصرية على الضفة الغربية تصب نيرانها المحكمة ، وكذا نيران الصواريخ المضادة للدبابات ، فتحصد دبابات روبين كمـا يحصد المنجل أعواد القمح ، وزاد من خطورة الموقف ان كمائن القـوات الخاصة المصرية كانت قد وصلت الى المصاطب الاسرائيلية على الضـفة الشرقية قبل أن تصل اليها دبابات الجنرال مندلر ، ومن ثم وقعت ضحية لنيران هذه الكمائن ..

ولم ينج من هذه الدبابات سوى اثنتين فحسب ، سارعتا بالانسحاب شمالا بشرق ، وظلتا تتقهقران حتى وصلتا الى حصن « بوادبست » فى أقصى الجبهة ، على اللسان الرملى شرق بور فؤاد . الا ان هجوم المصريين على هذا الحصن كان مجرد هجوم خداعى كما أظهرت الأحداث التالية ..

وتوالت البلاغات على روبين تصف تفاصيل اكتساح موجات الاقتحام المصرية لحصونه ، على حين كانت مئات زوارق المطاط والاطواف تجتاز صفحة القناة جيئة وذهابا ، فى سرعة خارقة وتكرار رتيب ... ودار فى ذهن روبين ان المصريين لابد قد اجروا مئات التجارب حتى وصلوا الى هـذا المستوى الرفيع من الحنكة فى العبور .

وبدى لروبين ان الكارثة لم يعد فى الامكان درؤها بعد أن قتل أغلب قادة حصون بارليف .. فعندما اتصل بقائد حصن « كتوفاه » فى أقصى شمال الساتر الترابى شمال القنطره رد عليه العريف زفولون ، وأبلغه بصوت مرتعش ان الملازم أول ستار قد قتل هو وأغلب الجنـود ، وان طائرات اسرائيلية كثيرة قد تهاوت قـرب الحصن ، بعد ان اصـابتها الصواريخ المصرية ومزقتها .. . يتحول المقدم روبين الى العقيد بتحاس قائد اللواء يلتمس منه العون ، والح عليه ان يرسل التعزيزات على وجه السرعة ..

ولكن بنحاس اعتذر بأنه لا يملك دبابة أو مدفعا واحدا وأنه لا يرى فائدة من توقع وصول أية مساعدة حيوية ، وليس أمام الحصون الا الصمود أو الاستسلام ..

وارتفعت وتيرة الاقتحام المصرى فأسرع روبين الى الاحتماء بالأرض السبخية فى أقصى شمال قطاعه الدفاعى ، حتى يجنبه الطين اللزج شظايا قنابل المصريين التى ملأت الجو ، ولم يتوقف عن طلب النجدة من بنحاس الذى زادت لهجته حدة .. وبنفاد صبر أمره ألا يتصل به مرة أخرى فى هذا الشأن ، وطمأنه أنه سوف يدفع بعض التدعيمات اليه من لواء العقيد جابى الذى أرسله الجنرال مندلر قائد مجموعة العمليات المسئول عن الجبهة لانقاذ ما يمكن انقاذه .. وبمرور الوقت تبين لروبين ان لواء جابى هو الآخر قد انهار ، فقد توالت استغاثة قادة وحداته من نيران المصريين المحكمة التى تنهال على الدبابات من حيث لا يدرى أحد ..

وفى أقصى شمال خط بارليف كان حصن « أوريكل ١ » بقلاعه الثلاث الأسطورية يعلن باللاسلكى ان الحالة قد تجاوزت حد الخطر .. وان الحصن فى مسيس الحاجة الى مساعدة عاجلة . وتوجه الملازم دافيد ابودرهم تحت ضوء القمر الساطع لتفقد الحالة ، وبدأ بالقلعة الاولى من الحصن المعروفة « بأوريكل ١ » ، فوجدها مهجورة ، وقد تجمع من بقى حيا من حاميتها داخل دشمة واحدة ، وهم فى حالة هستيريا ... وفى «أوريكل ٢» وجد جاد سمويخ قائد القلعة ميتا ، وكذا قائد « أوريكل ٣ » الملازم أوز عزرا .. وقبل أن يتم المرور على كل أجزاء الحصن المنيع باغته المصريون باقتحام القلاع الثلاث وعملا بما تلقاه من تدريب ، قفز الى ذهنه ضرورة شن الهجوم المضاد ، ولكن الواقع أظهر له استحالة ذلك ، فقد كان جنوده يرقدون على الأرض ، وأجسامهم تنتفض من الخوف .

ولما بلغ اليأس بروبين منتهاه وهو جالس فى مخبئه وسط الطين اللزج ، قفل عائدا للخلف حيث كان الجنرال كالمان ماجن يتولى القيادة ، وما ان وقع بصره عليه حتى الحف فى طلب الغوث ، ولكن ماجن اخبره أنه لا يمتلك شيئا يستطيع به فك الحصار عن الحصون . وخيم الصمت الثقيل على مركز القيادة الا من أصوات الانفجارات البعيدة .وعلم الحاضرون ان الكارثة قد حلت بخط بارليف .. ثم راحوا يستمعون الى بلاغات سقوط القلاع ... «مفريك» الواقعة جنوب القنطرة مباشرة ، ثم «ميلانو» شمالها ، التى قتل قائدها ومعظم جنوده ثم «لحصانيت» على الخط الرفيع فى منتصف المسافة بين القنطرة وبور فؤاد ...

وعندما اشارت العقارب الفوسفورية فى مركز قيادة ماجن الى الحادية عشرة من ليلة ٧/٦ أكتوبر وصل تصديق الجنرال البرت مندلر

على انسحاب أفراد الحصون شرقا أو استسلامهم ، وعلى الفور أرسل جابى قائد اللواء الشمالى الاذن بالانسحاب أو الاستسلام الى حصونه ، ثم تلاه امنون قائد اللواء الأوسط ، ثم دان قائد اللواء الجنوبى وتوالى وقوع الحصون تباعا ٠٠

وهكذا دمرت قواتنا المسلحة فى أقل من ست ساعات خط بارليف الدفاعي وحطمت حصونه التى استمر العدو يتغنى بها كل السنوات الماضية ، وغسلت عار الهزيمة فى حرب الأيام الستة ، التى لم تكن القوات المسلحة سببها بل ضحيتها ، وحطمت أسطورة الجيش الاسرائيلى الذى لا يقهر ٠٠ وأظهرت زيف نظرية الأمن الاسرائيلى ٠٠ وأعادت الأمور الى مجرياتها الصحيحة ، والمقاييس الى أحجامها الطبيعية فى منطقة الشرق الأوسط ٠٠

لقد كان لعبور القادة مع القوات الى الضفة الشرقية أكبر الفضل فى تحقيق النجاح اذ عبر جميع قادة الكتائب المشاة القناة الى الضفة الشرقية بعد ١٥ دقيقة من بدء الاقتحام أى حوالى الساعة ١٤٣٥ ، كما عبر قادة الألوية ومعهم قادة المدفعية المناظرين لهم فى الساعة ١٥٠٥ ، أما قادة الفرق المشاة وقادة مدفعياتها فقد عبروا بعد مضى ساعة ونصف من بدء الاقتحام أى فى الساعة ١٥٥٠ ، وبذا اكتملت عناصر السيطرة على قتال ونيران الفرق المشاة والمدفعية التى تساندها ٠٠

وفى الساعة ٢١١٥ كانت عناصر دفاعنا الجوى قد أسقطت للعدو ١٦ طائرة على جبهة مصر من اجمالى طلعات العدو فى اليوم الأول للمعركة والتى بلغت ٤٤٦ طلعة طائرة فضلا على ٢٦٢ طلعة طائرة دفعها العدو ليلا ٠ وقصفت قاذفاتنا منطقة شرم الشيخ بالصواريخ فى الساعة ٢٢١٠ فأحدثت بها خسائر كبيرة وانقطع الاتصال بينها وبين وحداتها الفرعية ٠

كان أهم انجازات السادس من أكتوبر هو تحقيق المفاجأة بفضل السرية والاخفاء والتمويه والخداع ونتيجة نجاح دفاعنا الجوى طوال الأشهر السابقة للحرب فى طرد طائرات استطلاع العدو بعيدا عن مواقعنا ٠

كما كان من أهم هذه الانجازات أيضا نجاحنا فى انتزاع المبادأة من العدو بعد أن تركناها له ربع قرن ، عربد فيها بأرجاء المسرح واعتدى ، حتى ظن أنه الأوحد فى ساحة الوغى

واذا اختلى الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزالا

وفى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل كانت آبار ومنشآت البترول فى أبى زنيمة وسدر وفيران شعلة من النيران بفضل قوات الصاعقة المصرية ، التى قامت أيضا بمهاجمة مواقع العدو على طول

الساحل الشرقى لخليج السويس ، وأقامت الكمائن على الطرف ومنعت تحركات العدو ، وأنزلت به خسائر جسيمة ٠

وقبل أن يبزغ فجر اليوم التالى كانت قواتنا قد عززت مواقعها شرقى القناة بأعداد كبيرة من المدرعات والمدفعية والأسلحة الثقيلة ، ونجحت قواتنا خلال السابع من أكتوبر فى تعميق رءوس الكبارى حتى ٨ كيلو مترات شرقا فى المتوسط ٠ كما قامت قوات الجيشين الثانى والثالث الميدانيين ـ بمعاونة القوات الجوية ـ بصد الهجمات المضادة لاحتياطيات العدو المحلية والقريبة والتكتيكية والتعبوية ، التى أطلقها العدو خلال ليلة ٦/٧ وطول نهار ٧ أكتوبر من اتجاهات عدة ، وبقوات مختلفة ، بلغ اجمالها ثلاثة ألوية مدرعة ، بالاضافة الى عناصر الألوية المشاة التى كانت تتمركز شرقى القناة مباشرة ٠

وفى الساعة ٠٨١٠ من صباح السابع من أكتوبر أبلغت قيادة قوات متلا أن الدبابات المصرية تحاصرها من كل جانب ٠ ولذلك قصة يحسن روايتها ٠٠ اذ اندفعت أقسام صغيرة من المفرزة البرمائية التى عبرت البحيرات المرة ـ اندفعت دباباتها لتبث الذعر فى مواقع العدو ولتخل سيطرة العدو على قواته ٠ فانطلقت سرية ميكانيكية برمائية ومعها بعض الدبابات الفردية صوب مضيق ميتلا ، على حين اتجهت سرية أخرى صوب مضيق الجدى ٠

وتابعت السريتان تقدمهما ٠ وقامت الأولى بمهاجمة قيادة القطاع الجنوبى المتمركزة عند مدخل مضيق ميتلا وذلك فى الساعة ٠٨١٠ من صباح السابع من أكتوبر ، ثم واصلت هجومها ضد أهداف العدو الخلفية ، فباغتت موقعا للرادار فى منطقة ممر ميتلا وكبدت العدو خسائر لا يستهان بها قبل أن تعود لتنضم الى قواتنا الرئيسية فى رءوس الكبارى ٠٠

أما السرية الأخرى فقد تابعت هجومها فى اتجاه مضيق الجدى ، وهاجمت بعض المواقع الصغيرة للعدو ، وتجنبت الدخول معه فى معارك طويلة ، اذ كانت تهدف الى الوصول الى مطار تمادا لتباغته ٠٠ ونجحت فعلا فى الوصول اليه فى الساعة ١٠١٠ من صباح الثامن من أكتوبر ، وهاجمته فأحدثت به خسائر جسيمة مما اضطر العدو الى توجيه طيرانه للبحث عن تلك القوة الصغيرة الجريئة التى اندفعت بعيدا فى أعماقه لأكثر من ٨٠ كيلومتر ٠٠

الا أن هذه السرية تمكنت من الافلات بعد تنفيذ مهمتها وعادت للانضمام الى قواتنا الرئيسية ٠٠ ولم تكتف بذلك بل قامت بمهاجمة موقع رادار للعدو أثناء عودتها ٠٠

لقد كان لأعمال تلك القوات الصغيرة أكبر الأثر فى ارباك سيطرة العدو واخلال تحركاته ·· بل انهيار قياداته فى بعض الأوقات ، اذ تصور العدو أن الدبابات المصرية لن تتوقف قبل أن تصل الى الحدود · رغم أن هذا لم يكن واردا فى مهمتها ··

وحتى يتدارك ديان هذا الارتباك والانهيار ، طار الى قيادة جبهة سيناء ، فوصلها حوالى الساعة ١١٤٠ وقبل أن يهبط من الهليكوبتر نصحه جونين بالابتعاد لوجود قوات مصرية على التلال المحيطة بمركز القيادة واحتمال تعرضه للنيران ·· ولكن ديان نزل وطلب تقريرا عن الموقف··

وبعد أن استمع الى وجهة نظر جونين بالانسحاب بكل قواته الى الجبال ، مع ترك الحصون لمصيرها ، ثم استقل طائرته وقفل عائدا الى العاصمة ·

وفى الساعة ١٤٣٠ وصل ديان الى الأركان العامة بتل أبيب حيث أعاد الاقتراح على اليعازر بانسحاب قوات جونين الى خط دفاعى عند الممرات لفشل القوات الاسرائيلية فى التمسك بالدفاعات عند القناة أو استعادتها من القوات المصرية ·· وكان ديان شديد التشاؤم ·· اذ راح يكرر « يجب الدفاع عن دولة اسرائيل ، ولن نتمكن من ذلك مالم نقصر خطوط المواصلات ونترك خليج السويس كله ، ولا مانع من أن نبقى قوة فى شرم الشيخ ·· »

ثم اتجه ديان الى مكتب جولدا مائير ، حيث أعاد عليها فكرته عن الانسحاب الكامل لتقصير الخطوط وانقاذ الدولة ·· وتملك الخوف مائير فأسرعت تستدعى اليعازر الذى عارض فكرة ديان ، وأصر على استمرار التشبث بالخط الدفاعى الحالى الذى يقع بين الممرات والقناة ، حتى يبدأ منه جونين الهجوم المضاد صباح اليوم التالى ·· وقبل أن ينصرف أكد مرة أخرى أن الانسحاب الى الممرات سوف يكون باهظ الثمن جدا ، وطلب تصديق مائير على أن يتوجه الى قيادة جونين ليدرس الأحداث عن كثب ·

وفى الساعة ١٩٠٠ وصل اليعازر الى مركز قيادة جبهة سيناء وبرفقته الجنرال اسحق رابين والتقى بجونين على الفور ، كما حضر المقابلة قادة الفرق الاسرائيلية الجنرالات مندلر وآدن وماجن ، على حين تأخر شارون لعطل فى الهليكوبتر الذى كان يستقله ، فلم يصل الا واليعازر يتأهب للعودة الى تل أبيب ·

وبعد أن استمع اليعازر الى وجهات النظر المتعارضة أمر جونين بتنفيذ الهجوم المضاد صباح اليوم التالى ، وذلك بأن يندفع آدن بمجموعة عملياته ضد القوات المصرية فى قطاع القنطرة ، على حين يتأهب شارون حول

الطاسة وممر الجدى لاستغلال نجاح آدن ، وللضغط على الجيش الثالث لتثبيته فيما بين البحيرات المرة حتى الشط ، أما مندلر فكان عليه أن يصد المصريين فى نطاق عمله ، مع الاستعداد لمعاونة شارون فى الهجوم ٠

وحذر اليعازر قادة مجموعات العمليات الثلاثة من الاقتراب من السواتر الرملية حتى لا تقع قواتهم ضحية للنيران القاتلة للأسلحة المضادة للدبابات المصرية ٠٠ وطلب جونين التصديق له بالعبور الى الضفة الغربية اذا ما نجح الهجوم المضاد ، فوافق اليعازر بشرط أن يتم العبور على كبارى مصرية ، وألا يعبر أحد قبل الحصول على تصديقه الشخصى ٠

وبينما اليعازر يصعد السلم منصرفا قابله شارون قادما الى الاجتماع ، وأثار على التو مسألة الحصون التى لم ينجدها أحد ، وعرض خطة لانقاذ ما بقى منها ، ولكن جونين رفضها ٠٠ وعاد اليعازر الى الأركان العامة ٠

وفى الساعة ١٨٠٠ كان جونين قد أعاد تنظيم النطاقات بجبهة القناة ، استعدادا لشن الهجوم المضاد في الصباح ، ورسم الحدود بين هجوم مجموعة ادن فى الشمال ، ومجموعة شارون فى الوسط ومجموعة مندلر فى الجنوب ٠

واقترح شارون مرة أخرى الهجوم خلال الليل لانقاذ من بقى حيا فى الحصون ، ومرة أخرى رفض جونين هذا الرأى وسفهه ٠

وفى الساعة ٢٢٠٠ دفع جونين قوة مظلات الى سدر ليخلى مندلر من مسئولية هذه المنطقة النائية حتى يتفرغ للهجوم المضاد فى النطاق المخصص له من جبهة القناة ٠

وطوال ليلة ٨/٧ أكتوبر ظلت قوات مجموعات العمليات الثلاث تنفذ الفتح التعبوى للاستعداد لشن الهجوم المضاد الذى تحدد له صباح ٨ أكتوبر ٠٠ وأصدر جونين الأمر الأخير الساعة ٤٣٠ ٠

وعلى امتداد اليوم السابع من أكتوبر حاولت طائرات العدو مهاجمة قواتنا على طول الجبهة مع التركيز على المعابر والكبارى فوق قناة السويس ، كما هاجم بعض المطارات على موجتين ، وكان الملاحظ أن الطيارين كانوا يبذلون قصارى جهدهم للابتعاد عن مدى صواريخ الدفاع الجوى المصرى بالاضافة الى استخدام الاعاقة الرادارية ـ ورغم ذلك فقد أسقطنا للعدو ١٨ طائرة من جملة طلعاته خلال يوم ٧ أكتوبر التى بلغت ٤٨٦ طلعة طائرة ٠

وقبل أن ينتصف ليل ٨/٧ أكتوبر كانت الفرقة ١٨ المشاة قد حررت مدينة القنطرة شرق ، وأتمت احتلال جميع قلاع العدو وحصونه فى نطاق هجومها ، وعددها سبع قلاع قوية ٠

الاثنين الأسود :

يتساءل الكولونيل عساف ياجورى (١) عن دوافع هذا الهجوم المضاد الذى أمر به الجنرال جونين قائد جبهة سيناء يوم ٨ أكتوبر ، ذلك اليوم الذى دخل التاريخ تحت اسم « الاثنين الاسود » فى سجلات جيش الدفاع ، فيقول ..

« أريد أن أعرف لماذا تركوا صدورنا عارية فى هذا اليوم على جبهة الفردان : ان خيبة الأمل التى أحسست بها وقتئذ شعر بها أغلب الجنود ، فكل من عاش وسط أحداثه الكئيبة لن ينسى مرارته أبدا مهما حاول النسيان أو عدم نكأ الجراح التى لم تلتئم بعد ..

اننى لا أعرف حتى اليوم كم عدد خسائرنا الحقيقية ، وأثناء فترة أسرى كنت أعيش على أمل أن يكون معظم زملائى فى عمليات الاثنين الاسود قد وجدوا طريقهم الى النجاة بعد أن حطم المصريون هجومنا المضاد ، ولكننى عندما عدت من الأسر أذهلنى حجم الخسائر التى وقعت فى صفوفنا ..

وزاد من حيرتى ما سمعته ممن نجا .. ورحت أكرر عليهم السؤال كيف تأتى لجيشنا الذى لا يقهر ، صاحب اليد العليا والتجربة العريضة ، أن يضع نفسه فى هذا الموقف المخجل ، أين ضاعت سرعة حركته وتأهبه ؟ .

لقد أصبح الثامن من أكتوبر يوم الدم وخيبة الأمل والألم العظيم انه أشد الأيام كآبة وأكثرها احباطا على الجبهة الجنوبية قاطبة .

« لقد كنت أرابط مع قواتى فى الساعة ١٤٠٠ داخل المنطقة التى حددها لى الجنرال آدن شرق الفردان ، ولم يكن التاريخ يعنينى فى كثير أو قليل ، اذ كنت حتى تلك اللحظة قد خضت معركة متصلة بدأت مع وصول آدن الساعة ٨٠٠ . يوم الأحد ٧ أكتوبر واستلامه قيادة النطاق الشمالى من جبهة القناة .

« وكانت هذه المعركة المتصلة قد تركت بصماتها علينا جميعا ، اذ فقدنا خلالها أعز الزملاء الذين لم نجد الوقت الكافى للحزن عليهم ، أو الحصول على راحة ولو قصيرة .

« وبينما نحن على تلك الحال أتانا أمر الجنرال آدن بالاقتحام فى اتجاه الفردان ، تنفيذا لتوجيهات الجنرال جونين التى صدرت فى الساعة ٤٣٠ . بشن الهجوم المضاد العام فى جبهة سيناء .

(١) مقال للعقيد ياجورى فى ملحق جريدة معاريف الصادر فى ١٩٧٥/٢/٧ .

« وكان تحت قيادة آدن ثلاثة ألوية دبابات وقع عليها عبء تطهير النطاق الواقع بين طريق حيتام العرضى (الطريق العرضى رقم ٢) وضفة القناة ، في حركة مروحية من الشمال الشرقى نحو الجنوب الغربى ، مع محاولة انقاذ من بقى حيا فى الحصون التى انهارت ، وفتح الطريق لنقل الحـرب الى أرض العـــدو غرب القناة ، بقوات الجنرالين اربيل شارون والبرت مندلر ٠٠

النهار الطويل :

وانتشرت ألوية آدن على الطريق العرضى فيمـــا بين بالوظة فى الشمال والكاسة فى الوسط ، وكان على هذه الألوية المدرعة الثلاثة أن تواصل الهجوم المضاد حتى حافة القناة ، فيما بين القنطرة والفردان ، وأن تحتل المعابر الثلاثة التى نجح المصريون فى اقامتها شمال البلاح ، وعند الفردان ، وفى الاسماعيلية ٠ وكان نصيبى منها كوبرى الفردان ٠

« وحوالى الساعة ١٤١٥ تخيل الجنرال جونين أن هجوم آدن سوف يسير طبقا للخطة الموضوعة فأمر شارون بالاستعداد للاندفاع غربا بين الطاسة وممر الجدى لاستغلال نجاح قوات آدن ٠٠

وفى الساعة ١٤٣٠ بدأت ألـوية آدن تتحرك ، وعلى التو انقلبت الدنيا رأسا على عقب ٠٠ اذ كان المصريون فى انتظارنا ، وبمجرد دخول دباباتنا فى مرماهم المؤثر انطلقت نيرانهم بكثافة مذهلة وتصويب محكم ٠٠٠ فذاب هجومنا المضاد فى لحظات ٠

لم تكن المهمة تتناسب مع الموقف الفعلى فى الميدان ، وقد عرضت وجهة نظرى على الجنرال آدن ، ولكنه رفضها وكرر أمره القاطع بشــن الهجوم المضاد الذى أطلق عليه الاسم الرمزى « شاحف » ٠

« ووقعت على قواتى مهمة الاستيلاء على كوبرى الفردان الذى أطلقنا عليه اسم حزايون احياء لاسم الحصن المجاور الذى فقدناه ٠٠

ووعدنى آدن بمعاونة المدفعية الثقيلة والطائرات ، ولكن الذى حدث هو نفس ما جاء بلجنة اجرانات ٠٠ اذ ظل أحد الألوية الثلاثة قابعا فى مكانه الأصلى دون حراك ، تحت زعم أن الأمر بالهجوم لم يصله بعد ، على حين شغل اللواء الثانى نفسه بأعمال ثانوية فى ذات المكان الذى كان يرابط فيه ومن أجل الحقيقة فقد أصدرت الأمر الى قواتى بالهجوم طبقا للخطة ، على حين كان قلبى مثقلا بالهموم اذ تراءى لى مما استخلصته من معلومات قليلة ، ومما وقعت عليه عيناى ، أن الأمور لا تسير كما يرام ٠٠

كان علينا أن نطهر الارض التى تفصل بيننا وبين مياه القناة ، وأن نحتل الـكوبرى ثم نعبره ٠٠ وبمجرد أن اقتربت دباباتى وقعت تحت نيران الفرقة الثانية المشاة التى كانت ترابط فى مواقع جيدة على الضفة الشرقية فى انتظار هجومنا المضاد ٠٠

« ولم ينج من دباباتى الا أربعة ، هى وحدها التى أفلتت من هـذا الجحيم ٠٠ »

وعندما علم جونين بما وقع لقـوات آدن ، حث شارون على سرعه العمل لتخفيف الضغط الواقع عليه ، ولكن شارون تلـكأ ، ثم رفض الانصياع ٠٠ ان العلاقات بينهما سيئة من قديم ، وشارون لا ينسى ان جونين كان مرءوسـه حتى وقت قريب ، عندما كان يعمل قائد مجموعة عمليات تحت قيادته فى الجبهة ٠٠ وفجأة تغير الحال وأصبح جونين هو القائد الأعلى ٠٠ ولا يستطيع أحد أن يكبح جماح شارون أو يمنع تعديه الدائم على رؤسائه بلسانه السليط وجنوحه الفطرى الى عدم الانضباط العسكرى ٠٠

ومع تفاقم الأمور وصل ديان وأليعازر الى مركز قيادة جونين ليضعا الأمور فى نصابها ، واجتمعا بقادة مجموعات العمليات الثلاثة ، وبدأ آدن بالشكوى من جسامة خسائره فى الدبابات ، ولم يفته أن يلمز شارون لتقاعسه عن الهجوم ، ثم أكد عدم قدرته على تحمل معركة أخـرى مثل هـذه ٠٠

وأعقبه شارون فاقتص لنفسه من الجميع ، ولم يسلم من لسانه أحد ٠٠ فآدن قد فشل فى تنفيذ واجبه ، وجونين لا يدرى حقيقة الموقف فى الخطوط الأمامية لأنه يحرص على البقاء بعيدا عن الخطر ٠٠

وتحول النقاش الى مهاترة ، وحاول جونين تهدئة الجو فاقترح تجنيب القوات ويلات معارك الابادة ، والالتزام فى المستقبل بسياسة المحافظة على أرواح الجنود ٠٠

وعندما انفض الجمع ، خرج ديان يجر رجليه وكان العمر قد تقدم به عشر سنوات ٠٠

ويختتم ياجورى ذكريات هذا اليوم الأسود فيقول ٠٠ « وبمجرد عودتى من الأسر شعرت أنهم يهددوننى ، فقد حدث شىء لم يسـبق له مثيل ، وانكشفت ثغرات واسعة فى قاعدة حياتنا ، وبذل المسئولون غاية جهدهم لاخفائها بدلا من الاهتمام بعلاج أسبابها ٠٠

« وكان هناك من يشعرون بالأمل ، فبعد كل ما حدث سوف تظهر الحقائق ويرأب الصدع ، وقد كنت من هؤلاء الى وقت قريب ، ولكننى اليوم أنتمى الى من خابت آمالهم ٠٠ »

الرجل الذى تحطم

وتقول جريدة هاعولام هازيه الاسرائيلية فى عرض أحـــداث هذا اليوم الحافل ·· « أن الجنرال موشى ديان قد انهار فى اليوم الثالث من الحرب ، عندما حطمت القوات المصريه جميع هجماته المضادة فى سيناء ، ووصلت القوات السورية الى مسافة خمس دقائق من وادى الأردن ، وأوقعت خسائر جسيمة فى دباباته وطائراته « ان هذه الأحداث حولت ديان الى رجل محطم ·· » .

وقبيل الخامسة عصرا دخل بارليف على مائير فوجدها تجلس منكسة الرأس وقد تملكها اليأس فظهر فى تجاعيد وجهها المتغضن · وعندما وقع بصرها عليه راحت تحكى له كيف اعترف لها ديان بخطئه بعد عودته من جولة تفتيشية على الجبهات ··· « جولدا ، لقد أخطأت فى كل شىء ··· اننى أنتظر كارثة ، وسوف نضطر الى الانسحاب من الجولان حتى الحافة ومن سيناء حتى المضايق حيث سنحارب حتى آخر طلقة » (١) ·

وعلى الجانب الآخـر ، استمر عبور الدبابات والأسلحة الثقيلة فى نطاق الجيش الثالث رغم تركيز العدو نيرانه لتدمير المعابر ··

كما استمرت المعدات والاحتياطيات تتدفق على المعابر فى نطـاق الجيش الثانى أيضا ·

ونجح الجيشان فى صد كافة هجمات العدو المضادة بعد تكبيدها خسائر فادحة جدا على النحو الذى وصفه ياجورى آنفا ، وبنهاية اليوم كانت الفرق الخمس قد آتمت انشاء رءوس الكبارى بعمق من ٨ ــ ١٠ كيلومترات ·· حيث وقفت هناك فى شموخ ·

أما فى السماء فقد حاولت طائرات اسرائيل مهاجمة أجهزة الرادار لفتح ثغرة فى الحقل الرادارى ، كما ركزت الهجوم على بورسعيد ففصفتها ثلاث مرات فيما بين الظهر والمساء ، وقد بلغ عدد الطلعات المعادية خلال هذا اليوم ٣١٩ طلعة طائرة خص منها بورسعيد وحدها نحو تسعين طلعة وقد أسقط منها دفاعنا الجوى ١٥ طائرة ·

تحقيق المهمة المباشرة

وخلال التاسع من أكتوبر أتمت القوات المسلحة تحقيق المهمـــة المباشرة (الأولية) بنجاح ، حيث قامت تشكيلات نسق أول الجيشين

---

(١) حاييم هرتزوج فى كتابه (حرب يوم الغفران)

(الفرق المشاة الخمس) بتوسيع وتعزيز رءوس الكبارى المحددة لها .
كما نجحت فى صد وتدمير هجمات العدو المضادة المركزة ، التى بلغ
اجمالى القوات التى اشتركت فيها ثلاثة ألوية مدرعـــة وثلاث كتائب
دبابات ، بالاضافة الى القوات المرتدة من الهجمات السابقة ، وأوقعت
قواتنا بالعدو خسائر فادحة .

واستمرت القوات فى تطهير واتمام الاستيلاء على بعض النقط
القوية والقلاع ، التى أبدت بعض المقاومات الفردية .

وقامت قوات الفرقة ١٨ المشاة بقيادة العميد أركان الحرب فؤاد
عزيز غالى باتمام القضاء على بقايا العدو فى مدينة القنطرة شرق ــ ثانى
مدن سيناء ــ وأعلنت تحرير المدينة ، ورفعت أعلام مصر عليها .

ونجحت قوات الفرقة ٢ المشاة بقيادة العميد أركان الحرب حسن
أبو سعده ، وبالتعاون مع قوات الفرقة ١٨ المشاة ، والاحتياطى المضاد
للدبابات للجيش الثانى ؛ الذى دفعه العميد أركان الحرب محمد عبد الحليم
أبو غزالة قائد مدفعيـــة الجيش الثـــانى فى هـذا الاتجـاه ـ بنـــاء
على أوامر اللواء محمد سعد الدين مأمون قائد الجيش الثانى ـ نجحت
تلك القوات فى صد ضربة مضادة قوية للعدو شنها بلواءين مدرعين وكتيبة
دبابات ، ودمرت قواتنا جزءا كبيرا من هذه القوات المعادية ، وأسرت أعدادا
أخرى منها .

وعند الظهر استعرض الجنرال اليعازر الموقف على جبهتى القتال
وقرر تركيز الهجوم على الجبهة السورية ، مع استمرار دفع المفارز المدرعة
للاشتباك مع رءوس الكبارى على جبهة القناة .

وقامت قوات الجيش الثالث بصد هجمات العدو المضادة والتى شنها
بقوة لواء مدرع وكتيبتى دبابات ، بالاضافة الى العنـــاصر المرتدة من
الهجمات السابقة ، وتكبد العدو خسائر فادحة ، مما أدى الى فشل كل
هجماته المضـــادة .

ودفع الجيش الثالث مفرزة قوية فى اتجاه الجنوب ، استولت على
نقطة العدو القوية الموجودة فى منطقة عيون موسى ، وعلى بطاريتى مدافع
١٥٥ مم سليمتين ، حيث لم يتمكن العدو من نسف المدافع لشدة وطأة
الهجوم المصرى ..

وجدير بالذكر ان هذه المدافع قد ثبتها العدو فى قواعد خرسانية
داخل دشم قوية التحصين ، وطالما استخدمها خلال حرب الاستنزاف
ضد الأهداف المدنية فى مدينة السويس ، وخاصة ضد مستودعـــات
البترول جنوبها ــ كما أن الجدير بالذكر أيضا أن القوات المصرية بعد
أن استولت على هذه المدافع قامت بنسفها لتعذر سحبها من مواقعها ،
ولعدم امكان استخدامها الا فى اتجاه مدينة السويس .

وفى المساء التقى الجنرال ديان بمندوبي الصحافة ووكالات الأنباء وأكد لهم أن الاهتمام الأشد قد تحول فى المرحلة الراهنة نحو الجبهة السورية ، وأن الغارات الجوية سوف تقصف الأهداف الاستراتيجية والاقتصادية فيها ، وانه لم يعد فى قدرة اسرائيل مواصلة القتال على جبهتين فى وقت واحد ، لأن مئات الدبابات قد أصيبت ، كما فقدت اسرائيل خمسين طائرة • وفى نهاية اللقاء أعلن ديان أنه سوف يذيع من التليفزيون على الجمهور نبأ سقوط خط بارليف ، ويحيطهم بالموقف الخطير •• وحذره أحد الصحفيين من أن كشف هذه الحقائق للجمهور سوف يحدث زلزالا •••

وعندما علمت مائير بالأمر منعت ديان من التوجه الى التليفزيون ، وأرسلت ياريف بدلا منه فقام بعرض صورة مخففة للحفاظ على المعنويات •

ولم تهتم وكالات الأنباء بما يذيعه ياريف من تليفزيون اسرائيل ، فقد كانت مشدوهة مما حدث على جبهتى المسرح ، فهذه الجيوش العربية التى طالما استهانت بها فى الماضى قد حققت نصرا لم يظفر بمثله أحد ••• وقد تأكد الجميع ان العرب يقاتلون بقواهم الذاتية ، فليس هناك من يساندهم علنا أو خفية ، وان الكفاءة والشجاعة والبأس انما هى عربية خالصة العروبة •

ومضت الفرق الخمس تعزز الأرض المكتسبة ، وتقتلع منها العدو •

وبنهاية التاسع من أكتوبر تم توحيد رءوس كبارى الفرق لتشكل كل فرقتين رأس كوبرى واحد على مستوى الجيش بعمق ١٠ — ١٢ كيلو مترا كالآتى :

* **رأس كوبرى الجيش الثالث** •• من الفرقة ١٩ المشاة بقيادة العميد أركان الحرب يوسف عفيفى ، والفرقة ٧ المشاة بقيادة العميد أركان الحرب أحمد بدوى •

* **رأس كوبرى الجيش الثانى** •• من الفرقة ١٦ المشاة بقيادة العميد أركان الحرب عبد رب النبى حافظ ، والفرقة ٢ المشاة • أما الفرقة ١٨ المشاة فقد قامت بتعزيز الخط المحدد لها على الاتجاه الشمالى المستقل أمام مدينة القنطرة •

كما قامت الفرق المشاة الخمس بدفع مفارز متقدمة (مجموعات أمامية) مدعمة ، للسيطرة على طرق الاقتراب الى رءوس الكبارى ، وكانت أكثرها نجاحا تلك المفرزة المتقدمة التى دفعت من فرقة العميد أركان الحرب فؤاد عزيز غالى ، والتى استولت على بعض معدات العدو سليمة (دبابات سنتوريون و م ٦٠) ، بعد أن فر العدو وتركها وراءه •

وقد بلغ اجمالى طلعات العـدو يوم ٩ أكتوبر ٤٠٥ طلعات طائرة وجهها أساسا ضد الجيشين الميدانيين وقطاع بور سعيد وبعض المطارات الأمامية فضلا على أعمال الاستطلاع الجوى على طول مواجهة القنـاة ٠ وقد دمرت قوات دفاعنا الجوى منها ١٥ طائرة ٠

* * *

وبهذا يمكن القول بأن الانساق الأولى للجيشين الثانى والثالث الميدانيين قد أتمت تحقيق المهمة المرسومة لها فى التوقيت المحـدد ، وذلك رغم المصاعب والعراقيل التى واجهتها ٠

لقد كان اقتحام قناة السويس واختراق خط بارليف والاستيلاء على رءوس الكبارى والتمسك بها مثلا باهرا لمعركة الاسلحة المشتركة الحديثة، حيث قام كل سلاح بأداء دوره المحدد طبقا لخطة منسقة تضمن توحيـه الجهود لتحقيق النصر المنشود ٠

وعلى هذا الدرب قامت مختلف الأسلحة المقاتلة والقوات المتخصصة بأعمال مشكورة سـوف تظل تدرس لأعوام طويلة فى مختلف المعـاهد والمدارس العسكرية العالمية ٠٠ و لايمكن هنا ـــ فى هذا الكتـاب المختصر ـــ أن نوفيها جميعا حقها من الشرح ؛ فذلك يتطلب مجلدات ومجلدات ٠٠ ولكن نكتفى بالقاء بعض الضوء على ما قامت به بعـض عناصرها فى اقتحام وتأمين قناة السويس ، واختراق خط بارليف ، والاستيلاء على مواقعه الحصينة وتدميرها ٠

● عن المدفعية المصرية :

أتمت المدفعية المصرية الاستعداد لاطلاق النيران طبقـا للخطة فى الصباح الباكر ليوم ٦ أكتوبر ، بعد أن دخلت آخر عناصر الصواريخ التكتيكية أرض / أرض الى مواقعها ، وتأهبت الصواريخ التعبوية لتوجيه ضرباتها الموجعة الى العدو ٠

وقدم مدير المدفعية اللواء محمد سعيد الماحى تمـام اسـتعداد المدفعية والصواريخ أرض/أرض الى القائد العام فى مركز القيـادة الرئيسى ٠٠٠

وأصدر القائد العام الاسم الرمزى لبدء التمهيد النيرانى ٠٠ فأمر مدير المدفعية بالضرب على جميع وسائل المواصلات التليفونية واللاسلكية وكرر كل قادة المدفعية على مختلف المستويات الأمر فى التو واللحظة حتى

وصل خـــلال ثوان معدودة الى كافة مواقع المدفعية على طول مواجهـــة قناة السويس ٠٠٠ واشتعلت بذلك حرب رمضان ببدء تنفيذ التمهيد النيرانى للمدفعية والصواريخ فى لحظة واحدة على الجبهة الجنوبية فى مصر ، وعلى الجبهة الشمالية فى سوريا ، وذلك فى الساعة ١٤٠٥ يـوم ٦ أكتوبر ٠

وكسر الصمت الرهيب ٠٠ وتوالت البـــلاغات عن بـدء التمهيد النيرانى وتأثير النيران على العدو ٠٠ وتحول الشاطىء الشرقى للقنـاة الى جحيم مشتعل ، وفوجىء العدو تماما بأقوى تمهيد نيرانى تم تنفيذه فى الشرق الأوسط طوال تاريخه ٠٠ حتى أنه لم يتمكن من سحب مراقبيه من فوق الابراج العالية الموجودة بالنقط القوية والحصون ٠

وسقطت على مواقع العدو وقلاعه بالضفة الشرقية للقناة فى الدقيقة الأولى من التمهيد النيرانى ١٠ر٥٠٠ دانة مدفعية ، بمعدل ١٧٥ دانة فى كل ثانية ٠٠

وتوالت البلاغات عن مدى تأثير النيران ، والخسائر التى أحدثتها بالعدو ، وعن نجـاح المدفعية فى فتح جميع الثغرات المخططة فى موانع الأسلاك الشائكة والألغام ، على الميل الأمامى للساتر الترابى ، وحـــول النقط القوية والحصون والقلاع المعادية ٠٠

وفى ساعة الصفر تماما (الساعة ١٤٢٠) بدأت الموجة الأولى لقواتنا فى عبور القناة ، ومعها أسلحتها الخفيفة ٠٠ ورافق المشاة فى اقتحامها ضباط ملاحظة المدفعية ووحدات الصواريخ الموجهة المضـــادة للدبابات ٠٠ وفى نفس اللحظة كانت صواريخنا التكتيكية تشق عنان السماء بأمر مركزى من مديرى المدفعية لتصيب أهدافها فى عمق سيناء وتحيلها الى دمار ٠٠ **وكانت تلك أول ضربة بالصواريخ التكتيكية فى تاريخ الشرق الأوسط** ٠

ونجحت الموجة الأولى فى اقتحام القناة والاستيلاء على الســـاتر الترابى شرقها ، ورفعت الأعلام المصرية عاليـة خفـــاقة ٠ واستمرت المدفعية تدك تحصينات خط بارليف ، وتضرب احتياطيات العـــدو القريبة ، وتسكت مدفعيته تماما ٠٠

لقد نفذ التمهيد النيرانى كمـا خطط له بالضبط ٠٠ وكانت نتائجه أكثر مما كنا نأمل ، اذ أوقع بالعدو خسائر جسيمة فى الأرواح والمعدات، ودمر جميع تحصيناته الميدانية ، وهدم قلاعه وحصـــونه القوية بخط بارليف ، وخاصة مداخلها ومخارجها ، واستحالت بذلـك النقط القوية الى مقابر لمن فيها ٠٠٠ ونجحت المدفعية فى اسكات مدفعية العدو وشـل حركة جميع احتياطياته القريبة ، الى درجة أنه لم يتمكن احتياطى واحـد منها أن يتم التحرك لمنع عبور قواتنا ، كما لم تتمكن دبابة معادية واحدة

من صعود الساتر الترابى واحتلال المصاطب المجهزة به لتوقف عبـــور قواتنا • وبالمثل لم يتمكن مدفع واحد من الضرب على قواتنا الا بعـــــد فوات ساعة من بدء العبور •

وتابعت المدفعية اطلاق نيرانها الكثيفة القوية على النقط الحصينة والقلاع المعـــادية حتى وصلت القوات المخصصـــة لاقتحامها الى مسافة حـــوالى ٢٠٠ متر منها ، حيث قامت قوتا المشـــاة والصاعقة باقتحامها وتدميرها أو حصارها •

واستمرت نيران المدفعية تزحف أمام القوات الأخرى التى تابعت توسيع رءوس الكبارى ، وذلك بفضـــل ضباط ملاحظه المدفعيه الذين عبرو مع الموجات الأولى لقواتنا ، وكذا جمـــاعات ملاحظة المدفعية التى كانت تعمل خلف خطوط العدو ، والتى انتشرت مـــع بداية المعركة على طول مواجهة وعمق العدو ، لادارة نيران المدفعية على أبعد مدى ممكن • وبذلك أمكن لنيران المدفعية أن تصـــل الى العدو فى أعماقه ، بعد أن كان يظن أنه فى مأمن منها لبعد المسافة •

أما عن مراكز قيادة العدو فى سيناء فقد كان حسابها مع الصواريخ التكتيكية ، اذ وجهت فى لحظة واحدة ضربات صاروخية ضـــد جميع مراكز القيادة والسيطرة الرئيسية للعدو على المحور الشـــمالى والمحور الأوسط والمحور الجنوبى ، وكذا ضد مركز الاعاقة والشوشرة الرئيسى الموجود فوق جبل أم خشيب ••• وأدت تلك الضربات الى ارباك سيطرة العدو ، مما أجبر قيادة العدو على نقـــل السيطرة بعيدا الى العمق فى العريش ••

وهكذا انتهت المرحـــلة الأولى من أعمـــال المدفعية ، لتبدأ قوات المهندسين فى فتح الثغرات فى الساتر الترابى على الضفة الشرقية •• وتوالت البلاغات عن تقدم بعض احتياطيات العـــدو المدرعة من العمق القريب والبعيـــد •• ونجحت بعض أعداد فردية من دبابات العـــدو فى احتلال السواتر الترابية الموجودة فى العمق خلف خط بارليف ، توطئة لايقـــاف تقدم قواتنا المترجلة •• حيث لم تكن المعـــديات أو الكبارى قد بدأت العمل بعد ، وبالتالى لم تكن الدبابات أو الاسلحة الثقيلة قد عبرت الى الضفة الشرقية •

كان على المشاة أن تقاتل الدبابات المعادية بمفردها لبضع ساعات حتى تصـــل اليها دباباتنا وأسلحتنا الثقيلة •• وهنا حل دور رجال المدفعية المضـــادة للدبابات الذين عبروا مع المشاة فى اللحظات الأولى لاقتحام القناة •

وكانت الصـــواريخ الموجهة المضادة للدبابات احدى المفاجآت الكبرى التى أعدتها المدفعية لتحطم مدرعات العدو •• ولم تكن تلك الصواريخ

هى المفاجأة الوحيـــدة بل كان الرجال خلفها بمهارتهم وتدريبهم العالى وروحهم المعنوية وتصميمهم وثباتهم أكثر من مفاجأة ..

واستعدت أطقم الصواريخ الموجهـــة المضادة للدبابات لاصـطياد دبابات العدو ... وبدأ ضباط ملاحظة المدفعية فى تركيز وحشد نيران المدفعية على السواتر التى احتلتها دبابات العدو ... مما أجبرها على الخروج هربا من هذه النيران لتتلقفها الصواريخ المضادة للدبابات وتحيلها من دبابة هى أحدث ما اخرجته ترسانة الولايات المتحـدة الى كومة من الحديد المحترق . أما تلك الدبابات التى نجت من هذا المصير فقد تركتها أطقمها سليمة وفرت بعيدا الى الخلف ..

وحاولت بعض دبابات العدو القيام بالهجمات المضـادة المحلية فى الساعات الأولى لعبور قواتنا ، ولم يكن مصيرها بأفضل من سابقتها .. وحتى آخر ضـوء يوم السادس من أكتوبر تم تدمير كل دبابات العـدو التى كانت متمركزة بالقرب من القناة أو فى العمق القريب .. ولم يكن العدو قد قام بهجوم مضاد رئيسى متسق حتى ذلك الوقت ..

ويقول رجال المدرعات الاسرائيلية انه تبين لهم أنه فى الوقت نفسه الذى تنهمر فيه نيران كثيفة من المدفعية المصرية على حصون خلايا بارليف كان المصريون يعبرون القناة ويدفعون بقوات محمولة بطائرات الهليكوبتر نحو قلب سيناء . وعندئذ اندفعت الدبابات الاسرائيلية لتدعيم الخطوط الأمامية الا أن المفاجأة كانت تنتظرها هناك .. وصدر الأمر لها ألا تقترب من خط القناة فلم يفهم قادة هذه الدبابات ما المقصود ولا شعروا بمـــا أصابهم رغم أن الأمر كان شديد الوضوح .. فعلى بعد مئات من الأمتار شرق الساتر الترابى كان عدد كبير من دبابات اسرائيل يرقد معطوبا أو مشتعلا .. لقد وقع ضحية لمئات الصواريخ المضادة للدبابات من طراز ساجر التى أطلق بعضها أيضا من قواعد على الضفة الغربية ..

ولم تمر لحظات قليلة حتى هوجمت دبابات اسرائيل من جـــديد بنفس هذه الصواريخ ولكنها أطلقت هـــذه المرة من الضفة الشرقية ، ولسوف تظل أطقم دبابات اسرائيل تذكر ذلك الاستقبال الحافل لزمن طويل .

ونشطت بطاريات العدو بعد انتقالهـــا الى العمق ، الا أن المدفعية المصرية أسكتتها على الفور اسكاتا مؤثرا ، اذ كانت تملك السيطرة النيرانية على أرض المعركة بل الســيادة النيرانية فى معظم الأوقات ، وكان هـذا أحد العوامل الرئيسية فى نجاح أضخم اقتحـــام لمانع مائى فى العصر الحديث .

ثم استمرت الســـيطرة النيرانية بعـد ذلك ، بل الســيادة الكاملة فى فترات كثيرة سواء بالنيران غير المباشرة أو المباشرة بواسطة الفى مدفع

وهاون وصاروخ موجه مضاد للدبابات وصاروخ أرض / أرض خـــلال التمهيد النيرانى للاقتحام ، ثم يضعف هذا العدد طوال الحرب •

وقال الأسير العقيد عساف ياجورى •• لقد كنت أشعر طوال اقترابى من القنـاة وكأننى أتحرك وفوق كتفى حمل ثقيل هو نيران المدفعيـــه المصرية •

وخلال ٦/٧ أكتوبر تم عبور جميع كتائب الصـــواريخ المضـــادة للدبابات المركبة على عربات مدرعة ، وذلك فى القطاع الشمالى من القناة •• أما فى القطاع الجنوبى فقد تأخر تركيب الكبارى والمعديات ١٨ ساعة نتيجة عوامل عدة ، أهمها سرعة التيار فى القنـاة ، والفارق الكبير فى ارتفاع سطح المياه بفعل المد والجزر •• وكذا اختلاف طبيعة الساتر الترابى المتكون من تربة طفلية تحولت بفعل مضخات المياه الى طين سائل لزج ، أعاق تحرك المعدات لفترة طويلة •• الامر الذى دعا الى سرعة دعم الجيش الثالث بعناصر من الصواريخ المضادة للدبابات من احتيـــــاطى القيادة العامة لتعويضه ولو جزئيا عن تأخر عبور أسلحته الثقيلة •

وعلى طول المواجهة تم عبور جميع مراكز ملاحظة المدفعية مع قادة المشاة المناظرين ، بما فى ذلك مراكز ملاحظة قادة مدفعية الألوية والفرق والجيوش •• وتم انتقال جميع كتائب المدفعية الى غرب القناة مباشرة ••• واحتلت بعض الدبابات والاسلحة الثقيلة المضادة للدبابات السواتر العالية على الضفة الغربية لقنـــــاة السويس ، فى الأماكن المشرفة على الضفة الشرقية ، للمعاونة فى صد هجمات العدو المضادة •

وطوال ليلة ٦/٧ وعلى امتداد السابع من أكتوبر قام العدو بأكثر من ١٠ هجمات مضـــادة قوية على جميع رءوس الكبارى ، سواء ضـــد الجيش الثـانى أو الجيش الثالث ، وأمكن لقواتنا صدها جميعا ، وكبدت العدو خسائر كبيرة فى دباباته وأفراده • وكانت المدفعية تبدأ فى التعامل مع الألوية المدرعة المعادية بمجرد دخولها فى مرمى أسلحتها ، وحشدت نيرانها على أرتال دبابات العدو فأربكت تشكيلاتها وأنزلت بها خســـائر كبيرة ••

وحـــاول العدو اتباع تكتيك جـديد ، فراح ينـــدفع بمدرعاته ومجنزراته بأقصى سرعة ليتوغل داخل أوضاع قواتنـــا فيقلل من وقت تعرضه لنيران مدفعيتنا ، الا أن مشاتنا تلقفتها بنيران مدافعهـــا الخفيفة المضادة للدبابات والقواذف اليدوية والقنابل اليدوية فأحالتها هشيما تذروه الرياح ••

ولم يكن حظ الهجمات المضادة التى شنها العـدو ليلا على رءوس كبارى الجيش الثالث بأسعد حالا من هجماته على الجيش الثانى ، بالرغم من تأخر تركيب معديات وكبارى الجيش الثالث كما سبق ذكره ، وتأخر

عبور دباباته وأسلحته الثقيلة المضادة للدبابات حتى أول ضـــوء يوم ٧ أكتوبر ٠

ولكن العـــدو خسر أعدادا كبيرة من الدبابات والعربات المجنزرة أمام مواجهة الجيش وعلى اجنابه بفضل الصواريخ المضـــادة للدبابات ، ورجال المشـــاة المسلحين بالقـــواذف الخفيفة المضادة للدبابات ، وبفضل القنابل اليدوية المضادة للدبابات ٠ وكانت أروع وقفات الجنـــود المشاة فى مواجهة أحدث ما أخرجته ترسانة الحرب من معـــدات مدرعة ٠٠ **كانت الغلبة للرجل ضد الدبابة ٠**

ولم يحرز العدو أى نجاح على طول المواجهة من القنطرة شـــمالا الى جنوب السويس جنوبا ، ومنى بخســـائر ضخمة فى دباباته لم يكن يتوقعها ٠٠ وقامت قواتنا بتوسيع رءوس الكبارى ، وسقط خط بارليف الأسطورى بمعظم نقطه القوية وقلاعه وحصونه ٠

وخلال يومى ٨ ، ٩ أكتوبر كرر العدو هجماته المضادة ضد رءوس كبارى الفرق ، ولكنها فشلت جميعا ٠ ووجهت المدفعية عـــدة ضربات صاروخية ضـــد مراكز قيادة وسيطرة العـــدو ، وضـــد مطار المليز الذى أصيب بخسائر كبيرة ٠٠

لقد كان لحسن تخطيط وادارة أعمال المدفعية فضـــل كبير فى اسكات بطاريات العدو ، الأمر الذى حرمه من استخدام مدفعيته بحشد أو تأثير ٠٠ واستولت قواتنا على عدة مدافع للعدو ، بل بطاريات كاملة تركهـــا جنوده وفروا هاربين ٠٠ واستخدمتها قواتنا ضـــده فى التو واللحظة ٠

وبذلك أصبحت مدفعية العدو لاتشكل خطورة كبيرة على قواتنا ، ولحقت مدفعيته بمصـــير دباباته ٠ وكانت تلك بعض أعمـــال المدفعية المجيدة فى الأيام الأولى لاقتحام القناة ٠

✻ وقبل حرب رمضان ، كانت المراجع العلميه تشير الى ان المدفعية هى المصدر الرئيسى لقوة النيران ، الا أن الدروس التى أبرزتها هـــذه الحرب تدفعنا الى اعادة تقييم هذه الحقيقة بنظرة أكثر عمقا وشمولا ٠

« لقد كان للمدفعية المصرية السيطرة النيرانية على أرض المعركة ، بل السيادة النيرانية فى معظم الأوقات » ٠٠

كما فرضت المدفعية المصرية هذه السيطرة النيرانية من أول لحظات المعركة ٠ ويرجع الفضل فى ذلك الى الآتى :

١ ــ المفاجأة التى حققها الخداع ، حتى باغتت نيران مدفعيتنـــا مراقبى العدو وهم مازالوا فوق ابراجهم العالية ٠

٢ ـ التفوق الساحق الذى اعتمد على الـــكم والكيف وضاعف مفعوله المفاجأة بالاضافة الى ما ظهر من نقص فى مدفعية العدو ٠

٣ ـ المستوى العالى لكفاءة الوحدات والأفراد ، ســـواء أفراد مدفعية الميدان أو المضادة للدبابات وخاصة عمال توجيه الصواريخ الموجهـة المضادة للدبابات ٠٠

٤ ـ التنسيق الجيد مع القوات الجوية ، ونجاح الضربة الجوية المركزة قبل انطلاق الهجوم في العمق ، فى افقاد العدو السيطرة على قواته واعاقة أجهزته اللاسلكية والالكترونية ، وتدمير بطارياته البعيدة المدى ، التى كانت تقع خارج مدى المدفعية ٠٠

٥ ـ نجاح حائط الصواريخ الموجهة للدفاع الجوى ، فى حرمان العـدو من استخدام قواته الجوية فوق أرض المعركة ٠٠

بفضـــل ذلك كله تحققت السيادة النيرانية الكاملة خـلال التمهيد النيراني ، ولفترة طويلة بعده ، تم أثناءها شـــل جميع النقط القوية ، والاحتياطيات القريبة ، والبطاريات المعـادية فضـــلا على مراكز القيـادة والسيطرة الواقعة في العمق ٠

وبرغم أن ما حدث لا يعدو المهمة التقليدية للمدفعية ٠٠ الا أن الجديد فيها كان حجم التأثير ، ومدى الاعتماد عليه فى عملية اقتحام المانع المائى وقلاعه الحصينة ٠٠ ومدى خطورة فتح العدو لأى نيران جانبية ، أو وصول دباباته ، ولو فردية ، الى حافة الماء لتدمر أو تعرقل قواتنـــــا القائمة بالعبور ٠٠

وحقق التمهيد النيرانى ماعقدناه عليه من آمال ، اذ شل حصون العدو ومنعها ان تطلق على قواتنا ولو طلقة واحدة طيلة فترة هذا التمهيد ، كما حرم بطارياته من أن تفتح نيرانها ، فلم تعمل أول بطارية الا بعد انتهـاء التمهيد بحوالى ٢٠ دقيقة ٠٠ وبالمثل لم يستطع أن يتحرك نحو القنـاة أى احتياطى قريب للعدو ٠٠

لقد كانت هذه السيادة النيرانية بحق أحد العوامل الرئيسية لنجاح اقتحام القناة ٠٠

ثم استمرت السيطرة النيرانية بعدها ، بل السيادة الكاملة فى فترات كثيرة ، سواء بالنيران غير المباشرة أو النيران المباشرة ٠٠ استمرت بجحيم من النيران ، يصبه أكثر من ٢٠٠٠ مدفع وهاون وصـــــاروخ أرض ـ أرض على العدو خلال التمهيد النيرانى ، وبأكثر من ضعف هذا العدد حتى نهاية المعركة ٠٠

حشود من النيران ندر أن تحققت فى أى وقت مضى ٠٠ استطاعت أن تحبط وتوقف بعضا من الهجمات المضادة ٠٠ وأن تســـلم البعض الآخر

ـ وهى فى حالة غير متزنة من السيطرة والروح المعنوية ـ الى النيران المضادة للدبابات ، ثم الى قواتنا المقتحمة لتبيدها ..

وبجانب النيران غير المباشرة قامت النيران المباشرة بتحقيق السيطرة والسيادة النيرانية .. ونقصد بها نيران المدافع والصواريخ المضادة للدبابات ، ونيران الدبابات والمدافع عديمة الارتداد والقواذف الصاروخية للمشاة ، بل نيران كل الأسلحة الصغيرة أيضا .. اذ تضافرت جميعا وأسهمت فى فرض السيطرة النيرانية على أرض المعركة .. ثم امتد مجال عملها الى أخطر المناطق حيث أعطت هذه السيطرة ثمرتها المرجوة .. فأوقعت التدمير النهائى بالعدو ..

وكان الاسلوب الذى استخدم به صواريخنا الموجهة المضادة للدبابات أروع ما أضافته المدفعية الى خبرة الحروب .. فقد كانت هذه أول حرب تدار على الأسس العلمية الحديثة ، وتستخدم فيها الصواريخ بهذا المستوى ، سواء من ناحية الكم أو الكيف اذ تضافر كثرة عددها مع مهارة عمال توجيهها على انزال خسائر فادحة بمدرعات العدو اهتزت لفداحتها قيادته ، وادهشت الأوساط العسكرية فى العالم أجمع .. واعتبر نسبة ما دمرته هذه الصواريخ الى نسبة ما دمرته باقى الأسلحة الأخرى خطيرة حقا .

* وهكذا استبان للعالم ان الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات ، قد قلبت ميزان الصراع بين الدبابه والأسلحة المضادة لها .. وأن الدبابات ، وان كانت ستبقى القوة الهجومية الرئيسية فى معارك البر ، الا أن هذا السلاح الرهيب الجديد قد أعادها الى الحجم الحقيقى فى أرض القتال ..

ان المدفعية المصرية قد أضافت كثيرا الى العلم العسكرى ، باستخدامها الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات على هذا المستوى وبهذه الكفاءة وسوف يسجل التاريخ أن هذه الاضافة ، لم تكن لتظهر بهذا التأثير لولا مهارة عمال التوجيه الاكفاء فاليهم يرجع الفضل فى ابراز أقصى امكانات هذه الأسلحة الفتاكة .

وكان نجاح المدفعية فى تنفيذ مهامها نتيجة عوامل كثيرة .

١ ـ الاقتناع بأهمية قوة النيران . والاقتناع هو الأساس الأول الذى جعل قيادتنا توفر هذا القدر من السلاح والذخائر ، وما يتعلق بها من معدات فنية حديثة وأجهزة حاسبة .. الخ وما يتكلفه ذلك من ميزانية باهظة . وهو درس وعته الأركان العامة الاسرائيلية جيدا فأسرعت بعد الحرب مباشرة تعلن انها زادت مدفعيتها ٨٠ ٪ عما كانت من قبل ..

٢ ـ ارتفاع مستوى كفاءة القادة والأفراد مما مكنهم من استيعاب

أسلحتهم ومعداتهم ومواجهة جميع مواقف ومتطلبات المعركة • وكل ذلك بفضل الجهد الذى قام به الرجال فى التدريب •

٣ ـ خبرات حرب الاستنزاف التى كان لها الفضل الكبير فى تطوير أساليب كثيرة لاستخدام المدفعية •• ولقد استوعبت مدفعيتنا دروس حرب الاستنزاف على المستوى التعبوى والتكتيكى فى حين أهملها العدو صلفا •

ولولا ممارسة قيادات المدفعية السيطرة على جميع مستوياتها أثناء ادارة قصفاتها فى معارك المدفعية الشهيرة ، لما بلغت ذلك المستوى الرفيع فى السيطرة على كل هذا القدر من المدافع فى حرب رمضان ••

* كان للتخطيط الجيد المدروس على أسس علمية سليمة على جميع المستويات الأثر الكبير على نجاح التنفيذ ، بل كانت جميع النتائج قد تم اختبارها بطريقة أو بأخرى قبل الحرب ، فكانت قدرات كل سلاح معروفة ومجربة ، وكذا قدرات كل وحدة بل كل تشكيل •

ويكمل هذه الصورة الرائعة من التخطيط تنفيذ خطة الخداع التى ستظل حدثا فريدا ، بالرغم من تحريك هذه الاعداد الضخمة من المدافع• وقد توج هذا التخطيط بتنفيذ دقيق ، ومفهوم رائع لدور المدفعية فى معركة الأسلحة المشتركة •

وعن المدرعات :

فكما بدأ الاعداد لحرب رمضان منذ توقف القتال فى يونيو ٦٧ بدأت القوات المدرعة المصرية تعيد حساباتها على أساس اعداد قوة مدرعة متفوقه لخوض جولة حتمية قادمة فى ظروف متكافئة •

وبعد أيام قليلة من بدء حرب رمضان قال الجنرال ديان :

« فى اليوم الرابع للحرب ، وضح أن مصر أحرزت تفوقا ظاهرا فى معارك المدرعات بسيناء ولو أصرت اسرائيل على الاستمرار فى محاولة دفع القوات المصرية التى عبرت غرب القناة لفقدت اسرائيل قوتها •• ولما أصبح لديها قوة تذكر • لقد خسرت اسرائيل فى الثلاثة أيام الأولى من الحرب عددا كبيرا من الطائرات وعددا هائلا من المدرعات » •

وهكذا أفادت فترة الاعداد الجدية للحرب فى خلق الارادة المصرية القوية التى تحطم بفضلها غرور اسرائيل •

ويتجلى لنا دور المدرعات فى الساعات الأولى لاقتحام قناة السويس حين استطاعت من المصاطب المعدة على الضفة الغربية ـ التى احتلت منها حوالى ٦٧ مصطبة ـ الاشتباك مع العدو فى الضفة الشرقية للقناة لمنع

تحركات أفراده ومعداته والحاق الدمار بمدرعاته في حدود مدى الضرب المباشر لدباباتنا ·

وتحت حماية هذا الضرب المباشر للدبابات من الضفة الغربية وقصف المدفعية المركز في العمق ، اقتحمت القناة خمس فرق من المشاة المصرية، وكانت الصفعة الأولى للمدرعات الاسرائيلية ·· اذ احتلت حصون معظمها في خط بارليف في غضون الساعات الأولى من القتال ، وأصبح الفرق بين سقوط نقطة وأخرى يحسب بالدقائق ·

وعلى الفور تساءل العالم عن التقييم الحقيقي لرجال مدرعات مصر وكيف استطاعوا أن يستوعبوا كل هذا التطور التكنولوجي في نوعية الأجهزة المعقدة ثم يضيفوا اليه كفاءة ميدانية رفيعة ·

وأجابت خبرة القتال كما أجاب أسرى اسرائيل ·

* ان القدرات الفنية لجندى المدرعات المصرى ·· متفوقة ·· على حين كانت اسرائيل تعتمد على قدرة المعدات أكثر مما اعتمدت على كفاءة الأفراد ··
* ان سائق الدبابة الاسرائيلي ينحصر تدريبه على السواقة في شهرين على الأكثر لا يمارس خلالهما أكثر من ٣ ـ ٥ ساعة سواقة علمية ـ اعتمادا على سهولة قيادة الدبابات الأمريكية ، وتوفر تسهيلات النقل الهيدروليكى للتروس وقلة الجهد اللازم لممارسة القيادة ـ وهو لا يهتم بعمليات الصيانة وضبط أجهزة الدبابة واصلاح أى أعطال فنية ، اذ أن أقل عطل كاف لأن يتركها قائدها وطاقمها ·
* وما يقال فى تقييم السائق ينطبق على الرامى والقائد ·· بل يمكن أن نضيف ان طاقم المدرعات المصرى قادر على تبادل العمل بين المهن المختلفة ، فيستطيع القائد أو الرامى قيادة الدبابة ويستطيع المعمر أو السائق العمل على مدفع الدبابة ·
* وتساءل الخبراء العسكريون عن التقييم الحقيقى للمعدات التى تستخدمها القوات المدرعة المصرية ·· ومقارنتها بالمعدات التى يستخدمها العدو ·
* فأجابت خبرات القتال واعترفت اسرائيل ان خبرة جندى المدرعات المصرى قد أضافت قيمة كبيرة للدبابات اذ عوضت فيها بعض نواحى النقص الناتجة عن عدم وجود جهاز تقدير مسافة ·· رغم حيويته البالغة لرفع مستوى الدقة فى الاصابة من الطلقة الأولى ·· كما عوض قلة مدى أجهزة الرؤية الليلية ·

ـ لقد عوض مستوى تدريب القادة والرماه المصريين النقص الأول على حين عوض سوء تدريب الأطقم الاسرائيلية النقص الثانى ·

وبفضل كفاءة الجندى المصرى كانت خلاصة التقييم فى صالح معداتنـــا فراح الخبراء يتحـدثون عن نقط الضـــعف الرئيسية فى الدبابات الباتون م ٦٠ ولخصوها فى الآتى :

* التعرض الزائد نتيجة لمقاييسها الكبيرة ٠
* عـدم كفاية تدريعها رغم زيادة وزنهـا فضلا على امتياز شـكل درع دباباتنا من ناحية زاوية الميل ٠
* سرعة عطلها فى الأرض الوعره وسرعة اشتعالها عند الاصابة نتيجة نوع الســائل الهيدروليكى لأجهزة ادارة النـيران الموجودة فى برج الدبابات ٠
* عدم وجود جهاز حاكم وبالتالى عدم القدرة على الرمى من الحركة ٠
* زيادة ضغطها على الأرض عن مثيلاتها فى العالم ٠
* قلة القدرة النوعية (نسبة القوة للوزن) ٠

وخلاصة الأمر فان المدرعات المصرية قد نجحت فى العبور فى التوقيتات المحددة ، وبعد أقل من ٦ ساعات من عبور الموجات الأولى للمشاة ٠ وفى كثير من القطاعات استطاعت أن تصد الهجمات المضادة لمدرعات العدو فى نفس يوم العبور بعد صمود المشاة أمام الهجمات المضادة المحلية ٠

* استخدمت دبابات الألوية المشاة كدبابات للتعاون الوثيق لمعاونة قوات رءوس الشواطى استخداما صحيحا أدى الى النجـاح الكامل فى صد الهجمات المضادة ثم تطوير الهجـــوم لتحقيق المهام الأساسية للفرق المشاة فى توقيتاتها المحددة لها ٠
* استخدمت بعض الوحدات الفرعية الدبابات فى القيــــام بالهجمات المضادة لتدمير دبابات العدو التى نجحت فى الاختراق وقد نجح هذا الأسلوب فى معظم الأحيان فى استعادة الموقف وتكبيد العدو خسائر جسيمة فى دباباته ٠
* أما مدرعات اسرائيل فقد أدت المفـــاجأة الى عدم حشدها بالكثافة الواجبة مما أدى الى تفككها وبالتالى سهولة تدميرها ٠
* فشل الاسرائيليون فى استخدام صواريخهم المضـــادة للدبابات فى الهجوم واقتصر استخدامها على كمائن تبث فى طريق الدبابات المصرية أثناء مطاردتها للدبابات الاسرائيلية المنسحبة ٠٠
* أثر النشاط المحدود للمعاونة الجوية ـ نتيجة قوة الدفاع الجـــوى المصرى ـ على أعمال المدرعات الاسرائيلية فحد من نشاطها الى درجة كبيرة ٠

● **وعن قوات الصاعقة :**

فما أن اندلعت الشرارة الأولى لحرب رمضان حتى كانت جماعات من الصاعقة تعبر بقواربها المطاط مياه القناة على طول امتدادها من بور سعيد شمالا الى السويس جنوبا ، لتشكل طلائع الزحف الهائل • وكان لها شرف رفع أول مجموعة من الاعلام فوق روابى سيناء الحبيبة ، لتنطلق بعدها موجات متتالية من المشاة والمدفعية المضادة للدبابات ••

وعلى الحد الأمامى كان رجال الصاعقة أول من قهر الساتر الترابى العالى ، فتسلقوه بالحبال ، وبالأظافر والأنياب ، واستولوا على المصاطب التى أعدها العدو لدباباته وقاموا ببث الالغام فيها ، ثم اندفعت جماعات منهم الى الشرق ، حيث أقاموا الكمائن لاقتناص دبابات العدو التى حاولت الاقتراب من الساتر الترابى •• وقاموا بمفردهم باقتحام بعض مواقع العدو الحصينة ، كما اشتركوا مع رجال المشاة فى مهاجمة باقى حصون العدو وقلاعه القوية •

وانقض رجال الصاعقة والمشاة على مواقع العدو الحصينة فى هجمات مكثفة ، فحطموا اسطورة الجيش الذى لا يقهر • ودار القتال الضارى الشرس داخل القلاع والحصون ، واشتبك الخصوم بالسلاح الأبيض ، وبالأيدى ، **وكانت الغلبة لجند مصر** •• الذين كانت الرغبة الجارفة فى رفع عار ١٩٦٧ تدفعهم بكل وجدانهم الى تحطيم العدو الصلف المغرور ••

وقبل آخر ضوء كانت أعداد كبيرة من طائرات الهليكوبتر قد أفرغت حمولتها من رجال الصاعقة فى عمق سيناء شمالا وجنوبا ، بين جبالها ووهادها •• وبعد ساعات قليلة من انطلاق الشرارة الاولى كان رجال الصاعقة ينقضون على أهدافهم فى عمق العدو ، وينجزون مهامهم المحددة •

وفى الوقت نفسه كانت جماعات منهم تزحف على مياه البحرين الاحمر والمتوسط ، لتصل الى أهدافها على شواحل سيناء •• لقد فوجىء العدو بهذا الحجم الكبير من قوات الصاعقة تظهر فجأة ، وفى كل مكان من سيناء ، وطوال أيام المعركة •

ففى الشمال قاتل رجال الصاعقة فى مواجهة الجيشين الثانى والثالث فى عمق سيناء ، قتالا مستميتا على الطرق والمضايق ، ضد مدرعات العدو التى حاولت الاقتراب لاجهاض عملية عبور قواتنا وانشاء رءوس الكبارى ، فواجهوا دبابات العدو بأسلحتهم الخفيفة المضادة للدبابات وقنابلهم اليدوية ، **بل القوا بانفسهم فى طريق تقدم العدو • وعلى ظهورهم الألغام المضادة للدبابات كى تنفجر فوق أجسامهم مدرعات**

العـــدو ، وتركوا على رمال سيناء بصمة شريفة تشهد بأن هذه البقعة أو تلك قد استشهد فوقها فدائى شهم من رجال الصاعقة ، قدم حياته فداء زميله حتى ينجح العبور ويتحقق الأمل المنشود ..

وفى عمق ســيناء استمرت قــوات الصاعقة فى التمسك بالمضايق الجبلية والممرات ، فمنعت قوات العدو من المناورة الا بخسائر جسيمة .. ونستبق الحوادث قليـــلا لنذكر كيف أن وحدة من الصاعقة ظلت تتمسك بمضيق ســـدر من يوم ٦ الى يوم ٢٢ أكتوبر ، فحرمت بذلك العدو من اجتياز هذا المضيق لمدة ١٦ يوما ، حتى جاءها الأمر بالارتداد ، فعادت لتنضم الى باقى قوات الجيش الثالث .

أما فى جنوب سيناء فقد أقام رجال الصاعقة قواعدهم فى وديانها، واستمروا ينطلقون فى اغاراتهم على أهداف العدو فى مناطق أبو رديس وبلاعيم وأبو زنيمة والطور .. فبثوا الذعر فى قلوب العدو ، وأجبروه على دفع قوات كبيرة من المدرعات والمشاة الميكانيكية لحماية أهدافه بهذه المنطقة .. ونجحت بذلك قوات الصاعقة فى جــذب وحصر جزء كبير من قوات العدو فى جنوب سيناء ، مما خفف الضغط على قواتنا فى الشمال أثناء انشاء رءوس الكبارى .

وعندما تقرر حرمان العدو من بترول سيناء شارك رجال الصاعقة فى نسف وتدمير منشآت ومستودعات البترول فى منـــاطق أبو رديس وبلاعيم وأبو زنيمة وســـدر ... واستمرت قوات الصاعقة فى بث الذعر فى صفوف العدو ، ومهاجمة أهدافه الحيـــوية فى جنوب سيناء حتى توقف اطلاق النار .. **بل ظلت بعضها تنفذ مهامها حتى عادت فى ابريل ١٩٧٤ .**

● أما عن المهندسين العسكريين :

فأمرهم لا يوفيه حقه الا كتاب كامل عن ذلك الانجاز الذى يشبه الاعجاز . فما كان مستطاعا اقتحام القناة وانشاء رءوس الكبارى شرقها دون الاعمال البطولية التى قام بها رجال المهندسين العسكريين .. ولكن ضيق المساحة يجعلنا نقصر الأمر على القــاء بعض الضوء على أروع تلك الأعمال .

ففى الساعة ١٤٢٠ من السادس من أكتوبر ٧٣ عبرت الموجة الأولى من القوات المهاجمة قناة السويس ، ومعها عناصر من المهندسين العسكريين لتأمين مرور المترجلين فى حقول الألغام المعادية ، ثم عادت القوارب لتنقل الموجات التالية ..

ثم تلا ذلك مباشرة عبور عناصر أخرى لتحديد محــاور الثغرات فى

الساتر الترابى ، وتجهيز الأرصفة للمعديات والكبارى .. وعبرت بعد ذلك مجموعات فتح الممرات من المهندسين ومعها مضخات المياه القوية ..

وجدير بالذكر أنه خلال ساعتين من انطلاق الشرارة الأولى كان حجم قوات المهندسين العسكريين التى عبرت القناة ، والتى راحت تعمل فوق سطح الساتر الترابى وفوق صفحة القناة ، قد تجـاوز الخمسة عشر ألف مقاتل من المهندسين العسكريين من مختلف التخصصات .

وفى الموجة الثـانية عبرت ثمانون وحـدة هندسية فى قواربهم الخشبية المحملة بالأفراد والمضخات والخراطيم وخلافها من مهمات فتح الممرات فى الساتر الترابى .

ووصلت القوارب الى الضفة الشرقية ، واتخذت أماكنهـا ، وتم تثبيتهـا ، وركبت الخراطيم فى المضـخات ومدت وركبت فى النهايات الاخرى البشـابير ، وأصبح كل فرد جاهزا للعمل . ودارت المضخات بأوامر من القيادة ، فاندفعت الميـاه من البشابير كالسيوف تشق خط بارليف ، وبدأت الاتربة تنهار وتحـول الرجال خـلال دقائق الى لون أسود بفعل الطين المتطاير فى جميع الاتجاهات ، على حين كانت جميع أنواع أسلحة قواتنا وقوات العدو تهدر بعنف من حولهم . ومضى الرجال فى تصميم مصرى أصيل ينفذون مهمتهم بثقة وايمان .

وبعد ساعات قليلة بدأت البلاغات تتوالى عن انتهـاء المضخات من ازالة الساتر ، وبدأت عملية تثبيت أرضـيات الممرات التى تحولت الى وحل لأعماق كبيرة تجاوزت المتر فى بعض المناطق . وقد استخدمت فى تنفيذ هذه المهمة مواد مختلفة طبقا لطبيعة التربة ، من أخشاب وقضبان وحجارة وشكاير مملوءة بالرمل وألواح من الصلب وشباك معدنية وغير ذلك من المواد .

وكانت عملية تثبيت الممرات ضرورية حتى تتمـكن آلات الجرف من الخروج من المعـديات الى الممرات لتقوم بازاحة الطبقـة الموحلة من الأرض وتصل الى القشرة الجافة التى يمكن للدبابات والمركبات أن تسير عليها دون تعثر .

ومنذ اللحظة الأولى للعبور بدأت أرتال وحـدات العبور تتقدم على الطرق المحددة لها من قبل ، وفى التوقيتات المخططة أيضا ، حيث كان ذلك يتوقف على عوامل ثلاثة هى مسـافة التحرك من منطقة التمركز الى القناة ، والزمن اللازم لاسقاط مهمات الكوبرى وتجميعه فى الماء ، والزمن اللازم لفتح الممر فى الساتر الترابى . وراحت مئات من العربات المحملة بمهمات الكبارى واللنشات تتحرك على عشرات الطرق فى مجموعات صغيرة ، وبفواصل زمنية محسـوبة بدقة طبقا لاتسـاع ساحة الاسقاط المحددة لكل وحدة .

ويبدو تشبيه هذه العملية بأنها مثل خلية النحل تشبيها ينقص من قدر ما حوته من نظام محكم من حيث المسافات والتوقيتات لكل قطعة ومعبرة ووحدة ، فالعربات تتحرك في جميع الاتجاهات ٠٠ من الخلف للامام تتحرك العربات وهي محملة ، ومن الأمام للخلف تعود العربات وهي فارغة ، والى اليمين واليسار تحركات تطلبتها المناورة بوحدات العبور من اتجاه لآخر ، وفي مياه القناة تحركات مماثلة تتم نهـــارا ، وعندما هبط الظلام سارت الاعمال ليلا بنفس النظام الدقيق ، اذ كان كل فرد يعرف مهمته ، ويعرف اتجاهه ومكان عمله ٠

تم كل ذلك رغم محاولات العدو منع انشـــاء وتشغيل الكبارى والمعديات ، ومنع فتح الممرات في الساتر الترابى ، بالقصف المستمر من الأرض والجو على مناطق تمركز وحدات العبور ، وطرق تحركها ، ومناطق الاسقاط والممرات ٠ وفي النهاية اكتمل العمل العظيم ، وأتم المهندسون انشاء الكبارى والمعديات في الجيش الثانى في فترة تراوحت بين ست وتسع ساعات مثلما كان مخططا تماما ٠

لقد كان عبور فرق المشاه لقناة السويس في نطاق الجيش الثـانى عملية يفوق نجاحها كل وصف ، وخاصة في نطاق الفرقة الثانية المشاة حيث عبر الى الضفة الشرقية قبل فجر يوم ٧ أكتوبر حوالى ٢٤٠ دبابة مما مكن قائد الفرقة من استخدام كتيبــة دبابات فرقته لمعــاونة اللواء الأيمن في صـــد هجوم مضاد قوى للعدو شنه في مساء يوم ٦ أكتوبر ولم يكن يتوقع وجود دبابات مصرية في هذا الوقت على الضفة الشرقية ٠٠ لقد تصور أن دباباتنا سوف تبدأ العبور في صباح يوم ٧ أكتوبر ٠

وبذا وعلى الرغم من التوقيتات المحددة في الخطة لاستعداد الكبارى فان رجال مهندسى الجيش الثانى بمعونة الله وبالتدريب الجيد وروح الفداء أقاموا هذه الكبارى في توقيتات قياسية

وكان معدل العبور في نطاق الفرقة السادسة عشرة المشاة معقولا الا أن قائد الجيش الثانى — رغب في زياته — فاتصل برئيس مهندسيه (العميد أ ٠ ح ٠ أحمد شوقى فراج) في منتصف ليلة ٦/٧ أكتوبر وطلب منه التوجه بنفسه الى نطاق الفرقة ١٦ والعمل على زيادة معدل العبـــور باتخاذ كل الاجراءات الممكنة ٠

وأمكن نتيجة لذلك تعـــدية لواء مدرع كامل في ســـاعة ونصف (ما بين السادسة والنصف والثامنة صباحا) كمـــا لو كان الأمر بيانا عمليا نموذجيا ٠

وبذلك كان للجيش الثانى في صــــباح يوم ٧ أكتوبر على الضفة الشرقية للقنـــاة حوالى ٦٠٠ دبابة فضلا على الأسلحة المضـــادة للدبابات وكتائب مدفعية الميدان وغيرها من أسلحة القتال ٠٠ بل ان معابر الفرقة

السادسة عشرة المشاة كانت جاهزة منذ صباح يوم ٧ أكتوبر لعبور وحدات من الجيش الثالث الميدانى اذا تطلب الموقف ذلك ٠

أما فى قطاع الجيش الثالث فقد اصطدمت عملية فتح الممرات فى الساتر الترابى وانشاء الكبارى بجميع العوامل المعوقة من قصف مركز من طائرات ومدفعية العدو ، الى صلابة تربة الساتر الترابى التى جعلت عملية تجريف المياه شاقة ، ولتحول أرضية الممرات الى وحل تجاوز عمقه المتر ، مما تطلب وسائل اضافية لتثبيت التربة ، نقلت من مناطق التشوين فى الخلف ، ومن تغيرات فى مناسيب مياه القناة بفعل المد والجزر ، حيث كان القمر فى العاشر من رمضان وكلما ارتفع القمر زاد أثر المد والجزر ٠٠ والبحر الأحمر والجزء الملاصق له من القناة أكثر القطاعات تأثرا به ٠٠ وأخيرا فان سرعة التيار العالية وتغير اتجاهه مع طول زمن التركيب كان عاملا معوقا ذا قيمة سالبة خطيرة ٠ حقيقة ان معظم هذه العوامل المعوقة كانت متوقعة الا أن تكاتفها جميعا فى الوقت نفسه أدى الى انشاء الكبارى فى نطاق الجيش الثالث فى نحو ست عشرة ساعة ، بخسارة زمنية قدرها سبع ساعات عن التخطيط الموضوع ٠

وتم انشاء عشرة كبارى ثقيلة وعشرة كبارى مشاة ، وعدد كبير من المعديات ، مما أتاح لدباباتنا ومعداتنا وأسلحتنا الثقيلة أن تعبر صفحة القناة وتصل الى رءوس الكبارى فى الوقت المناسب ٠

وقامت الشرطة العسكرية وأفراد مراقبة المرور بجهد مشكور فى ارشاد الجميع الى محاورهم ، حتى ينضموا بسرعة الى وحداتهم التى كانت مشتبكة عندئذ بعنف على الحد الأمامى داخل رءوس الكبارى ، ورغم أن كل ذلك تم فى الظلام الا أنه سار بطريقة مثالية ترتب عليها وصول الاسلحة والمعدات الثقيلة الى أماكنها المخططة فى الوقت المناسب لتقلب موازين القوى فى صالحنا ٠

وقام العدو بتركيز هجماته الجوية ونيران مدفعيته على الكبارى لاحباط عبور قواتنا ٠٠٠ وامتصت المعابر الهيكلية معظم هذه الضربات ٠٠ وكان لفدائية أفراد وحدات الكبارى جميعا من الجندى الى قائد المعبر الفضل فى سرعة استعادة كفاءة المعابر بعد اصابتها ، وفى أزمنة قياسية ، وتحت نيران العدو ٠٠

وجدير بالذكر أن معظم الكبارى أصيبت وأعيد اصلاحها أكثر من خمس مرات ٠٠ وقد ضرب العميد أركان الحرب أحمد حمدى نائب مدير المهندسين العسكريين وقائد احد ألوية الكبارى المثل الأعلى فى التضحية والفداء ، اذ استشهد وهو يشارك أفراد أحد الكبارى فى اصلاحه ٠٠

لقد كان للمناورة بالمعابر ، والمناورة بالقوات للعبور عليها بسلاسة

وتدفق ، الفضل الاكبر فى سرعة عبور القوات بالاحجام الضخمة فى الليالى الأولى للعملية الهجومية ٠٠ ويقول هوارد كالاوى وزير الجيش الامريكى لوكالة الاسوشيتد برس يوم ١٨ أكتوبر فى هذا الشأن ٠٠٠ « **ان العبور الذى قامت به القوات المصرية فى قناة السويس فى مواجهة القوة الجوية الاسرائيلية المتفوقة هو بمثابة علامة مميزة فى الحرب الحديثة ستغير من الاستراتيجية العسكرية** » ٠

ولم يقتصر دور المهندسين العسكريين على انشاء المعديات والكبارى، بل قاموا ببذل مجهود كبير فى الاستيلاء على رءوس الكبارى وتعزيزها ، وذلك بالتعاون مع باقى الأسلحة المشتركة فى صد هجمات دبابات العدو ، برص الألغام فى مواجهة مدرعات العدو لحصر مناورتها وايقاف تحركاتها ٠٠٠ كما عبرت الى رءوس الكبارى مئات القطع من المعدات الهندسية المتنوعة لتعاون القوات فى تجهيز مواقعها بحفر خنادق ومواقع الدبابات والمدفعية ، وانشاء السواتر ، وغيرها من الأعمال الأخرى ٠

ويكفى أن نذكر أن قوات المهندسين العسكريين قد رصت حوالى مليون لغم مضاد للدبابات خلال حرب رمضان ٠٠٠

كان للتعاون التام والتنسيق الوثيق بين جميع الأسلحة المقاتلة والقوات المتخصصة الفضل الأكبر فى اقتحام قناة السويس ، وتحطيم خط بارليف بقلاعه وحصونه ونقطه القوية ، والاستيلاء على رءوس الكبارى وتوسيعها ، ثم توحيدها بنهاية يوم ٩ أكتوبر ٠٠

تامين رءوس الكبارى وتعزيز المعابر

الوقفة التعبوية

بعد أن أتمت الانساق الأولى للجيوش الميدانية تحقيق المهام المباشرة المخصصة لها شرق القناة توقفت القوات لمدة ٤ أيام (١٠ ــ ١٣ أكتوبر) حيث تحولت لتعزيز الخط المستولى عليه ، وتامين رءوس كبارى الجيوش ، وتعزيز المعابر على قناة السويس ٠٠

وقامت تشكيلات الجيوش الميدانية خلال هذه الوقفة بصد العشرات من الهجمات المضادة للعدو ، التى وجهها ــ بعد أن أفاق من غشيته ، واسترد بعض وعيه ــ ضد رءوس الكبارى بقوات تراوحت بين عدة سرايا الى عدة ألوية مدرعة ومشاة ميكانيكية ، ركزها ضد أجناب رءوس الكبارى ، محاولا تطويقها والوصول الى المعابر لتدميرها ، لايقاف تدفق القوات المصرية الى الشرق ، أو عزل قواتنا التى أتمت العبور ، عن قواعدها فى الغرب ٠

وقام العدو في الوقت نفسه بالقصف الجوى المتتالى للقوات والمعابر بأعداد كبيرة من الطائرات وبصفة شبه مستمرة ، محاولا ايقاع أكبر خسائر بها لتليينها توطئة للقضاء عليها ، كما قام بعدة محاولات لمهاجمة بعض القواعد الجوية والمطارات بهدف احداث خسائر بالقوات الجوية المصرية على مراحل ، ما دام لا يستطيع تحقيق السيطرة الجوية بالضربة الجوية المركزة على غرار ما فعله بنجاح كبير صباح الخامس من يونيو ١٩٦٧ .

وبلغ اجمالى طلعات العدو الجوية خلال الوقفه التعبوية نحو ١٠٥٠ طلعة طائرة أمكن لقواتنا الجوية اسقاط (٤١) طائرة منها على امتداد أيام ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ أكتوبر .

ولقد أمكن للعدو بذل كل تلك الجهود بفضل الامدادات الجديدة من الأسلحة الأمريكية المتطورة التى انهالت عليه من ترسانات الولايات المتحدة ، وتم تفريغها فى مطار العريش رأسا بواسطة أطقم أمريكية متخصصة ، اعتبارا من ١٠ أكتوبر والأيام التالية . تلك الامدادات التى وصفها جيمس شليزنجر وزير الدفاع الأمريكى يوم ٥ نوفمبر بأنها .. قد استنفدت بشكل خطير المخزون الأمريكى من الأسلحة والمعدات بالقدر الذى سوف يرغم حكومة نيكسون على طلب زيادة ميزانية الدفاع لعام ١٩٧٤ » ..

ونتيجة لمحاولات القيادة الاسرائيلية المتكررة تصفية رءوس الكبارى أو تثبيتها ، وبفضل استبسال المقاتل المصرى ، تكبدت اسرائيل خسائر كبيرة فى الطائرات والدبابات والأسلحة والمعدات والأفراد ، كان من الممكن أن تكون فادحة بالنسبة لها لولا اسراع أمريكا بنجدتها وتعويض خسائرها بالجسر الجوى المشهور . وقد أمكن لقواتنا أسر عدد من دبابات العدو ومعداته وأسلحته سليمة ، وحدث هذا لأول مرة فى تاريخ العسكرية الصهيونية ..

وأبدى حاييم بارليف فى جلسة الحكومة صباح ١٠ أكتوبر عدم ارتياحه من الجو الكئيب الذى أصبح يسود الأركان العامة ، فدعاه اليعازر جانبا وأسر اليه انه يشعر بعدم التوفيق فى الجنوب ، وان العلاقات بين كبار القادة هناك لا يصح السكوت عليها ، واقترح عليه ان يتولى مسئولية هذه الجبهة .. وبعد مشاورات مع ديان ومائير طرأت فكرة أن يذهب بارليف كممثل شخصى لاليعازر ، حتى لا يشعر أحد بعزل جونين أثناء المعركة .. ووافق بارليف تحت شرط ان يعلم جنرالات سيناء انه القائد الفعلى ، وليس مجرد مستشار ..

وعند الضحى وصل بارليف الى مركز قيادة جونين ، واتفقا على صيغة العمل بينهما بأن يظهر جونين أمام الملأ وكأنه بارليف رقم ١ فاذا ما اختليا ببعضهما صار بارليف هو جونين رقم ١ ــ ثم خرج بارليف يتفقد قيادته الجديدة .

وسرعان ما وصل شارون الى مركز القيادة ليقترح معاودة الهجوم بالتنسيق بين قواته وقوات مندلر فى الجنوب ، على أن يشترك معهما لواءان مدرعان يهاجمان فى اتجاه شاطئ البحيرات المره ٠٠

ووافق بارليف على هذه الفكرة ، وأمر بدفع كوبرى فى اتجاه الدفرزوار ليكون جاهزا للاستخدام بمجرد ان تسنح الفرصه ٠٠

كانت الامدادات تتدفق على مطار العريش مباشرة تحملها طائرات الجالاكس الأمريكية الضخمة ، وبكل طائرة دبابتان ، لتعويض خسائر اسرائيل الفادحة ٠٠ وكانت خطة نقل المعركة الى أرض العدو معدة من سنين ، وبتزايد حجم الامدادات الأميركية من المدرعات بدأ بارليف يفكر فى احياء خطة العبور العتيقة ، وفى مساء ١١ ناقش مع جونين ونائبه أورى بن آرى بعض التفاصيل ، وكان لشارون وآدن كثير من التحفظات بالنسبة لأسلوب العبور ومكانه ، ولكن جونين أصر على التمسك بمنطقة الدفرزوار وأيده أورى وبارليف على طول الخط لأن جانب المنطقة المنتخبة تحميه البحيرة المرة ، والضفة الغربية ليس بعدها ترعة حلوة ، والأشجار الكثيرة ميزة لا يستهان بها فى المراحل الأولى من التسلل ٠ وطار بارليف صباح ١٢ أكتوبر الى الأركان العامة ليعرض الخطة على اليعازر ، وحضر ديان المقابلة الا انه لم يتحمس للفكرة ، ورأى انه حتى اذا ما تمكنت القوات من العبور للغرب فلن يؤدى ذلك الى شيء ٠٠

وطلب اليعازر رفع الأمر الى رئيسة الحكومة ، وراح كل وزير يطرح عشرات الأسئلة حتى ساد الجلسة جو من الفتور ٠٠

وفى النهاية قطع زاعير المناقشة عندما قال ان كل الدلائل تشير الى قرب استئناف المصريين الهجوم شرقا ، فاستغل بارليف الوجوم الذى خيم على القاعة فجأة ، واقترح تأجيل البحث فى خطة العبور الى فرصة قادمة ٠٠ وفى خلال يوم ١٣ أكتوبر استعدت مجموعات العمليات الاسرائيلية الثلاث ، ووصل اليعازر لتفقد الموقف فى الجبهة ٠٠

وفى الساعة ١١٠٠ غادر مندلر مركز قيادته للاجتماع باليعازر فى مركز قيادة شارون ، الا ان قذيفة مصرية حطمت عربته نصف الجنزير وقتلته ، وتحطمت فى اللحظة نفسها العربات المجنزرة المرافقة له ٠٠

وصدر الأمر للجنرال كالمان ماجن بتولى قيادة مجموعة عمليات مندلر ، وأصبحت هناك أربعة مجموعات عمليات فى الخط الأمامى ٠٠

وحدثت ظاهرة جديدة فى المسرح بقيام طائرتا استطلاع أميركيتان طراز س ر ٧١ أ بالاستكشاف من بور سعيد شمالا حتى جنوب الصعيد على ارتفاع ٢٠ كيلو مترا وبسرعة ٣٥٠٠ كيلو متر / ساعة ٠ وليس ثمة شك أن ما حصلت عليه من معلومات قد أرسلت الى الأركان الاسرائيلية

بالسرعة الكاملة للافادة منها فى الخروج من المـــأزق الخطير الذى كانت تعانى منه وقتها ٠٠

وعلى الجـــانب الآخر كانت مرحلة الوقفـــة التعبوية تقترب من نهايتها ٠٠

لقد كان لهـذه الوقفة التعبوية أهـــداف عـدة تخـدم الخطة الهجومية المصرية لتحـــرير سيناء ، ومن أهمها :

- ضمان ثبـــات وتعزيز رءوس الكبارى المســـتولى عليهـا حتى ولو تحملت القوات بعض الخســـائر ، حيث انه من المفضـــل انزال أكبر الخسائر بالعدو من حالة الثبات مع توفر أعمـــال التجهيز الهندسى لقواتنا ، عن انزالها وقواتنا البرية فى العراء بلا سواتر أو تجهيزات هندسية تقيها خطر الهجمات الجوية المعادية ٠٠٠ هذا فضـــلا عن أن رءوس الكبارى ، التى تم تعزيزها أصبحت تشـكل قاعدة قوية يمكن أن تستند اليها القوات عندما تقوم بتطوير الهجوم شرقا ٠
- تحقيق الدفاع الجـــوى عن القوات فى رءوس الكبارى ، واســـقاط أكبر عدد ممكن من طائرات العدو التى سيوجهها قطعا ضدها هناك ، مع توفير القدرة على تحقيق الحماية لقواتنا أثنـــــاء أعمالها القتالية بالانتقال المتتالى لعناصر الدفاع الجوى بالصواريخ خلف القوات ٠
- ضمان تحقيق الاتزان الاستراتيجى فى المسرح ، بفضل وجود الانساق التالية للجيوش الميدانية ، واحتيـــاطيات القيـــادة العامة غرب قناة السويس ٠
- اعادة تنظيم وتجميع القوات فى منـــاطق رءوس الكبارى ، واستكمال الامداد الادارى والفنى بالاحتيـــاجات اســـتعدادا لتطوير الهجوم شرقا ٠

وأخيرا فقد كان من الواضح أن عاملى السرعة والوقت قد لا يكونان هما العاملين المؤثرين على التخطيط فى مثل عمليتنا الهجومية هـذه مع اقتحام المانع المائى ٠٠ ولكن المحصلة النهائية للمراحل المختلفة لديناميكا تلك العملية تشير غالبا الى أن القوات ــ نتيجة التخطيط المتزن وبفضل الأعمال القتالية المتتالية ــ يمكنها انجاز أعمال ذات نتائج ممتازة حقا ٠

ولم تكن الوقفة التعبوية فترة سكون ، ولكنها كانت فترة نشاط كبير يهدف الى صـــد هجمات العدو المضادة المتوقعة من أفضل الأوضاع الممكنة ، وجدير بنا أن نتذكر أنه خلال هذه الفترة أمكن لقواتنا أن تدمر للعدو ما ينـــاهز الخمسمائة دبابة ، فضلا عن الآلاف من الأفراد ، ولم

يكن هذا بالأمر الهين ··· كما تم الاستيلاء تماما على كل حصون العدو وقلاع خط بارليف ، واستسلم آخر موقع له وهـــو النقطة القوية فى لسان بور توفيق وأسر ٣٧ فردا به منهم خمسة ضباط وذلك فى الساعة ١٢٤٥ يوم ١٣ أكتوبر ·

وبذلت **قواتنا الجوية** خلال المرحلة الأولى للعملية الهجومية نشاطا كبيرا ، اذ قدمت المعاونة لباقى أفرع القوات المسلحة ، ونفذت ٢٧٦٥ طلعة / طائرة فى المهام التالية :

- توجيه الضربة الجوية المفاجئة سعت ١٤٠٥ يوم ٦ أكتوبر ضـــد مطارات العدو ووسائل دفاعه الجوى ومراكز قيادته ومصـــادر نيرانه البعيدة ·
- اضعاف مجهود العـــدو الجوى باستمرار مهاجمة المطارات ، ومواقع الصواريخ ومحطات الرادار ، ومراكز القيادة والشوشرة ·
- معاونة الجيوش الميدانية أثناء تنفيذها مهامها التعبوية ، وذلـــك بقصف الأهداف البرية التى تعترض طريق تقدمها ···
- انزال الخســـائر باحتياطات العـــدو المتقدمة للقيـــام بالهجمات المضادة ··
- حماية الأهـــداف الحيـــوية مثل المعـــابر ، والمطـــارات ، والقواعـــد الجوية ، بالمقاتلات وبالتعاون مع قوات الدفاع الجوى ·

  وقد تمكنت قواتنا الجوية خلال تلك المرحلة من اسقاط ٢٢ طائرة للعدو فى اشتباكات جوية عنيفة ···
- ابرار قوات الصاعقة ومجموعات الاســـتطلاع خلف خطوط العدو ، على طرق الاقتراب الرئيسية نحو القناة ، وعلى امتداد الساحل الشرقى لخليج السويس ·
- تنفيذ الاستطلاع الجوى لصالح القوات المسلحة ·

القضبان البيضاء

أما قوات الدفاع الجوى فقد قامت بتوفير الحماية المستمرة للقوات البرية شرق وغرب القناة طوال فترة قتالها ، كمـــا قامت بتوفير الحماية والوقاية للقواعد الجوية مما أدى الى فشـــل العدو فى تحقيق هدفه ، سواء بتدمير طائراتنا على الأرض ، أو تعطيل مطاراتنا وقواعدنا الجـــوية كما حدث عام ١٩٦٧ ·

ولقد شكلت قوات الدفاع الجـــوى بحق المظلة النيرانية والدرع الواقية من هجمات العدو الجوية ضد قواتنـــا وأهدافنا ، تلك الهجمات التى بلغ اجمالها حتى نهاية يوم ١٣ أكتوبر ٢٧٠٠ طلعة / طائرة ضـــد

الجبهة المصرية فقط ، ركز ٧٠٪ منها ضد القوات البرية ، ٦٪ ضد المطارات والقواعد الجوية ، ١٥٪ ضد تجمع الصواريخ المستقل فى بور سعيد ٠

وتمكنت قوات الدفاع الجوى خلال المدة نفسها من ٦ الى ١٣ أكتوبر من اسقاط ٩٥ طائرة معادية ، وذلك خلاف ما تم اصابته وسقط بعيدا أثناء عودته الى مطاراته فى عمق سيناء أو قلب اسرائيل ٠٠

« وامتلأ وجدان الطيارين الاسرائيليين بشعور غريب ، اذ وجدوا أنفسهم لأول مرة فى موقف الدفاع ، وعندما كانوا يقتربون من قناة السويس كانت تستقبلهم نيران الدفاع الجوى الذى ملأت صواريخه السماء ، وأطلق المصريون سيلا منهمرا من الصواريخ أرض / جو فكانت الطائرات الاسرائيلية أينما تحركت فى السماء تقابلها هذه القضبان البيضاء القاتلة التى كانت تجرى وراءها ، كما امتلأت السماء بالشظايا من كل لون وحجم ، التى كانت تطلقها المدفعية المصرية المضادة للطائرات » (١)٠٠

لقد ظهر جليا خلال هذه الفترة بدء تدفق الامدادات الأمريكية الحديثة من الطائرات الفانتوم ومعدات التداخل الالكترونى وصواريخ شرايك المعدلة (ضد الرادارات) والقنابل التليفزيونية (ضد وسائل الدفاع الجوى الأرضية) ، الأمر الذى أدى الى حدوث طفرة مفاجئة فى قدرات العدو الجوى وخاصة فى حجم وشدة ودقة الطلعات الجوية اعتبارا من ١٠ أكتوبر ، كما ازداد تأثير وكثافة التداخل الالكترونى على جميع أنواع أجهزتنا ٠

وكانت الطلعات المعادية على الجبهتين المصرية والسورية قد انخفضت من ١١٠٠ طلعة يوميا الى ٧٩٠ طلعة يوم ٩ ، ثم زادت الى ١١٦٤ طلعة يوم ١٠ ، ثم ١١٣٨ طلعة يوم ١٢ ٠٠

ورصدت قوات الدفاع الجوى قيام طائرة استطلاع أمريكية يوم ١٣ أكتوبر بعمل طلعة استطلاع جوى على ارتفاع شاهق بمنطقة الجبهة والعمق الاستراتيجى للجمهورية ، وأعلن عنها فى اليوم نفسه ٠ وقد ترتب على هذا الاستطلاع تحديد مواقع الدفاع الجوى وأوضاع القوات ، واكتشاف تحضيراتنا لتطوير الهجوم ٠٠

فوق الأمواج

واستهلت **القوات البحرية** نشاطها القتالى مع بدء العمليات الحربية ، فقامت بتنفيذ المهام الموكلة اليها ، والتى تضمنت الآتى :

---

(١) اسحاق بوريت ـ المراسل العسكرى لجريدة يدعوت أحرونوت ـ حديث مع طيار اسرائيلى عاد لتوه من جبهة القناة ـ ١٠ اكتوبر ١٩٧٣) ٠

- معاونة أعمال قتال الجيوش الميدانية فى منطقة البحر الأحمر ، مع الاستعداد لصد أعمال العدو المتوقعة ..

- تدمير قطع العدو البحرية فى عرض البحر ..

- تسديد الضربات ضد موانى ومراسى العدو ، وأهدافه الساحلية فى سيناء ..

- التعرض لخطوط مواصلات العدو البحرية ..

- تأمين النطاق التعبوى بالبحرين الأبيض والأحمر ، وتنظيم الدفاع عن القواعد ونقط تمركز البحرية ..

وقد اشتركت القوات البحرية فى التمهيد النيرانى بالمدفعية الساحلية والصواريخ فى قطاع بور سعيد ، وقصفت تجمعات العدو بمنطقة رمانة وشرقى بور فؤاد ورأس برون على ساحل البحر الأبيض ، وشرم الشيخ ورأس سدر ورأس محمد ورأس مسلة على ساحل خليج السويس والبحر الأحمر . كما اشتركت سرايا المدفعية الساحلية فى شمال وجنوب القناة بتقديم المعاونة بالنيران للجيوش الميدانية ، وكانت انجازاتها رائعة ..

وقامت القوات البحرية بمهاجمة مراسى العدو فى بلاعيم بالضفادع البشرية ، وتعطيل الحفار الموجود بها ، واستكمال تلغيم مدخل خليج السويس . كما أغارت الصاعقة البحرية على منطقة أبو دربة بالخليج .

وقامت التشكيلات البحرية والغواصات بتنفيذ طلعات الاقتناص واعتراض خطوط مواصلات العدو البحرية ، وأغرقت سفينة تجارية شمال بور سودان .. كما اشتبكت مع أهداف العدو البحرية شرق بور سعيد وأغرقت وحدة بحرية متوسطة (يحتمل أن تكون سفينة انزال جنود) ، وقامت بصد هجمات تشكيل بحرى معاد من ٣ أهداف بحرية ومجموعة قوارب وطائرات هليكوبتر ، وذلك بواسطة مدفعيتنا الساحية اليقظة فى رأس السادات .

واشتبكت عناصر الدفاع الساحلى فى كل من عزبة البرج شمال الدلتا وجزيرة شاكر فى خليج السويس مع وحدات العدو البحرية التى حاولت الاقتراب منها .

وعندما أيقن العدو من تفوق قواتنا البحرية ، ركز هجماته البحرية ضد بلنصات الصيد المدنية ، أما ضد قواتنا البحرية فقد اكتفى باستخدام طائرات هليكوبتر والمقاتلات القاذفة . ولقد بلغ اجمالى خسائر العدو البحرى فى هذه المرحلة : -

تدمير ٥ - ٦ طائرات هليكوبتر ، ٢ - ٣ لنشات متوسطة (صواريخ

أو مدفعية) وهدف بحرى متوسط يحتمل أن يكون ناقلة جنـــود ، واغراق سفينة تجـــارية ، واسقاط ٣ طائرات مقاتلة قاذفة ، وتعطيـــل حفار بترول .

ملامح بارزة

وقبل أن ننتقل الى سرد أحـــداث المرحلة الثـــانية من العملية الهجومية الاستراتيجية نتوقف قليلا لنستعرض بعض الملامح البـــارزة فى المرحلة الأولى ..

لقد كان احد العوامل الرئيسـية لنجاح قواتنا فى اقتحام قنـــاة السويس هو احراز قيادتنا للمفاجأة الكاملة ، ويحدث هذا لأول مرة فى تاريخ الحروب فى المسارح الصحراوية فى وجه مانع مائى مثل قناة السويس .. حيث يستحيل منطقيا تحقيق هذا القدر من المفاجأة لتعذر اخفاء تجميع القوات فى مسرح عمليـــات مفتوح مثل مسرحنا ، وعبر مانع مثل قناتنا ..

لقد اتخذت القوات اوضاع الهجوم وهى على اتصال مباشر بالعدو دون أن يكشفها مراقبوه الذين يقفون على مسافة ٢٠٠ متر فقط من ضفتنا الغربية ، ويملكون وسائل استطلاع جوية حديثة ، ويدعمهم آخر ما أخرجته الترســانة الأمريكية من ابتكارات ، فضـــلا على جهـــاز المخابرات الذى ظل يدعى أنه لا تفوته شـــاردة ولا واردة عن الـــدول العربية ، وتؤازره اقوى أجهـــزة المخابرات الغربية ، وخاصـــة وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ..

ورغم كل ذلك كانت مفاجأة العدو كاملة بعزم جمهورية مصر العربية والجمهورية العربية السورية على شن الهجوم أساسا ، فضـــلا عن موعد بدئه ، وحجم القوات التى اشتركت فى تنفيذه ، وتلك السرعة المذهلة التى اقتحمت بها قواتنـــا المظفرة قنـــاة السويس ، واخترقت خط بارليف الحصين الذى كان العدو ينادى بعدم قدرة البشر على اقتحامه

وكانت أخطر المفاجـــآت واشدها وقعا على العـــدو مالقيه من معنويات مقاتلينا العالية ، واصرارهم الاكيد على النصر او الاستشهاد .

ومهما حاولت ابواق الدعاية الاسرائيلية والصهيونية والامبريالية أن تقلل من قيمة المفاجأة ، وأن تلون الصـــورة على زعم ان القيـــادة العسكرية الاسرائيلية كانت تعلم بلحظة الهجوم وموعده ، وان القيـــادة السياسية هى التى قررت ترك المبادأة للعرب طواعية لأسباب سياسية واقتصادية .. ومهما حاولت ذلك فهو عذر أقبح من ذنب ، اذ هـــو بالتأكيد نفس ما كانت تأخذه اسرائيل على العرب ، وتعده من مثالبهم فى الجولات السابقة .

لقد كانت المفاجأة بالنسبة لاسرائيل كاملة .. اذ فقد العدو المبادأة واختلت سيطرته على قواته فى بداية العملية الهجومية الاستراتيجية ، ولم يتمكن من التدخل بقواته الجوية بتأثير ، أو توجيه نيران مدفعيته بدقة ضد قواتنا وهى تقتحم قناة السويس ..

وتسبب كل ذلك فى نجاح قواتنا فى تحقيق مهامها بخسائر ضئيلة ، تقل كثيرا عما كنا نتوقعه أو يقدره أى عسكرى متخصص .. لقد كنا على استعداد لتقبل خسائر كبيرة خلال الاقتحام والعبور ، لأنه كان علينا أن نقتحم طريقنا وسط النار والحديد مهما كان الثمن .. وقبلنا التضحية ، ولكن خسائرنا جاءت أقل مما قدرنا بكثير .

ان الانسان المصرى كان فى هذه الساعات الحاسمة يعطى بسخاء وكان فى قمة الاحساس بأصالة تاريخه وعظمة مستقبله .. فجاد كما لم يجد به أحد من قبل . وأثبت أنه خير أمة أخرجت للناس .. وأنه أفضل أجناد الأرض ..

ولم يتمكن العدو نتيجة ذلك من القيام بانتظام بالهجمات المضادة المحلية المخططة من قبل .. بل راح يرتجل ويضرب بطيش وحمق .. ولهذا بدت أفعاله كلها بسودها الارتباك .. بينما تمكنت قواتنا بفضل دقة التخطيط وروعة التنفيذ وبسالة الرجال أن تحطم كافة هجماته وضرباته المضادة ، وتسحقها الواحدة وراء الأخرى .. وامتلأت أقفاص الأسرى بجنود اسرائيل وقادتهم ..

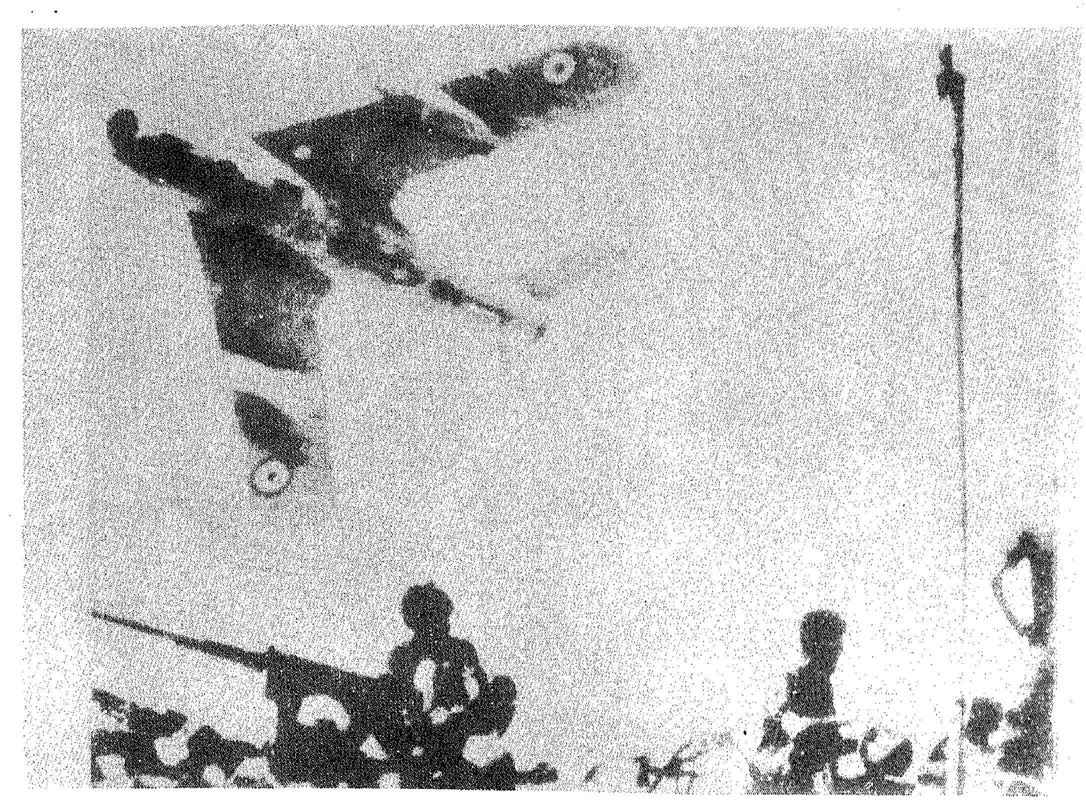
ويصف مراسل جريدة يديعوت احرونوت فى عددها الصادر يوم ٥ فبراير ١٩٧٤ كيف فشل الهجوم المضاد الكبير يوم ٨ أكتوبر ١٩٧٣ .

« .. على امتداد ليلة ٨/٧ أكتوبر دارت مناقشات طويلة بين جنرالاتنا فى مركز قيادة جبهة القناة الذى كان يسوده جو من اليأس ازاء طلبات النجدة المتتالية التى راحت تنهال عليه من المواقع الأمامية .. ولأن عدد الدبابات التى حطمها المصريون منذ بدأوا الحرب ظهر عبد الغفران كان قد تجاوز وقتئذ اضعاف ما كان يتوقعه أشد الناس اغراقا فى التشاؤم ..

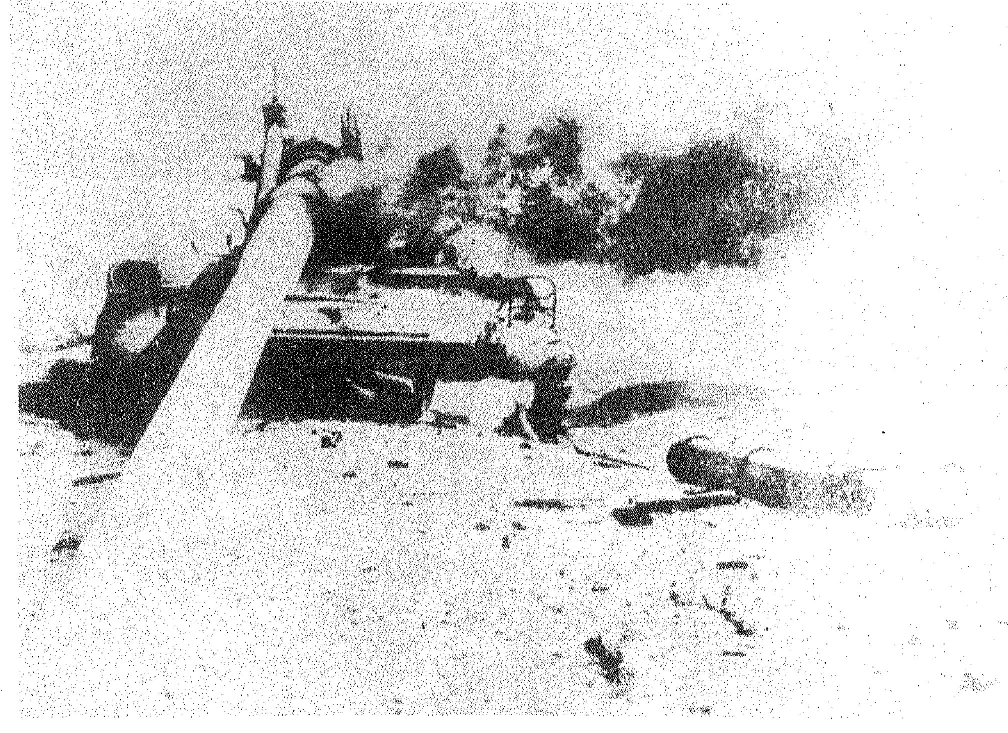
« وظهر جليا ان القتال قد تحول الى عملية سحق وتمزيق فى وحداتنا وعتادنا ..

« وعلى امتداد تلك الليلة صار تجهيز الهجوم المضاد بعد جدل عنيف استمر حتى ساعات الفجر الأولى .. وكان السؤال هل نهجم على كلا الجيشين الثانى والثالث معا ؟ أم نركز هجومنا على واحد منهما فقط ؟ وبكم مجموعة عمليات يحسن ان نشن هذا الهجوم المضاد ؟ .. وكيف ؟ ثم هل نستغل النجاح بالعبور الى الضفة الغربية ؟

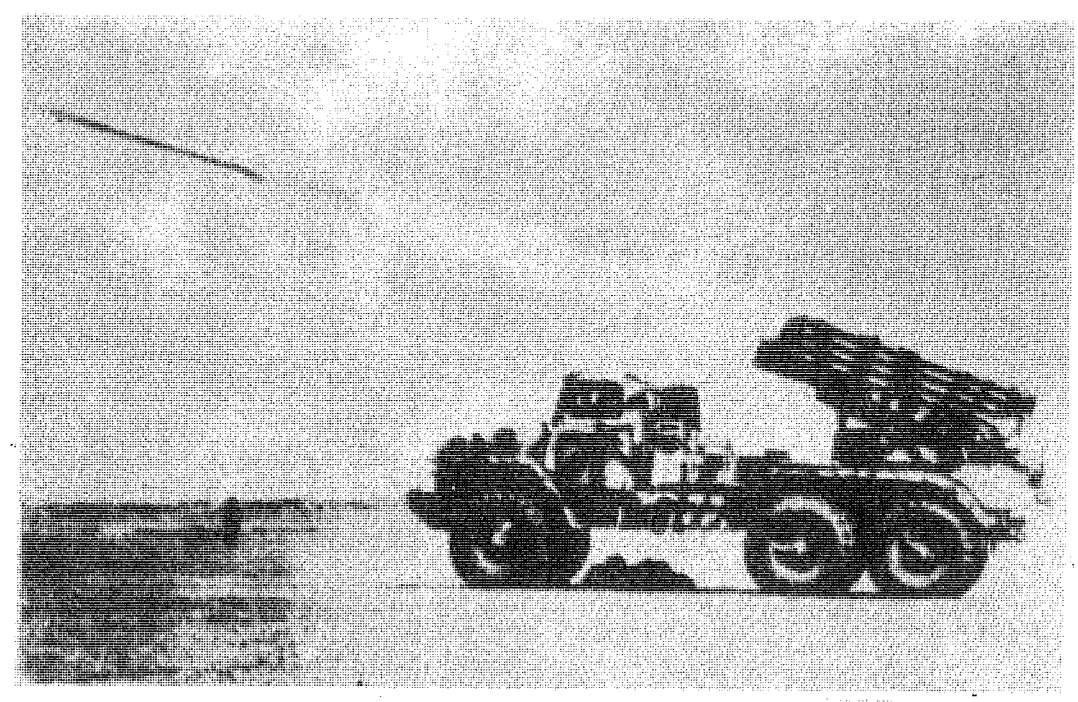
« ومع ضوء الصباح الباكر انطلقت مجموعة الجنرال آدن تشن الهجوم المضاد الكبير ، واندفعت الدبابات الاسرائيلية نحو القنطرة وجنوبها .. وبدا لفترة من الزمن أن النجاح أصبح وشيكا .



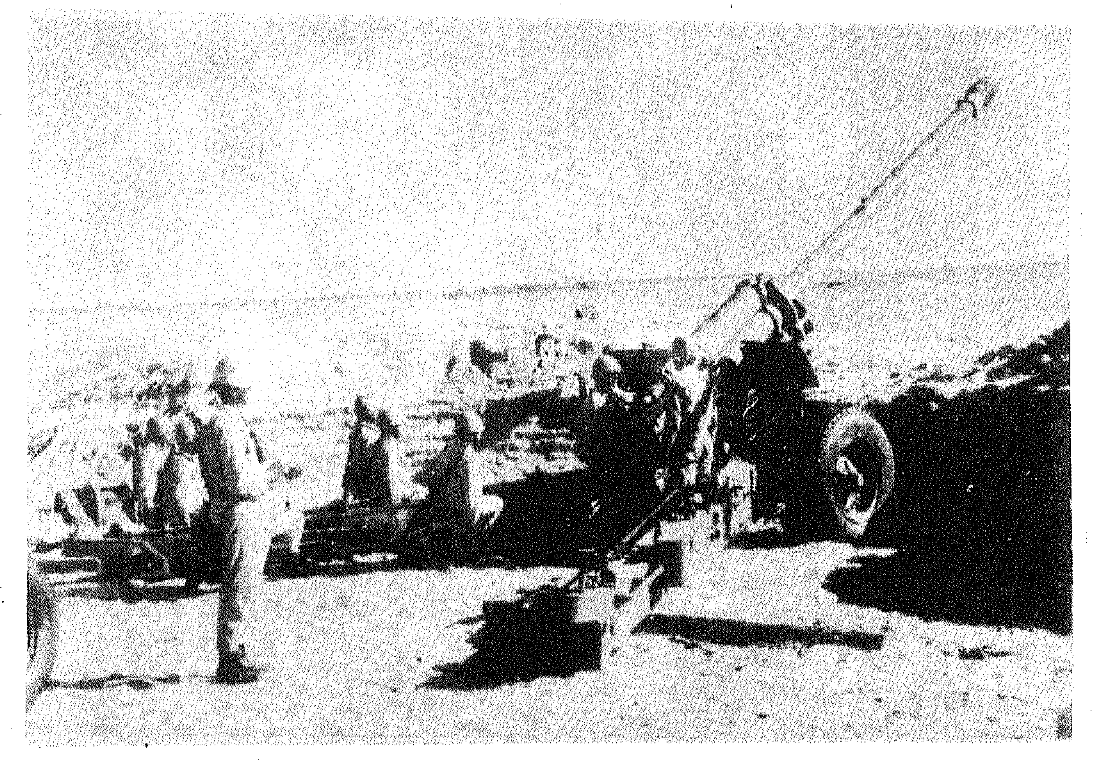
الضربة الجوية المصرية المركزة المفاجئة



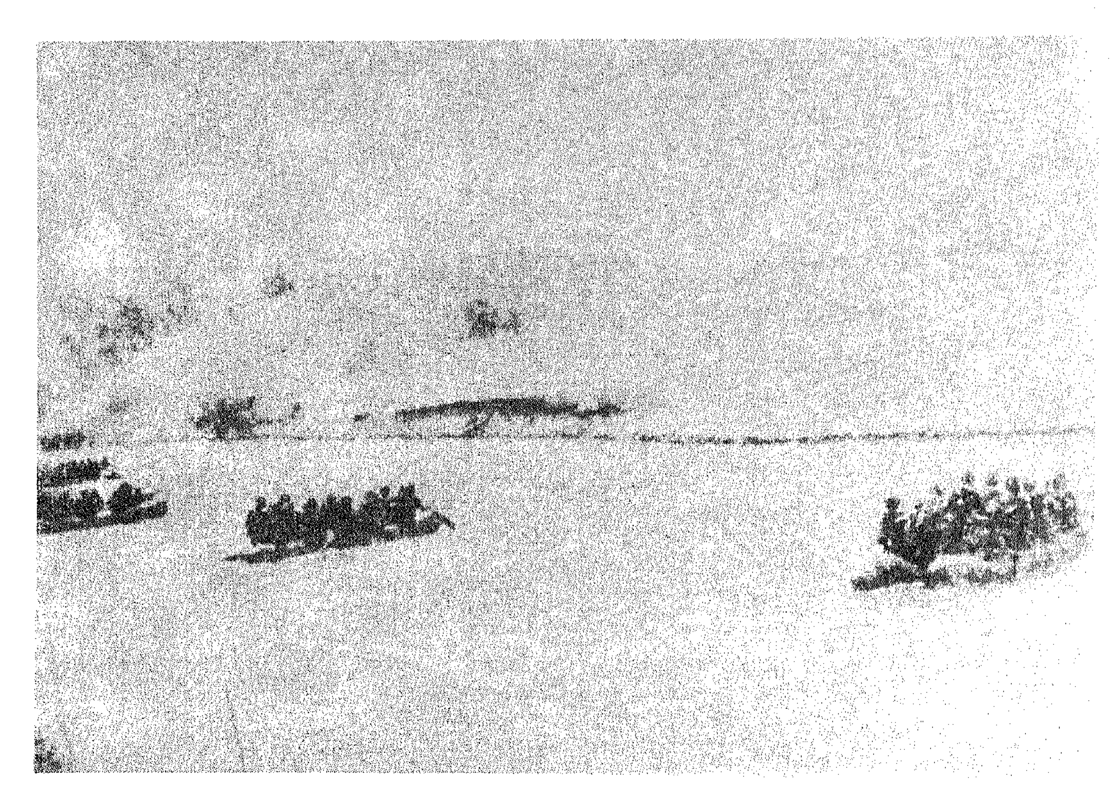
« .. ودمرت طائراتنا موقعى مدفعية بعيدة المدى »



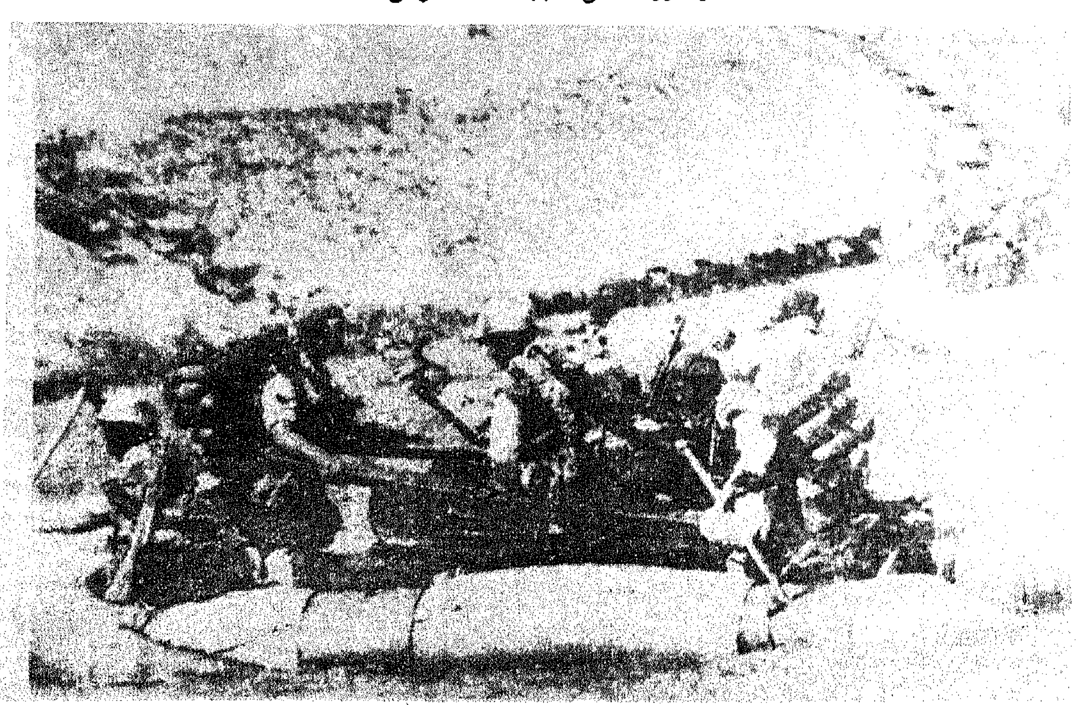
الصواريخ المصرية تدمر قلاع بارليف



« وصب ألفا مدفع الحمم فوق العدو »



« ... وتحت ستر النيران الكثيفة عبرت جماعات الصاعقة
ومفارز اقتناص الدبابات قناة السويس »

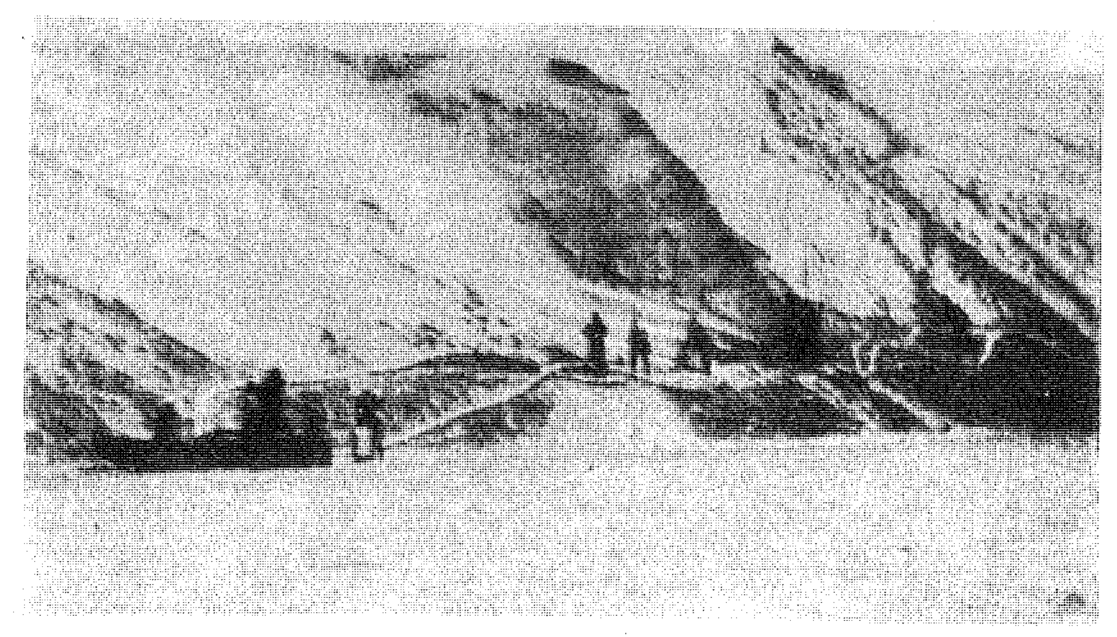




« . . . واستهلت قواتنا أعمال العبور بمجموعات صغيرة »



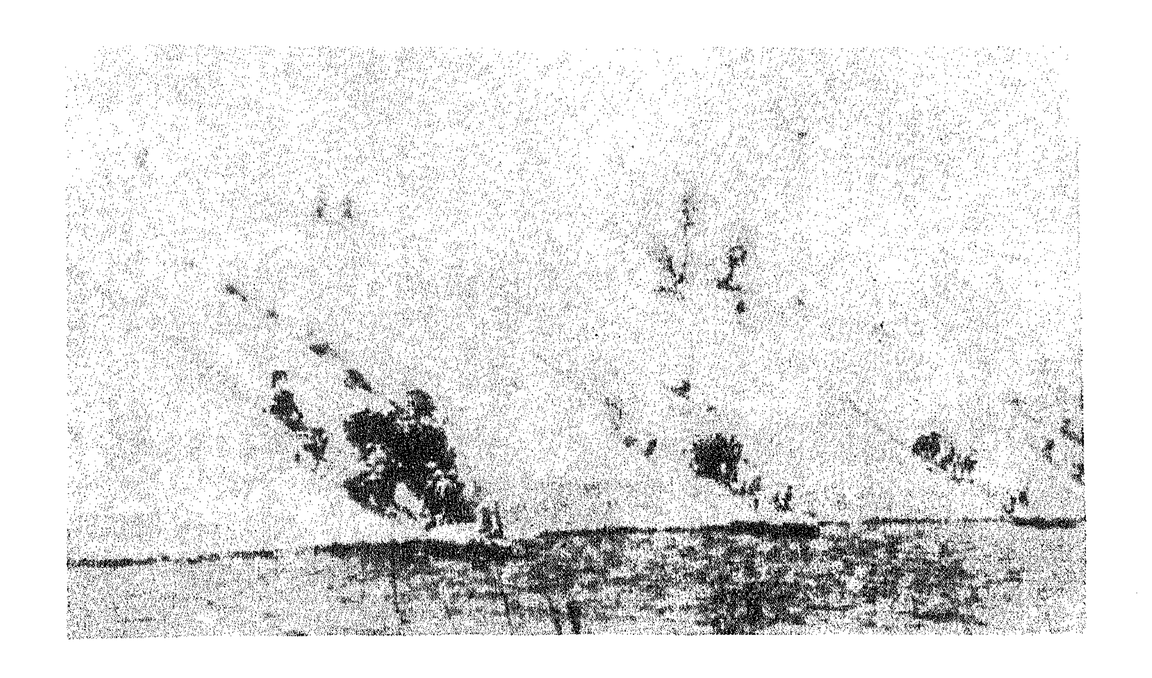
« . . ووضع ثمانية آلاف جندى أقدامهم على الضفة الشرقيـة
للقناة وهم يهللون . . الله أكبر » الله أكبر

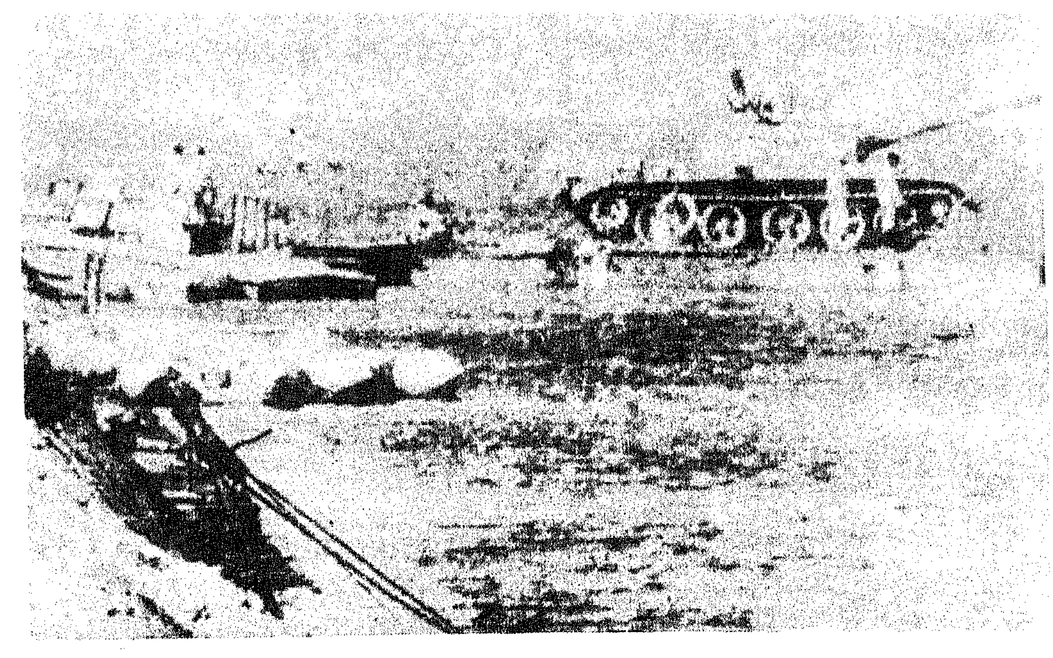


مدافع المياة تشق الساتر الترابى

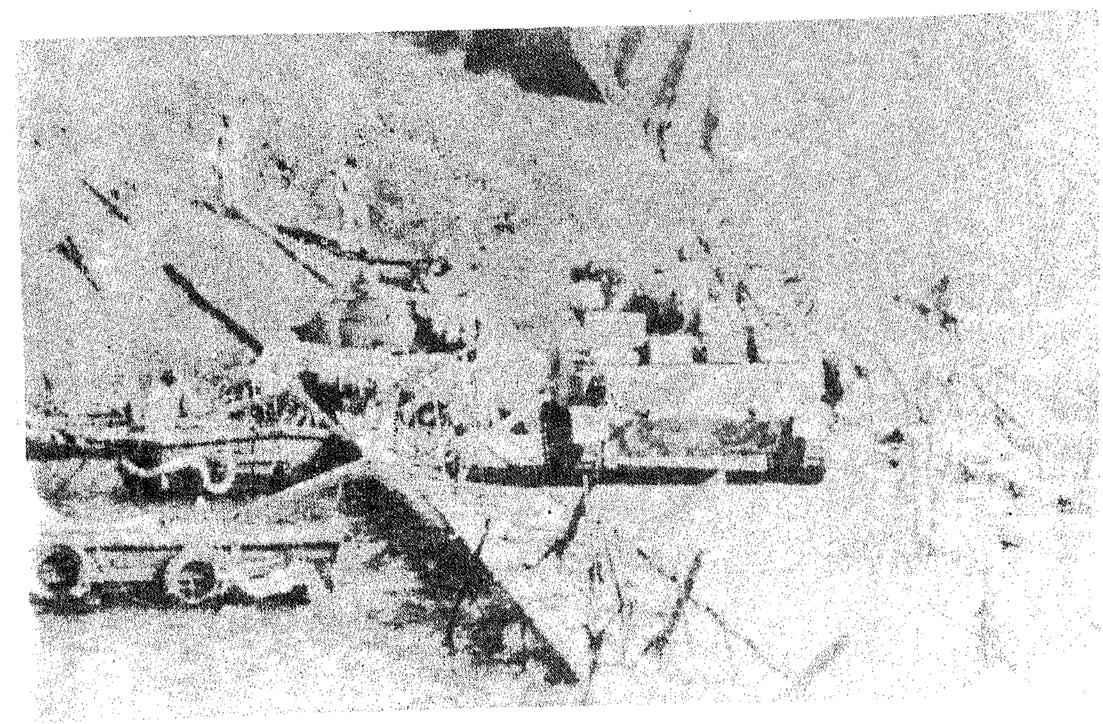


« . . وبالأظافر وبالأنياب تسلقوا الساتر العالى »





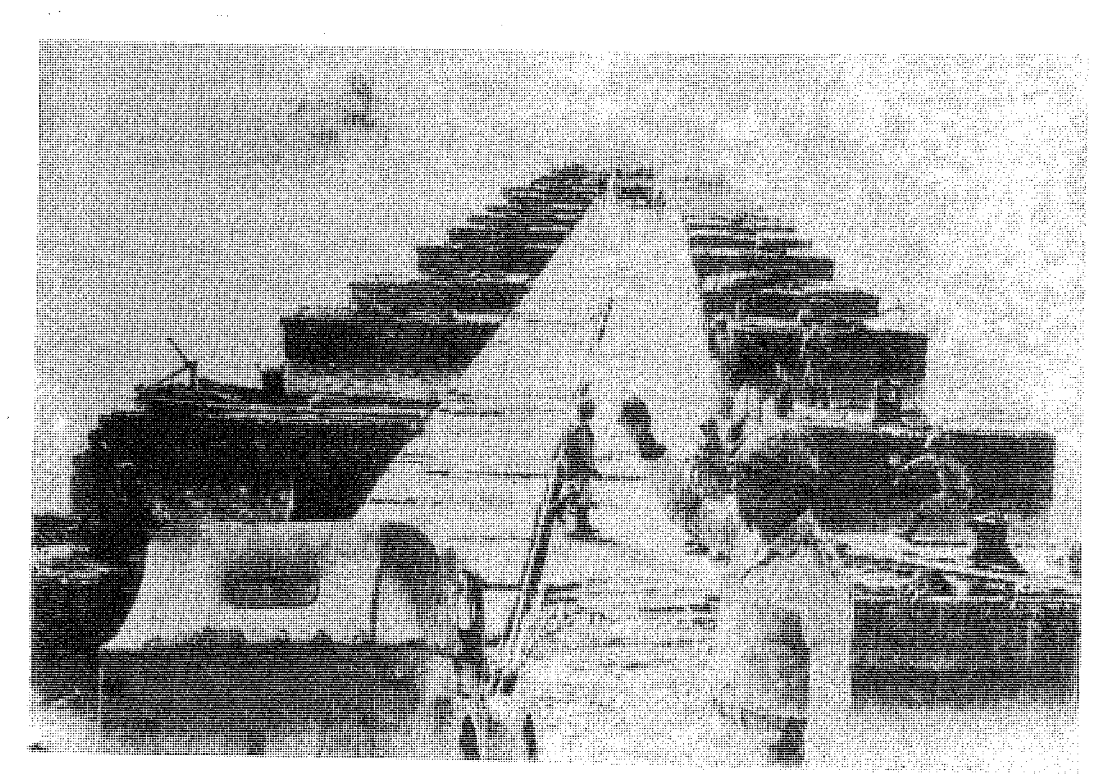
« . . ونجحت قواتنا من اقامة عدد كبير من المعديّات »



« . . . واستمر تدفق قواتنا نحو الشرق »



« . . وقامت دباباتنا بتدمير هجمات العدو »

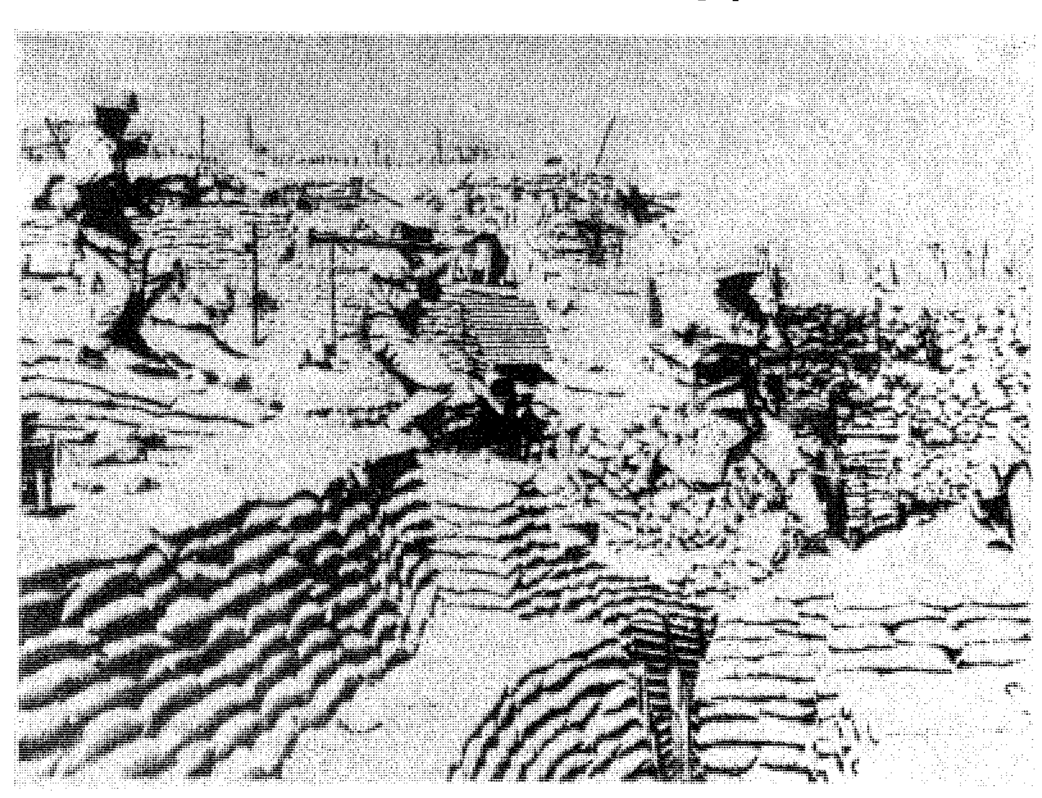


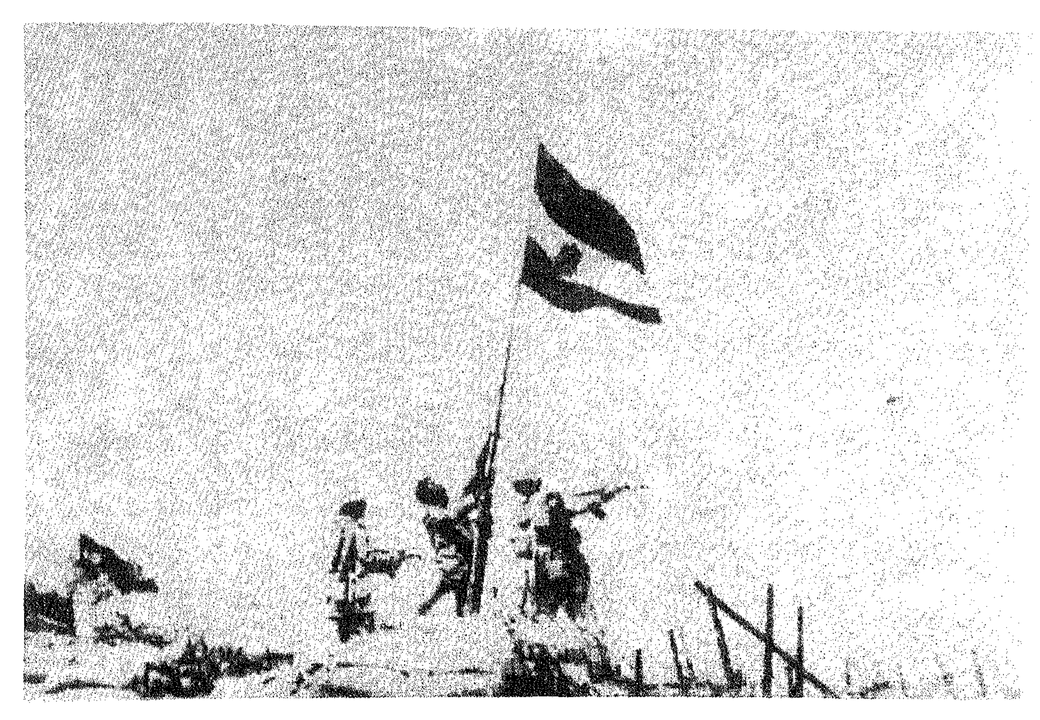
« .. وأنشأت عشرة كبارى ثقيلة . وعشرة كبارى مشاة »



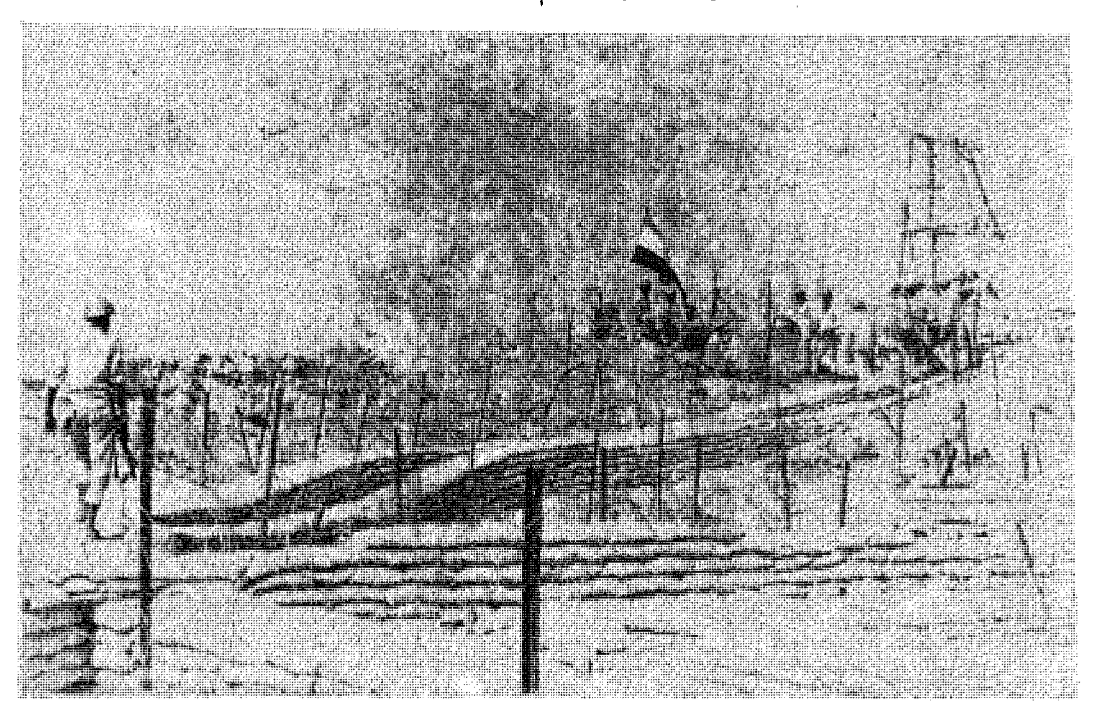
« .. وفى الساعة ١٧١٠ وقع أول ضباط العدو أسيرا فى أيدى قواتنا »

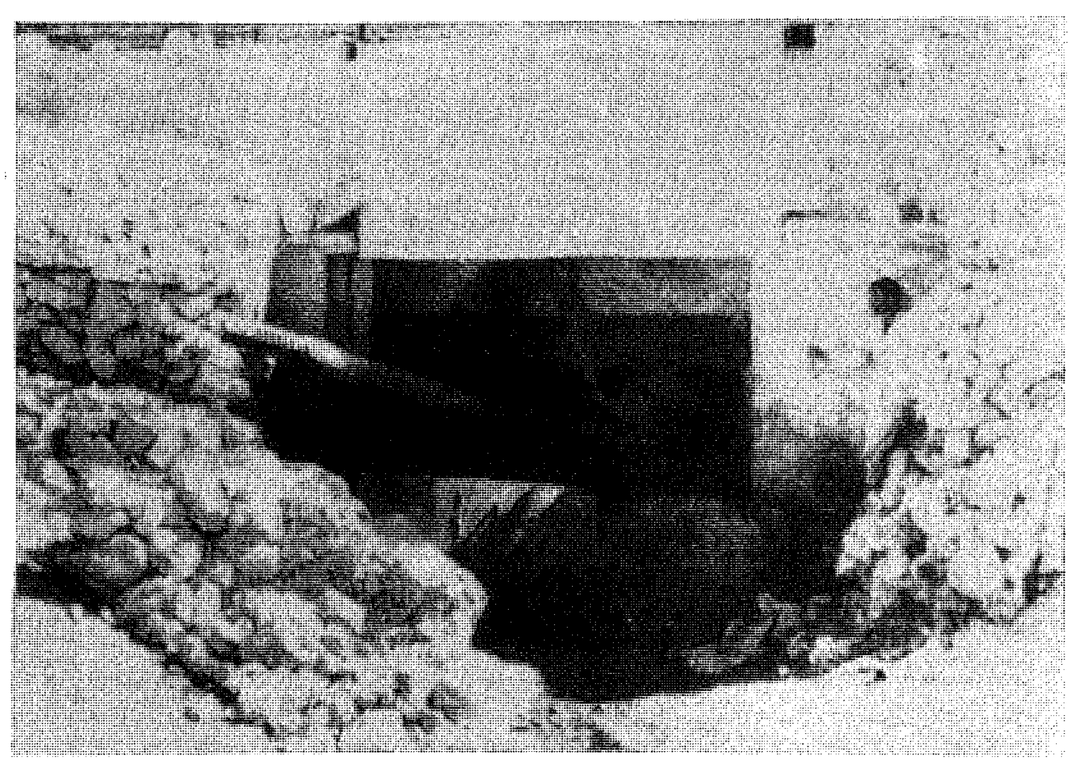
« .. وفى أقل من ست ساعات سقط خط بارليف وتحطمت الأسطورة »





« وسرعان ما رفرفت أعلام مصر فوق سيناء الحبيبة »





« . . واستولى الجيش الثالث على مواقع العدو »



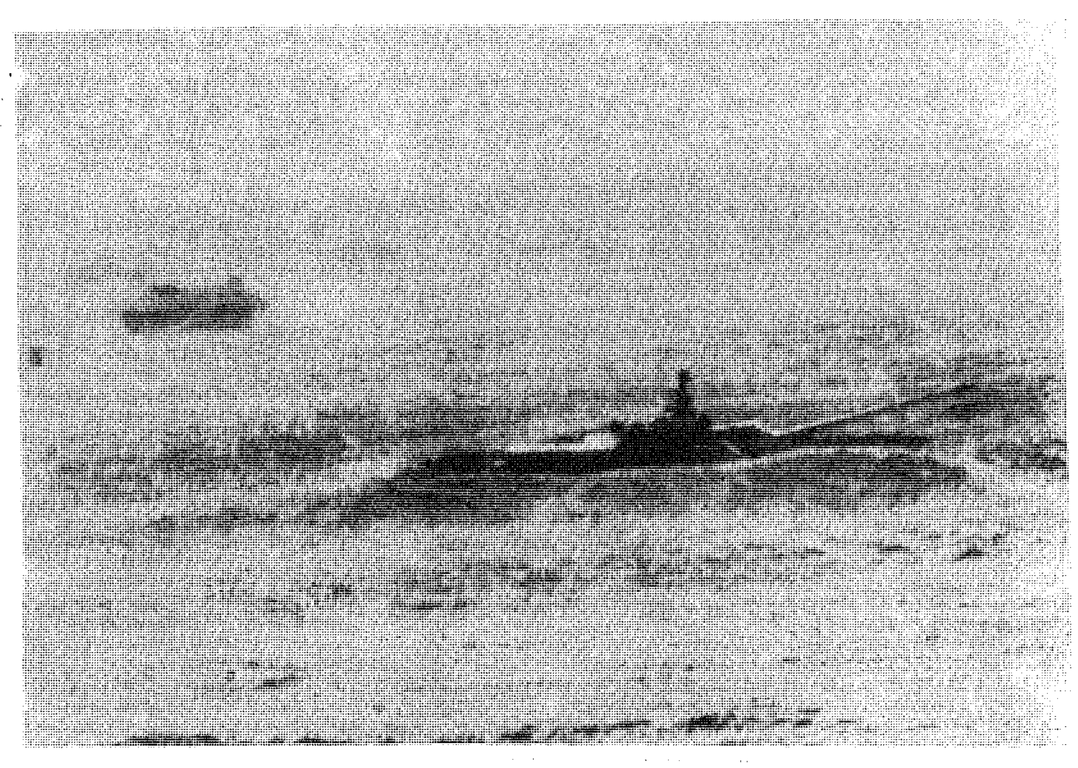
« . . واخيراً وافقت القيادة على أن نسلم أنفسنا عن طريق الصليب الأحمر

ملازم ناحوم بن زيون



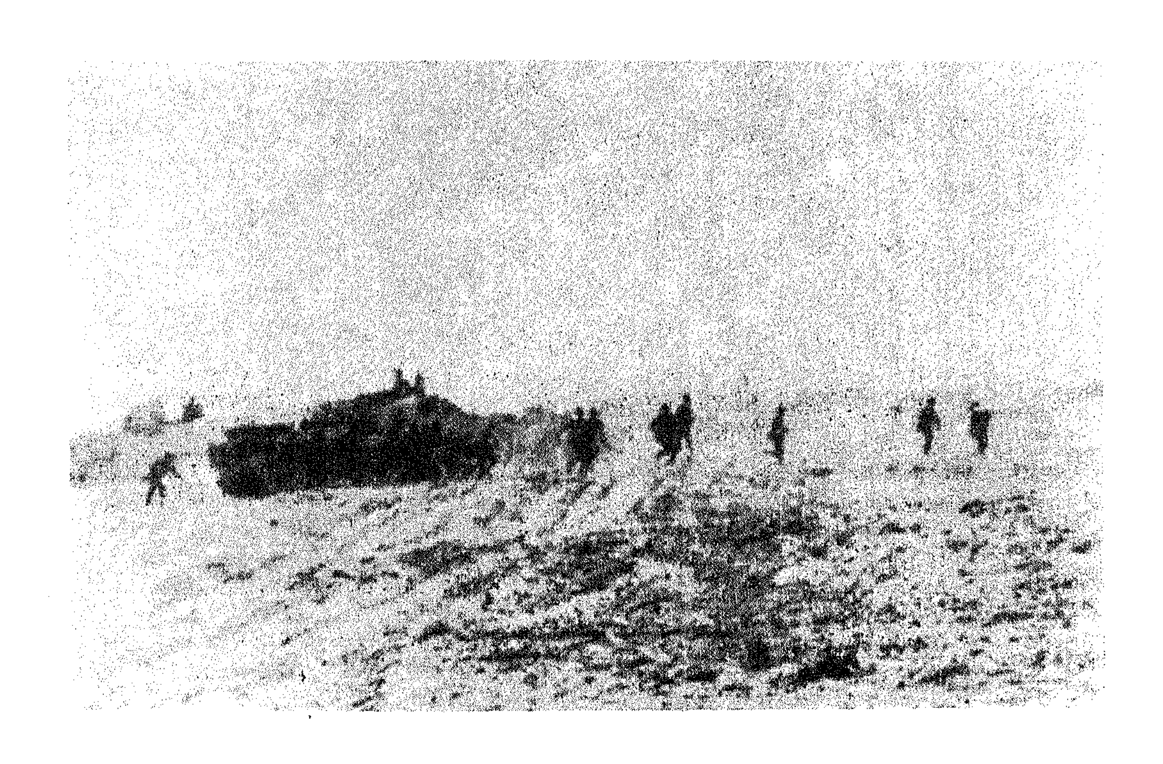
« .. وقامت القوات المصرية بتنفيذ بعض الأعمال القتالية الخاصة »

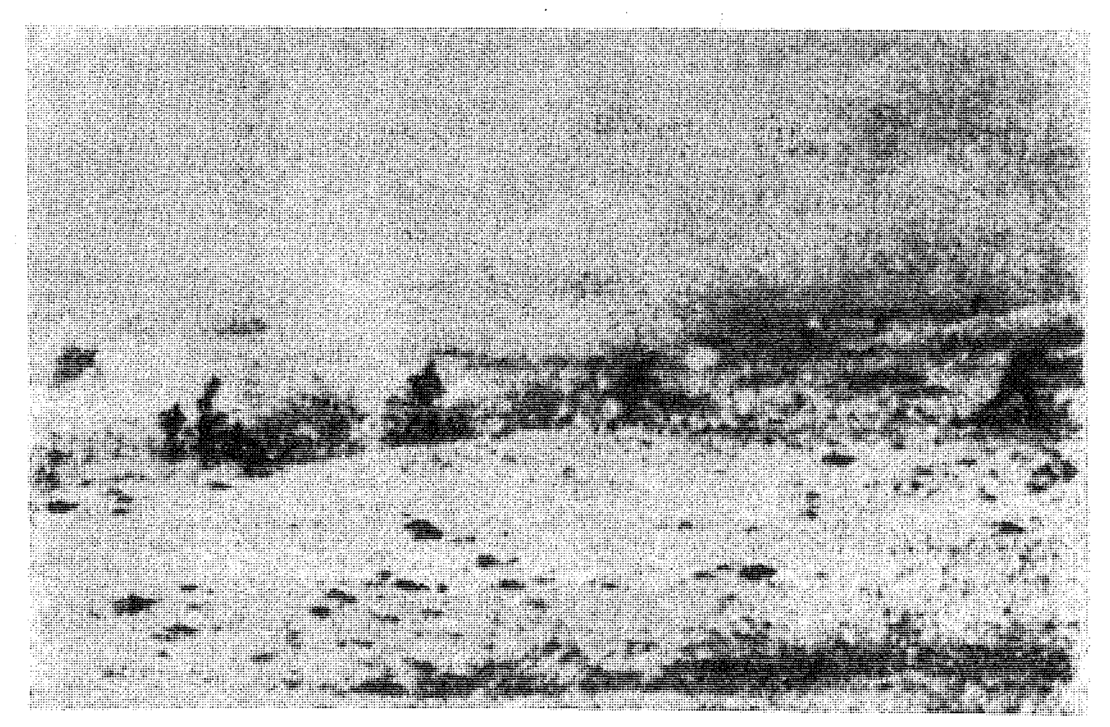
« .. وفشل مخطط العدو إذ ووجه بعملاق ضخم هو شبكة الصواريخ المضادة للطائرات »





توغلت المفارز المصرية رغم المقاومة العنيدة داخل أوضاع العدو





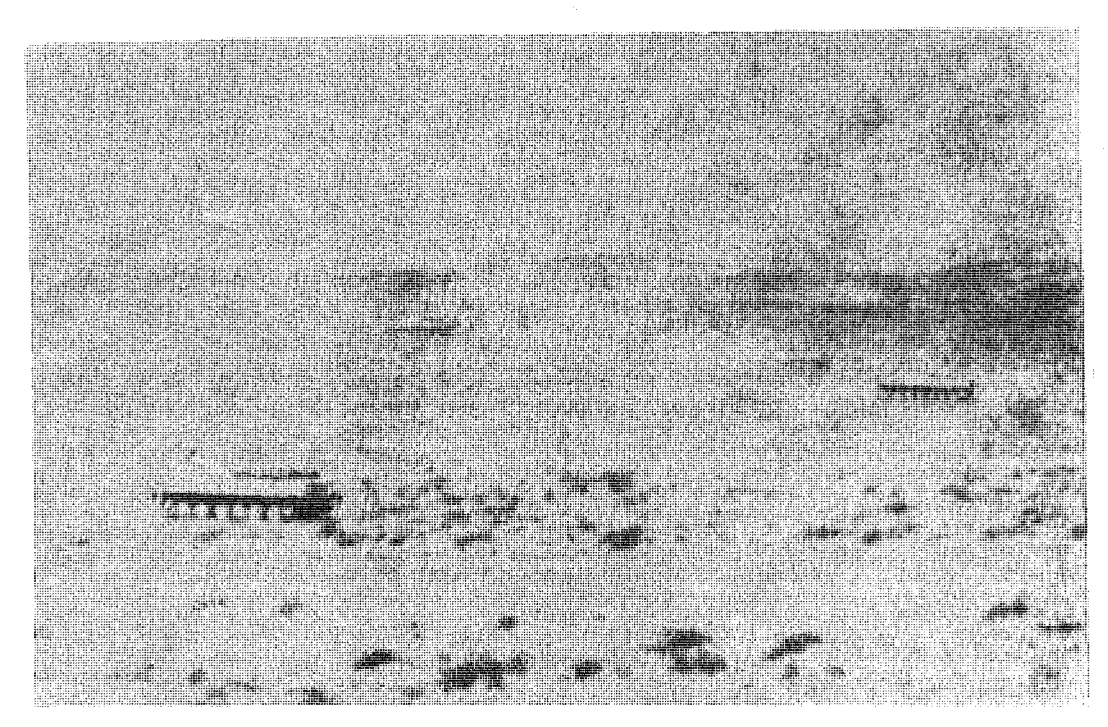
« . . وازدادت ضراوة المعارك حدة على امتداد يوم ١٤ أكتوبر »





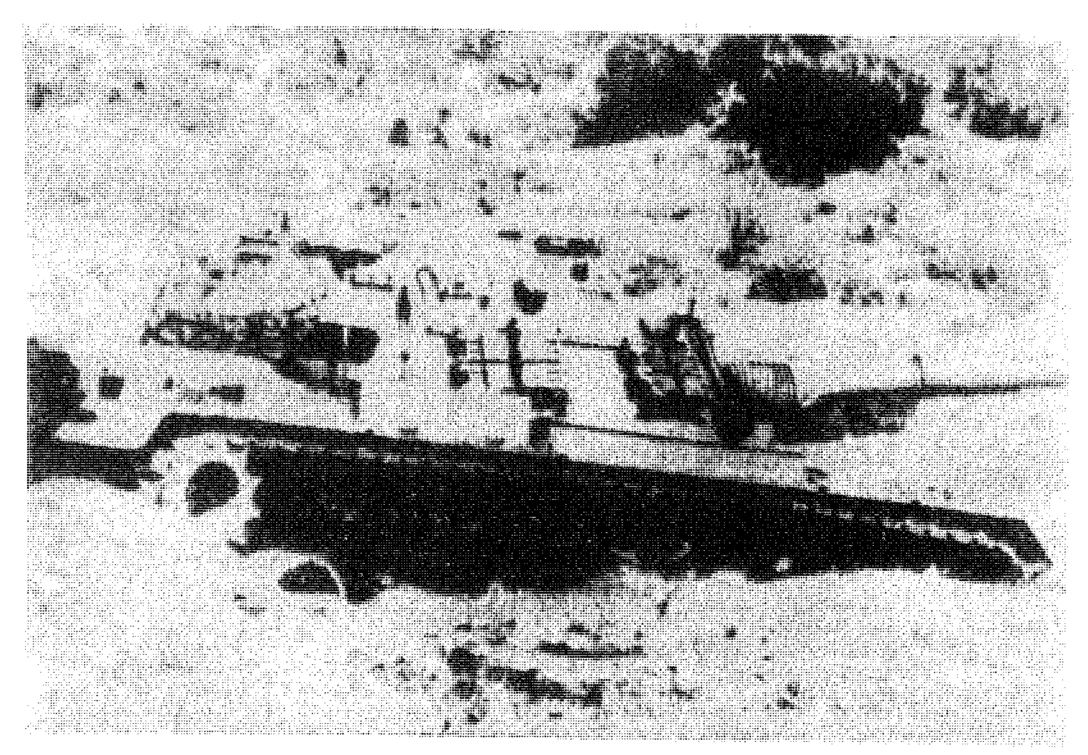
« .. واستردت الغرقة ١٦ المشاة الأرض المفقودة قبل أول ضوء »



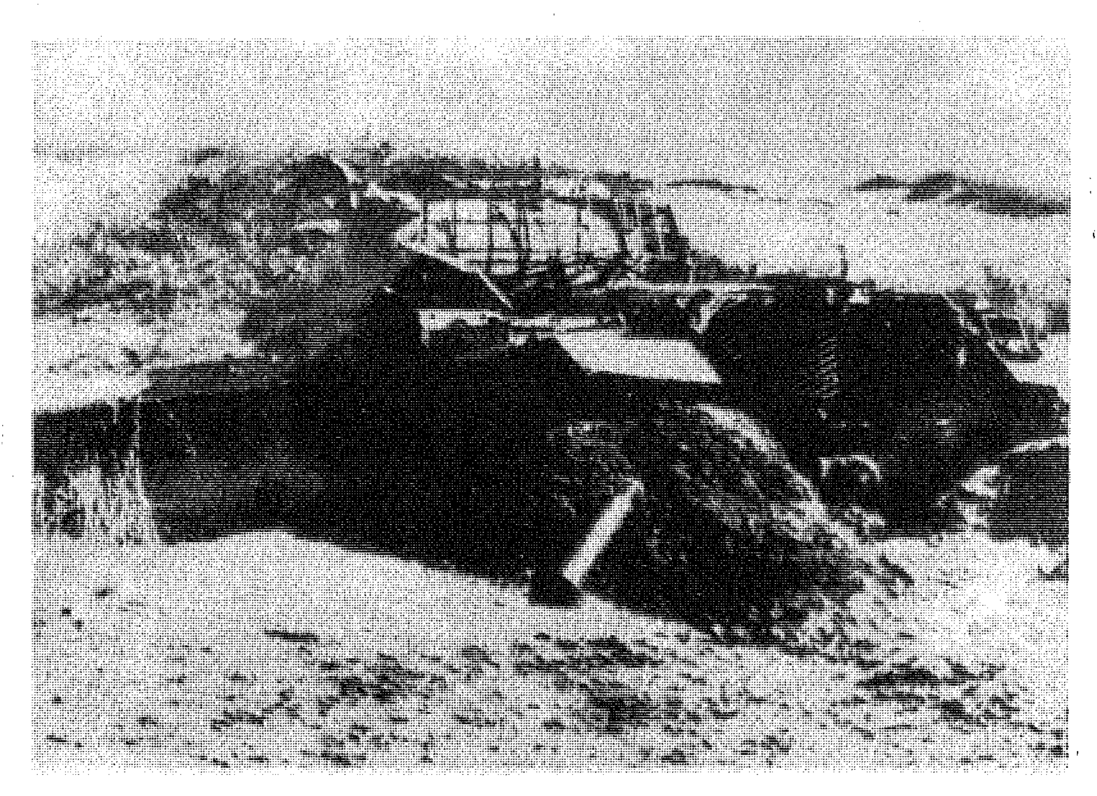


« . . واستمرت قواتنا فى حصار قوات العدو المتسللة »

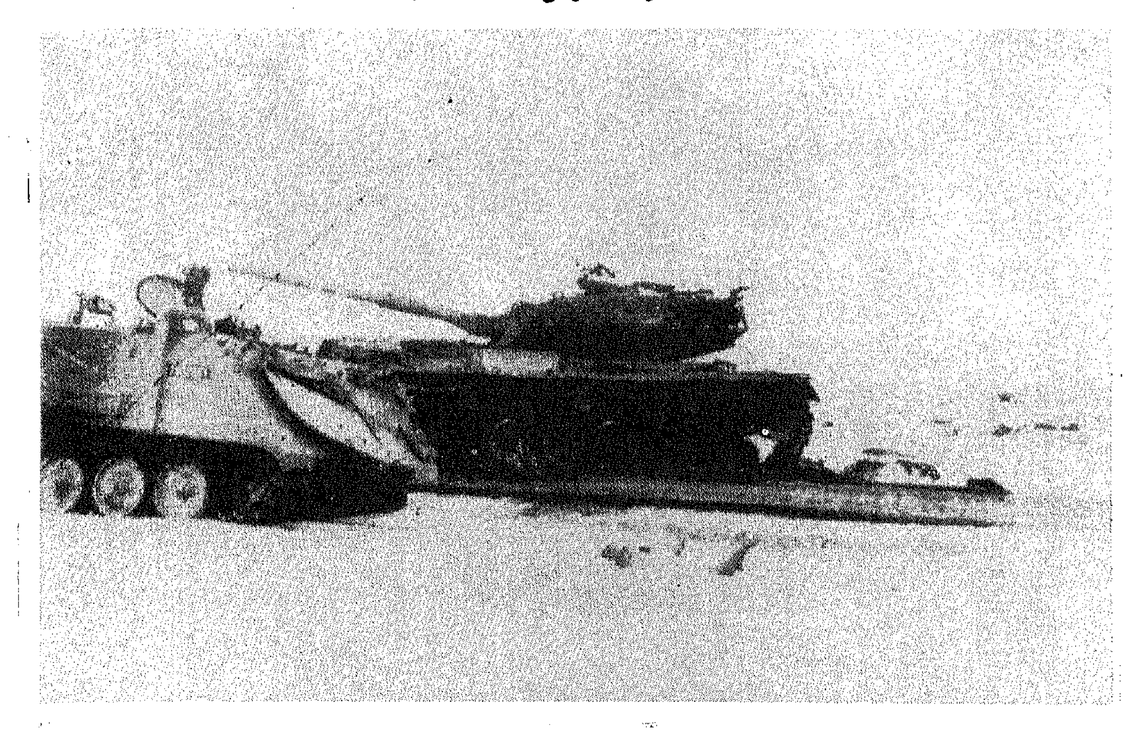


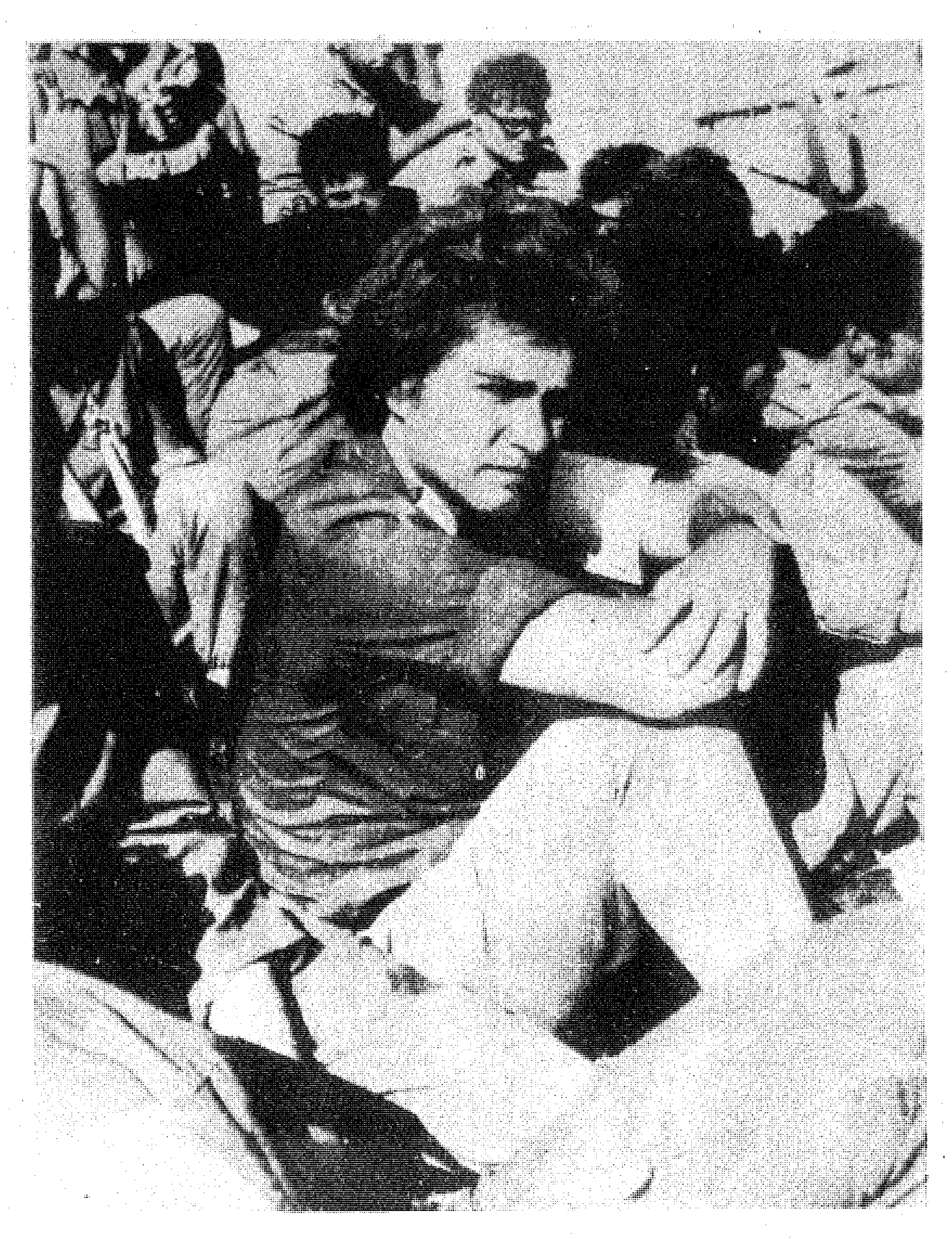


« . . واستمرت القوات المصرية فى تدمير مفارز العدو المنتشرة »



« . . وتصدت قوات السويس الصامدة للعدو »





« . . وتحولت قوات العدو إلى رهينة نضغط بها على اسرائيل »

« وجلس جونين فى مركز قيادته يصدر التعليمات الى آدن ويؤكد عليه ضرورة الاستيلاء على الكبارى المصرية قرب الفردان سليمة ، حتى يمكن نقل قوة من جيش الدفاع عليها الى الضفة الغربية .

« ومهما قيل فى شأن هذا الهجوم المضاد فليس من شك انه فشل فشلا ذريعا ، وأنه كلفنا ثمنا دمويا باهظا ..

« ورغم هذا الفشل ، فقد وصلت الى تل أبيب تقارير مضللة سرعان ما انتشرت انباؤها داخل وخارج اسرائيل بأن جيش الدفاع قد عبرة القناة .. ثم اتضح فى ساعة متأخرة جدا ان الواقع فى أرض المعركة يختلف تماما عما يشاع فى الخلف ، وأن الموقف على الجبهة أصبح مشحونا بالمرارة » ..

بل الأخطر من ذلك أن الموقف على جبهة القناة ـ بعد فشل هجوم اسرائيل المضاد الكبير كانت تشوبه حالة من فقدان الاتزان والارتباك فى الموقف التعبوى والتكتيكى للعدو ، راح يعمل جاهدا على تداركها لاستعادة توازنه ، بسرعة اجراء التعبئة والفتح التعبوى لقواته بعد ان ضاعت منه المبادأة وطاش صوابه ..

كما راح يعيد تنظيم وتدعيم القيادات على الجبهتين المصرية والسورية .. واستمر فى أعمال القتال التعطيلى على الجبهة المصرية بهدف انهاك قواتنا بالهجمات المضادة المتالية ، وايقاع أكبر خسائر بها تمهيدا لتدميرها ، الا انه لم يتمكن من تحقيق ذلك ، اذ استمرت قواتنا فى التشبث برءوس الكبارى وتوسيعها ، بل أنزلنا به خسائر فادحة .

كما استمرت قوات دفاعنا الجوى فى تنفيذ مهامها بكفاءة تامة ، مما ادى الى صد وتدمير هجمات وضربات العدو الجوية ، واحداث الخسائر بطائراته ..

اما قواتنا الجوية فقد استمر هيكلها الرئيسى سليما فى مواجهة قوات العدو الجوية التى راحت طائراتها تتساقط هشيما ، وتتآكل قدرتها تدريجيا ..

نتيجة لكل ذلك ، ولعدم تحقيق العدو اى من أهدافه المرنجلة خلال تلك الأيام الحاسمة ، اتخذت حكومة اسرائيل قرارا باستدعاء قدامى القادة الذين حققوا لاسرائيل ذلك النصر الرخيص فى الجولة الثالثة عام ١٩٦٧ ، على أمل أن يرفع ذلك من معنويات الشعب والجيش الاسرائيلى، وأن يوحى بقدرة القدامى على تحقيق ما فشل فيه الأحدثون .. ولعلهم يعيدون السيطرة المختلة الى مكانها الصحيح .

لقد كانت اهم العوامل والأسباب التى أدت الى ذلك الارتباك فى السيطرة هى :

- عدم تصور اسرائيل على المستوى السياسى والعسكرى - امكان أن تقوم مصر وسوريا بالهجوم لاستعادة أراضيهما المحتلة .

- تحقيق مصر وسوريا للمفاجأة الكاملة ، بما اذهل اسرائيل واجبرها على التحول للدفاع لأول مرة فى تاريخها الضحل .. بل على جبهتين ، وهو الأمر الذى كانت تعمل مستميتة على تجنبه ، وكان لذلك تاثير نفسى بالغ السوء على معنوياتها .

- كانت اوضاع العدو تتناسب وحالة اللاسلم واللاحرب ، التى سادت الشرق الأوسط بفضل تعنت اسرائيل وصلفها ، ولم يكن الفتح التعبوى الجزئى بكاف لمقابلة هجوم عربى شامل ومنسق ، يتصف بالاصرار والاقتدار ..

- وجد العدو نفسه أمام نوعية جديدة من القيادات والقوات العربية لم يواجه مثلها من قبل فى أى حرب من الحروب السابقة ، من نواحى التدريب والتصميم والروح القتالية والأسلحة المتطورة التى تم استيعابها ..

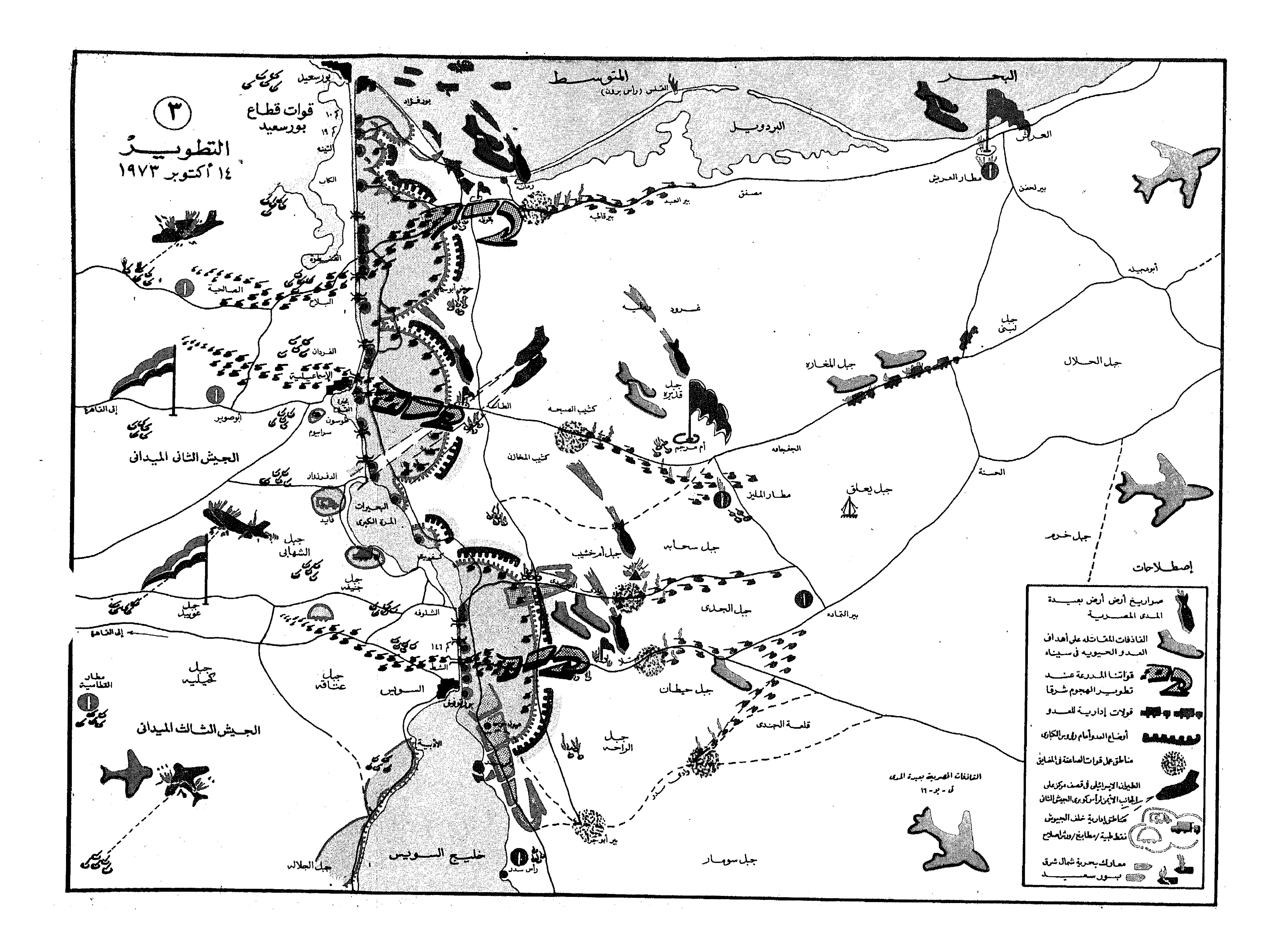
- النصر السريع الذى حققته سوريا فى الأيام الأولى للعمليات ، حيث كانت قواتها على وشك اتمام تحرير المرتفعات السورية (هضبة الجولان) ، واستعادة الحدود الدولية (خط ٤ يونية ١٩٦٧) .

صدق البلاغات العسكرية العربية ومطابقتها لحقيقة أعمال القتال الجارية ، وتناقص بيانات وتصريحات اسرائيل وتخبطها الواضح وكذبها المفضوح ..

- الخسائر الفادحة التى تكبدتها اسرائيل فى الأفراد والمعدات ، بخاصة فى الدبابات والطائرات والأفراد .

ان اهم ما نلاحظه على المستوى التعبوى فى جبهة سيناء هو اهتزاز سيطرة قادتها على قواتها ، سواء فى ذلك قيادة جبهة سيناء البرية أو الجوية ، وذلك نتيجة للعوامل السابق ذكرها ، بالاضافة الى مفاجأتها تماما باقتحام القوات المصرية قناة السويس ، وتحطيم قلاع خط بارليف ، والاستيلاء على معظم النقاط القوية ومراكز المقاومة والحصون خلال الساعات الأولى للهجوم ، بما حرم هذه القيادة من الوقت اللازم للتدخل ، أو تخطيط لادارة رد الفعل المناسب .

وكان لضربات القوات الجوية والصواريخ المصرية التى انهالت على مراكز القيادة والسيطرة الاسرائيلية فى سيناء الفضل الأكبر فى اختلال نظام السيطرة على القوات ، وانتقال السيطرة على جبهة سيناء عدة مرات من أم مرجم الى بالوظة ثم الى ام مخسة .. وكذا انتقال السيطرة على القوات الجوية بسيناء بين المليز والعريش عدة مرات .



٣
التطوير
١٤ أكتوبر ١٩٧٣
قوات قطاع بورسعيد
بورسعيد
بورفؤاد
التينه
الكاب
القنطرة
البحر المتوسط
البردويل
العريش
مطار العريش
بير لحفن
رمانة
بالوظة
بير قاطيه
بير العبد
مسفق
أبو عجيلة
الصالحية
البلاح
الفردان
الإسماعيلية
إلى القاهرة
أبو صوير
سرابيوم
طوسون
الجيش الثانى الميدانى
الدفرسوار
البحيرات المرة الكبرى
فايد
جبل الشهابى
جبل جنيفه
جبل عويبد
الشلوفة
السويس
بورتوفيق
الأدبية
خليج السويس
جبل الجلالة
رأس سدر
جبل عتاقه
جبل كحليه
مطار القطامية
الجيش الثالث الميدانى
الطاسة
كثيب المسحه
كثيب المخازن
أم مرجم
جبل قدبرو
غرود
الجفجافة
مطار المليز
جبل يعلق
جبل المغاره
جبل لبنى
جبل الحلال
الحسنة
جبل خرم
جبل سحابه
جبل أم خشيب
جبل الجدى
بير التماده
جبل حيطان
قلعة الجندى
جبل الراحه
متلا
بير أبو جراد
جبل سومار
إصطلاحات
صواريخ أرض أرض بعيدة المدى المصرية
القاذفات المقاتله على أهداف العدو الحيويه فى سيناء
قواتنا المدرعة عند تطوير الهجوم شرقا
قولات إدارية للعدو
أوضاع العدو أمام رؤوس الكبارى
مناطق عمل قوات الصاعقة فى المضايق
الطيران الإسرائيلى فى قصف مركز على الجانب الأيمن لرأس كوبرى الجيش الثانى
مناطق إدارية خلف الجيوش نقط طبية / مطابخ / ورش إصلاح
معارك بحرية شمال شرق بورسعيد

الفصل الثانى

الضغط شرقاً

المرحلة الثانيـــة للعمليـــة الهجومية الاستراتيجية (بدر).
تطوير الهجوم شرقا وتوقفه
١٤ اكتوبر ١٩٧٣

نجدة الشقيق

● ظهر من سير اعمال القتال فى المرحلة الأولى للعملية الهجوميـــة الاســتراتيجية أن العــدو يركز جهــوده الرئيسية لايقاف هجوم القوات الســورية كأسبقية أولى ، وذلك لـعوامل عدة يأتى على رأســـها قرب القتال هنــاك من الأراضى الاسرائيليــة ، الأمر الذى يهدد العمق الاسرائيلى بصورة مباشرة .

ولهذا ركزت اسرائيل مجهودها الرئيسى ، ودفعت جزءا كبيرا من احتياطياتها التعبوية والاستراتيجية صوب الجبهة السورية . كمــا اتضح للقيادة المصرية أن العدو سوف يكتفى بتثبيت الجبهة المصرية ، وذلك بصفة مؤقتة ، لحين ايقاف التهديد السورى وتصفيته قبــل أن يحول مجهوده الرئيسى صــوب الجبهة المصرية . وظهر ذلك جليــا من هبوط وتيرة هجمات العدو المضــادة ، واضمحلال حجمها على الجبهة المصرية فى نهاية المرحلة الأولى ، وتحول بعض قوات العــدو الى تجهيز خطوط دفاعيـــة جديدة الى الشرق من رءوس الكبـــارى ، بعيـــدا عن قواتنا .

ولاحباط مخطط العدو ، قرر القائد العام الفريق أول احمد اسماعيل العمل على اجبار العدو على نقل جهوده صوب سيناء . لتخفيف الضغط على القوات السورية . ولاجبار العدو على هذه المناورة تقرر التعجيل بقيام القوات المصرية بالضغط شرقا على العدو فى سيناء مبكرا عما كان مخططا له من قبل ، اذ كان التخطيط العام السابق يقتضى تطوير الهجوم شرقا بعد اتمام انشاء رءوس الكبارى ، وتحطيم كافة الضربات المضادة .

ولذلك تقرر أن يقوم الجيشان الميدانيان الثانى والثالث بتطوير الهجوم شرقا بجزء من قواتهما ، مع استمرار تمسكهما فى الوقت نفسه برءوس الكبارى ، بواسطة القوات الأصلية التى كانت موجودة هناك منذ بداية العبور ، ونعنى بها الفرق المشاة الخمس .

وفى صباح ١١ أكتوبر الباكر اتمت اجهزة القيادة العامة المصرية تقدير الموقف والتخطيط لتطوير الهجوم شرقا بجزء من القوات المدرعة والميكانيكية ، للوصول الى المداخل الغربية لسلسلة المضايق الجبلية .

وتلخصت فكرة العملية فى استخدام مفارز قوية من القوات المدرعة والميكانيكية للسيطرة على شريحة من الأرض يصل عمقها الى ٣٠ كيلو مترا من القناة حتى المداخل الغربية للمضايق والممرات ، وأوكل اليهما مهمة تدمير قوات العدو الموجودة هناك ، وحرمانه من استخدام الطريق العرضى الذى يقع على هذه المسافة . والذى يوفر للعدو حرية الحركة والعمل ضد رءوس الكبارى .

ولقد سبق للعدو فى الأيام السابقة استخدام ذلك الطريق العرضى للمناورة باحتياطياته المدرعة من الاتجاهات المختلفة وحشدها لشن الهجمات المضادة والضربات المضادة القوية المتتالية ضد قوات رءوس الكبارى ، والتى كان يهدف منها شق الطريق الى القناة وعزل القوات المصرية فى شرق القناة عن قواعدها فى الغرب تمهيدا لحصارها وتدميرها بعد ذلك . وان كان العدو قد فشل فى تحقيق هدفه فى الأيام السابقة الا أن التفكير العسكرى السليم كان يقضى بسرعة حرمان العدو من استخدام ذلك الطريق العرضى تجنبا لأى مفاجئات قادمة .

كما كلفت تلك المفارز أيضا أن تمنع اندفاع قوات العدو من الشرق الى الغرب عبر تلك المضايق والممرات ، وذلك تمهيدا لتحقيق المهمة النهائية للقوات المسلحة ، فى الأيام القليلة التالية ، وفقا للخطة الموضوعة .

وقد احاط بهذا القرار مخاطر عدة ، كان أهمها خروج القوات من ستر غطاء صواريخ الدفاع الجوى المتمركز غرب القناة ، وتعرضها بالتالى لضربات العدو الجوية ، التى تلاحظ ازدياد شدتها وكثافتها ابتداء من ١٠ أكتوبر ، بفضل وصول الدعم الامريكى لاسرائيل .. كما

كانت ضرورة التمسك برءوس الكبـــارى على الضـــفة الشرقية لقناة السويس ، وعدم اضعاف القوات الرئيسية الموجودة هناك أو فى غرب القناة تشكل ضرورة ملحة بصفة كونها الضمان الأكيد لعدم فقد القوات المسلحة اتزانها الاستراتيجى أو التعبوى فى هــذه المرحلة الحرجة من المعركة الضارية .

ولذلك نصت التوجيهات الصادرة على اســتخدام مفارز صغيرة الحجم نســبيا ، ولكنهــا ذات قوة نيران كبيرة ، على أن تكون من خارج التكوين الأصلى للفرق المشــاة الخمس التى كان عليهــا أن تســتمر فى التمسك برءوس الكبارى .

وهكذا تقرر أن يتم الضغط شرقا بمفارز مدرعة وميكانيكية بقــوة كتائب والوية . ويتم توفير حمايتها ضد طائرات العدو بواسطة وسائل الدفاع الجوى الأرضية من صواريخ ذاتية الحركة وصــواريخ محمولة ومدفعية مضادة للطائرات، وذلك بالاضافة الى مقاتلات القوات الجوية .

وفى الساعة ٦١٥ . يوم ١٤ أكتوبر وجهت القوات الجوية ضربة مفاجئة ضد أهداف العدو الهامة فى سيناء ، كما تم تنفيذ ضربة بالصواريخ التكتيكية أرض / أرض متوسطة المدى ، ضد مراكز سيطرة العــدو ، ومحطات الاعاقة الالكترونية ..

وفى الدقيقة نفسها فتحت نيران أكثر من ٥٠٠ مدفع ميدان متوسط وثقيل وعربة اطلاق صواريخ ، واســتمرت النيران تنهمر فوق رءوس العدو ومواقعه لمدة ١٥ دقيقة ، كى تمهد الطريق أمام القوات المهاجمة ، وتنزل بالعــدو العقــاب الجسيم .. وبدأت المفــارز المصرية المدرعة والميكانيكيــة الهجــوم ســـعت ٦٣٠ . يوم ١٤ أكتـــوبر ١٩٧٣ على النحو التالى :

- **بقوة لواء مدرع وكتيبة ميكانيكية فى اتجاه ممر متلا الجبلى .**
- **بقوة لواء ميكانيكى فى اتجاه مضيق الجدى .**
- **بقوة لواءين مدرعين فى اتجاه المحور الأوسط .**
- **بقوة لواء مدرع فى اتجاه المحور الشمالى .**

وتقدمت المفارز فى وجه ستارة عنيفة من نيران العدو وخاصة من اسلحته المضادة للدبابات التى أعتمد فيها على الصواريخ المضادة للدبابات الامريكية الحــديثة الصنع ، التى وصلت المسرح توا . ووجه العــدو على عجل الجزء الأعظم من قواته الجوية لاحباط تقدم قواتنا وايقاف هجومها ، كما ركز نيران مدفعيته الثقيلة على مواقع صــواريخ دفاعنــا الجوى ، وخاصة تلك التى انتقلت الى القرب من القناة لمد الغطاء الجوى الى أبعد ما يمكن فى الشرق ، وكذا تلك التى انتقلت الى داخل رءوس الكبارى لتوفير الدفاع الجوى عنها .

ورغم المقاومة العنيدة تمكنت المفارز المصرية المدرعة والميكانيكية من التوغل داخل أوضاع العدو لمسافة تراوحت بين ١٢ ـ ١٥ كيلو مترا وأوقعت به خسائر كبيرة ، واحتلت بعض مواقعه ، وأثبتت بغير شك أن التفوق النوعى فى القتال انما هو فى جانب المقاتل المصرى الجسور ..

وازدادت ضراوة المعارك حدة على امتداد يوم ١٤ أكتوبر، واتسعت ساحة القتال فاشتملت على كل شريحة الأرض التى تقع الى الشرق من رءوس كبارى الجيشين الميدانيين ، وحتى ١٥ ـ ١٨ كيلو مترا شرقا ..

ورجحت كفة قواتنا ، فأسرع العدو يحول جهد قواته الجوية من الجولان الى سيناء ، لينقذ الموقف الميئوس منه ، الذى أصبحت قواته تعانيه ، وفى الوقت نفسه ظهرت للقيادة الاتحادية دلائل قوية تشير الى تحريك العدو للجزء الرئيسى من احتياطياته الاستراتيجية وقواته المعبأة .. وخاصة من المدرعات ، صوب سيناء ..

وبنهاية اليوم ، وعندما ظهر جليا أن العدو قد تحول باهتمامه وقدراته الرئيسية نحو الجبهة المصرية ، بما خفف الضغط كثيرا على جبهة سوريا .. وبمجرد أن تأكدت المعلومات عن تحريك العدو لقوات برية جديدة من عمق اسرائيل صوب القناة ، قدرت القيادة العامة المصرية أن تطوير الهجوم شرقا قد حقق أهدافه العامة فى هذه المرحلة ، فأصدرت أوامرها بعودة المفارز داخل رءوس الكبارى لاعادة تنظيمها وتقويتها .. مع تعديل أوضاع بعض القوات ودعمها استعدادا لصد وتدمير الهجمات والضربات المضادة القوية المدرعة التى توقعت القيادة المصرية أن يبدأ العدو شنها خلال يوم ١٥ أكتوبر . وسرعان ما أثبتت أحداث الجبهة صحة ما توقعته القيادة العامة المصرية .

وخلال ذلك اليوم قامت القوات الجوية المصرية بتوفير الحماية الجوية للقوات البرية أثناء الهجوم ، وصدت هجمات العدو الجوية (الساعة ٠٩٠٠ . والساعة ١٥٢٠ يوم ١٤ أكتوبر) ولم ينجح العدوالا فى اصابة ممر فرعى واحد فى أحد مطاراتنا .

ودارت فى اليوم نفسه أروع معارك قواتنا الجوية حيث اشتبكت مقاتلاتنا (ستون طائرة ميج ٢١) مع تشكيل جوى معاد كبير ، وصل عدد طائراته الى ٧٠ ـ ٨٠ طائرة فانتوم وميراج فوق سماء الدلتا ، وأسقطت للعدو فى هذه المعركة خمس عشرة طائرة فانتوم ، مقابل تسع طائرات ميج ٢١ سقطت احداها نتيجة تصميم طيارها على الاقتراب من الطائرات المعادية التى أصابها ليتم تدميرها من مسافة قريبة للغاية . فانفجرت الفانتوم وأصاب انفجارها طائرتنا ، ولكن طيارها تمكن من القفز سالما ، وعاد الى قاعدته ليشترك فى الطلعات التالية .

كما هاجمت قواتنا الجوية قوات العدو التى كانت تعترض هجومنا .. وأخرجت لكل هذه المهام حوالى ٥٠٠ طلعة / طائرة ، وأسقطت

للعدو ١٧ طائرة فى معارك جوية دارت عندما حاول مهاجمة أهدافنا فى العمق • وكان يوم ١٤ أكتوبر يوما مجيدا لقواتنا الجوية الباسلة ••

* * *

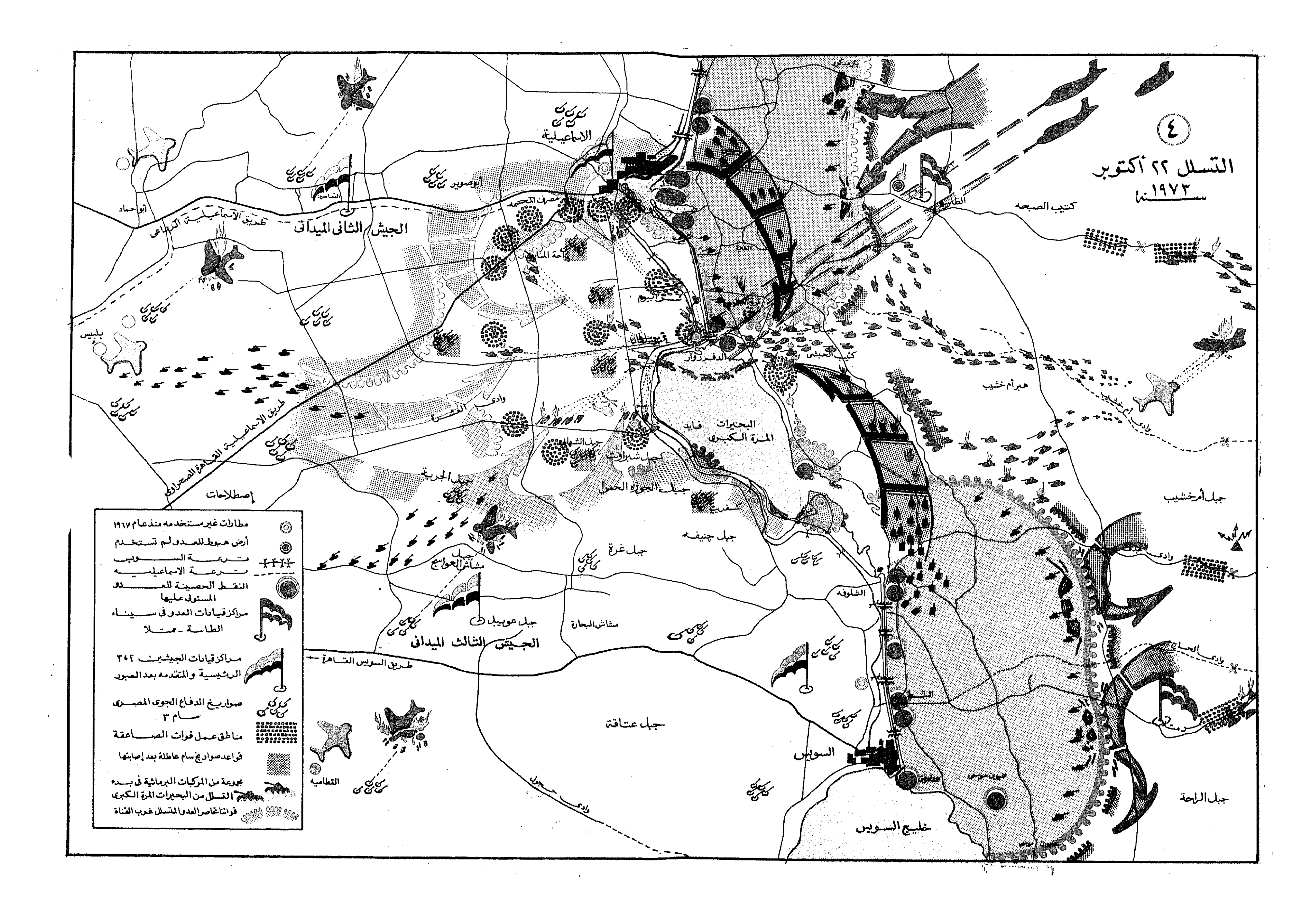
واستمرت **قوات الدفاع الجوى** فى توفير الغطاء الجوى للقـوات البرية والقواعد الجوية بكفاءة ، وذلك فى مواجهة تركيز العدو لمجهوده الجوى ضد الجبهة المصرية فى محاولة لاحباط هجوم المفارز المصرية .

وقد قامت قوات الدفاع الجوى بنقل بعض كتائب الصواريخ الى شرق القناة ، لمد الغطاء الجوى لأبعد مسافة ممكنة الى الشرق ، توفيرا للحماية المنشودة لهجوم المفارز المصرية ــ وتمكنت قوات الدفاع الجوى خلال هذا اليوم من اسقاط ١٤ طائرة للعدو •• وكان يوم ١٤ أكتـوبر يوما مجيدا أيضا لدفاعنا الجوى العظيم ••

***

اما القوات البحرية فقد استمرت فى تأدية المهـام المخططة لها ، وقامت المدفعية السـاحلية والصواريخ البحرية بقصف مواقع العـدو وتجمعات قواته البرية والبحرية فى شـمال سيناء •• ووقع اشـتباك بحرى مع تشكيل معاد تسانده طائرات الهليكوبتر شمال ساحل الدلتا ، وتم تدمير ٣ لنشات صاروخية للعدو ، كما أسقطت له طائرتين •

وقصفت القـوات البحرية العدو ومراسيه فى جنـوب سيناء ، كما نفذت الصاعقة البحرية اغارة خاطفة على منطقة الشيخ بيشان جنوب الطور . واستمرت الغواصات والمدمرات فى تأمين مواقعنا وقطع خطوط مواصلات العدو البحرية . وهكذا كان يوم ١٤ أكتوبر يوما مجيدا أيضا لقواتنا البحرية الجسور ••


٤
التسلل ٢٢ أكتوبر
سنة ١٩٧٣
الاسماعيلية
أبوصوير
الجيش الثانى الميدانى
طريق الإسماعيلية الزراعى
أبو حماد
بلبيس
كتيب الصبحه
الدفرسوار
كتيب الحبشى
البحيرات المرة الكبرى
فايد
جبل شبراويت
جبل الجنيفه
جبل غرة
جبل عويبد
مشاش العواسج
مشاش البحارة
الجيش الثالث الميدانى
طريق السويس القاهرة
طريق الاسماعيلية القاهرة الصحراوى
إصطلاحات
جبل عتاقة
السويس
الشلوفه
خليج السويس
القطاميه
جبل أم خشيب
جبل الراحة
مطارات غير مستخدمه منذ عام ١٩٦٧
أرض هبوط للعدو لم تستخدم
ترعة السويس
ترعة الاسماعيليه
النقط الحصينة للعدو المستولى عليها
مراكز قيادات العدو فى سيناء الطاسة - مثلا
مراكز قيادات الجيشين ٢، ٣ الرئيسية والمتقدمه بعد العبور
صواريخ الدفاع الجوى المصرى سام ٣
مناطق عمل قوات الصاعقة
قواعد صواريخ سام عاطلة بعد إصابتها
مجموعة من المركبات البرمائية فى بدء التسلل من البحيرات المرة الكبرى
قوات عناصر العدو المتسلل غرب القناة

الفصل الثالث

معارك الدبابات الكبرى

المرحلة الثالثة للعملية الهجومية الاستراتيجية (بدر). صد الهجمات المضادة المركزة

١٥ - ١٧ اكتوبر ١٩٧٣

عام :

● **استمرت مصادر المخابرات والاستطلاع الحربية منذ العاشر من اكتوبر ١٩٧٣ تتابع تدفق الامدادات الامريكية على اسرائيل .**

واتضح للقيادة المصرية أن الولايات المتحدة الامريكية لا تعوض اسرائيل عن خسائرها فقط ، بل تمدها بدعم جديد من الأسلحة والمعدات الحديثة ، واهمها الدبابات والصواريخ الحديثة المضادة للدبابات ، وصواريخ الشرايك والقنابل التليفزيونية ، ووسائل الشوشرة والاعاقة الالكترونية ..

وبعد نجاح القوات المصرية فى تخفيف الضغط عن جبهة سوريا ، واجبار العدو على تحويل مجهوده الجوى الرئيسى الى الجبهة المصرية ، وظهور بوادر انتقال اهتمام العدو من الجولان الى سيناء ، قرر الفريق أول أحمد أسماعيل دعم رءوس الكبارى وتقويتها ، وتحويلها الى صخرة تتحطم عليها أمواج دبابات العدو التى توقع القائد العام أن القيادة الاسرائيلية سوف تدفع بها فى هجمات وضربات مضادة قوية خلال الخامس عشر من اكتوبر .

وصح ما توقعته القيادة المصرية . اذ نشط العدو فحشد فى

مواجهة رءوس الكبارى حوالى ٩ ألوية منهـا ٦ لواءات مدرعة وبعض الكتائب المستقلة من المشاة والدبابات والأسلحة الأخرى ، بالاضافة الى مختلف أنواع القوات ، فضـلا على احتياطياته التعبوية والاستراتيجية وقواته الجـديدة التى استمر فى تشكيلها فى الخلف ، والتى شملت لواءين ميكانيكيين ولواء مظلات .

وركز العـدو اعتبارا من ١٥ اكتوبر هجماته وضرباته المضـادة القوية المتفوقة ضـد رءوس الكبارى على طول المواجهة ، ووجه جهوده الرئيسية بصفة خاصة ضـد الجانب الأيمن للجيش الثـانى الميـدانى (اللواء الأيمن للفرقة ١٦ المشـاة) .

واستمر العدو خلال الفترة من ١٥ الى ١٧ اكتوبر يشن الهجمات والضربات المضادة ضد نفس اللواء . ويلقى بقوات جديدة الى المعركة مستغلا فيض الأسلحة الأمريكية التى اصبحت تصـل اليه فى العريش بدلا من ميناء حيفا توفيرا للوقت فأمكنه ان يدفع اربعـة الوية مدرعة جديدة لتعويض الخسائر الفادحة التى الحقناها به اثناء ضرباته المضادة ضد ذلك القطاع الضيق من خط الجبهة ..

لقـد دفع العـدو فى هـذه المرحلة حوالى ١٢٠٠ دبابة ، هاجمت معظمها القطاع الأيمن للجيش التانى الميدانى ، وتحطم خلال هذا القتال العنيف جزء كبير منها ، ومنى العدو بهزيمة سوف تبقى مرارتها فى حلقه لسنوات طويلة قادمة ..

الا أن العدو تمكن خلال نفس الفترة من ستر عبور بعض القوات الصغيرة ــ حوالى سرية مشاة ميكانيكية وسرية دبابات برمائية ــ عبر الطرف الشمالى للبحيرات المرة عند مطار الدفرزوار المهجور ، مستغلا ظلام ليلة ١٥/١٦ أكتوبر ، بهدف تحقيق كسب معنـوى يغطى به آثار الأعمال الحربية المجيدة للقوات المسلحة المصرية والسـورية .. ويرفع به من معنويات الجيش والشعب الاسرائيلى ، التى كانت قد تدهورت وقتئذ حتى وصلت الى الحضيض تماما ..

سرد الأحداث الرئيسية للمرحلة :

تأكدت القيادة العامة المصرية من عزم العـدو على شن هجمات وضربات مضادة قوية يوم ١٥ أكتوبر ١٩٧٣ ، اذ لاحظت انه قد حشد ٩ الوية (منها ٦ مدرع ، ٢ لواء ميـكانيكى ، ولواء مشـاة) فى مواجهـة رءوس الكبارى .. وتابعت القيادة المصرية نشاط العـدو فى أعمال الاستطلاع بقوة على طول المواجهـة ، لتحـديد نقاط الضعف والأجناب المعرضة فى أوضاعنا ..

واستمر العدو خلال ذلك اليوم يشن الهجمات المضادة المحدوده الحجم والهدف لارهاق قواتنا ، كما أنشأ خطوط صد فى مواجهة قوات رءوس الكبارى لتثبيت باقى القوات ٠

واعتبارا من النصف الثانى من يوم ١٥ أكتوبر نشط العدو فى توجيه الضربات المضادة ضد رءوس الكبارى جميعا ، وركز جهوده الرئيسية ضد الجانب الأيمن للجيش الثانى (اللواء الأيمن للفرقة ١٦ المشاة) ، ثم توالت هجمات العدو الليلية بوتيرة عالية .

واستمرت قواتنا تصد وتدمر تلك الهجمات ، ولم يتوقف العدو عن دفع قوات جديدة ضد اللواء الذى كان يحمى الجانب الأيمن للفرقة ١٦ المشاة المصرية . الا أن هذا اللواء استبسل فى الدفاع واستمر يصد هجمات العدو المضادة ، ثم تحول الى حصار العدو وتدمير قواته ، واوقع به من الخسائر المؤكدة ما بلغ مقداره كتيبتى دبابات كانتا قد حاولتا التسلل داخل أوضاع اللواء الدفاعية ، عبر الأراضى السبخية شرق القناة ، خلال ليلة ١٥/١٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

وتوالت هجمات العدو الليلية بهدف تصفية راس الكوبرى فى هذا القطاع ، والاستيلاء على جزء من الضفة الشرقية للقناة ، لانشاء المعابر اللازمة لنقل جزء من القوات والأسلحة الى الضفة الغربية .. ولكن العدو لم يتمكن من تنفيذ هدفه هذا .. فلم ينجح الا فى دفع العناصر الأمامية للواء الأيمن الى الخلف لمسافة حوالى ٢ ــ ٣ كيلو متر ولكن قوات الفرقة ١٦ المشاة سرعان ما استردت الأرض المفقودة قبل أن يبزغ فجر اليوم السابع عشر ، ثم اتمت تدمير قوات العدو فى مواجهتها بعد ذلك .

الا أن العدو تحت ستر الهجمات المضادة الليلية تمكن من أن يدفع بقوات صغيرة لا يتجاوز حجمها سرية المشاة الميكانيكية ، تركب حاملات أفراد برمائيــة أمريكيــة الصنع (عشر ناقلات م ١١٣) وسرية دبابات برمائية (من سبع دبابات) .. وتسللت تلك القوة الصغيرة تحت ستر الظلام عبر الطرف الشمالى للبحيرات المرة الى مطار الدفرزوار المهجور واختبأت داخل الأشجار والأحراش الكثيفة المنتشرة فى تلك المنطقة ..

ومع استمرار فشل العدو فى تصفية راس الكوبرى للواء الأيمن للفرقة ١٦ المشاة ، ومع تزايد خسائره ، وخاصة فى الدبابات والأفراد عمد الى دفع قوات مدرعة اضافية ، حتى بلغ اجمالى ما دفعه منها على التوالى أكثر من أربعة ألوية مدرعة جديدة (أى حوالى ٤٠٠ ــ ٤٥٠ دبابة) ، زجها للقيام بهجمات مضادة قوية ضد نفس اللواء الأيمن المستبسل ، مع متابعة هجماته المضادة ضد باقى قواتنا فى رءوس الكبارى الأخرى ، بقوات جديدة طوال الفترة من ١٥ الى ١٩ أكتوبر ، حتى تمكن فى النهاية من دفع اللواء الأيمن للفرقة ١٦ المشاة نحو الشمال مسافة ٨ ــ ١٠ كم ..

ولكن العدو لم ينجح فى أى هجوم مضاد آخر ضد أى من رءوس الكبارى الأخرى ، بل فشلت جميع هجماته ، وتكبد فيها خسائر ضخمة للغاية ، واستولت قواتنا على الكثير من المعدات الصالحة والأسرى .

وعلى الضفة الغربية للقناة قامت القوات الاسرائيلية المتسللة صباح السادس عشر من اكتوبر بالتسرب صوب مواقع الصواريخ المضادة للطائرات ، وهاجمتها بالنيران من بعد . وأسكتت البعض منها ، وأحدثت بذلك ثغرة فى نظام دفاعنا الجوى ، استغلتها قوات العدو الجوية فى مهاجمة مؤخرة قواتنا ، وستر أعمال القوات المدرعة المتسللة ، التى اصطدمت ببعض القوات المصرية ، فتمكنت من تدمير جزء من دبابات العدو ، وأجبرت الباقى على الاختفاء فى منطقة الأحراش حول الدفرزوار .

وكانت القيادة المحلية فى موقع التسلل على يقين من قدرتها على القضاء على باقى قوة التسلل المعادية .. ولهذا دفعت قوة صغيرة كلفتها بالقضاء عليها ، الا أن العدو استمات فى فتح الثغرة ودعمها ، وألقى بكل ثقله الجوى ضد أعمال قواتنا البرية غرب القناة ، والتى كانت قد حرمت من غطائها الجوى بالصواريخ على النحو الذى فصلناه آنفا .

ودفع العدو فى مواجهة الثغرة على الجانب الشرقى للقناة بقوات مدرعة جديدة ، بلغ حجمها اكثر من أربعة ألوية مدرعة ـ كما سبقت الاشارة اليه ـ لتعمل ضد اللواء الأيمن للفرقة ١٦ المشاة .. الا أن هذه المدرعات الاضافية فشلت بدورها عدة مرات فى فتح الثغرة أو دعم القوات التى تسللت الى الغرب .

وتضاربت البلاغات المرسلة من القيادات المحلية بشأن قوة وحجم واتجاهات وطبيعة عمل قوات العدو التى تسللت الى الغرب عند الدفرزوار ، ولم تفلح الهجمات المضادة التى شنتها القوات الاحتياطية المصرية الصغيرة هناك فى تدمير قوات العدو بالكامل وان كانت قد أنزلت بها خسائر فادحة ، واستمر العدو فى دعم قواته فى الغرب وزيادة حجمها تدريجيا .

ولذا رات القيادة العامة المصرية ضرورة التدخل لانهاء هذا الوضع ، واصدرت أوامرها بعدم العمل بقوات صغيرة وقررت استخدام لواء كامل من الاحتياطيات الموجودة بالغرب لتدمير قوات العدو الموجودة هناك .

وكانت خطة القيادة العامة تقضى بحصار القوات المتسللة فى أضيق مساحة فى الغرب وسرعة تدميرها بواسطة ذلك اللواء من الاحتياطى ، والعمل فى الوقت نفسه على حرمان العدو من تدعيم قواته فى الغرب بقفل الثغرة ومداخلها من الشرق بواسطة قوات من الجيش

الثالث تقوم بالهجوم شمالا على امتداد الشاطىء الشرقى للبحيرات المرة للاتصال بقوات من الجيش الثانى تهاجم جنوبا من داخل رأس كوبرى الفرقة ١٦ المشاة .

وتم حشد نيران المدفعية ضد قوات العدو المنتشرة فى منطقة الدفرزوار وهاجمتها القوات الجوية بالمقاتلات القاذفة وطائرات الهليكوبتر .

ولكن لم يحقق الهجوم المضاد للواء المصرى (من الاحتياطى فى غرب القناة) النتائج المرجوة وذلك لتركيز العدو لمجهوده الجوى لمساعدة قواته الموجودة هناك ، ولانتشارها فى المناطق الزراعية وداخل الحدائق والأحراش ، ولاختفائها داخل المبانى الخالية فى المعسكرات المهجورة ، ولذا لم تتمكن قواتنا من حصر تجميع العدو الرئيسى وتدميره بالكامل ، وان دمرت فى قتال باسل كل ما اصطدمت به من قوات للعدو .

وعلى الضفة الشرقية لقناة السويس دفع لواء مدرع من داخل رأس كوبر الجيش الثالث للهجوم والاتصال بقوات الجيش الثانى واتمام اغلاق مداخل الثغرة من جهة الشرق . .

وتقدم اللواء المدرع فى مواجهة مقاومة معادية عنيفة ، ازدادت ضراوة كلما اقترب من رأس كوبرى الجيش الثانى ، وذلك لتيقن العدو من فداحة خسائره لو أمكن للقوات المصرية اغلاق المداخل الشرقية المؤدية الى الثغرة . واستخدم العدو لايقاف هجوم هذا اللواء كل الأسلحة المتوفرة لديه ، من قوات جوية وقوات مدرعة وصواريخ أمريكية حديثة مضادة للدبابات ، ودار قتال رهيب بين اللواء المدرع المصرى وقوات معادية تفوقه حجما عدة أضعاف .

وبنهاية يوم ١٦ اكتوبر وصلت المسافة بين القوات التى دفعت من الجيشين الثالث والثانى الى حوالى أربعة كيلو مترات، ولكنها لم تتمكن من تحقيق الاتصال ، الذى استمات العدو لمنعه ، وتوقفت العناصر المتقدمة للواء المدرع المصرى جنوب النقطة الحصينة عند تل سلام على الضفة الشرقية للبحيرات المرة الكبرى .

وتوالت اشارات القادة الاسرائيليين — التى تمكنت أجهزتنا من التقاطها — تطلب الاذن بتأجيل تنفيذ المهام لفداحة الخسائر ، وخطورة الموقف ، وعنف النيران المصرية التى تسد فى وجوههم كل طرق الاقتراب الى القناة . .

كان العدو يعلم أن قرار وقف النيران على وشك الصدور . . وبالتالى سوف يكون سريانه ضمانا له فى مغامرته التى بدت ملامح فشلها تلقى ظلالها الكئيبة على موقفه العام .. ولهذا قرر الاستمرار فى المغامرة ، رغم ما حاق به من خسائر ، لعل ما يأتى به

الغد القريب يخفف ولو قليلا من لوعة الهزيمة ، ويرفع ولو بقدر محدود من المعنويات المنهارة فى الجبهة وفى عمق الدولة ..

وعلى هذا استمر العدو يعزز قواته تدريجيا فى الغرب ، مبتدئا باستخدام المعدات البرمائية ، ثم المعديات .. وبعد أن تمكن من دفع العناصر الأمامية للواء الأيمن للفرقة ١٦ المشاة شمالا .. أنشأ كوبريا استخدمه فى عبور قواته الى الغرب ..

وكان ذلك الكوبرى بعيدا عن طائلة اسلحة المشاة .. الا انه كان فى متناول مدفعية الجيش الثانى ، بل المدفعية بعيدة المدى للجيش الثالث ، وبفضل التعاون الوثيق بين قائد مدفعية الجيش الثانى (العميد أركان الحرب محمد عبد الحليم ابو غزالة) وقائد مدفعية الجيش الثالث (العميد أركان الحرب منير شاش) امكنهما أن يحولا معبر الكوبرى الى جحيم مستعر ·· وغرق الكوبرى والدبابات فوقه ·

ويعد انقضاء عام كامل سجل الجنرال اربيل شارون ذكرياته عن هذه الفترة الأليمة فى عدد جريدة دافار الصادر يوم ١٩٧٤/١٠/٢٢ فقال :

« فى لحظة من اخطر فترات الحرب يوم ١٧ اكتوبر قابلت ديان وبارليف فى الساعة ١٣٠٠ بعد ان مرت ٣٦ ساعة على عبور مجموعتى الى الضفة الغربية حيث خاضت معارك ضارية ازدحمت بسببها أرض القتال بالجثث المبعثرة هنا وهناك التى بلغ عددها حوالى ٣٠٠ من جنودى ..

« وفى اليوم نفسه بدأ المصريون يطوقوننا ويغلقون كافة المنافذ فى وجوهنا .. وتوقفت قوات كثيرة لنا فى الشرق غير قادرة على التسلل الى الغرب .

ولما لامنى بارليف خلال هذه المقابلة وقال ان الفرق شاسع بين الخطة التى عرضتها عليه للعبور غربا وبين ما حدث فعلا .. تملكتنى سورة الغضب ، وحدثتنى نفسى أن أصفعه على وجهه ، ولكننى تمالكت أعصابى وحولت ذهنى الى احداث الساعة ١٠٠ من ليلة ١٧/١٦ الرهيبة .. فتذكرت قتلانا الكثيرين ومركباتنا التى تحولت الى اكوام من الفحم » ..

ودفع العدو ثمنا غاليا لتلك المغامرة ·· اذ تحولت منطقة الدفرزوار شرق وغرب القناة الى مقبرة لمدرعاته وأفراده ، بل مقبرة لوحدات كاملة من تنظيمه الميدانى ·· وبعد عشرين يوما وصف جرانفيل بوست مراسل روتر الحربى أرض هذه المعركة ·· فكان مما قاله عنها ·· « لا يزال حطام الدبابات الاسرائيلية من طراز سنتوريون وعليها آثار الحريق والرماد مبعثرة على امتداد المنطقة الصحراوية المسطحة ، ذكرى للمعارك التى تمثل أروع الانتصارات المصرية » ··

وطوال تلك الفترة لم يتمكن العــدو من تعدية سوى لواء مدرع واحد ، واستغل بقاياه الممزقة التى نجت من جحيم المدفعية المصرية فى عمل الكمائن فى منطقـة الآشجار حول الدفرزوار ، وفى تشكيل الدوريات الصـغيرة (كل من ١ ـ ٢ دبابة ، ١ ـ ٢ فصيلة مشـاة) التى داومت على التسلل الى مواقع الصواريخ المضادة للطائرات لاخلال نظـام الدفاع الجوى ، وذلك باطلاق النيران على تلك المواقع من مسافات بعيدة ٠

وعلى امتداد تلك الفترة قامت بعض القوات المصرية من المشـــاة والدبابات الموجودة على الضـفة الغربية ٠ وبعض احتياطيات القيــادة من عناصر الصـاعقة والمظلات بالهجوم المضـاد على قوات العدو المتسللة لحصرها وتدميرها ٠٠ وانزلت بالعـــدو خســائر ثقيلة ٠ وتقاضت منه ثمنا غاليا جدا مقابل مغامرته الاستعراضية التى كان الجنرال أندريه بوفر المدير السابق للمركز الاستراتيجى الفرنسى أول من أطلق عليها اسم « المعركة التليفزيونية » ٠

وركزت قوات العدو الجـوية جهـودها بعد ان حدثت الثغرة فى نظام الدفاع الجوى ، فتمكنت من انقاذ فلول العدو المبعثرة هنا وهناك بين الأشــجار ، واحتمت تلك القوات الميؤس من وضـعها داخل القرى والحدائق والأحراش ، وتجنبت الدخـول فى قتال جـدى مع القوات المصرية التى استمرت فى البحث عنها واصطيادها وتدمير ما تجده منها ٠

وقامت **قواتنا الجوية** خلال هذه المرحلة بألف وخمســــين طلعـة لحماية الاهداف الحيوية والقوات البرية ، وصد الهجمات الجوية المركزة التى حاول العدو توجيهها مرتين ضد بعض المطارات والقـــواعد الجـوية دون نجاح ، وكذا حماية قطــــاع بور ســعيد ٠٠ وكان تفصيل هذه الطلعات المخططة بحذق وجسارة ٩٥٠ طلعة مقاتلة ، ٩٠ مقـاتلة قاذفة ١٠ طلعات هليكوبتر ٠٠ كما قامت القوات الجوية بمهاجمة قوات العدو شرق وغرب منطقة الدفرسوار ، وأغرقت كوبريا آخر للعدو ٠

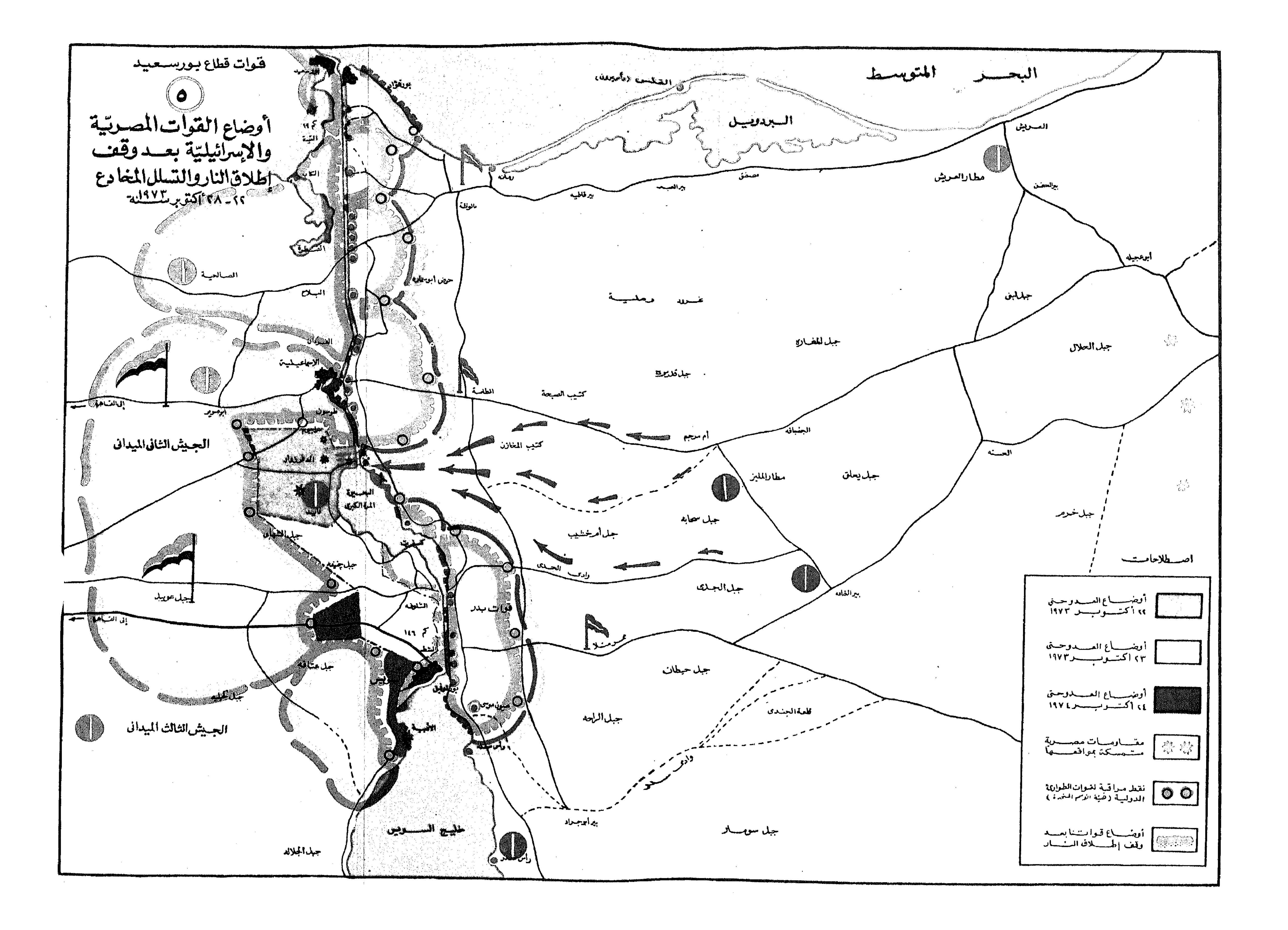
وقد تحملت القوات الجوية خلال تلك الفترة أعبـــاء ثقيلة ترتبت على نجاح العدو فى فتح الثغرة التى وان كانت قيمتها صغيرة ، الا أنهـــا على كل حال كانت ثغرة فى نظام دفاعنا الجوى ، فى القطاع الأوسط من الجبهة غرب القناة ، وقد تمكنت قواتنا الجوية خلال نفس الفترة من اسقاط اثنتى عشرة طائرة للعدو ٠٠

وظلت قوات الدفاع الجـوى ـ رغم خســائرها ـ تواصل تقـــديم الحماية الفعالة لقواتنا البرية من مواقعها غرب القنــــاة ، وفى قطــــاع بور سعيد ، ورغم تركيز العدو الجوى لمجهود كبير هنــاك بغرض تدمير تجميع الصواريخ المضادة للطائرات الموجودة به ، تمكنت قواتنا المسلحة فى هذا القطاع بالتعاون مع أهالى بور سعيد والســــلطات المدنية من استعادة كفاءة نظام الدفاع الجوى عدة مرات ، مما فاجأ طائرات العـدو التى ظنت فى كل مرة أنها قد قضت عليه القضاء المبرم الأخير ٠

ويكفى دفاعنا الجوى فخرا انه قد دمر للعدو ٤٠ طائرة خلال هذه المرحلة من ١٥ الى ١٧ اكتوبر ، والتى بلغ حجم طلعات العدو الجوية فيها نحو ٧٠٠ طلعة طائرة ·

واستمرت القوات البحرية فى تنفيذ مهامها فى البحرين الأبيض والاحمر ، فقامت بقصف منطقة رأس سدر باللنشات المسلحة ، وصدت محاولات العـــدو الكثيرة للاقتراب من منطقة بور سعيد وبعض مراسينا على البحر الاحمر ، كما دمرت مجموعة من الضفادع البشرية حاولت مهاجمة بعض القطع البحرية فى ميناء بور سعيد ·

وأغرقت القوات البحرية خلال نفس الفترة لنشا مسلحا للعــدو ، وأصابت لنشا آخر بعطب جسيم ، واستمرت غواصاتنا ومدمراتنا فى فرض سيطرتنا على مياه البحرين الأبيض والأحمر وقطع مواصـــــلات العدو البحرية ، وغلق موانيه ··


قوات قطاع بورسعيد
٥
أوضاع القوات المصرية والإسرائيلية بعد وقف إطلاق النار والتسلل المخادع
٢٢ - ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٧٣
البحر المتوسط
البردويل
العريش
مطار العريش
بئر الحسن
أبو عجيلة
جبل لبنى
جبل الحلال
جبل المغارة
غرود وطية
جبل يعلق
مطار المليز
جبل سحابة
جبل أم خشيب
وادى الجدى
جبل الجدى
بير الثمادة
الحسنه
جبل خرم
كثيب المخازن
كثيب الصبحة
الطاسة
ام مرجم
الجفجافة
الصالحية
البلاح
القنطرة
الإسماعيلية
طوسون
أبو سوير
إلى القاهرة
الجيش الثانى الميدانى
الدفرسوار
البحيرة المرة الكبرى
فايد
جبل الشهابى
جبل جنيفة
جبل عويبد
الشلوفة
قوات بدر
متلا
جبل حيطان
جبل الراحة
قلعة الجندى
عيون موسى
جبل عتاقة
الجيش الثالث الميدانى
الأدبية
بور توفيق
خليج السويس
بير أبو جراد
جبل سومار
جبل الجلالة
اصطلاحات
أوضاع العدو حتى ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣
أوضاع العدو حتى ٢٣ أكتوبر ١٩٧٣
أوضاع العدو حتى ٢٤ أكتوبر ١٩٧٤
مقاومات مصرية متمسكة بمواقعها
نقط مراقبة لقوات الطوارئ الدولية (هيئة الأمم المتحدة)
أوضاع قواتنا بعد وقف إطلاق النار

الفصل الرابع

المعركة التليفزيونية

المرحلة الرابعة للعملية الهجومية الاستراتيجية «بدر» • تطور القتال غرب القناة

١٨ - ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣

عام :

● وأخيرا جاءت المرحلة الرابعة من الحرب ، والتي دارت فيها أعمال القتال النشطة على الضفة الغربية لقناة السويس بصفة اساسية •

قامت قواتنا المسلحة خلال هذه الفترة بحصر قوات العدو التى نجحت فى العبور غرب القناة ، وتدمير عناصرها التى اقتربت من مدينة الاسماعيلية تهدف الى الاستيلاء عليها •• وتمكنت القوات المسلحة المصرية بالتعاون مع عناصر الدفاع الشعبى وقوات الشرطة والاهالى من حصر قوات العدو فى قطاع ضيق ملاصق للقناة شمال البحيرات المرة ، فى مناطق الأشجار والأحراش ••

وتأهبت القوات المصرية لتوجيه الضربة القاضية ضدها عندما جاءها قرار وقف اطلاق النار الذى اصدره مجلس الأمن بمبادأة وضمان القوتين الأعظم ، وبتأييد من المجتمع الدولى كله ••

وأعلنت مصر واسرائيل عن قبوله ليسرى منذ الساعة ١٨٢٥ يوم ٢٢ أكتوبر ، واحترمت مصر القرار الذى كان ينص على انسحاب اسرائيل من كل الأراضى العربية المحتلة الى حدود ٤ يونيو ١٩٦٧ •• وأصرت على

البدء فورا في تنفيـــذ ذلك ٠٠ أما سوريا فقبلت ايقـــاف النيران يوم ٢٤ أكتوبر ٠٠

ولكن العـدو قبل القرار لأنه كان يترنح وقتها على شفا الهزيمة ، وقبله أيضا لأنه يوفر له عنصر تأمين فى مغامرته المحفوفة بالمخاطر ، التى قام بها ليسرق النصر من العرب ، ويحقق كسبا معنويا يغطى به آثار الأعمال الحربية المجيدة لقواتنا ـ ولهـذا أظهر العدو رضاه بقرار ايقاف النار ، وأضمر النية على المضى فى العدوان ٠٠ بل تمادى فى تعريض قواته للخطر ، واضعا نصب عينيه أنه سريعا ما سوف يصدر قرار آخر بوقف اطلاق النار فيؤمنه من انتقام القوات المصرية ٠ وكان هذا هو نفس مافعله فى الجولات الثلاث السابقة

سرد الأحداث الرئيسية :

قامت قوات الجيش الثاني المتمركزة في غرب القناة وعناصر من احتياطيات القيادة العامة من المظلات والصاعقة باستعادة الساتر الترابى على الضفة الغربية فى مواجهة الثغرة عند الدفرزوار وشمالها ، ودمرت قوات العدو هناك ، ووجهت أعمالا نشطة بوحدات من الصاعقة والمظلات جنوب ترعة الاسماعيلية وفى منطقة فايد ٠٠

وركز العـدو جهوده ضد القوات التى احتلت الساتر الترابى ، والتى وان أبدت مقاومة بطولية ، الا أنها اضطرت تحت ضغط العـدو الى الارتداد شمالا ، بعد قتال عنيف وخسائر فادحة فى الجانبين ٠٠

وحاول العدو اتمام الضغط والوصـــــول الى مدينة الاسماعيليه لتحقيق نصر سياسى وعسـكرى ، ولكن رجالنا استماتوا فى التشبث بالأرض ، وتعاونت عناصر المظلات والصـاعقة والمشاة ، فأحبطت كل محاولات العدو لاقتحام مدينة الاسماعيلية ٠

ونظمت عناصر الجيش الثانى الموجودة غرب القناة أوضاعها الدفاعية على النطاق الدفاعى الثانى غرب القناة وجنوب ترعة الاسماعيلية ، وذلك بواسطة احتياطيات الجيش الثانى ، وعناصر من احتياطيات القيادة العامة ، وتمت الاحاطة بقوات العدو المتسللة واحتوائها ، ومنع انتشارها شمالا أو غربا أو جنوبا ، تمهيدا لتدميرها فى مرحلة لاحقة ٠٠

واعتبارا من ٢٠ أكتوبر عاود العدو محاولات التسلل بعناصر صغيرة فى اتجاه الجنوب الا أن قوات الجيش الثالث الميدانى بقيادة اللواء محمد عبد المنعم واصل تصدت له ببسالة منقطعة النظير ، وصدت كل محاولاته ، ودمرت قواته التى حاولت الانتشار صوب مؤخرتها ، وردت ما بقى منها على قبد الحياة صوب الشمال ٠٠

واستمرت محاولات العـدو طوال يومى ٢١ ، ٢٢ أكتوبر لمواصلة

التسلل جنوبا ، ولكنه لم يحقق النجاح المأمول ، كما لم يشكل أى تهديد جدى على قوات الجيش الثالث سواء الموجودة منها فى رأس الكوبرى شرق القناة أو الموجودة غربها ، وذلك حتى بدأ سريان قرار وقف اطلاق النار سعت ١٨٥٢ يوم ٢٢ أكتوبر ٠

وكان كل ما نجح العدو فى تحقيقه حتى ذلك الوقت هو تدمير عدد من مواقع الصواريخ المضادة للطائرات ، مما دفع القيادة المصرية الى سحب باقى الصواريخ المنتشرة فى المنطقة الملاصقة للجزء الجنوبى من قناة السويس حتى لا تتعرض للتدمير ، وللمحافظة على سلامة نظام الدفاع الجوى ٠

وقد أدت هذه الأحداث الى كشف الغطاء الجوى بالصواريخ عن قوات الجيش الثالث شرق القناة ، مما أتاح للعدو فرصة مهاجمتها بالقوات الجوية بتركيز شديد ، وتجاوزت طلعاته الجوية خلال يوم ٢٢ أكتوبر على الجبهة المصرية وحدها ٨٤٥ طلعة/طائرة ، الأمر الذى لم يحدث مثله طوال الحرب ٠٠

وخلال تلك الفترة استمرت قوات الجيشين الثانى والثالث المرتكزة شرق القناة فى تثبيت العدو فى مواجهتها ، ودفعت ببعض المفارز لمهاجمة قوات العدو هناك ، ودارت بعض المعارك الصغيرة فى حجمها ، الكبيرة بالنسبة لما أوقعته فى العدو من خسائر ٠٠

وتمكن اللواء الأيمن للفرقة ١٦ المشاة من شن الهجوم المضاد الذى استعاد على أثره بعض مواقعه التى كان قد اضطر لاخلائها سابقا ٠٠ وفشل العدو فى تصفية رأس كوبرى هذا اللواء منذ بدأ يضغط عليه فى الخامس عشر من أكتوبر حتى انتهت أعمال القتال فى ذلك القطاع يوم ٢٥ أكتوبر ٠٠

وفى الساعة ١٨٥٢ يوم ٢٢ أكتوبر بدأ سريان قرار وقف اطلاق النار ٠ وكان موقف القوات المضادة كالآتى :

- قواتنا فى رءوس الكبارى متشبثة بمواقعها شرق القناة ، بكل من عناصر الجيش الثانى والجيش الثالث ٠
- قواتنا غرب القناة تحتل النطاق الدفاعى الثانى ، وتؤمن المنطقة جنوب الاسماعيلية ، وقد أتمت حصار قوات العدو فى الضفة الغربية من القناة ، وشمال البحيرات المرة ٠

وبذا أصبحت قوات العدو المتسللة محصورة بين ترعة الاسماعيلية شمالا ، والنطاق الدفاعى الثانى غربا ، ومنطقة جبال شبراويت والشهابى وجبل جنيفة وجبل القط جنوبا ٠٠

وخلال تلك الفترة **قامت قواتنا الجوية** بتنفيذ حوالى ٢٥٠٠ طلعة طائرة منها ١٨٠٠ طلعة مقاتلات ، ٣٠٠ طلعة مقاتلات قاذفة ، ٢٠ طلعة

هليكوبتر ، و١٠ طلعات استطلاع جوى ٠ الى جانب طلعات أخرى مختلفة ، كل ذلك بغرض حماية القوات البرية والقواعد والمطارات وتدمير قوات العدو المتسللة فى المنطقة غرب وشرق البحيرات المرة والقناة ، وابرار عناصر الصاعقة داخل أوضاع العدو ، كما ركزت جزءا كبيرا من جهودها لحماية قوات رأس كوبرى الجيش الثالث شرق القناة ٠٠

وتمكنت قواتنا الجوية خلال هذه الفترة من اسقاط حوالى ٣٣ طائرة وهليكوبتر للعدو ٠٠

واستمرت **قوات الدفاع الجوى** فى توفير الحماية للأهداف الحيوية بالدولة وللقوات البرية والمطارات والقواعد الجوية ، وصد هجمات العدو الجوية التى اشترك فيها ما يربو على ١٨٠٠ طلعة/طائرة خلال هذه الفترة (من ١٨ الى ٢٢ أكتوبر) ٠

وبعد سحب عناصر صواريخ الدفاع الجوى من المنطقة الملاصقة للقناة فى قطاع الجيش الثالث أصبحت هناك ثغرة فى نظام الدفاع الجوى عرضت قوات رأس الكوبرى فى الجيش الثالث لهجمات العدو الجوية ٠٠ وتشجع طياروه بعد أن ابتعد الخطر الذى كان يردعهم ٠٠ ورغم ذلك فقد تمكنت قوات الدفاع الجوى من اسقاط حوالى ٢٧ طائرة خلال هذه المرحلة٠٠

واستمرت **القوات البحرية** فى تنفيذ مهامها لحماية سواحل ومياه الجمهورية ، وتدمير سفن العدو البحرية وقطع خطوط مواصلاته ٠ وصدت المدفعية الساحلية اغارة للعدو على منطقة الغردقة ليلة ١٨/١٩ أكتوبر ، وتم تدمير زورق وجماعة ضفادع بشرية ، كما صدت اغارة باللنشات المسلحة على الميناء ليلة ٢١/٢٢ أكتوبر ، وتم تدمير لنشين مسلحين ٠

وحدثت معركة بحرية بين لنشات صواريخنا ومدفعيتنا وصواريخنا الساحلية وبين تشكيل بحرى معادى من ٤ ــ ٦ لنشات صواريخ حاول الاقتراب من خليج أبو قير ، وتم تدمير واغراق لنشين صواريخ (سعر) وأصيب لنش ثالث شحط بعد ذلك أمام رشيد ودمرته القوات الجوية صباح اليوم التالى ، كما تم خلال هذه الفترة تدمير ١ ــ ٢ هليكوبتر حاولت انقاذ أفراد هذه اللنشات المصابة ٠٠

وفى مجال قطع طرق المواصلات البحرية المعادية تم اغراق سفينة تجارية وأخرى (يحتمل أنها كانت تحمل طائرات هليكوبتر) ، كما أغرقت وحدة بحرية متوسطة (يحتمل أنها سفينة انزال جنود) وناقلة البترول الاسرائيلية « سيروس » حمولة ٤٦ الف طن ، عند مدخل خليج السويس ٠٠

الانتشار في حمى القرار

المرحلة الخامسة للعملية الهجومية الاستراتيجية « بدر » ٠
الاندفاع جنوبا وغربا
٢٣ ـ ٢٨ أكتوبر ١٩٧٣

عام :

● **قام العدو بعد سريان قرار وقف اطلاق النار ، وفى حماه ، بدفع جماعات صغيرة من الدبابات والمشاة الميكانيكية عبر المسالك الجبلية والمدقات صوب الجنوب ٠ وحاولت بعض تلك القوات عدة مرات اقتحام مدينة السويس التى خالتها لقمة سائغة تطنطن بها دعايتها ٠٠**

ولكن شعب السويس تكاتف مع قواته المسلحة فى الذود عن حياض المدينة الصامدة ببسالة منقطعة النظير ، وأباد عدة موجات للعدو ، وكبده خسائر كبيرة ، فرجع العدو عن هذه المحاولة الباهظة التكاليف ٠

واستمرت جماعات صغيرة للعدو تتدفق جنوبا وغربا ، مع تجنب المقاومات المصرية ، وتحاول الانتشار فوق أكبر مساحة ممكنة والوصول الى أماكن لم تكن موجودة بها عندما سرى قرار وقف اطلاق النار للمرة الأولى (القرار رقم ٣٣٨ لمجلس الأمن) ٠ وكانت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية تهدف من وراء ذلك الى الوصول خلف قواتنا لتقطع خطوط

امداداتها ومواصلاتها .. وهكذا تداخلت القوات المتضادة ، واختلط بعضها بالبعض الآخر اختلاطا شديدا ..

واستمرت القوات المصرية فى حصر قوات العدو ، ومنع انتشارها صوب الشمال أو الجنوب أو الغرب ، كما استمرت فى تدمير كل ما تعثر عليه من مفارز معادية منتشرة فى الجيب المعادى غرب القناة وشرقها حتى حل يوم ٢٥ أكتوبر فتوقفت الاعمال القتالية النشطة باعلان اسرائيل وقف اطلاق النار وان استمرت بشكل محدود فى القطاع الجنوبى بجبهة قناة السويس حتى الساعة ١١٢٣ يوم ٢٨ أكتوبر ، عندما بدأت قوات الطوارىء الدولية فى الوصول الى مشارف مدينة السويس للفصل بين المتحاربين.. فهدأ القتال الى حين ..

سرد الأحداث الرئيسية :

عندما وافقت جمهورية مصر العربية على قبول قرار مجلس الأمن بوقف اطلاق النار وضعت القيادة العامة للقوات المسلحة في اعتبارها احتمال أن يعبث العدو بهذا القرار ، ولهذا نصت توجيهات العمليات التى أصدرتها فى الساعة ١٧٢٠ يوم ٢٢ أكتوبر الى جميع تشكيلات ووحدات القوات المسلحة على الآتى :

* « بنـاء على قرار مجلس الأمن ، وموافقة جمهورية مصر العربية ، بوقف اطلاق النار ، وبناء على أوامر القائد العام للقوات المسلحة يوقف اطلاق النار اعتبارا من الساعة ١٨٥٢ اليوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ اذا التزم العدو به . على جميع القادة اتخاذ كافة الاجراءات اللازمة لتأمين قواتهم بما فى ذلك المفارز المتقـدمة . تبقى القوات المسلحة فى الحالة الكاملة للتأهب لحين صدور تعليمات أخرى » .

وعلى الجانب الآخر كانت القيادة الاسرائيلية تضمر شيئا خبيثا .. سـوف تنكشف دوافعه اذا ما رجعنا الى ملابسات اتخاذ قرار المغـامرة الاسرائيلية غرب القناة وتأثير قرار وقف اطلاق النار عليها .

ولقد قررت القيادة الاسرائيلية القيام بتلك المغامرة الخطرة لتحقيق عدة أهداف أهمها :

- تحويل « تيار الحرب » لتأخذ اسرائيل مبادرة الهجوم .
- تغطية آثار النصر العسـكرى الباهر للقوات المسلحة المصرية باقتحام قنـاة السـويس واجتياح خط بارليف ، وتحويل الأنظار عن الصدمة التى تلقاها الجيش الاسرائيلى .

- تقوية الروح المعنـــوية بين القوات الاسرائيلية التى تعرضت لهزائم ساحقة فى المراحل الأولى للحرب ٠
- رفع الروح المعنـــوية لشعب اسرائيـــل واستعادة ثقته فى المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ٠

ووضعت القيـادة الاسرائيلية فى اعتبارها أن تنفيذ تلك المغامرة قد يؤدى الى حدوث ارتباك وشلل فى السيطرة العسكرية المصرية وان ادارة القتال غرب القنـاة قد تضطر القيادة المصرية الى سحب أجزاء من قواتها من رءوس الكبارى الصامدة فى الشرق مما يسهل مهاجمتها بعد ذلك ، كما أن طريقة القتال هناك توفر الفرصة للمدرعات الاسرائيلية للقيام بأعمال المناورة والتطويق ٠

وأخيرا فقد قدرت القيادة الاسرائيلية أن أى نجاح تحصل عليه غرب القناة أمر بالغ الأهمية مهما كان محفوفا بالمخاطر ، ذلك لأن الدول الكبرى لن تسمح باستمرار الحرب طويلا ولابد أن يتوقف اطلاق النار فى الجبهة خلال أيام قليلة ٠٠ ومن المفيد لاسرائيل سياسيا أن تكون لها قوات غرب القناة لاحداث حالة من التوازن فى الموقف السياسى العسكرى الطارىء ٠

وكان أخشى ما تخشاه القيادة الاسرائيلية أن تنجح الجهود السياسية فى اصدار قرار وقف اطلاق النار فى المسرح وشيكا ، ولهذا كانت شديدة الرغبة فى اتمام عمل عسكرى ما ، خاصة وقد توفر لها سيل منهمر من المعونات العســكرية الأمريكية عوضها عن خسائرها الســابقة وزاد من قدراتها الهجومية ٠

وبعد أن أكد الاستطلاع الجوى الأمريكى أن القوات الرئيسية للفرقة المدرعة المصرية التى كانت ضمن الاحتياط الاستراتيجى فى الغرب قد عبرت الى سيناء يوم ١٣ أكتوبر ١٩٧٣ لتطوير الهجوم شرقا وتخفيف الضغط على سوريا ٠٠ اطمأنت القيادة الاسرائيلية الى الموقف السائد فى المسرح، أصدرت أوامرها ببدء تنفيذ المغامرة ٠٠

وحددت لها المهام التالية :

- فتح ثغرة فى حائط الصواريخ المصرى تتيح للطيران الاسرائيلى أن يعمل بشىء من الحرية فوق القوات المصرية المتمركزة فى رءوس الكبارى ٠
- احداث أثر نفسى عميق على التفكير العسكرى المصرى ٠
- الاحتفاظ بمواقع فى الغرب يمكن أن يحميهـا وقف اطـلاق النـار ويغطى مخاطرها ، كمـا تصلح للمساومة الســياسية فيما بعـــد ٠

وسارت أحداث التسلل الى غرب القناة كما سبق ذكره الى أن صدر قرار وقف اطلاق النار يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ ٠

وما أن صدر هذا القرار حتى اتضح للقيادة الاسرائيلية أنها رغم الخسائر الفادحة والثمن الباهظ الذى تكلفته ـ فانها لم تحقق أى هدف من أهدافها المنشودة ٠

فهى لم تنجح حتى صدور القرار فى أن تفتح ثغرة ذات قيمة فى نظام الدفاع الجوى المصرى بالصواريخ ، ولم تستـــتول على أى من مدن القناة للطنطنة بها ، ولم تهز أو تربك القيادة المصرية ، ولم تحدث فقدا فى الاتزان الاستراتيجى كما كانت ترجوه ، ولم تستدرج قوات كبيرة من رءوس الكبارى شرق القنـــاة ، ولم تحقق تهـديدا ما لأى من طرق الامداد والمواصلات ٠

وأخطر من ذلك كله أن وضـــع قواتهـــا فى غرب القنـــاة كان معرضا ومكشوفا الى حد خطير بما يهدد بكارثة عسكرية اذا اشتعل القتال مرة أخرى ، خاصة والقوات المسلحة المصرية تحيط بها من أغلب الاتجاهات٠

وعلى ذلك فقد أضمر العدو منذ الوهلة الأولى أن يعبث بقرار وقف اطلاق النار ، ويخرج على المواثيق الدولية ٠

وعقب وقف اطلاق النار مباشرة بدأ العدو محموما يدفع قوات جديدة عبر القناة الى الغرب ليدعم قواته المحصورة هناك مستغلا احترام القوات المصرية لقرار وقف اطلاق النـــار وعدم تهديد المعابر بالتالى أو التدخل لمنع العبور بالنيران ٠٠

وفى الساعة ٢١٤٩ يوم ٢٢ أكتوبر أى قبل أن تنقضى ثلاث ساعات على قرار وقف اطلاق النـــار ـ التقطت أجهزة استطلاعنا أوامر لاسلكية أصدرتها القيادة الاسرائيلية الى قواتها تحضها على الاسراع فى العبور الى غرب القناة « لأن الموقف خطير ويهدد بكارثة » ٠٠

ومنـــذ الساعة ٢٢٥٠ بدأ تسرب العـــدو الى الجنـــوب عبر المسالك والمدقات الجبلية بقوات صـغيرة مع تجنب الاصطدام بالقـــوات المصرية الموجودة هناك ، ودون الاقتراب من قواتنا الرئيسية ٠ وانتشرت القوات جنـــوبا ٠ ثم بدأت تلك المفارز الصـــغيرة تناوش بعض مواقع الصواريخ المصرية منذ الساعة ٢٠٠٠ صباح ٢٣ أكتوبر ٠

وخلال يومى ٢٣ و ٢٤ أكتوبر استمرت قوات العدو تنتشر جنوبا نحـــو مدينة السويس وطريق الامداد والمواصلات الرئيسى الذى يربطهـــا بالقـــاهرة ٠

وحاول العدو اقتحام المدينة أول مـــرة يوم ٢٣ أكتوبر ليعوض بها فشله الذريع أمام الاسماعيلية ولكن خاب أمله اذ ردته المدينة الباسلة عنها

مدحورا • وتصدت له بقوات من الجيش والشعب وهزمته شر هزيمة ••
فتابع الانتشار صوب الجنوب •• وتسللت بعض عناصره الى منطقة الأدبية
التى لم يكن بها سوى عناصر ادارية قليلة من القوات البحرية •

وفى الساعة ٠٥١٠ يوم ٢٤ أكتوبر أفاد قائد قوات الطوارىء الدولية بأن وزارة الدفاع الاسرائيلية تطلب الموافقة على وقف اطلاق النار اعتبارا من الساعة ٧٠٠ يوم ٢٤ أكتوبر — ووافقت القيادة العامة المصرية على التو وأصدرت أوامرها بأن تلتزم جميع التشكيلات والواحدات بايقاف النيران فى هذا التوقيت اذا احترم العدو كلمته •

ولكن العدو لم يحترم عهوده مرة أخرى اذ ركز قصفه الجوى على قوات رأس كوبرى الجيش الثالث ، ثم حاول اقتحام الأدبية فى الساعة ٦٥٠ •• واستماتت رجال الأدبية فى الدفاع عنها ، بالتعاون مع بعض أفراد حرس الحدود ••

وعندما وصلت الساعة ٧٠٠ وهدأ اطلاق النيران — توقفت دبابات العدو بلا حراك أمام الأدبية وتظاهر العدو بحبس نيرانه ثم اندفع فجأة الى داخل الأدبية بمجرد أن رأى مراقبى الأمم المتحدة يقتربون من المنطقة فى الساعة ٩٥٥ حتى يثبت وجوده المسبق هناك •

واستمرت بعض العناصر الصغيرة من قواتنا تتمسك بجزء من منطقة الأدبية قرب الساحل خلف العدو لمدة سبعة أيام بعد وقف اطلاق النار الأخير •• حتى أمكنها اقناع المراقبين الدوليين باثبات وجودها هناك •

وفى الشمال حشد العدو قوة كبيرة من الدبابات حاول أن يقتحم بها مدينة السويس فى الساعة ١٠٥٥ يوم ٢٤ أكتوبر ••

ولم تكن تلك المحاولة مفاجئة للقوات المصرية اذ توقعت الغدر من العدو وتكرار محاولة الاستيلاء على مدينتهم الصامدة • وكانت هناك عناصر قوية من أطقم اقتناص الدبابات والصواريخ المضادة للدبابات دفعها قبل ذلك العميد أ • ح يوسف عفيفى قائد الفرقة ١٩ المشاة الموجودة برأس كوبرى الجيش الثالث بمبادأته الشخصية لتقوية الدفاع عن السويس ، كما عاونتها مدفعية الفرقة ١٩ المشاة من الشرق •

وتصدت قوات المدينة الصامدة لقوات العدو فدمرت له عددا كبيرا من الدبابات • واستمر القتال ، فدار بالسلاح الأبيض حتى الساعة ١٧١٥ يوم ٢٤ أكتوبر ، وعندما حل الظلام آثر العدو الانسحاب وترك وراءه دبابات كثيرة محترقة وعدة جثث قتلى ••

ومن الجدير بالذكر أن العدو قدم يوم ٢٠ يناير ١٩٧٤ كشوفا الى الصليب الأحمر بأسماء قتلاه الذين لم يتمكن من العثور على جثثهم أو

سحبها من جبهة القتال ٠٠ واشتملت تلك الكشوف على أسماء ٧٧ ضابطا و ٢٣ طيارا و ٦٩٩ جنديا ومدني واحد ٠٠

ويتضح من تلك الكشوف أن قادة الهجوم الاسرائيلي على مدينة السويس يوم ٢٤ أكتوبر قد فتكت بهم المدينة عن بكرة أبيهم (وهم الرائد يورى آريل والنقباء موشي آدينو ، يتسحاق حوشمان ، اسرائيل مندلسون، آمور زاهار ، كارمى آدلر) ٠

وفى الجنوب حاول العدو بعد ظهر يوم ٢٤ أكتوبر مهاجمة المنطقة جنوب الأدبية ، الا أن قوات حرس الحدود المتمركزة هناك تصدت له ببسالة بالتعاون مع عناصر من القوات المغربية الشقيقة فارتد العدو شمالا ٠٠ ولم يجرؤ مرة أخرى على الانتشار جنوب الأدبية ٠٠

ومع صباح يوم ٢٥ أكتوبر وفى تمام الساعة ٨٠٠ كرر العدو محاولة اقتحام مدينة السويس مرة ثالثة ، فدمرت له المدينة عشر دبابات فى قتال عنيف استمر حتى الساعة ١٥٥٠ ارتدت بعده بقايا العدو لتقف على مشارف المدينة وهى تلعق جراحها ٠

وبعد اعلان اسرائيل مرة أخرى قبول قرار وقف اطلاق النار الثانى (قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٩) ابتداء من ٢٥ أكتوبر ، استمرت القوات الاسرائيلية حتى ظهر يوم ٢٨ أكتوبر تمنع دخول المراقبين الدوليين أو عناصر قوات الطوارىء الدولية الى القطاع الجنوبى من الجبهة حول السويس لاثبات وجود القوات المتداخلة هناك ٠٠

وخلال تلك الفترة استمرت القيادة الاسرائيلية تدعم عناصرها غرب القناة ، وتحشد قوات كبيرة لتهاجم بها المقاومات المصرية الصغيرة المتداخلة مع قواتها ٠

وأبدت عناصرنا الصغيرة المنتشرة فى أرجاء المنطقة شجاعة فائقة ـ اذ ظلت تقاتل بعيدا عن قواتها الرئيسية ، دون امداد وفى مواجهة قوات أكبر منها عددا ٠٠

وتمكنت قوات العدو من القضاء على جزء منها ، ولكن الباقى خاض قتالا مجيدا ضد العدو الذى يحاصره من كل جانب حتى تمكن من كسر هذا الحصار ، وانضم على قواتنا الصامدة حول السويس وفى داخلها ليحولها الى قلعة منيعة تتحطم على أسوارها كل محاولات العدو لاكتساب أرض جديدة ، أو الاقتراب من المدينة ٠٠ على حين ظل البعض الآخر يتمسك بمواقعه الى أن انسحب العدو يوم ٢١ فبراير ١٩٧٤ ٠

وفى الصباح الباكر من يوم ٢٨ أكتوبر حاول العدو للمرة الأخيرة اقتحام مدينة السويس ، وتحطمت تلك المحاولة على صخرة الصمود العظيم وبفضل الكمائن المضادة للدبابات ، وأطقم اقتناص الدبابات ، التى دفعتها الفرقة ١٩ المشاة لتأمين مداخل المدينة ، بالاضافة الى القوات الأخرى التى

كانت تؤمن المدينة ذاتها من هذه الفرقة ، ومن الدفاع الشعبى والشرطة والأهالى البواسل ·

وفى الساعة ١١٢٣ بدأ وصول مقدمات قوات الطوارىء الدولية · واتخذت مراكزها بين القوات المتحاربة عند مشارف المدينة فى تمام الساعة ١٢٣٠ يوم ٢٨ أكتوبر ·· فهدأت النيران الى حين ·

هكذا تمكنت القوات الاسرائيلية من توسيع الجيب الاسرائيلى غرب القناة فى حمى قرار وقف اطلاق النار ·· واستطاعت بالغش والخداع أن تزيد من مكاسبها فى الأرض بمقدار يزيد على ضعف ما كانت تحتله عندما سرى قرار وقف اطلاق النيران يوم ٢٢ أكتوبر ·

ولكن هل تمكنت اسرائيل بذلك أن تحقق ما كانت تهدف اليه !

لقد أمكن للمؤسسة العسكرية الاسرائيلية فى حمى قرار ايقاف النار أن تنشر قواتها على مساحة واسعة من الأرض غرب القناة ··

ولكن هذا العمل وضع تلك القوات فى موقف بالغ الضعف عظيم الخطر ، اذ أصبحت تلك القوات ذاتها تشكل جيبا هشا عديم الفاعلية والتأثير ، كما أجبر المؤسسة أن تستمر فى تعبئة القوات المسلحة الاسرائيلية لمدة طويلة بعد ذلك ، رغم ما فى هذا الاجراء من أضرار لا يستطيع الاقتصاد الاسرائيلى احتمالها وتعانى منها الحياة اليومية فى اسرائيل بخاصة ·

هذا فضلا على أن القيادة العسكرية تكون بذلك قد زجت بقوات كبيرة الى مسرح حرب طويلة الأمد على عكس العقيدة التى تعتنقها منذ انشأت جيش الدفاع ·

كما تكون قد ورطت هذه القوات داخل عرين حرب الاستنزاف الذى عانت من خسائرها الأليمة فى نفس المكان ـ امبراطورية لم تكن تغرب عنها الشمس وذلك منذ عشرين عاما بالضبط ، وأجبرها المصريون على الجلاء عن منطقة قناة السويس ، اذ أصبح ثمن بقائها أبهظ من خسائر جلائها ·· ونفس الشىء انطبق على جيب اسرائيل الهش ·· ولكن بصورة أشد ··

الفصـــل السادس

بعـــد القـــرار

● لقد كانت اسرائيل تخشى دائمـــا أن تتورط فى حماقة عسكرية غـرب قناة السويس ، تحف بها مخاطر عديدة ، فتعانى قواتها من الامتداد البعيد بأكثر مما يتحمله الجيش الاسرائيـــلى ، وتقترب من الـكثافة السكانية المصرية ، وتثير الرأى العام العالمى وتتسبـب فى ادانة الضمير الحر لها بالعدوان والاجرام ٠

ولكن المؤسسة العسكرية الاسرائيلية أقدمت - لأسباب عدة - على القيام بتلك المغامرة ، التى نجحت لأسباب مختلفة لم ترد أصلا على مخيلة من خططوها ولم يحمها من الابادة الا نفس قرار ايقاف النار !

وبعد القرار ٠٠ أصبح وضع القوات الاسرائيلية فى الثغرة خطرا يهددها بكارثة فقد حشرت القيادة الاسرائيلية فى الثغرة سـبعة ألوية كاملة كانت فى حقيقة الأمر ، وكمـــا أكد حاييم بارليف رئيس الأركان العامة السابق ، مجرد رهينة يســـهل أسرها بهجـوم مركز من القوات المصرية من اللحظة التى تتم فيها حشد قوات جديدة من المشاة والمدرعات والمدفعية ، لتحكم بها الحصار الكامل حول هذا الجيب الهش ٠

وزاد من سوء موقف تلك القوات الامتداد الكبير لخطوط مواصلاتها الى قواعدها فى اسرائيل ووقوع معبرها الى الغرب بين الجيشين الثـــانى والثالث وعدم اتزان أوضاعها التكتيكية والتعبوية غرب القناة ٠

وأصبح وضع القوات الاسرائيلية على الجبهة المصرية كلها - وليس فى الجيب فقط - بالغ الغرابة ٠

فقد عزلت القيادة الاسرائيلية قوات الثغرة خوفا من الضغط المصرى

المحتمل عليها ، حتى أصبح حجمها سبعة ألوية كاملة • ولحماية الطرق والمداخل المؤدية اليها فقد وقفت عن كثب منها خمسة ألوية أخرى اقتصرت مهامها على حماية المداخل الى الثغرة • هذا بالاضافة الى عشرة ألوية فى مواجهة رءوس كبارى الجيش الثـــانى والثالث • فضلا على الاحتياطى الاستراتيجى الذى صار لزاما على اسرائيل استمرار الاحتفاظ به فى اقصى درجات التعبئة والاستعداد على النقيض تماما ممــا تنص عليه نظرياتها العسكرية أو يتحمله اقتصادها القومى . وبذا أصبح لاسرائيل فى سيناء حوالى ٢٥ ـــ ٣٠ لواء تحت التعبئة الكاملة .

ويزيد الصورة وضوحا العلم بأن الاشتباك بالنيران وبأعمال القتال لم يتوقف طوال الفترة من ٢٤ أكتوبر ١٩٧٣ حتى تم الاتفاق على الفصل بين القوات فى ١٨ يناير ١٩٧٤ (أى ٨٦ يوما) سوى ثلاثة أيام فقط •

لقـد بدأت هذه الاشتباكات بين القوات المصرية والاسرائيلية منذ ٣١ أكتوبر ١٩٧٣ واستمرت حتى يوم ١٧ يناير ١٩٧٤ وناهز عـددها ١٥٠٠ اشتباك منها ٤٣٩ اشتباكا كبيرا •

فطوال شهر نوفمبر تابعت القوات المصرية تعديل أوضاعها التكتيكية لاتمام حصار العدو واحتلال هيئات ذات أهمية تكتيكية أفضل • وأدى ذلك الى حـــدوث ٩٣ اشتباكا كبيرا بنيران الأسلحة الصــغيرة والمدفعية والصواريخ المضادة للدبابات والدبابات •

وخلال شهر ديسمبر والنصف الأول من يناير نشط العدو فى اقامة التجهيزات الهندسية لاضفاء نوع من الاستقرار التكتيكى على موقفه التعبوى غير المتزن • وهبت القوات المصرية تمنع العدو من اتمـام تلك التجهزات الهندسية وتستنزف قواه البشرية وتوقع الخســائر فى معداته وأسلحته •

فحدث ٢١٣ اشتباكا كبيرا خـلال شهر ديسمبر ١٩٧٣ ، و ١١٣ اشتباكا كبيرا خلال النصف الأول من يناير •

وكانت معظم الاشتباكات تبــدأ بنيران الأسلحة الصغيرة ثم تتصاعد الى القصف بالمدفعية والهاونات ونيران الدبابات . وذلك عدا بعض الاشتباكات التى أديرت على شكل قصفات نيران مدفعية مركزة مخططة مسبقا .

وطول تلك الفترة استمرت قوات نسق أول الجيش الثالث المتمركزة شرق القناة صامدة كالصخر فى مواقعها •• بل نجحت فى استيلاء على مواقع جديدة • وتم توحيد قوات الفرقتين ٧ و ١٩ المشاة تحت قيـادة العميد أركان الحرب أحمد بدوى وأطلق عليها اسم « قوات بدر » •

وخلال تلك الفترة استمرت قوات الدفاع الجوى والقوات الجوية والقوات البحرية فى رفع كفاءتها القتالية وتنفيذ مهامها المخططة لحماية سماء ومياه الجمهورية •

واسقطت قوات الدفاع الجوى سبعطائرات للعدو حاولت اختراق مجالنا الجوى للقيام بالاستطلاع ٠

● وهنا يبرز سؤال عن حقيقة مغامرة الثغرة . ولماذا اقدمت عليهـا اسرائيل ؟ وهل حققت بها ما كانت تهدف اليه ؟ وما هى حقيقة النجاح الاسرائيلى ـ اذا كان هناك نجاح ؟

وحتى تتضح الأسباب والدوافع التى ادت بالقيادة الاسرائيلية الى اتخاذ قرار « الثغرة » والأهداف التى سعت الى تحقيقها ، فمن الضرورى أن نسترجع الموقف السياسى العسكرى الذى كان سائدا فى المسرح عندئذ وأن نتذكر حالةالموقفالمعنوى السياسى لشعب اسرائيل وقواتهالمسلحة فى ذلك الوقت ٠

لقد ظلت اسرائيل ـ تساندها فى ذلك أجهزة الدعاية الصـهيونية والامبريالية ـ ولمدة ست سنوات تمجد فى القوات المسلحة الاسرائيلية وتتغنى بذلك النصر الرخيص الذى حصلت عليه نتيجة عدوان يونية ٦٧ ، حتى بلغ الحال بجولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل أن تقول « لا أعرف أن هناك قوة عظمى تقع بين أمريكا غربا والاتحاد السوفيتى شرقا سوى اسرائيل » كما صرح أحد القادة الاسرائيليين « ان القوات الاسرائيلية قادرة على احتـلال المنطقة المحصورة بين المغرب والخرطوم وبغداد والكويت خلال بضعة أيام » .

كمـا استكانت اسرائيل الى مناعة المنطقـة الدفاعية الحصينة التى انشاتها عند قناة السويس والتى أطلقت عليهـا اسم «خط بارليف» واطمأنت الى استحالة اقتحامها بواسطة القوات المسلحة المصرية فأخذت أبواق الدعاية الصهيونية عامة والاسرائيلية خاصة تزيد من التأثير النفسى لمنـاعة ذلك الخط حتى قال عنهـا الجنرال اليعازر رئيس الاركان الاسرائيلى السابق « ان خط بارليف سيكون مقبرة الجيش المصرى » ٠

وبالاضافة الى تلك القناعتين الرئيستين كانت هناك دعاوى أخرى روجت لها اسرائيل خلال ربع القرن الماضى عن العرب وتخلفهم الحضارى والفجوة التكنولوجية الواسعة بين اسرائيل والدول العربية .

وجاء يوم السادس من أكتوبر ٠ واقتحمت القوات المصرية قنـــاة السويس واخترقت خط بارليف ، واستولت على كل قلاعه ومواقعه الحصينة بسرعة اذهلت العالم أجمع .

وفشلت جميع هجمات وضربات العدو المضادة ، وتهاوت طائرات اسرائيـــل (ذراعهـا الطويلة) ، وتكبدت خســـائر فادحة فى الأفراد والمعدات لم تعرفهـا من قبل طـوال تاريخهـا .. وكان من الممكن أن تؤدى الى انهيارها التام لولا مسارعة الولايات المتحدة الأمريكية الى نجدتها .

وحدثت حالة من الارتبـاك .. واختل الاتزان على كل المســتويات السياسية والعسكرية ، وفقدت القوات المسلحة ثقتها فى قياداتهـــا ، وفقد الشعب ثقته فى قواته المسلحة التى « لا تقهر » .

ولهـــذا كان من الضرورى البحث عن كسب معنوى يرفــع من الروح المعنوية للشعب والقوات المسلحة ويعيـــد الثقة المفقودة ، ويغطى آثار الأعمال الحربية المجيدة للقوات المسلحة المصرية والسورية .

أما من الناحية السياسية ، فقد طال أمد الحرب بالنسبة لاسرائيل، وبدأت تدخل فى اسبوعها الثانى ..

وبدأت المحاولات الســـياسية فى المجتمع الدولى ـ وخاصـــة بين القوتين الأعظم لايقاف اطلاق النار .. قبل أن يستفحل الصراع ويجذب اليه قوى خارجيـــة قد تحوله من صراع محـــدود الى حرب عالميـــة صاروخية نووية .

وهال اسرائيل أن يوقف القتال وهى فى هـــذا الموقف الانهزامى الكامل ، وما سوف يترتب عليه حتما من انهيـــــار المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ، بل النظام الاسرائيلى كله ، فكان أن فكرت فى القيـــــام بمغامرة تحفظ لها ماء وجهها ، ولكن يجب الاسراع بتنفيذها لأن ايقاف اطلاق النار ، فضلا عن أنه سوف يؤمنها ويضمن سلامتها الا انه ســوف يعقبه ولا شك الدخول فى مباحثات ومفاوضات لايجاد حل للأزمة .. ولم تجد أمامها ألا ان تسعى لخلق وجود لها غرب القناة والاستيلاء على مناطق ذات أهمية استراتيجية ، لعله يعيد لها بعض التوازن فى الموقف السياسى العسكرى على الجبهة المصرية ويشكل عنصر ضغط فى مرحلة التفاوض .. خاصة وأنه كان قد تم تحقيق هذا التوازن على الجبهة السورية .

ويجدر بنا أن نعيد ذكر الأهداف والمهام التى حددتها القيـــادة الاسرائيلية لنستوضح مدى نجاح القوات الاسرائيلية فى تحقيقها .

الأهداف السياسية العسكرية :

لقد كانت اسرائيل تخشى دائما ان تتورط فى مغامرة عسكرية غرب قناة السويس تحف بها مخاطر عديدة ، ولكن القيادة الاسرائيلية راعت عدة عوامل أهمها :

١ ـ ان أى نجاح قد تحصل عليه غرب القناة أمر يمكن احتماله مهمـا كان محفوفا بالخطـر • ذلك لأن المجتمع الدولى ـ والقوتين الأعظم بصـفة خاصـة ـ لن يسمح باستمرار الحرب طويلا • ولابد أن يتوقف اطلاق النار فى الجبهة خلال أيام قليلة ·· وفى هـذا تأمين لوجود القوات الاسرائيلية غرب القناة •

٢ ـ أن الجهود السياسية قد دخلت مرحلة الاتصال المباشر بين القوتين الأعظم ـ وهذا يوحى بقرب صدور قرار وقف اطـلاق النار ·· ولذا يجب الاسراع باتمـام عمل عسكرى ما ، يؤدى الى تحقيق مكاسب سياسية لأحداث حالة من التوازن فى الموقف السـياسى والعسكرى •

٣ ـ ان تنفيذ تلك المغامرة قد يؤدى الى حـدوث ارتباك وفشـل فى السيطرة العسكرية المصرية وان ادارة القتال غرب القناة قد يضطر القيـادة المصرية الى سحب أجزاء من قواتها من رءوس الكبارى الصامدة فى الشرق ، ان لم يكن كلها ، مما يسهل مهاجمتها بعدذلك وتصفيتها واستعادة الأوضاع السابقة على القنـاة ··· أو بقول آخر تصفية المكاسب العسكرية المصرية •

وكل ذلك يجعلنا نستنتج أن الأهداف التى سعت لتحقيقها القيادة الاسرائيلية كانت ذات طابع سياسى ومعنوى أساسا ويمكن أن نجملها فى الآتى :

١ ـ تحويل « تيار الحرب » لتأخذ اسرائيل مبـادرة الهجوم وتحقيق توازن ما فى الموقف السياسى العسكرى •

٢ ـ تغطية آثار النصر العسكرى البـاهر للقوات المسـلحة المصرية باقتحامها قناة السويس ، واجتياحها خط بارليف .

٣ ـ تقوية الروح المعنوية بين القوات الاسرائيلية التى تعرضت لهزائم ساحقة فى المرحلة الأولى للحرب •

٤ ـ رفع الروح المعنوية للشعب فى اسرائيل واستعادة ثقته فى المؤسسة العسكرية الاسرائيلية •

حقيقة النجاح الاسرائيلى :

مما تقدم من سرد للاهداف السياسية والعسكرية والأهـداف والمهام الاستراتيجية (والتى سبق ذكرها فى الفصل السابق) يمكن الحكم على مدى الفشل الاستراتيجى الذى منيت به القوات الاسرائيلية . ولكن لزيادة التوضيح يحسن ان نورد الحقائق التالية عن أعمال القتال غرب القناة حتى صدور القرار الثانى (٣٣٩) لوقف اطلاق النار :

١ ـ **لم تتمكن** القــوات الاسرائيلية من تدمير الاحتيــاطيات التعبوية والاستراتيجية المصرية غرب القناة ، بل ظلت تلك الاحتياطيات تحاصر القوات الاسرائيلية وتمنع انتشارها الى الغرب أو الجنــوب أو الشمال ٠

٢ ـ **لم تتمكن** من اجبار القيادة المصرية ـ عن طريق ارباكها استراتيجيا أو احلال اتزانها الاستراتيجي ـ على سحب قوات ذات شأن من رءوس الكباري في الشرق ، **بل ظلت قوات رءوس الكباري صامدة في مواقعها لم ينجح هجوم مضاد واحد ضدها ، ولكن كسب بعضها أراضي ومواقع جديدة خلال تلك الفترة ٠**

٣ ـ **لم تتمكن** القوات الاسرائيلية من الاستيلاء على أى من المدن الرئيسية لمنطقة القناة (الاسماعيلية أو السويس) ٠

٤ ـ **لم تتمكن** من اتمام حصار أو تدمير أو حتى مجرد التهديد بتدمير أى من التجمعيين الرئيسيين للجيش الثــاني أو الثالث ، وان تمكنت من تهديد خطوط المواصــلات البرية لقوات رأس كوبرى الجيش الثالث (قوات بدر) ٠

٥ ـ **لم تتمكن** القوات الاسرائيلية ـ خلال قتال دام أكثر من ثــلاثة عشر يوما ـ من استعادة أجزاء حيوية من قناة السويس سوى جزء صغير من الشاطيء الشرقي طوله حوالى ١٠ كيلو مترات جنوب رأس كوبرى الفرقة ١٦ مشاة ٠

مما سبق يتضــح فشل القوات الاسرائيلية في تحقيق أى نجــاح استراتيجي نتيجة أعمالها غرب القناة ، وان كانت قد نجحت في تحقيق بعض النجاحات التكتيكية ، وخاصــة بعد صدور قرار وقف اطلاق النار الأول وانتهــاكه ـ ولكن لم تتمكن أيضــا من تحويلها الى نجــاحات استراتيجية ٠

ان تقييم نتائج أى حرب يجب أن يجرى على أســاس المحصلة النهائية لها ، وفى نطاق التطورات العالمية التى أحدثتها ، وليس على أساس مكاسب تكتيكية محدودة ٠

وهنا يجدر بنا أن نشير الى أن اسرائيل بعد أن فشلت في تحويل تلك النجاحات المحدودة الى نجاحات استراتيجية ، حاولت بتركيز دعايتهــا والطنطنة بهــا تحويلها الى **نجــاح سياسى معنوى** ٠ ويمكن القول أنها قد نجحت في تحويلها الى كسب معنــوى فقط وذلك لعوامل عــدة أهمها التأثير القوى للدعاية الغربية والصــهيونية والاسرائيلية التى حاولت تصوير تلك النجاحات التكتيكية المحدودة كنصر اسرائيلى مضــاد يوازن النصر العربى الباهر ٠

وتجدر الاشارة الى أن اسرائيل - رغم محاولاتها المتعددة - لم تنجح فى تحويل تلك النجاحات التكتيكية المحدودة الى **نجاح سياسى** • وكان الفضل فى ذلك يعود أساسا الى القيادة السياسية المصرية والقيادات السياسية العربية المخلصة التى أمكنها نتيجة وضوح الرؤية السياسية العسكرية تقييم حقيقة النجاح الاسرائيلى التكتيكى المحدودة •

وأخيرا يجب علنا أن نؤكد أن ذلك النجاح التكتيكى المحدود الذى حققته اسرائيل قد خلق أوضاعا استراتيجية غير مواتية للقوات الاسرائيلية ، كان من المؤكد أن تؤدى الى فشل استراتيجى محقق اذا ما استؤنفت أعمال القتال النشطة مرة أخرى بعد تكوين التجمعات المصرية اللائمة •

فبعد قرار وقف اطلاق النار الأول (٣٣٨) كان من الضرورى للقيادة الاسرائيلية تأمين قواتها الموجودة بالغرب فى منطقة محدودة من الأرض محاصرة من جميع الجهات وذلك بمحاولة الانتشار والاستيلاء على قدر أكبر من الأراضى •• واستتبع ذلك دفع قوات أكبر الى داخل الجيب المحصور •

ونتج عن ذلك أوضاع استراتيجية غير ملائمة لاسرائيل :

- قوات كبيرة (حوالى ٦ - ٧ لواءات) موجودة فى منطقة محدودة من الأرض ومحاطة من جميع الجهات اما بموانع طبيعية أو صناعية أو بقوات مصرية ، ويسهل قطعها الى أجزاء صغيرة وحصرها ثم تدميرها بعد ذلك ، فضلا على مصاعب الامداد والاخلاء وطول خطوط المواصلات ، والاستنزاف اليومى للأفراد والمعدات •
- لتأمين تلك القوات خصصت القيادة الاسرائيلية قوات أخرى (٤ - ٥ لواء) لحماية المداخل الى الثغرة (عند الدفرزوار) •
- ولتثبيت رءوس الكبارى المصرية خصصت القيادة الاسرائيلية حوالى عشرة ألوية فى مواجهة رءوس كبارى الجيشين الثانى والثالث، وذلك بالاضافة الى الاحتياطى الاستراتيجى الذى صار لزاما على اسرائيل استمرار الاحتفاظ به فى أقصى درجاته التعبئة •

وبهذا كانت اسرائيل مضطرة للاحتفاظ بدرجة تعبئة عالية لقواتها المسلحة لمدة طويلة وذلك على النقيض تماما مع ما تنص عليه نظرياتها العسكرية أو يتحمله اقتصادها القومى •

فى النهاية تحولت القوات الاسرائيلية الموجودة غرب القناة من سلاح تضغط به اسرائيل علينا الى رهينة نضغط بها نحن على اسرائيل ، ومصدر استنزاف لأرواح ومعدات واقتصاد اسرائيل •

ولم يبق الا تدميره :

وبدأت القيادة العامة المصرية التخطيط لتدمير قوات العدو المحاصرة غرب القناة يوم ٢٩ أكتوبر ، أى قبل أن تمر ٢٤ ساعة على وقف النيران الأخير وبعد أن تم احتواء العدو من كل جانب ٠

ويجدر ذكر أن القوات التى احتوت الجيب منذ ١٦ أكتوبر حتى وقف النيران كانت ضخمة ، على حين كان العدو يظن أن القيادة العامة قد استنفدت احتياطياتها جميعا ولهذا أذاع أننا دفعنا بالجيش الأول من القاهرة الى الجبهة ، وسرعان ما تلقفت وكالات الأنباء هذا النبأ ٠

تم تعين اللواء سعد مأمون قائدا عاما لقوات تدمير الجيب المحاصر ٠ وكعادته نزل الى أدق التفاصيل فى التخطيط لانجاز المهمة ٠

وعرضت الخطة على القائد الأعلى يوم ٢٤ ديسمبر ، وصدق عليها فى اجتماع للمجلس الأعلى للقوات المسلحة بالقناطر .. وكانت تقضى باستخدام خمسة فرق منها فرقتين مدرعتين والباقى ميكانيكية لتوجيه ضربات تهدف الى تقطيع الجيب الى أقسام منعزلة ، ثم تدمرها جزءا جزءا بعد ذلك ٠

وكان هناك تنسيق وثيق مع الاجناب ، اذ كلفت الفرقة ١٦ على الجناح الأيمن للجيش الثانى بتوجيه ضربة قوية لاغلاق عنق الجيب الضيق عند الدفرزوار والذى لم يكن يتجاوز اتساعه ٦ كيلو مترات فقط ٠

أما قوات بدر فكان عليها أيضا أن تضغط على العدو بشدة لتحجز اكبر قدر من قواته فى مواجهتها .

وبالمثل تم تخطيط أعمال قتال القوات الجوية والدفاع الجوى والصاعقة والمظلات لمساندة هجوم قوات مأمون فى مهمتها ٠٠

وكانت الأحداث السياسية تتلاحق بنفس السرعة ٠٠

وجاء اتفاق الفصل بين القوات وظهرت حقيقة «الثغرة» ، « والنصر الاسرائيلى المضاد » ورضخت اسرائيل ــ بل طلبت ترك الثغرة ، بل تركت ذلك الجزء الصغير من القناة الذى كانت قد تمكنت من اعادة الاستيلاء عليه عند الدفرزوار ٠ وسحبت قواتها شرقا بعيدا عن القناة٠

وبدأت « حرب الجنرالات » فى اسرائيل ٠٠ ونشط بينهم تبادل الاتهامات ٠٠ وعرف الجميع حقيقة تلك المغامرة ومدى الخسارة التى سببتها لاسرائيل ٠٠

واجمعت كلمات أغلب المحللين والفلاسفة العسكريين على أن معركة الجيب الاسرائيلى غرب القناة لا تعدو فى جوهرها مظاهرة صهيونية دعائية ٠٠ اصدق ما يطلق عليها هو اسم ٠٠ « المعركة التلفزيونية » ٠

الباب السادس

ذراعها المبتورة

غـابة الصّواريـخ
قوات الدفاع الجوى

البنـاء

● عنـدما تولى الرجل منصبه قائدا لقـوات الدفاع الجوى كانت الحقائق أمامه واضـحة وصـارخة ٠ فالقوات الجوية الاسرائيلية متفوقة بشـكل واضح ، والطائرات من أحدث طراز ، والطيارون على مسـتوى عال ٠ لقد استغرق اعداد هذه القوات ما بين ١١ ــ ١٥ عاما ٠٠ وثمـة عامل آخر ، هو الثقـة الكبيرة التى اكتسبتها قوات اسرائيل الجوية بعـد جولة ١٩٦٧، عندما استطاعت فى ساعات قليلة أن تقضى على القـوات الجوية المصرية ، وعلى وحدات الصـواريخ سـام ، ثم تسيدت بعد ذلك تماما على سماء مسارح العمليات ٠

وفى مقابل ذلك كانت قوات الدفاع الجوى المصرى تتألف من بضع مدافع ورشاشات مضـادة للطائرات من مخلفات التطور ، وعدد ضئيل من بطاريات الصواريخ ، وقلة من أجهزة الرادار المتفرقة ، لا تشكل بأى معيار شبكة متكاملة للانذار ٠

واذا كانت القوات الجوية الاسرائيلية قد امتدت أمامها فسحة الوقت الكافية للدراسة والاعداد منذ عام ١٩٥٦ ، وحتى شنت ضربتهـا المركزة المفاجئة صباح الخامس من يونية ٦١٩٧ ، فان قوات دفاعنا الجوى ــ التى لم تكتمل بعد ــ كان عليها أن تتصدى لطائرات اسرائيل التى ملأها زهو النصر بالثقة ، فراحت تغير يوميا على مواقعنا ، وتقصف المدن والقـرى العربية ، وتقتل الأطفال فى مدراسهم ، والعمال فى مصانعهم والمواطنين

الآمنين في مدنهم وقراهم ، واستلزم كل ذلك أن تقوم قوات دفاعنا الجوى بمهام الاعداد والتخطيط والدراسة جنبا الى جنب مع مهام القتال ٠

انه هرم جديد كان على دفاعنا الجوى ان يشيده ٠ ومثلما تضفى حرارة النار على الصلب قوة ، رفع التحدى من عزم الجنود ، وقوى من ارادة القتال بمثل ما استشرى الخطر واشتدت الآلام ٠

واثمر العزم والتصميم فى عام ١٩٦٩ عن جهاز دفاع جوى جيد التنظيم فى الجبهة ، وان لم يكن كافيا من حيث الحجم لانجاز كل المهام الملقاة على عاتقه وقتئذ ٠

ثم بدأت حرب الاستنزاف فى ذلك العام كما اسلفنا شرحه ، وعندما ارتفعت خسائر اسرائيل فى الافراد والمعدات نتيجة قصف المدفعية المصرية ، والاعمال الخاصة التى قامت بها قواتنا فى أعماق العدو ، دفعت الأركان العامة الاسرائيلية بقواتها الجوية — ذراعها الطويلة — فى المعركة، وبدأت هذه القوات تستدرج مقاتلاتنا الى معارك جوية فى محاولة لاخافتها ومنعها من الاشتراك فى القتال الدائر على الجبهة ٠

وركزت كل جهودها فى هذا العمل ، واستنبطت أساليب جديدة للكمائن الجوية ، واختارت لتنفيذها أكفأ طياريها بعد أن زودتهم بتدريب متواصل على هذه الأساليب ، وبنجاح أسلوب الكمائن الجوية أمكن للقوات الجوية الاسرائيلية أن تقلل من فعالية مقاتلاتنا فى الجبهة ٠

ثم جاءت المرحلة الثانية ، وهى اخراج الصواريخ المضادة للطائرات من المعركة ، ولتوفير مقومات النجاح لهذا العمل ، حصلت اسرائيل على خبرة القوات الجوية الأمريكيه فى تعاملها مع الصواريخ سام — ٢ فى فيتنام ، وركزت وسائل حربها الالكترونية لشل فاعليتها ، ثم قصفتها بتركيز شديد ليس الغرض منه مجرد التدمير فحسب ، بل الارهاب أيضا٠

ففى احدى الغارات التى شنتها القاذفات الاسرائيلية (سكاى هوك) على واحدة من بطاريات الصواريخ ، القت على هذا الموقع الذى لاتتجاوز أبعاده ٣٠٠ متر × ٢٠٠ متر حوالى ٥٠ قنبلة من العيارات ٥٠٠ ، ١٠٠٠ رطل ، أى ما يقارب ١٥ طنا من المتفجرات ، فى حين أن المعدلات المرعية لتدمير القوات فى هذه المساحة لاتزيد عن ٣ أطنان ، وكان ذلك يعنى أن هناك ١٢ طنا من المتفجرات تزيد على الحاجة ، ليس غرضها التدمير ، وانما الارهاب النفسى ٠

وواصلت قوات اسرائيل الجوية غاراتها على امتداد ثلاثة أشهر ، ركزت خلالها هجماتها ضد بطاريات الصواريخ فى الجبهة ، التى واجهت هذه الهجمات بشجاعة نادرة ، وأصرت على الاستمرار فى القتال مهما كانت التضحيات

ولم تذهب التضحيات سدى فقد روت دماء شهداء الدفاع الجوى عام ١٩٦٩ الأرض التى أنبتت خبرة القتال الناجحة فيما بعد ، وأن تقرر فى ذلك الوقت اخراج الصواريخ من الجبهة الى حين .

الهرم الجديد :

تشبعت أعمال قوات الدفاع الجوى خلال النصف الأول من عام ١٩٧٠ فى اتجاهات متعددة ، فبينما كان المهندسون يقيمون التحصينات اللازمة لبطاريات الصواريخ فى الجبهة ، كانت التعديلات الفنية الكفيلة بتحسين أداء معدات الصواريخ سام ــ ٢ تجرى بسرعة هائلة .

وانبرت الأطقم الجديدة تجرى التدريب على الصواريخ سام ــ ٣ التى تم التعاقد عليها مع الاتحاد السوفيتى ، وفى الوقت نفسه كان هناك مجهود هائل يبذل فى تدريب باقى عناصر الدفاع الجوى المختلفة ، وفى تطوير أساليب التدريب لتساير أساليب القتال التى تم استنباطها من خبرة المعارك السابقة .

وفى هذه المرحلة امتدت المناقشات دون توقف ، فالكل يصر على ادراك الكمال ، الا أن أهم الدراسات وأكثرها الحاحا كان يتركز حول أسلوب عودة الصواريخ الى الجبهة ، وتبلورت الآراء فى وجهتى نظر :

* الأولى .. رأى يرجح القفز بالصواريخ الى المواقع الأمامية بالجبهة مباشرة ..

* والثانية رأى يفضل « الزحف البطىء » بها نحو الجبهة ..

واحتدم الصراع بين طائرات اسرائيل التى راحت تحطم محاولاتنا لانشاء مواقع الصواريخ ، وتقصف فى الحاح القائمين بالعمل فيها ، وبين القيادة المصرية التى أصرت ــ وخلفها الجنود والمهندسون والعمال ــ على انشاء هذه التحصينات بأى ثمن ..

وتغلبت وجهة النظر الثانية ، التى تقضى بانشاء التحصينات على أنساق ، بحيث يتم انشاء كل نسق لتتمركز به بطاريات الصواريخ تحت حماية الانساق الخلفية .

وقامت الانساق الأولى ، وتم احتلالها بالصواريخ فى صمت ، دون أن تنتبه اسرائيل .. ولاستغلال هذا النجاح تقرر انشاء ثلاثة أنساق أخرى تمتد الى منتصف المسافة بين القاهرة والجبهة . ووضعت لها خطة جديدة دقيقة طموحة .

فخلال ليلتين فقط تحتم أن يتم انشـــاء التحصينات الكافية لعدد كبير من مواقع صواريخ سام ٢ وسام ٣ ، وتجهيز مراكز القيادة اللازمة لها ، وانشـاء المواصلات المختلفة ، وتمهيد الطرق والمدقات ، واقامة المعدات الهيكلية وتحريك بطاريات الصواريخ لاحتـــلال هذه المواقع ، وتحريك واحتلال جميع وسائل التأمين الضرورية لها من مدفعية مضادة للطائرات ورشاشات ومختلف وسائل الانذار ٠

وبالمثل كان على مجموعات من مهندسي الالكترونيات أن تنـــدفع خلال هاتين الليلتين أيضا لتضبط وتختبر وتولف هذا العدد الكبير من المعدات الالكترونية التى وجب أن تكون جاهزة للقتال خلال ساعات قليلة من وصـــولها الى مواقعهـــا ٠

وتم كل ذلك فى الوقت المحدد بدقة متناهية ، وعاد الفضل فى ذلك الى الرجال ذوى العلم والخبرة والارادة التى لا تلين ٠

غابة الصـــواريخ

وفى صباح أحد أيام شهر يونيو ١٩٧٠ فوجئت الطائرات الاسرائيلية المغيرة بالصواريخ المصرية تنطلق من كل حدب وصوب فتنزل بها الخسائر التى لم تكن فى البال ٠ وبكل الغيظ والحقد وجهت القيادة الاسرائيلية هجمة مركزة ضـد بطاريات الصواريخ التى نبتت كالتين الشـــوكى فى الصحراء ، الا أن هذه الهجمة لم تحقق للسلاح الجوى الاسرائيلى ســـوى المزيد من الخســـارة ٠

وتكررت المحاولات لتدمير صواريخنا بمزيد من الفانتوم ـ الطائرة الأسطورة التى يصعب تدميرها ـ وبمزيد من أسلحة الاعاقة الالكترونية ومزيد من العتاد ، وبأحدث اساليب وتكتيكات الاقتراب والهجـوم ، ووسائل التدمير المتطورة ، وأعمال المناورة والخداع . وكانت النتيجة دائما مزيدا من الطائرات الهاوية ومزيدا من الطيارين الأسرى .

وراحت اسرائيل تتباكى وتشـكو من تآكل قواتهـا الجوية ، ثم احجمت كلية عن مهاجمة صـواريخنا التى أطلقت عليهـا اسم « حائط الصواريخ » ، تارة « وغابة الصواريخ » تارة أخرى . وأعلنت الولايات المتحدة عن عزمها على تعويض اسرائيل عن كل خسائرها فى الفانتـوم أو سكاى هوك .

وخلال شهرى يونيو ويوليو ١٩٧٠ استطاع عدد قليل من بطاريات الصواريخ ـ فى تكامل مع عناصر الدفاع الجـوى الأخـرى ـ أن يدمر لاسرائيـل ما يربو على ١٦ طائرة فانتـوم ، أى ٢٥٪ من جملة ما كان متوفرا لديها وقتئذ من الطائرات ، وأن يصيب عددا مماثلا منها ..

وبدات قاعدة الهرم الجـديد تتسامى نحـو السماء ، ثم توقفت النيران فى الجبهة الى حين .

وفى منتصف عام ١٩٧٢ صرح احد قادة اسرائيل بأن الدفاع الجوى المصرى لم يعد يشكل اى خطر ، وانه قد تم اتخاذ جميع الاجراءات التى تجعله عديم الفاعلية .

اما فى مصر فكانت توجيهات اللواء محمـد على فهمى قائد الدفاع الجوى لرجاله تركز على ان السلاح الجـوى الاسرائيلى يزداد قوة يوما بعد يوم، نوعا وكما، بما يصله من طائرات فانتوم وسكاى هوك جديدة ، وبمعـدلات كبيرة ، فضـلا على معـدات الحرب الالكترونية المتطورة ، والصواريخ جو/ارض المتنوعة ، والقنابل التليفزيونية ..

وتؤكد ان على كل فرد من الدفاع الجوى أن يراقب بيقظة ودقة كل تطور أو توسـع فى قوات اسرائيـل الجوية ، حتى تتخـذ التدابير الفورية لمجابهتها بالأسلوب العلمى السليم ، ويمـكن مفـاجاة اسرائيل بقوتنا الحقيقية عندما يحل اليوم المرتقب .

وجاء اليوم

فى السادس من أكتوبر ١٩٧٣ عبر جنود مصر قناتهم تحت حماية الدفاع الجوى الذى حرم العدو من تفوقه الجوى ، ووقى كل الأهداف ذات الأهمية العسكرية والاستراتيجية بالدولة .

وجاءت الطائرات تحمل كل ما أنتجته أحدث الترسانات من وسائل الدمار ، لتؤدب هؤلاء العرب الذين هبوا يستعيدون أرضهم وكرامتهم ، وتدق لحمهم وعظامهم كما وعدت رئيسة وزراء اسرائيل .

موجات من الطائرات تتلوها موجات .. تحاول تدمير المعابر وسحق القـوات التى تعبر .. وامتدت ذراعنـا الطويلة فى ثقـة وجبروت .. وحدث اتصال ملتهب بين الأرض والسماء .. وانهالت طلقات المدفعية المضادة للطائرات والصواريخ سام ـ ٢ وسام ـ ٣ وسـام ـ ٦ تحمى سماءنا .

ولم يكن سام ـ ٦ هو المفاجاة كما ذكرت اغلب وكالات الأنبـاء ، ولكن المفاجاة الحقيقية كانت مقاتل سنة ٧٣ ، الذى استطاع أن يتسيد هذه المعدات استيعابا وتطويرا واستخداما . فتهاوت أمامه الطائرات ذات النجمة السداسية الزرقاء ، واحترقت وهى تندفع نحو الأرض .

وعندما غربت شمس ذلك اليوم المشـهود ، كان حطام ١٣ طائرة فانتوم وسكاى هوك يجثم هامدا فوق الرمال الساخنة ، بينما كان عدد من الطيارين الاسرائيليين يدخلون قفص الأسرى .. هذا بالاضافة الى

الطائرات التى أصيبت وسقطت بعيدا ، أو تمكنت من اتمام رحلة العودة .

وكان اجمالى الطائرات التى هاجمت قواتنا حتى آخر ضوء السادس من أكتوبر ٤٤٦ طائرة .. وبفضل دفاعنا الجوى .. فشلت كلها فى أن تحقق شيئا .. وهوت يد اسرائيل العليا .. وبترت ذراعها الطويلة .

وأصرت رياسة الأركان الاسرائيلية على احباط عملية العبور بأى ثمن ، ولهذا استمرت الطائرات تغير ليلا ، بعد أن أضاءت أرض المعركة بالمشاعل فحولت الليل الى نهار . وانجزت مزيدا من القصف الجوى قابله مزيد من الطائرات تهوى محترقة . وكان اجمالى الطائرات التى هاجمت قواتنا ليلا ٢٢٦ طائرة .

وأشرقت شمس السابع من أكتوبر فازدادت الهجمات الجوية عنفا وكثافة ، وزاد تنظيمها .. وراحت تستخدم أسلوبا أفضل ــ وان لم يكن أكثر جدة ــ وهو الاقتراب على ارتفاعات منخفضة جدا حتى تتجنب الكشف الرادارى ، ثم ترتفع فجأة لتلقى بقنابلها وصواريخها ، قبل أن تقفل عائدة .

كان هذا هو ما حاولت الموجات الأولى اتباعه ، ولكنها لم تستطع أن تنفذه طويلا ، اذ تصدت لها الصواريخ سام ــ ٧ القصيرة المدى ، والمصممة للتعامل مع الطائرات على الارتفاع المنخفض ، وكذا المدفعية والرشاشات م/ط ، واجبرتها على الارتفاع المبكر ، فوضعتها فى أكثر الأوضاع مناسبة لتقتلها الصواريخ سام ــ ٦ وسام ــ ٣ وسام ــ ٢ ..

كانت الأسلحة تعرف أهدافها ، فتوجه ضدها ، طبقا لارتفاعها وسرعتها ، ولم تجد الطائرات الاسرائيلية فتيلا من استخدامها للاعاقة والشوشرة ، سواء أكانت من مصادر أرضية ، أم من المستودعات الموجودة بنفس الطائرات المهاجمة ، فقد أمكن لمقاتل الدفاع الجوى بعد دراسات طويلة أن يتغلب على هذه الاعاقة .. ولكن كيف ؟

انه سر لا يريدون التصريح به اليوم حتى ينفعهم غدا ..

وهكذا سقط عدد كبير من طائرات العدو على حين استمرت عملية العبور تتدفق تباعا الى الضفة الشرقية ، لتحطم عددا أكبر من الحصون المعادية .

ولم يصب جندى واحد من جنودنا بنيران الطائرات الاسرائيلية ، كما لم تصب أية معدة من معدات الدفاع الجوى ولو بخدش طفيف حتى تلك اللحظة .. وكان ذلك نصرا رائعا بلا جدال .. اذ بترت ذراع اسرائيل الطويلة وطاش سهمها ..

وكان على القيادة الاسرائيلية أن تغير من تكتيكات الهجوم الجوى سريعا ، فاتخذت أسلوبا جديدا يقضى باقتراب الطائرات على نفس الارتفاعات المنخفضة ، وعلى مسافة بعيدة خارج مدى نيران الدفاع الجوى – كما كانت تتصور – ثم تلقى بالقنابل والصواريخ أثناء الصعود، وتبتعد عن الهدف ..

ولكن الدراسة المسبقة للعدو الجوى واساليبه المختلفة ، وتدريباته التى قام بها فى الماضى ، وأسلحته التى استخدمها فى المسرح ، جعلته مثل الكتاب المفتوح ، فكان ما يفعله معروفا لنا ، وكان رجالنا دوما على استعداد لهزيمته فى كل لحظة .

وكانت الصواريخ سام – ٦ الخفيفة الحركة قد احتلت مواقعها فى الأمام ، فزاد مدى المظلة التى حققها الدفاع الجوى للقوات البرية .. وأسقطت عددا آخرا من الطائرات الاسرائيلية ، وتهاوت كمية أخرى من المظلات الصفراء ، تهبط فى ذلة لتدفع طيارى اسرائيل الى اقفاص الأسرى ..

وجن العدو ، فالعبور ينساب بغزارة ، والمعابر تزداد قوة ومتانة .. والكبارى تتحول الى شرايين وأوردة تتدفق عبرها أسباب الحياة بين الضفتين جيئة وذهابا ..

ولم يعد أمام اسرائيل الا أن تزيد كثافة الهجمات الجوية .. وكان ذلك عبئا ثقيلا ، اذ أدرك الطيارون الاسرائيليون أخيرا استحالة اختراق هذه الشبكة المتينة التى نسجها المقاتلون المصريون بدقة رائعة ، فراحوا يتخلصون من حمولاتهم المدمرة على المسافة التى تكفل لهم الأمن ولنا الأمان .

ونجح العبور ، وتعززت المواقع ، ولكن القيادة الاسرائيلية لم تسلم بذلك ، فدفعت بالهجمات المضادة البرية التى كان لابد لها من تأييد جوى . وكان متوسط عدد الطائرات المعادية التى اقتربت لقصف قواتنا البرية شرق القناة يتراوح بين ٥٠٠ – ٦٠٠ طائرة يوميا ، أسقطت أغلب حمولتها بعيدا .. فيما عدا بعض الطيارين المغامرين الذين اقتربوا من نيراننا فدفعوا الثمن غاليا ، اذ فقدوا طائراتهم ووقعوا فى الأسر .

واصدرت القيادة الاسرائيلية فى اليوم الأول للحرب أمرا مشددا الى طياريها بعدم الاقتراب من قناة السويس لمسافة تقل عن خمسة عشر كيلو مترا ، وكان ذلك بعد أقل من ثلاث ساعات فحسب من بدء القتال .

وتراوح متوسط ما يفقده العدو يوميا من طائرات فى هذه المهمة ، أى عند مهاجمة القوات البرية شرق القناة ، بين ٤ – ٦ طائرات ، ونتيجة لذلك تلاشت كثافة الهجمات الجوية حتى وصل الدعم الامريكى لاسرائيل ، فعاد الخط البيانى الى الارتفاع ثانية بصورة ملحوظة ..

لقد حققت قوات دفاعنا الجوى غطاء جويا صلبا ، قاتلت قواتنا البرية فى حماه ، فحققت المعجزة ، وفازت بثناء الكافة واعجابهم العظيم .

الضربات الفاشلة :

وفى الساعة السادسة والنصف من صباح اليوم الثانى للقتال ـ ٧ أكتوبر ـ قامت الطائرات المعادية بمهاجمة سبعة من المطارات المصرية المتقدمة ، هى بنى سويف وبير عريضة والقطامية والمنصورة وجناكليس وشبراخيت وطنطا ، وخصصت ٨ ـ ١٢ طائرة فانتوم وسكاى هوك لكل واحد من هذه المطارات ..

وكان هذا تكرارا آليا للخطة التى اتبعتها القوات الاسرائيلية صباح الخامس من يونيو ١٩٦٧ ، وحققت بها نجاحا ساحقا أخرج القوات الجوية المصرية من المعركة حتى نهايتها .

واقتربت الطائرات الاسرائيلية على ارتفاعات منخفضة جدا فوق البحر المتوسط لتباغت مطارات شمال الدلتا ووسطها ، وفوق البحر الأحمر لتنقض على المطارات الأخرى ، وظنت انها سوف تتغلب بذلك على الحقل الراداري المصرى ، وتفاجىء دفاعنا الجوى .. ولكن المفاجأة جاءت هذه المرة من جانب مصر .

وجدير بنا ان نتوقف هنا لنفحص امر المفاجاة التى يصعب تحقيقها بقوات ذات طبيعة عمل دفاعية ، أى التى لا تتحكم فى توقيت ومكان الضربة التى تكيلها للعدو . كما ان اخفاء حجم وتمركز وحدات الصواريخ يعتبر أمرا مستحيلا الى حد كبير مع التطور الهائل فى وسائل الاستطلاع حيث يستطيع اى قمر صناعى أمريكى جوال أن يلتقط لها صورا دقيقة ومتجددة بصفة مستمرة . كما تستطيع اى طائرة استطلاع امريكية الصنع سواء أطلقتها الولايات المتحدة او اسرائيل أن تقوم بنفس المهمة ، وبتكاليف أقل .

أما عن نوعية المعدات فلم تعد سرا بعد نشر خواصها كل يوم فى المجلات والكتب المتخصصة . ويستطيع الاستطلاع الالكترونى أن يعرف تفاصيل عمل هذه المعدات ، هذا بالاضافة الى وسائل الاستطلاع المتعددة الأخرى .

وعلى ذلك فالمفاجأة الوحيدة المتبقية للمعركة فى عصرنا الحديث أصبحت تنحصر فى أسلوب استخدام هذه المعدات فنيا وتكتيكيا وتعبويا ، كما أن خداع وسائل الاستطلاع المختلفة ـ وان لم يكن أمرا سهلا . يلعب دورا كبيرا فى هذا المضمار .

.. لقد وعت قوات دفاعنا الجوى هذه المبادىء ، وبذلت كل الجهد لتحقيقها ، ففشل هجوم العدو على مطاراتنا فشلا ذريعا ، وكل

ما استطاعت الطائرات الثماني والستون التى هاجمت قواعدنا الجوية ومطاراتنا صباح السابع من أكتوبر أن تفعله لم يتجاوز القاء قنبلة فى نهاية ممر فرعي بأحد المطارات ، وقنبلة زمنية أخرى بجوار مبنى منعزل فى مطار آخر أصابته بتصدع بسيط ، لم يمنعه من مواصلة العمل .

واستمرت القاذفات المصرية تقلع من هذه المطارات لتقصف أهدافها فى عمق سيناء .. على حين كانت المقاتلات المصرية تنتظر الطائرات المعادية قبل أن تبارح المجال الجوى المصرى لتدخل معها فى معركة جوية وتدمرها .. فبترت بذلك ذراع اسرائيل الطويلة .. وخسر العدو فى هذا الهجوم ثمانى عشرة طائرة فانتوم وسكاى هوك ، وعددا من طياريه وملاحيه .

لم يكن ذلك سهلا على قوات دفاعنا الجوى لأن اكتشاف الطائرات على الارتفاعات المنخفضة مع تركيز الاعاقة والشوشرة الالكترونية التى تقوم بها مازالت احدى المشاكل العلمية التى يعكف العلماء على دراستها .

وقد أسهمت خبرتنا القتالية فى التوصل الى بعض الحلول للمشكلة ، بالاضافة الى ما بذله الجنود من تدريب شاق حقق لنا انتهاج بعض الأساليب التى مازلنا ندرجها فى عداد الأسرار العسكرية . كما أضاف مقاتلو الدفاع الجوى مبادىء جديدة الى علم الالكترونيات ، وفن استخدام قوات الدفاع الجوى .

كذلك فان استخدام شبكة المراقبة بالنظر التى تعتمد أساسا على الفرد الذى لا يتأثر بالاعاقة الالكترونية ، ويستطيع رؤية الطائرات على الارتفاع المنخفض ، مع تزويده بشبكات مواصلات تعتمد على أساس من الدراسة العلمية العسكرية الدقيقة ، قد حقق نجاحا كبيرا فى هذا المجال .

وبالاضافة الى تلك المشاكل فان اصابة الطائرات الحديثة بالصواريخ عمل يحتاج الى درجة عالية من الكفاءة .

ولنأخذ مثلا لذلك الطائرات الفانتوم — التى تعنى بالعربية « الشبح » — فهى بلا جدال طائرة قتال ممتازة ، والى جانب ما تتمتع به من مدى كبير وسرعة عالية وارتفاعات عمل مختلفة ، فانها تتميز أيضا بالآتى :

أولا : تحمل هذه الطائرة مستودعات اعاقة الكترونية لتعمية أجهزة الرادار ومحطات توجيه الصواريخ ، وتعمل على حيزات تردد مختلفة ، تغطى الترددات المستعملة بوسائل دفاعنا الجوى .

ثانيا : تحمل الفانتوم صواريخ موجهة جو/أرض مختلفة الأنواع ، منها الصواريخ راكبة الشعاع التى تتجه تلقائيا بمجرد اطلاقها نحو

اى مصدر كهرومغناطيسى ، كما انها تستمر فى اتجاهها بدقة حتى لو انقطع هذا المصدر عن البث وذلك لوجود ذاكرة الكترونية بالصاروخ تحتفظ له بالمعلومات الابتدائية عن مصدر الاشعاع وتوجهه نحوه .

ثالثا : تحمل الطائرات الفانتوم الاسرائيلية صواريخ تعمل على ترددات الأجهزة الالكترونية المصرية ..

ورغم ذلك فقد امكننا أن نتغلب على هذه الصواريخ ، وأن نسقطها بعيدا عن أهدافها .. ولكن كيف ؟ ..

انه سر حربى آخر ما زلنا نحرص عليه كل الحرص ، توصلت اليه العقول المصرية ومهندسو الالكترونيات المصريون .

وبالاضافة الى هذا الصاروخ يوجد لدى اسرائيل نوع آخر من الصواريخ الحرارية التى تتجه نحو مصدر الحرارة كمولدات القوى ، وكذا الصواريخ الموجهة بالتليفزيون .. وتحمل الفانتوم قنابل مختلفة الأنواع تصل حمولتها الى سبعة أطنان ..

رابعا : تجهز الفانتوم بمعدات الكترونية عظيمة الفائدة للطيار ، واهمها المبينات الخاصة بنشاط وسائل الدفاع الجوى الأرضى . فبمجرد أن تلتقط الفانتوم بأجهزة رادار الدفاع الجوى يضىء مصباح أمام الطيار لينبهه الى ذلك ، وكأنه يهمس فى أذنه « كن حذرا » .

فاذا اقترب الطيار من مناطق عمل الصواريخ سام واطلق عليه صاروخ من الأرض ، يضىء مصباح آخر لينذره أن الصاروخ قد أطلق نحوه .. وعند هذا الحد يبدأ حاسب الكترونى – موجود بالطائرة – فى العمل تلقائيا ، فيجرى عمليات حسابية معقدة ، تشمل سرعة طيران الصاروخ ومسافته واتجاهه وامكاناته فى المناورة وطرق توجيهه وامكانات الطائرة والطيار ، وسرعته وارتفاعه واتجاهه و . و . الخ . ويتم ذلك بالطبع فى جزء من الثانية .

ونتيجة لهذه العمليات الحسابية يحدد الحاسب الالكترونى للطيار اللحظة المناسبة للقيام بالمناورة عندما يضىء مصباح ثالث فيرتفع الطيار أو يغير اتجاهه ، ويزيد أو ينقص من سرعته اذا لزم الأمر ، حتى يبتعد فجأة وبطريقة حادة عن مسار الصاروخ أرض / جو ويفلت من ملاحقته له .

وكل هذه التدابير الالكترونية تؤدى الى النزول باحتمال تدمير الطائرة بالصاروخ الموجه أرض/جو الى الصفر ..

فاذا علمنا ان خاصية « احتمال التدمير العالى » هى أهم ما تتميز به الصواريخ ، بل ان تعقيد المعدات وغلو الثمن ، والمجهودات الشاقة التى بذلت فى صناعة هذه الصواريخ قد هدفت الى تحقيق احتمال تدمير كبير ، اذا علمنا ذلك أمكننا أن نقول ان الطائرة الفانتوم هى فعلا

« شبح » ولـكن العرب فى عام ١٩٧٣ لم يكونوا يؤمنـون بالأشـباح أو يأبهون بها ..

والواقع ان هناك معدات أخرى حديثة تعاون طيار الفانتوم على تحقيق مهامه ، ولكن يكفى ما ذكرناه آنفا عن هذه الطائرة التى أصبحت معرضا فى ميادين بلادنا .

وخير تعقيب على ذلك ما قاله احـد طيارى الفانتوم الأسرى الرائد طيار جيرو يعقوب أمنون « لقـد كانت الصواريخ المصرية مؤثرة للغاية . وكنا نحاول الابتعاد عن مواقعها خشية أن تصاب طائراتنا .. وعلى الرغم من محاولات التملص منها الا أنها كانت فعالة للغاية ، مما أدى الى وقـوع خسـائر كبيرة فى الطائرات الاسرائيلية ، وبخاصة طائرات الفانتوم » .

أيقن العدو الجوى من فشل هجومه الأول على المطارات المصرية ، فراح يطور أسلوبه ، ويجرى بعض التعديلات التى تلخصت فيما يلى :

أولا : مضاعفة عدد الطائرات التى تقوم بالهجوم لتصبح ١٦ ـ ٢٤ طائرة ضد كل مطار .

ثانيا : مهاجمة مواقع الرادار التى تقع فى طريق الاقتراب من هذه المطارات ، لتدميرها وفتح ثغرة فى الحقل الرادارى يتسلل داخلها دون انذار عنه .

وفشل العدو فى أسلوبه الجديد بفضل المدفعية والرشاشات م/ط التى كانت تدافع عن مواقع الرادار ، والتى كانت ـ رغم صغر حجمها ـ على درجة عالية من الكفاءة أجبرته على الهجـوم من ارتفاعات أعلى مما يجب ، وبالتالى لم يعد تصويبه دقيقا ، فسقطت أغلب قنابله بعيدا عن أهدافها .

وفى الوقت نفسه امتصت مواقع الرادار الهيكلية جزءا من نـيران العدو ، وذلك بالاضافة الى اجراءات أخرى لم يحن وقت نشرها . كما وقعت بعض الأضرار فى عدد من أجهزة الرادار ولكنهـا لم تسبب فى حدوث أى ثغرة فى الحقـل الرادارى ، وأمكن اسـتعادة موقف هـذه الأجهزة بسرعة بفضل كفاءة الأطقم وشمول خطة الاصلاح الفورى .

ثالثا : وضع مظلات جوية من الطائرات الاسرائيلية على طريق خروج الطائرات المهاجمة ، وعن كثب منها ، وقد تكونت كل مظلة من ١٢ ـ ١٦ طائرة . وامكن لقيادة القوات الجوية الاسرائيلية توفير كل هذه الاعـداد من الطائرات بعد وصـول الـدعم الامريكى ، وتعويض خسائرها فى الطائرات .

وكان واجب المظلات هو تركيز الاعاقة الالكترونية الكثيفة باستخدام الأجهزة التى وصلت أخيرا من الولايات المتحدة ضد محطات توجيه الصواريخ أساسا ، بالاضافة الى محطات رادار الانذار .

كما كان لهذه المظلات واجب آخر هو الدخول فى معارك جوية مع المقاتلات العربية التى تعترض الطائرات الاسرائيلية سواء عند اقترابها أو عند انسحابها .

مطار واحد فقط استطاعت الطائرات الاسرائيلية اغلاقه لمدة تزيد على ثلاث ساعات ، ولم يكن هذا المطار الوحيد مدافعا عنه بالصواريخ وانما بوحدة مدفعية صغيرة ، ورغم ذلك فقد دمرت هذه الوحدة بالتعاون مع الوحدات الأخرى التى مرت فوقها الطائرات المغيرة ، دمرت للعدو اثنتى عشرة طائرة أى ما يساوى ثمانية وأربعين مليون دولار .

وثمة نجاح آخر حققته القيادة الاسرائيلية هو تدمير أوتوبيس مدنى يحمل بعض القرويين ، كانوا فى طريقهم الى سوق المدينة الاسبوعى ، وقتلت طائرات اسرائيل ستين قرويا بين رجل وامرأة وطفل بقذيفة مباشرة أسقطها الطيار الاسرائيلى الشهم .

وظلت القواعد الجوية والمطارات المصرية تستقبل الطائرات وترسلها الى أهدافها طبقا للخطة الموضوعة . ولم تصب اية طائرة مصرية وهى على الأرض طيلة ايام القتال .. وكان معنى ذلك أن ذراع اسرائيل الطويلة قد بترت وفقدت بأسها بفضل دفاعنا الجوى الباسل .

آلاف الأطنان فوق بور سعيد :

لم تستطع الطائرات الاسرائيلية أن تحقق شيئا فى جبهة القناة فقواتنا قد عبرتها بنجاح ، والجيشان الثانى والثالث قد عززا مواقعهما فى الشرق . وتزايد سقوط طائرات اسرائيل يوما بعد يوم بنيران الصواريخ سام ٢ ، ٣ ، ٦ ، ٧ والمدفعيات المضادة للطائرات المصرية . وذراع اسرائيل الطويلة مشلولة أمام دفاعنا الجوى القوى ..

اذن فليكن الانتقام حيث بصيص من الأمل فى استعادة بعض الثقة فى هذه الذراع المبتورة ..

وعلى ذلك قررت اسرائيل أن تكون ضربتها ضد بور سعيد ، المدينة الباسلة التى تقف فى اباء وشمم عند المدخل الشمالى للقناة على شاطىء البحر المتوسط . فهناك لا خوف من مقابلة نيران الدفاع الجوى المهلكة ، اذ لا توجد بها سوى اربعة بطاريات فقط من طراز سام ٢ وسام ٣ ، وبعض المدفعيات والرشاشات المضادة للطائرات ، تشكل فيما بينها تجمعا منعزلا ، لا يتوفر له تعاون بالنيران مع تجميع الجبهة .

أما امداد المدينة فليس له طريق الا الساحل ، وتكفى قنبلة أو صاروخ واحد لقطعه فى أى موضع على امتداده الطويل .

وتساعد جغرافية المنطقة القوات التى تهاجم بور سعيد جوا ، فالى الشرق تقع قناة السويس ، والى الشمال البحر المتوسط حيث يمكن للطائرات المهاجمة أن تطير فوقه على ارتفاع عدة أمتار دون خطر ، ودون أن تتمكن أجهزة الرادار أن تميزها من خلال امواج البحر ، والى الغرب تقع بحيرة المنزلة التى لا يفصلها عن البحر سوى شريط ساحلى ضيق ، والى الجنوب تمتد أرض منبسطة وسبخات ملحية .

لقد وفرت هذه الظروف الطبوغرافية أفضل الفرص للطائرات المعادية أن تقترب من المدينة عن طريق الشرق مباشرة ، وعن طريق الشمال فوق البحر بصورة شبه مباشرة ، وعن طريق الجنوب والغرب بصورة غير مباشرة بعد أن تقوم بحركة التفاف واسعة بعض الشىء . وكان هذان الاتجاهان الأخيران هما الأكثر احتمالا اذا أراد العدو أن يحقق المفاجأة .

وحدث ما توقعناه تماما ، اذ قامت طائرات اسرائيل يومى ٦ ، ٧ أكتوبر بالالتفاف من الغرب — أى من الخلف — لتهاجم القوات البرية التى عبرت الى الشرق .

وفى الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم الثالث للقتال — ٨ أكتوبر — التقطت شاشات الرادار عددا من الطائرات الاسرائيلية تقترب مباشرة من الشرق على ارتفاعات متوسطة وعالية ، وخصص قائد الدفاع الجوى عن بور سعيد جزءا من مجهوده للتعامل مع هذه الأهداف فى حالة اختراقها لمجال عمله ، على حين أمر الجزء الأكبر أن يكون مستعدا للاهداف التى تقترب من الجنوب ، وركزت وسائل الاستطلاع فى اتجاه الشمال والغرب .

وانخفضت الطائرات المقتربة من الشرق لتوحى بأنها سوف تنقض وشيكا ، ولم تخدع هذه الحركة أحدا لأن الأسلوب الصحيح هو العكس من ذلك تماما ، اذ يجب على الطائرات أن تقترب على ارتفاعات منخفضة لتتفادى الكشف الرادارى ، ثم ترتفع بغتة لترى أهدافها قبل أن تنقض عليها وتقصفها بشدة واحكام .

وبعد قليل كان المجهود الرئيسى يندفع الى بور سعيد من اتجاه الجنوب ، فتنقسم الطائرات الى مجموعتين ، تتجه احداهما شرقا لتهاجم مواقع الصواريخ الموجودة فى هذا الاتجاه ، وتتجه الأخرى غربا لتهاجم المواقع الباقية .

وانتشرت هناك بعض الكمائن المضادة للطائرات من صواريخ سام — ٧ الصغيرة التى تطلق من الكتف ، وضعناها فى طريق اقتراب الطائرات التى ما ان فوجئت بنيرانها المصوبة حتى اضطرت الى الارتفاع

مبكرا عما كان مخططا لها ، فأصبحت فى اكثر الأوضاع مناسبة لمواقع سام ٢ ، سام ٣ لتدميرها .. وبدأت الصواريخ تنطلق لأعلى والطائرات تتهاوى لأسفل بمجرد أن يتم اللقاء الصاخب بينهما .

واستمرت المعركة حتى الساعة الخامسة مساء بحشد كبير بلغ اربعة وتسعين طائرة . هذه الكثافة الكبيرة تزيد على امكانات البطاريات الأربعة التى لا يمكنها أن تتصدى فى فترة زمنية واحدة لأكثر من أربعة أهداف فحسب ، مثل عددها ، فاذا زاد عدد الطائرات المغيرة عن عدد البطاريات سام أمكن لهذه الزيادة أن تقصف مواقع الصواريخ دون أن تخشى عملا مضادا منها .

وعندما هبط الظلام كانت اثنتا عشرة طائرة اسرائيلية قد تحولت الى حطام فى مقابل اسكات الصواريخ الأربعة .

وفى جنح الليل بدأت الطائرات الاسرائيلية المرحلة الثانية تحت اضواء المشاعل ، بهدف احباط اى محاولة لاقامة الصواريخ مرة اخرى . وراحت الطائرات تقصف مواقعها بشدة ، حتى تدمر المعدات تدميرا تاما .

ثم زادت القصف بشدة لتهدم المواقع نفسها ، حتى اذا ما امكن تعويض الأسلحة بأخرى فلن تجد الموقع الذى تعمل منه .. ثم عملت على اغلاق هذه المواقع والطرق المؤدية اليها بالقاء القنابل الزمنية والألغام والاشراك ذات النوعية الخاصة ، حتى تمنع المهندسين من الاقتراب منها . وأخيرا قطعت الطريق المؤدى الى بور سعيد لتمنع الامدادات عن المدينة الباسلة .

واستمرت هذه العملية فى تكرار رتيب طيلة يومى التاسع والعاشر من اكتوبر . وكانت الطائرات عندما تقابل بنيران المدفعية م / ط أو الصواريخ الصغيرة ترتفع قليلا ثم تستمر فى قصفها بأنواع مختلفة من القنابل والصواريخ ، كما قامت أيضا بقصف القاعدة البحرية .

وبلغ مجموع الطائرات التى هاجمت بور سعيد يومى ٩ ، ١٠ أكتوبر ٢١٤ طائرة القت زهاء الألف وخمسمائة طن من المواد المتفجرة عليها .

وفى الساعة الثامنة من مساء العاشر من أكتوبر أمكننا أن نلتقط بعض الاشارات المتبادلة بين الطيارين الاسرائيليين وقيادتهم ، عندما كان الطيارون يعطون تماما بأنهم نفذوا كل مهامهم ، بينما القيادة تصر على أن يعاودوا الكرة . وصرخ الطيار فى النهاية مؤكدا انه لم تعد هناك أهداف تقصف ، وأنه سوف يقفل عائدا الى قاعدته .. ثم أغلق جهازه وعاد ليستريح .

وفى الساعة التاسعة والدقيقة الثامنة والثلاثين من صباح الحادى عشر من أكتوبر عادت الطائرات الاسرائيلية الى بور سعيد . ستة عشر

طائرة اتت لتبث الرعب فى قلوب سكان المدينة الذين رفضوا مغادرتها . ولم تكن بها حاجة لأن تطير على ارتفاع منخفض فلم يعد أمامها عناصر دفاع جوى يؤبه به .

وفجأة انطلقت الصواريخ سام ٢ وسام ٣ ثانيا ، وسقطت اثنتا عشرة طائرة فى مدى عشر دقائق ، وفرت الطائرات الأربع الباقية .

كيف حدث هذا .. ؟ ومتى عادت الصواريخ الى مواقعها .. ؟ لقد بدا ذلك ضربا من المحال ، ولكنها حقيقة واقعة أثبتها التاريخ ، وتعرفها القيادة الاسرائيلية جيدا .

فرغم كل ما حدث ، عاد تجميع الصواريخ فى بور سعيد أقوى مما كان بفضل التخطيط المسبق الحاذق ، والشجاعة المتأصلة فى النفوس، وتنظيم العمل والتعاون الكامل ، واتقان الواجب والاصرار على ادائه . وعاد الفضل فى كل ذلك الى قوات الدفاع الجوى ، والمهندسين العسكريين ، واهالى بور سعيد الأبطال ، الذين حققوا فيما بينهم هذه المعجزة .

وبنهاية الحادى عشر من اكتوبر ٧٣ كانت بور سعيد قد أسقطت احدى وعشرين طائرة اسرائيلية ، غير الاصابات الأخرى التى ألحقتها بها .

واستمر الصراع بين قوات الدفاع الجوى المصرى فى بور سعيد والقوات الجوية الاسرائيلية ، وكان صراعا مريرا غير متكافىء بين مئات الطائرات من أحدث الأنواع العالمية وبين أربع بطاريات صواريخ .

واستخدمت الصواريخ الحرارية التى تتجه الى مصادر الحرارة بالمواقع ، وهى مولدات القوى الكهربائية اللازمة لعمل وحدات الصواريخ ، واشعل المقاتلون النار فى براميل فارغة وضعوا فيها بعض الوقود والنفايات ، فكانت تجذب الصواريخ اليها .

كما استخدمت الطائرات الصواريخ الموجهة بالتليفزيون . واطلق مقاتلو الدفاع الجوى ــ ستائر الدخان حول المواقع ، مما جعل هذه الصواريخ تضل اهدافها . وأصبح من الصعب على الطائرات أن ترى المواقع .

والقت الطائرات وابلا من الاشراك المتفجرة ، واستطاع المقاتلون والمدنيون تمييزها بسرعة ، وابتكروا طرقا سهلة لتدميرها .

وفى الثالث عشر من أكتوبر كان تجميع الصواريخ فى موقف خطير، اذ أصيبت ثلاث بطاريات ولم يبق صالحا للعمل سوى واحدة .

وكان من المهم الا يشعر العدو بهذا الموقف الحرج الى أن يعاد اصلاح الأعطال .

وبالفعل استطاع مهندسو الالكترونيات المصريون أن يحافظوا على مصادر الاشعاع الكهرومغناطيسى بكل موقع ، وحافظوا بذلك على الصورة العامة للموقع . فالصواريخ ما زالت تنطلق وان كانت غير موجهة ، وهناك مصادر اشعاع وان كانت غير ذى موضوع ، وهناك دخان كثيف يلف كل شيء فى ثوب من الغموض والابهام .

وظلت الصورة أمام الطيارين الاسرائيليين كما كانت عليه سابقا ، فلم يفطنوا الى أى تغيير ، بل ان كثيرا من الطيارين فى ذلك اليوم بالذات ألقوا بحمولاتهم من القنابل والصواريخ فى البحر خشية الاقتراب من الدفاع الجوى فى بور سعيد ، وكان سكان بور سعيد يشاهدون ذلك بأعينهم فيصفقون .

لقد حاول العدو الانتقام من بور سعيد الباسلة فهاجمها طوال المدة من ٨ حتى ٢٤ أكتوبر بمتوسط ٦٤ طائرة فى اليوم.. وبلغ اجمالى طائراته التى هاجمت بور سعيد خلال تلك المدة ٩٣٠ طائرة .. ولكنها لم تستطع بكل ما تحمله من آلاف الأطنان من أسلحة الخراب والدمار أن تنال من روع شعبها البطل ..

واستمرت الحياة كعادتها ، المحلات العامة تفتح ابوابها ، وسوق المدينة توفر للمواطنين حاجتهم ، والأطفال يهللون مع كل طائرة تسقط، وصاح أحدهم يقول لأمه بعد أن شاهد ١٢ طائرة تسقط تباعا ، وتخرج منها المظلات لتحمل طياريها الى أقفاص الأسر .. « ماما السما بتمطر طيارات وشماسى » .

هكذا سجل التاريخ لقوات الدفاع الجوى صفحة فخار ، اذ نجحت في تحقيق مهامها ، وشهد العالم بذلك . ويكفى أن نسوق بعض ما قاله الأعداء . .

لقد قال موشى ديان فى حديث تليفزيونى :

. « ان القوات الجوية الاسرائيلية تخوض معارك مريرة .. انها حرب ثقيلة بأيامها .. ثقيلة بدمائها » ..

ونشرت الجيروزاليم بوست نقلا عن أحد قادة القوات الجوية الاسرائيلية :

. « ان الدفاع الجوى المصرى يتمتع بكفاءة ليس لها مثيل فى تاريخ الحروب ، تفوق تلك التى واجهها الامريكيون فى فيتنام » ..
ويقول الطيار الاسرائيلى الأسير النقيب طيار سمحا مردخاى روزين :

. « لقد دهشت من دقة تصويب المدافع المصرية المضادة للطائرات مما يؤكد أن مستوى رجالها عال جدا .. والدليل على ذلك كثرة ما اسقطوه من طائرات » ..

وحاولت بعض الصحف الأجنبيــة ـ التى اضطرت الى ان تذكر الحقــائق على مضض ـ أن تركز الأضــواء على نوعيــة الأســلحة التى استخدمها دفاعنا الجوى فعلق أحد مقاتلينا على ذلك بقوله « ان سلاحنا جيد .. والطائرات الفانتوم وسكاى هوك أيضا طائرات ممتازة . وشىء عظيم أن يكون معنا سلاح جيد ، وأن نكون مهرة فى استخدامه » ..

ان السلاح كالآلة الموســيقية .. من يحسن العزف عليــه يخرج أعذب الألحــان .. وقد اســتطاع مقــاتلو الدفاع الجــوى أن يعزفوا سيمفونية ، ان لم تكن رائعة ، فهى على الأقل متقنة .. وان شــابها بعض النغم الحزين فلأنها كتبت بدماء الشهداء .

وتعددت تقــديرات خســائر اسرائيــل فى الطائرات على الجبهة المصرية بفعل الدفاع الجــوى المصرى فزعمت اسرائيل أنهــا ١١٥ طائرة وقدرها الغرب بين ١٨٠ و ٢٠٠ طائرة وأكد الاتحاد الســوفيتى أنهــا لا تقل عن ٢٨٠ طائرة .

والواقع أن خسائر الطائرات بالنسبة لاسرائيل ليست هى المشكلة ، لأن الاستعواض سهل وسريع ، عادة يتم أثنــاء القتال ، ولكن المشكلة هى فقد الطيارين الذين يتطلب اعدادهم وقتا طويلا وتكاليف باهظة ، وقد فقدت منهم اسرائيل المئات فى حرب رمضان .

ولكن النتيجة النهائية هى أن ذراع اسرائيل الطويلة قد بترها مقاتلو دفاعنا الجوى البواســل .. وتلك حقيقة ناصعة ، هدمت اهم ركائز الأمن القــومى الاسرائيــلى فوق راس مؤسستها العسكرية المقهورة .

فــوق السحاب

القوات الجوية

● لم يسبق لطيارينا البواسل أن خاضوا حربا جوية حقيقية مع اسرائيل ، اذ باغت العدو طائراتهم وهى جاثمة على الأرض فى الجولتين السابقتين فدمرها .. مســاء فى خريف ١٩٥٦ بواسطة الكانبيرا البريطانية والميراج الفرنسية بالوكالة عن اسرائيـل ، وصباحا فى صيف ١٩٦٧ بالقوات الجوية الاسرائيلية بالأصالة عن نفسها ..

وكانت قواتنا البرية والبحرية اثر كل ضربة مفاجئة مركزة للعدو تجد نفسها وقد تعرت من غطائها الجوى فى مسرح الحرب المكشــوف ، وصارت فى وضع بالغ الشدة والحرج ..

أما فى حرب رمضان ، فقد دارت الأمور بصورة مختلفة تماما عما سبق ، اذ نشط القتال الجوى منذ اللحظة الأولى للحرب حتى لحظتها الأخيرة .. فالعملية الهجومية الاستراتيجية «بدر» قد استهلت نشاطها القتالى بتوجيه ضربة جوية مركزة مفاجئة للعدو ، أعقبها قتال جــوى عنيف ، استمر على أعلى درجات النشاط ، حتى حققت قواتنا الجوية العملاقة كل مهام القتال المحددة لها ، وخرجت بعد هــذا الجهد الرائع وذلك الانجاز العظيم قوية الجانب واسعة الخبرة عالية الكفاءة شــديدة الايمان بعون الله وتوفيقه ..

وكان خلف هــذا النجاح الكبير عمل دءوب بدأه الرجال باصرار وهمة بمجرد أن خمدت النيران فى مطاراتهــم بانتهاء الجولة الثالثــة الكئيبة .

ونشط الاعداد لزيادة عدد الطيارين ، وكانت عملية شاقة طويلة ، استغرقت فى المتوسط بين خمس وست سنوات ، قابلها جهد آخر لا يقل

عنها عناء ومشقة ، لزيادة عدد الفنيين والمهندسين والمهنيين فى القوات الجوية ، الذين يوكل اليهم جميعاً أمر اعداد واصلاح الطائرات.. وكانت هى أيضا عملية شاقة طويلة ، استغرقت الوقت الطويل نفسه مثل عملية اعداد الطيارين سواء بسواء ..

وبدأ الاعداد لانشاء شبكة هائلة من المطارات فى كافة أرجاء مصر : تستوعب الأعداد الكبيرة من الطائرات والطيارين ، وتنهض بالمهام الخطيرة والكثيرة التى سوف توكل الى القوات الجوية فى الحرب القادمة .

وكان الدرس الأول من نكسة ١٩٦٧ هو ضرورة وقاية الطائرات فى المطارات ، ولذلك تم اقامة العدد الكافى من الدشم الخرسانية المتينة فى كل مطار وقاعدة جوية .. وبفضلها ، وبفضل الدفاع الجوى اليقظ ، والحماية الجوية بالمقاتلات **لم تصب لنا طائرة واحدة فى حرب رمضان وهى جاثمة على الأرض .. ولم تكن الطائرات تستغرق أكثر من دقيقتين لتغادر دشمتها وتحلق فى السماء نحو هدفها ..** وتسبب ذلك فى حيرة العدو ودهشته .. ثم هزيمته ..

وكان الدرس الثانى من النكسة هو ضرورة تدريب القادة على تقدير الموقف السليم ، واتخاذ القرار الحكيم ، وفرض السيطرة الحاذقة ، ولهذا الغرض عقدت مشروعات كثيرة ، وأجريت دراسات عديدة ، وأوفدت بعثات للخارج ، وتمت أبحاث فى الداخل ، أثمرت كلها فى تزويد قواتنا المسلحة بنوعية ممتازة من القادة المحنكين الأكفاء ..

وجرت كل تلك الأعمال والانجازات التى استنفدت الجهد الجهيد ، والعرق الغزير ، تحت ظروف بالغة القسوة ، فالقتال لم يخب له أوار ، وحرب الاستنزاف تبتلع قسطا من الجهود والامكانات .. والنكسة قد خلفت آثارها .. كل ذلك والعمل يسير بسرعة نحو الهدف المنشود ..

ثم حصد العرب الثمرة فى حرب رمضان .. اذ أسهمت قواتنا الجوية بالنصيب الأوفى فى تحقيق النصر ، وبتر ذراع اسرائيل الطويلة ، وأخرست لسانها السليط ، وحطمت أسطورتها .. واعترف لها الفريق أول محمد عبد الغنى الجمسى بالفضل فقال .. ان القوات الجوية هى التى بدأت حرب رمضان ، وهى التى أنهتها .

استهلت العملية الهجومية الاستراتيجية « بدر » أعمال القتال بالضربة الجوية المركزة المفاجئة ، فى تخطيط رائع بين الجبهتين المصرية والسورية ، وتنسيق دقيق مع باقى الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة العربية ..

وقامت تشكيلاتنا الجوية بقوة ٢٥٠ طلعة طائرة قتال بالانطلاق شرقا فى توقيت واحد ، نحو أهدافها المنتخبة بحذق ومهارة بالغة .. لكل تشكيل جوى هدفه الذى يتعين عليه أن يدمره ، وأهدافه التبادلية للطوارىء .. ولكل تشكيل جوى وجهته المحددة ، وسرعته وارتفاعه ،

وللجميع هدف واحد ، هو الحاق الدمار بالعدو حيثما كان وأينما يصير ..

• مطارات المليز وتمادا ورأس نصرانى تحولت الى حطام .
• عشرة مواقع صواريخ أرض جو طراز هوك صارت هباء .
• مواقعا مدفعية بعيدة المدى حاق بهما الدمار .
• ثلاثة مواقع رادار ومراكز توجيه وانذار صمتت الى الأبد .
• محطتا ام خشيب وام مرجم للاعاقة والشوشرة فى سيناء امستا شعلة من النيران .
• ثلاث مناطق شئون ادارية راحت على العدو .
• النقطة القوية شرق بور فؤاد سحقها طيارونا البواسل ..

وأتت الضربة الجوية المركزة بنتائج الاحباط المرجوة ، بل بأكثر مما كنا نأمل وحققت مع نجاح اقتحام حصون بارليف افقاد العدو اتزانه ، ومن ثم قررت القيادة العامة عدم تكرارها بهذا العدد الهائل من الطائرات لأن كل الأهداف المطلوب تدميرها كانت قد تحطمت فى الهجمة الأولى ..

ومع تطوير الهجوم عبر القناة ، ركزت قواتنا الجوية على حماية رءوس الكبارى والمعابر ، ووفرت الغطاء الجوى للقوات المقتحمة .

وشاركت مقاتلاتنا القاذفة في دك حصون بارليف وكذا التعزيزات التى أسرعت قيادة سيناء بدفعها للامام لانقاذ الموقف المتدهور فىالجبهة

وشكلت المقاتلات مع صواريخ دفاعنا الجوى جدار الحماية حول مطاراتنا ومنشئاتنا الحيوية .

ووضعت نسبة من مجهود المقاتلات فى معاونة قيادة الجيشين الميدانيين والقوات البحرية .

وحقق كثير من طيارينا البواسل ست وسبع طلعات في اليوم الواحد ، فضربوا رقما قياسيا اذ أن المعدل العالمى لا يتجاوز ٣ — ٤ طلعات فى اليوم .

واستمرت بعض المعارك الجوية اكثر من ٥٠ دقيقة رغم ان الزمن التقليدى لأى اشتباك جوى لا يتجاوز ٧ — ١٠ دقائق ، وكان سبب ذلك هو كثرة الطائرات المعادية بكثافة بلغت فى بعض الأحيان ٦٠ — ٧٠ طائرة في وقت واحد .

ولم يتعطل لنا مطار او قاعدة جوية طوال أيام القتال لفترة تزيد عن ساعات قليلة مهما تعرضت المرات لقصف طائرات العدو ، وعاد

الفضل فى ذلك الى مهندسى مطاراتنا الاشاوس الذين عملوا على سرعة اصلاح الممرات وهم معرضون لنيران العدو .

وانخفضت المـدة اللازمة لاعادة تزويد الطائرة بالوقود والذخيرة الى ٦ دقائق وكان الرقم الذى طنطنت به اسرائيـل عام ١٩٦٧ هـو ٨ دقائق ..

واستمرت المقاتلات القاذفة تضرب بشدة لتحقيق السيطرة الجوية، فتقصف مطارات العدو فى سيناء وأجهزة الرادار ومواقع الهوك ، طيلة فترة العمليات وانجزت فى هذا السبيل حوالى ٣٠٠ طلعة طائرة ..

ومع فجر السابع من اكتوبر تصدت المقاتلات لهجمات العدو الجوية ضد مطاراتنا ، واشتبكت معها فى معارك جوية دارت اعنفها قاطبة على امتداد أيام ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، أكتوبر ، فى شمال الدلتا ، حيث كان العدو يدفع فى كل هجمة من ٦٠ الى ٧٠ طائرة ، وأمكن لمقاتلاتنـا فى تعـاون رائع مع دفاعنا الجوى أن تصيب وتدمر الكثير منها ، وأن تمنعها تماما من تحقيق أى هدف لها ، بما أجبرها على التخلص من قنابلها وصواريخها فى الحقول ، فيما خلا بضع طائرات قليلة ، كانت تتسلل نحو المطارات فتصيب احداها اصابات تافهة لا تستغرق عملية اصلاحها الا ساعات قليلة ..

وجدير بالذكر ان العدو ـ خلال المدة من ٧ حتى ٢٠ اكتـوبر ـ قد حاول مهاجمة عشرة مطارات مصرية فقط هى القطامية والمنصـورة والصالحية وطنطا وشبراخيت وجناكليس وقويسـنا وأبو حمـاد وبنى سويف وبير عريضة .

وكانت أول محاولة للعدو يوم ٧ اكتوبر هى أبرزها، اذ حاول فيها مهاجمة سبعة مطارات .. وبعد ذلك قلل من حجم مجهوده الجوى ضد المطارات ، فأصبح يهاجمها بمعدل ١ ـ ٤ مطار فى اليوم ، وذلك بعد أن تيقن من فشـل ذلك الأسـلوب فى اخراج القوات الجوية المصرية من المعركة ..

وعلى الرغم من مهاجمة مطار القطامية مثلا ست مرات بعدد ١٦٦ طلعة/طائرة ، ومهاجمة مطار المنصورة خمس مرات بعدد ٦٦ طلعة/طائرة الا أن هذين المطارين ظلا يعملان بكفاءة تامة طوال المعركة .

وتوقف العدو تماما عن مهاجمـة مطاراتنـا اعتبـارا من يوم ٢١ اكتوبر ..

واستمرت قواتنا الجوية على مدى ٢٣ يوم قتال نشط تؤدى مهمة الحماية الجوية بكفاءة هى مضرب الأمثال ، وجسارة مرجعهـا شـهامة الرجال .. ومع تطور الجيب المعادى غرب القناة ، تصاعد القتال الجوى الى منتهاه ، وشهدت منطقة السويس وفايد أعنف المعارك الجـوية ،

التى اشترك فيها من كل جانب ما يربو على السبعين طائرة مقاتلة ، فى تلاحم ونضال رهيب ، استمر فى بعض الأحيان ساعة كاملة وأكثر ..

وبلغ اجمالى عدد المعارك حوالى الخمسين معركة جوية ، منها ثمانية معارك كبيرة سوف تدخل سجل الخلود فى تاريخ قواتنا الجوية المظفرة ، التى أسقطت للعدو خلالها فوق شمال الدلتا وبور سعيد وقايد والسويس ما يقرب من ٩٠ طائرة ..

ويشهد بذلك احد طيارى العدو الأسرى الملازم أول آفى حاييم الكالاى فيقول « اننى أعتقد ان سلاح الطيران المصرى أصبح على أعلى مستوى ، ولم أكن أتوقع ان تقوم الطائرات المصرية بمهاجمة طائراتنا . وقد شاهدت معركة جوية بين الطائرات الاسرائيلية والمصرية أسقط فيها ثلاث طائرات فانتوم ، وسيطرت الطائرات المصرية على المعركة » .

ومنذ صباح السابع من اكتوبر و قواتنا الجوية تضرب احتياطيات العدو التعبوية بلا هوادة ، وتلحق به طوال أيام القتال التالية أفدح الخسائر فى الدبابات والمعدات والأسلحة والأفراد .

وكانت اسراب المقاتلات القاذفة من طراز السوخوى والميج ١٧ والميج ٢١ تحقق أرقاما نياسية فى معدلات اصابة وتدمير الأهداف المعادية ، وقد أنجزت فيما بينها ما يزيد على الألف طلعة طائرة ..

وعن المعاونة الجوية المباشرة للجيشين الميدانيين ، فقد تمت بكفاءة نادرة وتنسيق فعال منذ أن بدأ القتال عصر السادس من أكتوبر ، حتى صمتت النيران الى حين ظهر الثامن والعشرون منه .. وقد أنجزت القوات الجوية حوالى ثلاثة آلاف طلعة طائرة فى هذا السبيل .

وعن الاقتحام الجوى الراسى فى حرب رمضان ، فقد انبرت طائرات الهليكوبتر المصرية تؤدى مهمة ابرار وحدات الصاعقة فى عمق سيناء جنوبا وشمالا ، بما أذهل العدو وأربكه وشل حركته وعرقل مناوراته وامدادات . واستمرت الهليكوبتر طيلة أيام القتال تمد وحدات الصاعقة بلوازمها حتى تواصل الحرب ليلا ونهارا فى أشق الظروف واحفلها بالخطر ..

وعن قاذفاتنا فقد انطلقت من قواعدها تصب الدمار على أهدافها المنتخبة ، وتلقى مئات الأطنان من القنابل المهلكة على مطارات سدر والطور ، وتبيد وتشتت تجمعات العدو المدرعة وقواته الميكانيكية التى تسللت نحو الدفرزوار ، وتحطم معابره ومراكز قياداته ..

هذا عدا الدور الكبير للقاذفات فى حماية أهدافنا السياسية والاقتصادية من غدر العدو ، بوقوفها على أهبة الاستعداد لردعه اذ ما سولت له نفسه أن يقصف أهدافنا المدنية فى أى وقت .. خاصة وقد حسم الرئيس السادات الأمر بتأكيده قبل المعركة أن .. السن بالسن ، والعمق بالعمق ، والنابالم بالنابالم ..

ونفذت تشكيلات الاستطلاع الجوى قبل واثناء وبعد الحرب الكثير من المهام الناجحة لصالح القوات المسلحة ، وكان لها عظيم الفائدة فى ملاحقة أعمال العدو المضادة واحتياطها ، وكشف خططه ومناوراته أولا بأول ، وسرعة القضاء عليها ..

وحقق الفنيون والمهندسون أعلى درجات الكفاءة والمهارة فى أداء الواجب المنوط بهم ، فاحتفظوا بنسبة صلاحية الطائرات فى أعلى درجاتها ونجحوا فى اتمام أعمال اعادة ملء الطائرات بالوقود والذخيرة والقنابل فى ما لا يزيد عن ست دقائق .. ولم يملئوا الدنيا ضجيجا لتلك الأرقام المذهلة ، كما ملأتها اسرائيل عام ١٩٦٧ ، عندما حققت رقما نادت بأنه لا يجارى .. وكان مجرد ٧½ دقيقة .. لم يملأ رجالنا الدنيا ضجيجا لأنهم كانوا على ثقة أنه الواجب .. مجرد الواجب .

وهكذا استمرت قواتنا الجوية تنفذ مهامها بنجاح طوال أيام الحرب مما شكل تهديدا مباشرا لأهداف العدو فى سيناء المحتلة وفى عمق أراضيه ومما يدل على شدة خشيته من طائراتنا ونسورنا أنه خصص حوالى نصف طلعات طائراته القتالية للقيام بمهام المظلات الجوية فوق سيناء ، فقد وجه لذلك ٤٠٩٨ طلعة طائرة قتال من اجمالى طلعاته القتالية على الجبهة المصرية ، والتى بلغت ١٠٣٢٢ خلال المدة من ٦ - ٢٢ أكتوبر .

على هذا النحو قاتل رجال قواتنا الجوية فى حرب رمضان فصالوا وجالوا فوق السحاب ، وانجزوا المهام الجسيمة ، وحققوا الهدف المنشود ، وصدق فيهم قوله سبحانه وتعالى ((.. من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه)) .

الأبيض والأحمر
القوات البحرية

● بين مضيق شرم الشيخ جنوب خليج العقبة وباب المندب جنوب البحر الأحمر حطمت قواتنا البحرية كل افتراءات اسرائيل عن ضرورة احتلال مدخل خليج العقبة ، ثم كشفتها للملأ ، واثبتت زيف هذه الافتراءات . ولو كان هذا انجازها الوحيد فى حرب رمضان لكفاها .. ولكنها استمرت شديدة النشاط وافرة الانجاز طوال الحرب .. ويرجع الفضل فى ذلك التطور الكبير الذى حققته قواتنا البحرية بعد جولة يونيو ١٩٦٧ تنظيما وتسليحا وتدريبا ، فعلى الاتجاه التعبوى للبحر الأحمر أصبحت تسيطر بقاعدة البحر الأحمر البحرية ، وعلى الاتجاه التعبوى للبحر المتوسط أصبحت تسيطر بقاعدتى الاسكندرية وبور سعيد ..

وصارت كل قاعدة بحرية مسئولة تماما بما لديها من قوات وقدرات أن تؤمن نطاقها التعبوى ، وأن تمنع العدو من الاقتراب من الأهداف الساحلية فى منطقة عملياتها ..

أما فى مجالات التسليح فقد ركزت قواتنا البحرية كل جهودها للنهوض بالوحدات البحرية الخفيفة ، وزيادة عدد لنشات الصواريخ والطوربيد واللنشات المجهزة بصواريخ غير موجهة للضرب على أهداف العدو الساحلية . ومع بداية حرب رمضان كانت تملك قوات صاعقة بحرية وضفادع بشرية مزودة بأحدث أسلحة العصر .

واختبرت القوات البحرية جنود الصاعقة فى عمليــات متعددة ؛ فكانوا أول من عبر القنــاة بعد يونيو ١٩٦٧ لاحضار عينات من أسلحة اسرائيل ، ثم كانوا دائما ضمن القوات التى عبرت القناة عام ٦٧ ، ٦٨، ١٩٦٩ .. فعادوا بالأسرى وبثوا الكمائن ووزعوا الألغــــام عن طريق التحرك ، وشنوا الاغارات المتعددة على نقط العدو الحصينة ، التى كان أبرزها مهاجمة وتدمير الجباسات جنوب بور توفيق ..

واحست اسرائيل بخطورة قواتنا البحرية واتقانها صنعة الحرب عقب اغراقها المدمرة ايلات بالصواريخ البحرية فى ٢١ أكتــوبر ١٩٦٧ فأعلنت عن استراتيجيــة جديدة للبحرية الاسرائيليــة تعمــل فى عدة اتجاهات :

- أولا : دعم اللنشات الحديثة السريعة ، وتسليحها بالصواريخ جابرييل ، وهى اللنشات التى عرفت باسم « سعر » ..
- ثانيا : الاعتماد على الصناعة الاسرائيلية في توفير الكثير من المعدات البحرية المتطورة ، وقد صنعت اسرائيل فعلا الصاروخ جابرييل .
- ثالثا : شراء غواصــات جديدة من انجلترا تناسب مواصفاتها القتالية عملياتها البحرية المقبلة .
- رابعا : تطوير الضفادع البشرية تدريبا وتسليحا ..
- خامسا : تخصيص طائرات للعمل مع قواتها البحرية . ســواء لأغراض الاستطلاع أو الحماية الجوية أو ضرب تجمعات قواتنا فى البحر او انقاذ قواتها التى قد تصاب خلال المعارك البحرية . وقد ركزت فى هذا المجال على طائرات الهليكوبتر ، والقاذفات المقاتلة والمقاتلات .

لقد أوكل الى قواتنا البحرية مهام كثيرة فيما بين الجولتين الثالثة والرابعة ، اذ كانت مطالبة بتدمير قوات العدو البحرية أينما وجدت ، وتحطيم أهداف العدو الساحلية ، والتى قد تعمل ضــد قواتنــا أثناء العملية الهجومية المرتقبة للجيوش الميدانية .

ولعل أبرز الواجبات التى وقع على قواتنــا البحرية عبء انجازها حماية خطوط مواصلاتنا البحرية ، وحرمان العدو من الاســتفادة من مواصلاته البحرية .

وكلنا يعلم كيف تعتمد الدول كثيرا على حجم الامدادات البحرية التى تصلها عن طريق البحر ، ذلك لأن النقل الجوى محدود جدا وباهظ التكاليف ، كما أن حجم المطالب الاستراتيجية التى يمكنه نقلها بسيط اذ ما قورن بقدرات النقل البحرى غير المحدود . ولنقارن بين ما تحمله ناقلة بترول متوسطة حمولتها ٤٠٫٠٠٠ طن ، فى رحلة واحدة ، وعدد

الطائرات التى تستطيع نقل الحمولة نفسها جوا ، لنلمس البون الشاسع بين القدرتين .

وبالاضافة الى ما سبق من مهام فقد كان واجبا على قواعدنا البحرية حماية سواحلنا وفرض سياستنا البحرية على مياهنا الاقليمية.

الموقف البحرى قبل يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ :

كانت وحدات العدو البحرية تتمركز في ميناءى أشدود وحيفا على البحر المتوسط ، وايلات وشرم الشيخ ومراسى خليج السويس — رأس سدر وأبو رديس — على البحر الأحمر .

اما وحداتنا البحرية فقد تمركزت فى نطاق القواعد البحرية فى الاسكندرية وبور سعيد وسفاجا والغردقة .. وبمقارنة قواتنا البحرية بقوات العدو يتضح تفوقنا على العدو فى المدمرات والغواصات ووحدات بث وكسح الألغام ، على حين يتفوق العدو علينا نسبيا فى لنشات الصواريخ ، ولديه القدرة على تخصيص مجهود جوى أكبر لمعاونة قواته البحرية . وكذلك يتفوق العدو فى طائرات الهليكوبتر التى تعمل مع قواته البحرية .

ويتميز مسرح العمليات البحرى باتساعه الكبير على طول سواحلنا التى تبلغ ١٦٠٠ كيلو متر على البحرين المتوسط والأحمر ، على حين لا تتجاوز سواحل العدو على البحر المتوسط وخليج العقبة ٤٠٠ كيلو متر فقط . ومن الواضح انه نظرا لوضع اسرائيل السياسى والجغرافى فان خطوط مواصلاتها البحرية بخاصة تعتبر الشريان الرئيسى الذى يكفل استمرار المحافظة على اقتصادها وامدادها بالمواد ذات الطبيعة الاقتصادية والعسكرية ..

وفى أوائل شهر اكتوبر ١٩٧٣ أعلن عن تنفيذ المناورة السنوية لقواتنا البحرية التى تجرى كل عام فى نفس هذا الموعد باعتبارها جزءا هاما من المناورة الكبرى للقوات المسلحة . وأعلن أن الغرض منها « كالعادة » هو الاختبار العملى لنتائج التدريب بمناسبة انتهاء السنة التدريبية .

وفى هدوء وصمت تحركت غواصاتنا فى البحر المتوسط الى مناطق محددة لها وهى تحمل مظاريف مقفلة بين طياتها السر العظيم الذى يحدد لقائد الغواصة مهمته القتالية . وكان على هؤلاء القادة ألا يفتحوا المظاريف الا بأوامر خاصة سوف تصدر لهم فى اللحظة المناسبة .

وتحركت غواصات البحر الأحمر تحت ستار اجراء بعض الاصلاحات الضرورية فى احد موانى الباكستان ، وكان قد تم الاتفاق عليها مسبقا مع السلطات البحرية لهذه الدولة الصديقة .

أما مدمراتنا فقد تمركزت واحدة منها بميناء طرابلس فى زيارة رسمية لجمهورية ليبيا الشقيقة ، وتحركت مدمرات البحر الأحمر الى منطقة عملياتها عند باب المندب فى أقصى الطرف الجنوبى للبحر الأحمر وتم كل ذلك تحت ستار اجراء زيارة ودية لدول المنطقة .

وفى الوقت المناسب تماما تم شحن واعداد الصواريخ البحرية بحر / بحر وهى سلاح القوات البحرية الفعال . ونظرا لما يلازم شحن الصواريخ من تعقيدات فنية كثيرة فلقد حسبت تلك الفترة بدقة متناهية بحيث تكون كل لنشات الصواريخ جاهزة للقتال ومحملة بالصواريخ قبل بدء العمليات .

أما الألغام فقد تم اعدادها باعتبار ان ذلك من متطلبات التدريب ، وضمن الاستخدام الفعلى لخطة المناورة .

وفتحت المدفعية الساحلية تحت جنح الظلام وفى سرية مطلقة . على زعم تنفيذ مناورة تقليدية ، واتخذت مواقعها القتالية استعدادا لليوم المرتقب .

ولم يكن أحد يدرى شيئا عن هذه الأسرار الا قائد القوات البحرية ونفر قليل من ضباطه .

ثم بدأت الحرب البحرية ..

كانت الخطة مبنية على أساس التعامل مع العدو على جبهة عريضة فى البحرين المتوسط والأحمر ، مع التركيز على استخدام أقصى الجهود القتالية للوحدات البحرية خلال الساعات والأيام الأولى للعمليات ، بغرض استغلال عامل المفاجأة والاستفادة منه الى أقصى حد ممكن ، وكذلك لتشتيت مجهود العدو وارباك قياداته .

وبمجرد اندلاع القتال يوم ٦ أكتوبر اشتركت فيه بكل ثقلها المدمرات والغواصات والمدفعية الساحلية ولنشات الصواريخ والطوربيد ووحدات الصاعقة البحرية والضفادع البشرية .

فقامت سرايا المدفعية الساحلية فى بور سعيد بقصف القلعة الحصينة شرق بور فؤاد ، والحصن المنيع عند الكيلو متر ١٠ جنوب بور فؤاد .

وقام سرب من اللنشات المسلحة بصواريخ غير موجهة بانزال ضربة صاروخية على تجمعات العدو فى رمانة . ثم قام لنش آخر مسلح بنفس نوع الصواريخ بضرب مرسى للعدو .. فى رأس برون على البحر المتوسط .

وفى البحر الأحمر قامت سرايا المدفعية الساحلية بمعاونة الجيش الثالث بقصف مناطق العدو فى مواجهتها . وقام سرب من لنشات الصواريخ المتمركزة فى سفاجة بقصف أهداف العدو فى شرم الشيخ .

وفى الوقت نفسه أنزلنا ضربة صاروخية بالصواريخ غير الموجهة ضد منطقة رأس سدر . وكانت الحرائق والانفجارات تدوى على سواحل العدو فى البحرين المتوسط والأحمر .

واستمرت العمليات البحرية طوال أيام حرب رمضان بنفس معدل نشاطها للضغط على العدو وتكبيده خسائر فادحة .

ومع غروب شمس كل يوم كانت تبدأ العمليات الليلية .

ففى ليلة ٨/٧ خرج أحد تشكيلاتنا الصاروخية من قاعدة بور سعيد للمرور بغرض اكتشاف وتدمير أى وحدات بحرية معادية تقترب من منطقة رمانة بالذات .

وفى حوالى الساعة ٣٣٥ . اكتشف هذا التشكيل هدفا بحريا متوسط الحجم ، ودارت معركة بحرية انتهت حوالى الساعة ٤٣٠ ، باغراق الوحدة الاسرائيلية وعودة تشكيلنا سالما الى قواعده ..

أما فى البحر الأحمر فكان صيد غواصاتنا فيه وفيرا ، اذ بينما هى تغلق البحر عند منتصفه قرب بور سودان فى وجه الملاحة الاسرائيلية تظهر أمامها سفينة اسرائيلية ، كانت قد دخلت هذا البحر قبل السادس من أكتوبر ، وتمر أمام غواصة لم تجد صعوبة فى اصابتها بطوربيدين من عيار ٢١ بوصة فجنحت السفينة على جانبها الأيمن ، واستمرت تميل حتى انقطعت أخبارها .

وبعد هذا الحدث ، وحتى انتهاء الحرب ، والملاحة الاسرائيلية فى البحر متوقفة تماما .. فلم تعبر هذا البحر المحاط بدول عربية من جميع الجهات سفينة اسرائيلية واحدة .

وفى هذه الليلة نفسها قامت الضفادع البشرية باغارة ناجحة على مرسى ثلمت حيث يتمركز حفار يعمل لصالح اسرائيل ، فلم تجد ضفادعنا صعوبة فى تلغيم الحفار وتعطيله عن العمل تماما .

ولن ينسى الأسطول الاسرائيلى أبدا ليلتى ٩/٨ و ١٦/١٥ أكتوبر ١٩٧٣ فخلال هاتين الليلتين دارت المعركتان العظيمتان بين لنشات الصواريخ المصرية من جهة وبين لنشات سعر الاسرائيلية من جهة أخرى ..

فقد رصدنا فى المعركة الأولى (٩/٨) وحدات العدو بمجرد أن غادرت ميناء عتليت الساعة ١٣٠. تقريبا . وظلت أجهزة الاستطلاع المصرية تتابع تحركات تشكيل العدو بينما لنشات صواريخنا تعد له كمينا بحريا فى مكان منتخب بعناية بالغة .. لقد قدرت القوات البحرية

مكان المعركة بين دمياط والبرلس . وكان تشكيل العدو مكونا من ثلاث مجموعات كل من ثلاث وحـــدات ، واستمر تدفق المعلومات عن العـــدو لمركز قيادة التشكيل البحرى المصرى .

وبمجرد دخول وحدات العـــدو فى مدى صواريخنا أصـــدر قائد التشكيل أوامره بالاشتباك ، وهكذا دار أول تراشق فى التاريخ الحديث بالصواريخ الموجهة بحر ـ بحر .

وبفضل طول مدى صواريخنا عن صواريخ العـــدو ، ودقة أجهزة توجيه الصواريخ وأجهزة الاكتشاف فاجأت صواريخنا العدو وهو مازال متخذا تشكيل الابحار . وأطلق التشـــكيل المصرى صواريخه الموجهة فأصابت أهدافها بدقة متناهية . وما هى الا لحظات معدودة حتى كانت أربع قطع من تشكيل العدو البحرى تأخذ طريقها الى القاع .. القاع .

وعبر الفريق أول أحمد اسماعيل القائد العام للقوات المسلحة فى برقيته الى قائد اللواء الثانى لنشات الصواريخ عن شكر وتقدير جميع أفراد القوات المســلحة ، بل كل المواطنين « الذين تابعــوا بالاهتمام والاعزاز نتائج المعركة التى أضافت الى رصيد قواتنـــا البحرية نصرا جديرا بالتسجيل والاشادة » .

أما معركة ١٥/١٦ فكانت جــد مختلفـــة ، اذ غادر فى تلك الليلة سرب من لنشات الصواريخ المصرية الاسكندرية تحت جنح الظلام فى سرعة بطيئة حتى لا يكتشـــفه العـــدو . وكلفت القيـــادة هـــذا السرب بالانتظار فى مرسى أبى قير حيث يتم توجيه ضربة صاروخية ضـــد أى أهداف تقترب من المنطقة بين رشيد وأبى قير أو تحاول الاقتراب من الاسكندرية من جهة الشرق .

وحوالى الساعة ١٢٣ . يوم ١٦ اكتـــوبر غير التشـــكيل البحرى المصرى خط سيره ليدخل مرسى أبى قير ويربط خلف جزيرة دسوقى، ولكن قبل الاستقبال وفى الساعة ١٢٧ . اكتشـــف التشـــكيل هدفين بحريين فتوجه للاشتباك معهما . وقبل اطلاق الصواريخ ظهر هدفان جديدان فصـــاروا أربعـــة تعمل فى مجموعتين يفصلهما حوالى أربعـــة أميال بحرية .

وفى الساعة ١٣٥ . أطلق التشكيل المصرى صواريخه على لنشات العـــدو كما أطلقت الصـــواريخ الساحلية نيرانها على التشكيل نفسه . وفى برهة وجيزة كان لنشـــان من الأربعة يغرقان ، أما الثـــالث فقـــد أصيب وشحط امام رشيد ، ولم يبق من هـــذه المجموعة المعـــادية الا لنش واحد .

وفى فجر يوم ١٦ اكتوبر كانت طائراتنـــا تهـــاجم اللنش المصـــاب لتتم الاجهاز عليه .

تمكنت عناصر استطلاعنا البحرى من الحصول على صاروخ جابرييل كامل تقريبا من حطام ذلك اللنش . وقامت عناصرنا الفنية بدراسته لكشف حقيقة تلك الهالة التى أحاطت اسرائيل بها ذلك الصاروخ . وبعد الدراسة اتضح ان الصاروخ جابرييل مجمع من مكونات فرنسية وايطالية ، وبه بعض الاضافات الاسرائيلية البسيطة ، كما ظهر أيضا انه أقل كفاءة بكثير من الصواريخ السوفيتية الموجودة فى تسليح القوات البحرية المصرية ، سواء من حيث تأثير الرأس المدمرة أو المدى أو كفاءة التوجيه .

وكانت عملياتنا البحرية لعرقلة خطوط مواصلات العدو البحرية مؤثرة للغاية . ولعل أهم نتائج الحرب البحرية فى جولة أكتوبر ١٩٧٣ انها أثبتت لاسرائيل بما لا يدع مجالا للشك أن خطوط مواصلاتها البحرية مهددة اذا استمرت ترفض السلام القائم على العدل . وان حجج اسرائيل فى التمسك بمنطقة شرم الشيخ صارت أوهى من بيت العنكبوت .

فمع بداية العمليات أصدرت وزارة خارجيتنا فى الساعة ١٦٠٠ يوم ٦ أكتوبر أعلانا بتحديد منطقة معينة تعتبر الملاحة الدولية خطرا فيها لكونها منطقة عمليات بحرية ، وناشدت جميع الدول اخطار سفنها بالابتعاد عن تلك المنطقة حرصا على سلامتها ، وكذلك اعلنت وزارة الخارجية السورية الأمر نفسه بالنسبة لمنطقة عمليات البحرية السورية .

وخلال فترة العمليات أغرقت غواصاتنا فى البحر الأبيض المتوسط سفينتين للعدو ، كما أصابت غواصات البحر الأحمر سفينة أخرى كما سبق ذكره .. يحتمل أن تكون قد غرقت فيما بعد .

وطبيعى الا تعلن اسرائيل عن خسائرها هذه حتى لا تبث الذعر بين بحارة أسطولها التجارى ، فمعظمهم أجانب من دول أخرى ..

وعند باب المندب ، باشرت المدمرات حق الزيارة والتفتيش واعتراض السفن التجارية ، وقد بدأ هذا النشاط مع بداية العمليات ، واستمر حتى نهايتها .

وفى مدخل خليج السويس ، وحتى نحرم العدو من نهب حقول البترول فى بلاعيم ، زرعنا الألغام وصرنا نكثفها بصفة مستمرة ، فغرقت للعدو سفينة بترول ضخمة حمولتها ٤٦ ألف طن هى السفينة سيروس ، فضلا على سفينة أخرى حمولتها ٢٠٠٠ طن .

لقد نجح سلاح الألغام البحرية فى أن يلقى على كاهل العدو عبئا ثقيلا لأنه لم يكن يملك سفنا لكسح هذه الألغام ولا خبرة او فنا فى طريقة كسحها .

وهكذا تمكنت قواتنا البحرية من قطع خطوط مواصلات العدو

البحرية طوال الحرب . فمن بين ٢٠٠ سفينة كانت تدخل موانى اسرائيل من البحر المتوسط شهريا انخفض العدد فيما بين ٦ ، ٣٠ اكتوبر ليصبح ٢٣ سفينة فقط . أما فى البحر الأحمر فكان القطع تماما اذ لم نترك سفينة اسرائيلية واحدة تخرج أو تدخل الى ميناء ايلات طيلة الحرب . وقد قرأ الجميع على صفحات الجرائد آثار قفل باب المندب فى وجه الملاحة الاسرائيلية .

وعن الصاعقة البحرية فقد كان سجلها حافلا بالنشاط ، اذ اغارت الضفادع البشرية ليلة ٨/٧ اكتوبر على مرسى بلاعيم ، ونسف حفار البترول المتمركز فيها .

وفى ليلة ١٠/٩ أغارت فصيلة من الصاعقة البحرية على منطقة أبو دربه على خليج السويس ، وقامت بتلغيم مفارق الطرق ، ونسف مستودعات البترول الموجودة فى هذه المنطقة .

وفى ليلة ١٦/١٥ تمت عملية اغارة ناجحة بواسطة الصاعقة البحرية على منطقة الشيخ بيتان جنوب الطور .

وحاول العدو دون جدوى أن يغير بوحدات من الكوماندوز على قواعدنا البحرية ، اذ دمرنا له فى الغردقة قارب مطاط بطاقمه من الضفادع البشرية شرق جزيرة جيفتون بالبحر الأحمر صباح يوم ١٢ أكتوبر .

وفى ليلة ١٢/١١ أكتوبر حاول العدو القيام بعملية اغارة بقواته ودمرنا له لنشا مسلحا طراز دبور فضلا على عدد من القوارب المطاطة المحملة بالكوماندوز .

وفى ليلة ١٧/١٦ حاول العدو الاغارة بواسطة الضفادع البشرية على قاعدة بور سعيد وكنا له بالمرصاد فأصبنا له قارب مطاط غرق قبل الوصول الى الميناء ، وتم تدمير مجموعة الضفادع البشرية المعادية بالميناء ، وانتشلت جثث أفرادها .

وعندما أيقن العدو من فشله فى مواجهة قواتنا البحرية او التصدى لها ركز أعماله العدائية ضد سفن الصيد المدنية ، فهاجم مجموعة من بلنصات الصيد فى مرسى رأس غارب فى البحر الأحمر ، وذلك فى ليلة ١٥/١٤ أكتوبر .

وكان من أهم أسباب نجاح قواتنا البحرية الاستطلاع الدقيق والتنسيق الوثيق بين القوات البحرية المصرية والقوات البحرية السورية مما أدى الى حرمان العدو من مفاجأة البحرية المصرية أو السورية طوال مدة العمليات .

وأخيرا ، يظهر كشف حساب القوات البحرية المصرية فى حرب

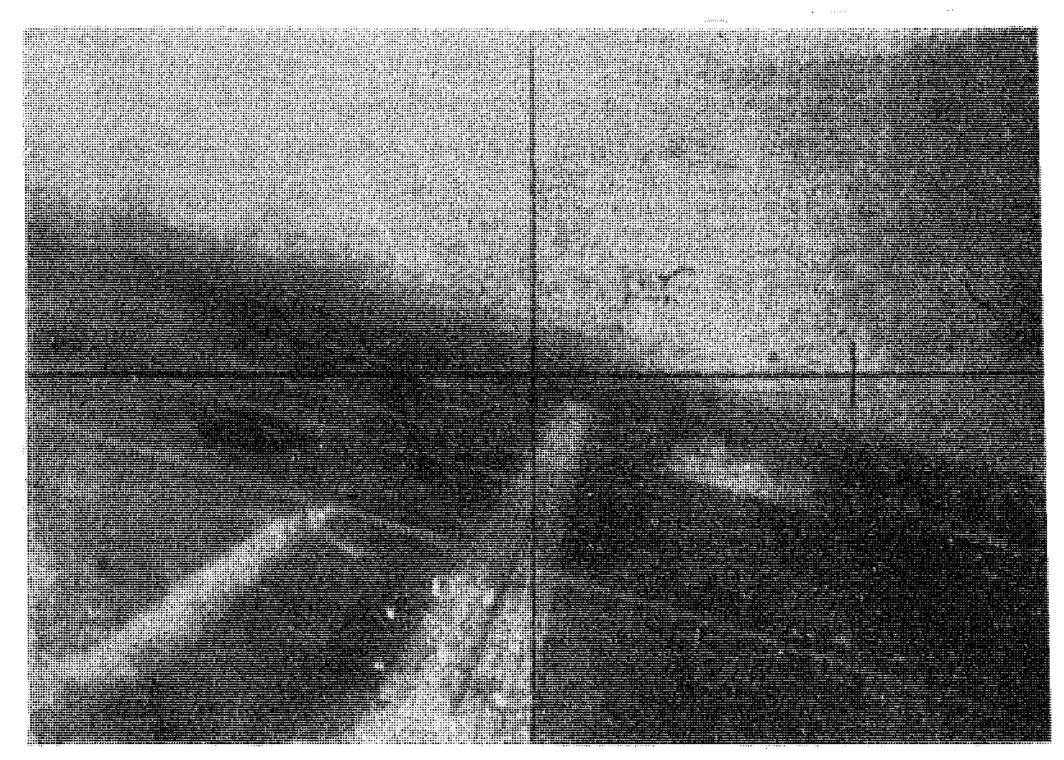
رمضان انهــا قد خاضت أربع معــارك رئيسـية بالصــواريخ البحرية ، وقصفت اثنى عشر هدفا ساحليا للعدو ، وأغرقت خمس سفن (منها ناقلتا بترول) وصدت بنجاح تسع هجمات بحرية للعدو ضد سواحلنا، ونفذت أربع عمليات خاصة ..

وبذا تكون بحريتنا قد أغرقت للعدو تسعة وعشرين قطعة بحرية من أنواع مختلفة ، منها سبعة لنشات صواريخ ، وناقلة مجهزة لحمل طائرات الهليكوبتر ، وناقلة بترول متوســطة وأخرى صــغيرة ، وثلاث سفن .. كمــا أصابت سبع قطع أخرى ، وأسقطت للعــدو اثنتى عشرة طائرة هليكوبتر ..

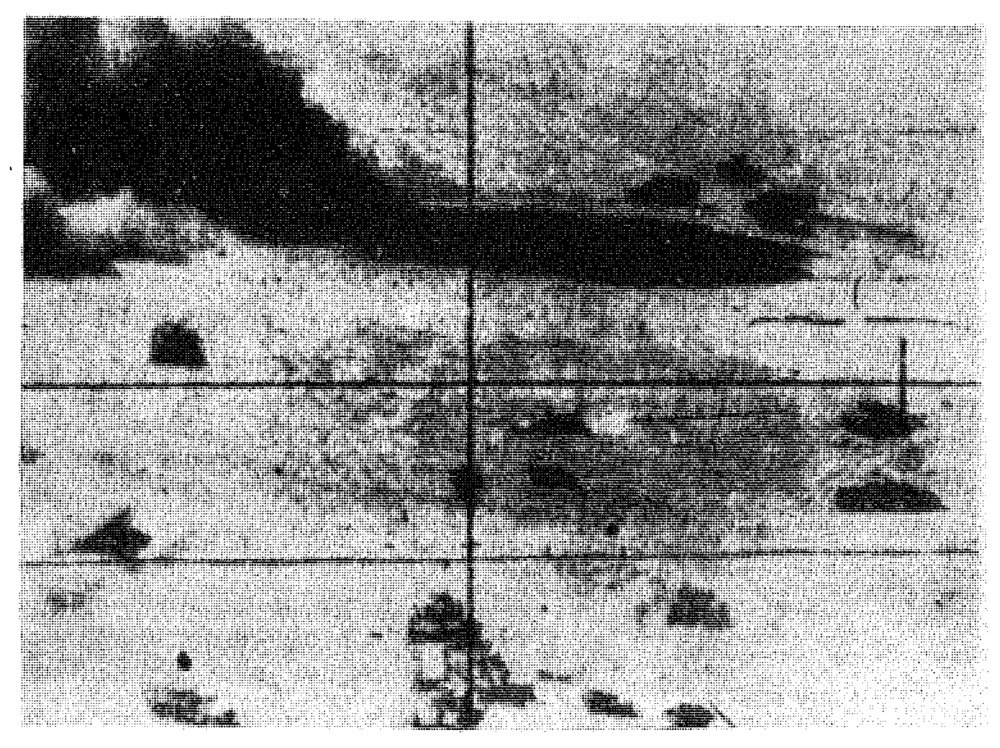
وكان ذلك سجل فخار لقواتنا البحرية العريقة .



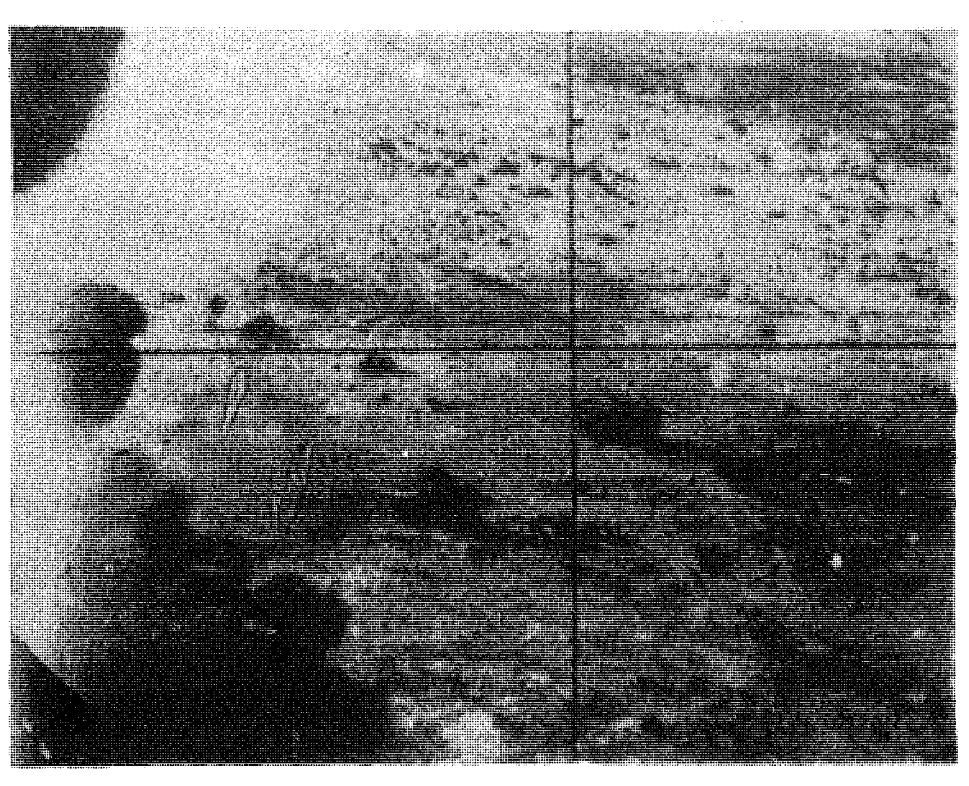
« .. وكان هدف الطيارين النصر أو الشهادة » .

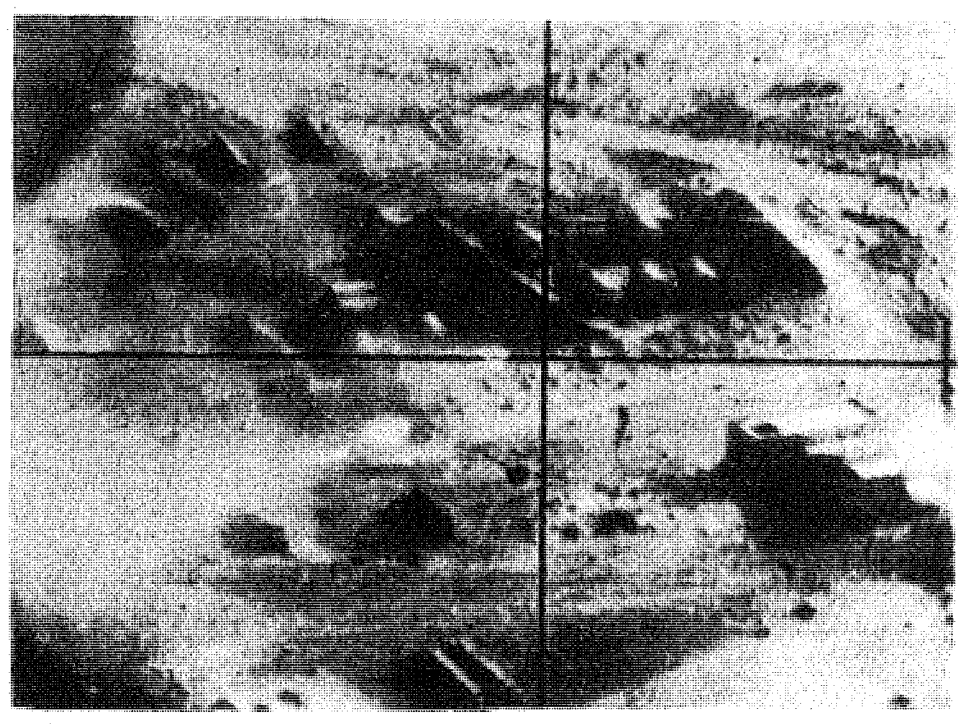


« .. وهاجمت الطائرات المصرية ثلاث مطارات للعدو »

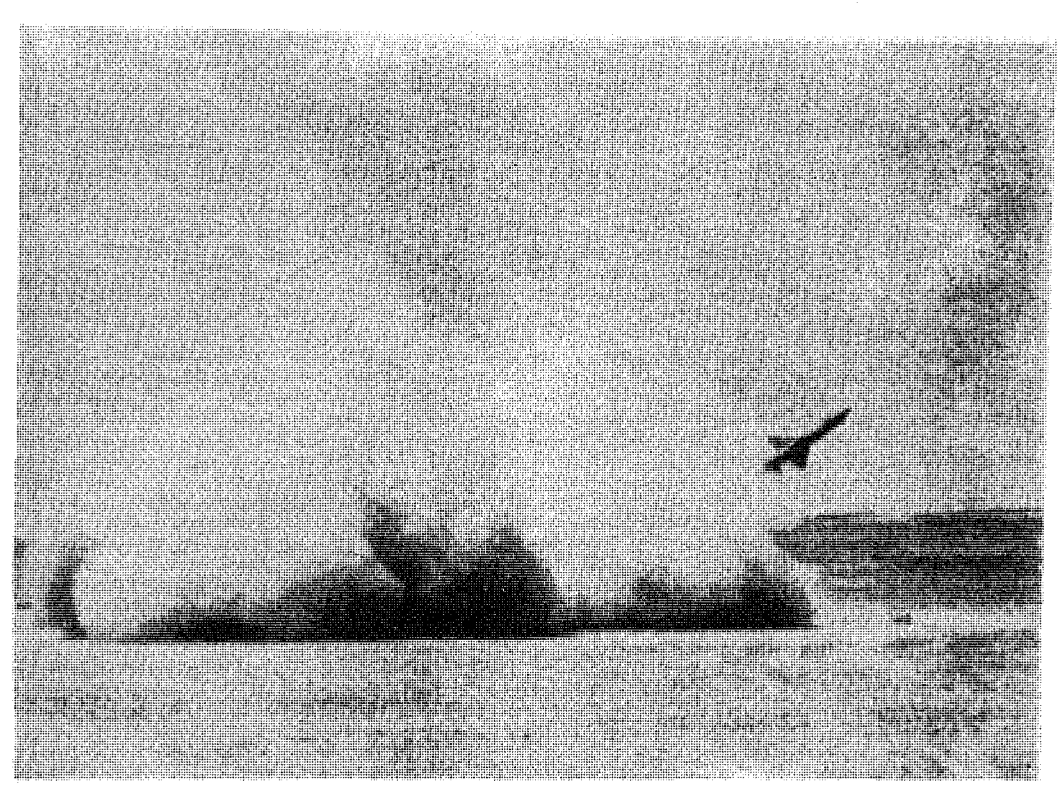


« .. ومناطق تجمع قوات العدو »

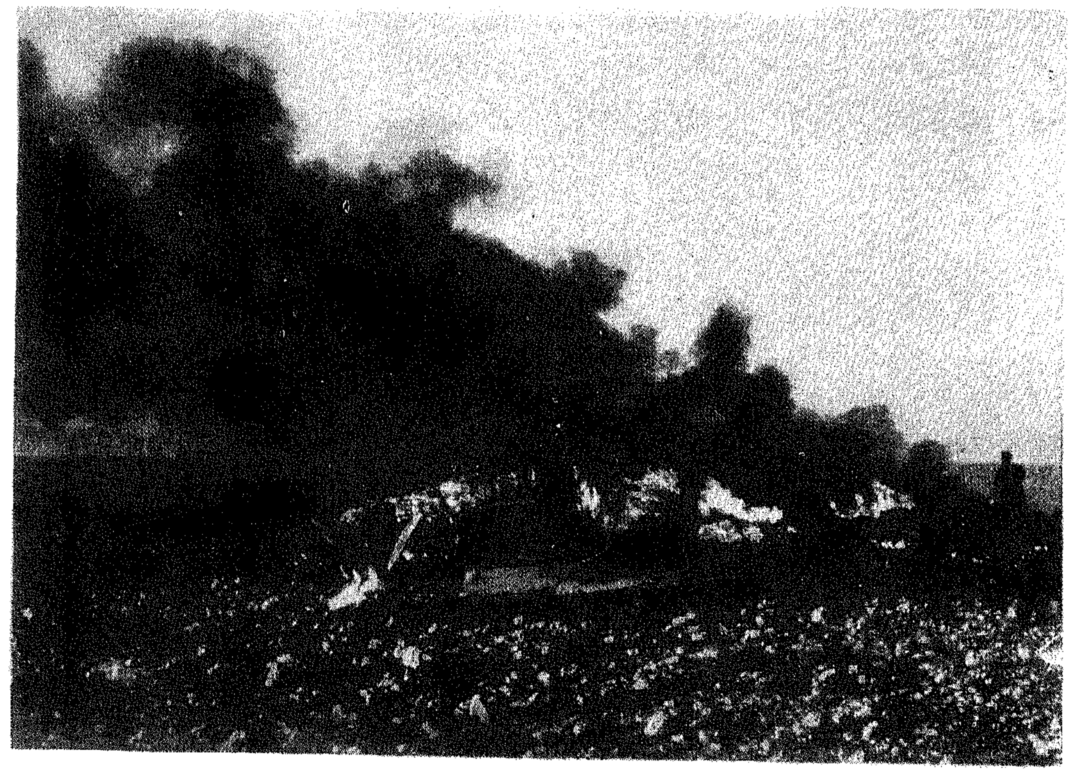




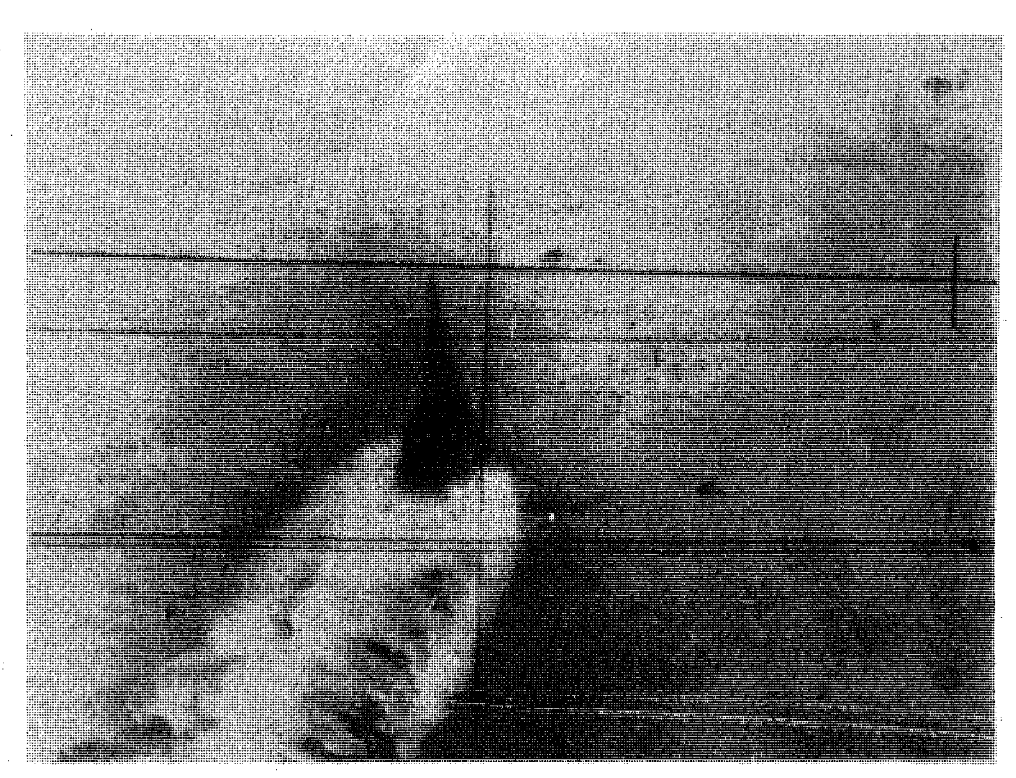
« . . وثلاثة مناطق شئون إدارية »



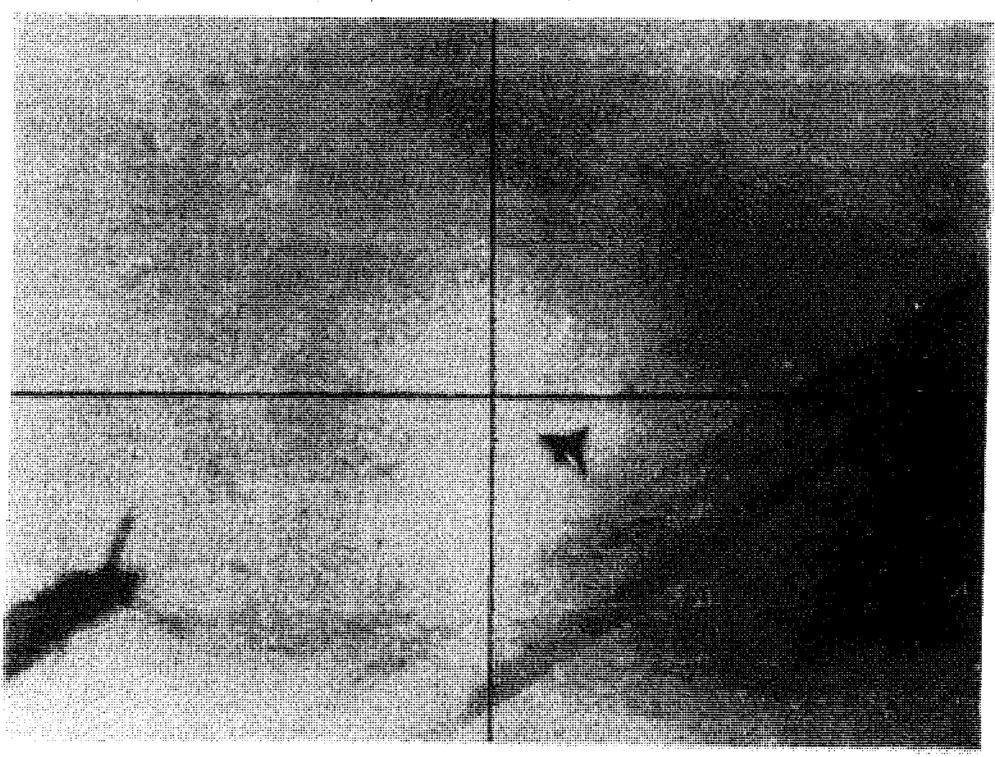
« .. وامتدت الذراع الطويلة فى ثقة وجبروت »



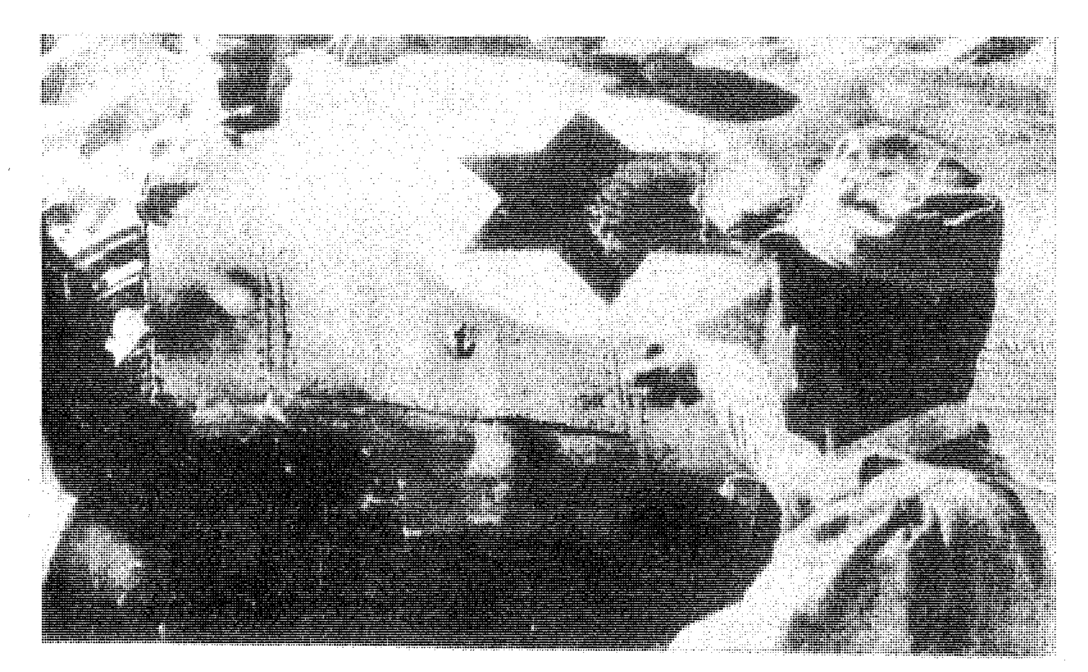
« .. وتهاوت الطائرات الاسرائيلية محترقة »



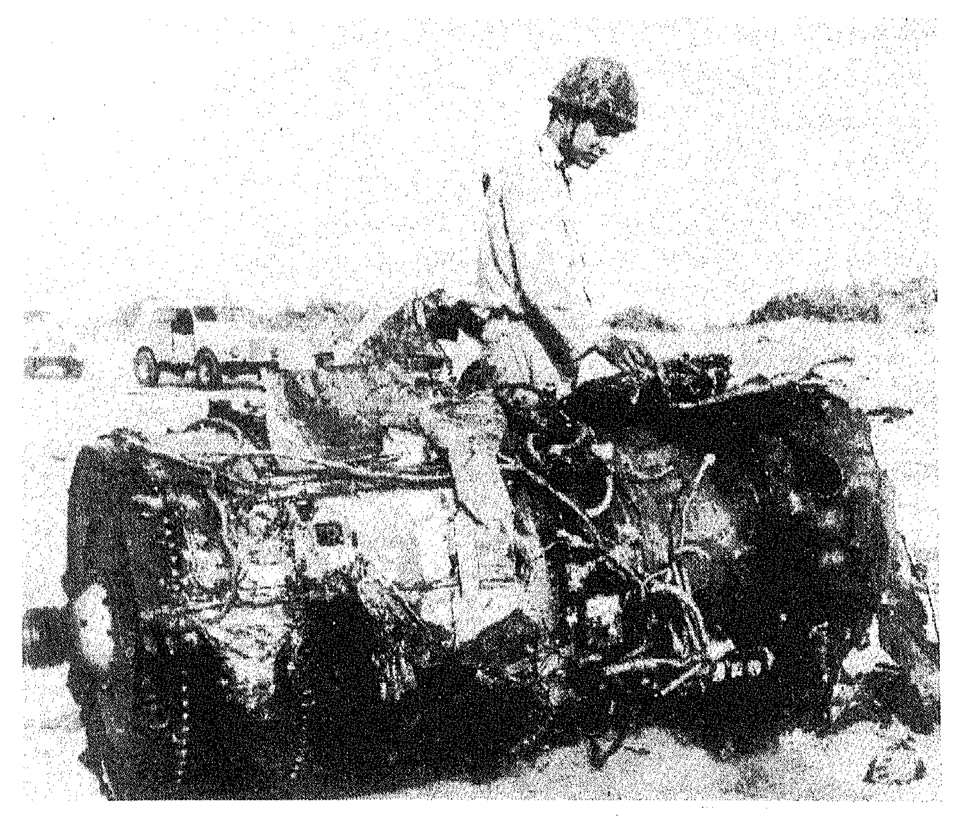
« .. واسقطت قواتنا الجوية ٩٠ طائرة معادية فى معارك جوية »



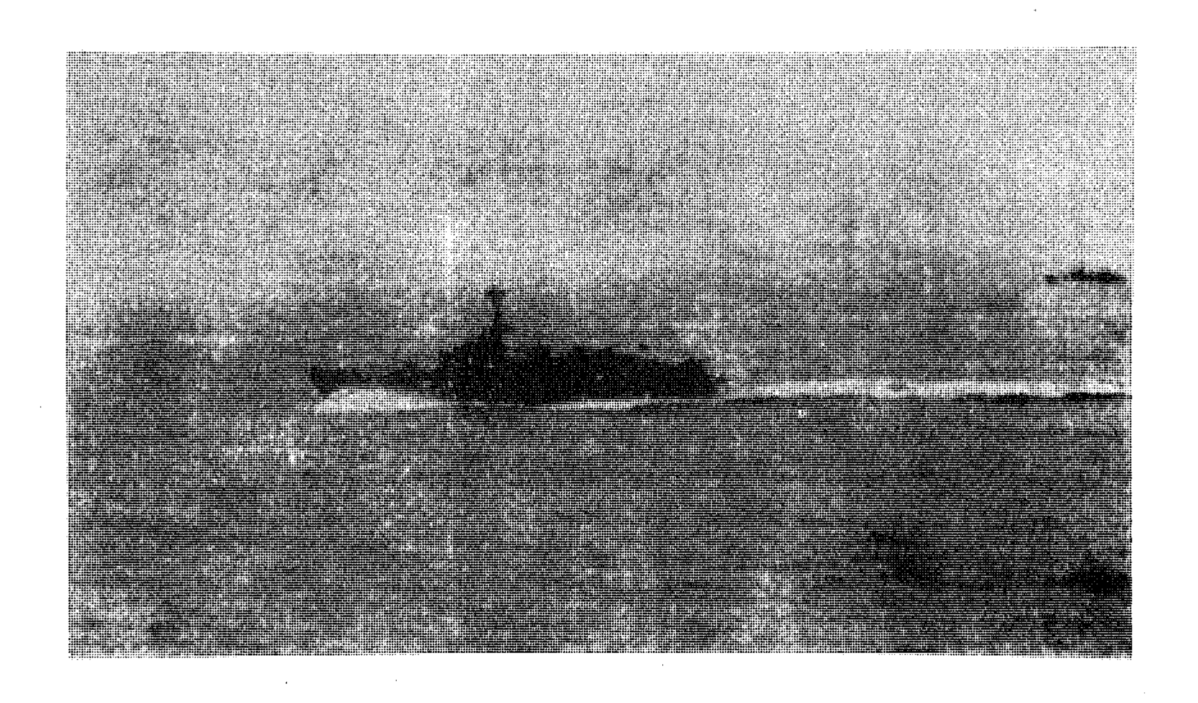
طائرة اسرائيلية فى كمين جوى



« . . وسقطت النجمة السداسية الزرقاء . .



« . . وتحطمت الأسطورة »



الباب السابع

حرب المائة يوم

مرحلة الصراع السياسى

من ١٧ اكتوبر ١٩٧٣ الى ٢٥ يناير ١٩٧٤

● ان الجهود السياسية التى بدأت أثناء القتال وفي أعقاب توقفه ، في محاولات متعاقبة ومكثفة لتهدئة الموقف وتهيئة المناخ المناسب لحل الأزمة سياسيا ، هذه الجهود لم تبدأ من فراغ ، ولكنها كانت انعكاسا طبيعيا وضروريا لحقائق الموقف العسكرى فى جبهتى القناة والجولان ، والموقف السياسى العام ٠

وليس ثمة شك فى أن اسرائيل كانت حتى ذلك الوقت قد منيت بخسائر فادحة ، وان قواتها المسلحة فقدت توازنها وفاعليتها ، وأنه لولا التدخل الأمريكي السريع ، وأعمال الانقاذ العاجلة ، لانهارت القوات المسلحة الاسرائيلية بعد اليوم العاشر من القتال ، واستحال عليها مواصلة الحرب ٠

وهكذا تمكنت المساعدات العسكرية الأمريكية العاجلة من انعاش القوات المسلحة الاسرائيلية ، وتزويدها بالقدرة على الاستمرار والحركة ، وقد استغلت القيادة الاسرائيلية ذلك فى مغامرة لقلب ميزان الموقف العسكرى ، بعملية فتح ثغرة الدفرزوار ، لدفع قواتها غرب قناة السويس٠

ومع تطور المغامرة الاسرائيلية كان الموقف الاستراتيجي للقوات الاسرائيلية يزداد سوءا ، اذ أصبحت هذه القوات شديدة التعرض لخطر الانشطار والعزل ٠ مما أدى الى خلق موقف يتسم باختلال الاتزان الاستراتيجى ، فضلا عن الامتداد الكبير لخطوط المواصلات الاسرائيلية المعرضة ، ونجاح القوات المصرية فى الغرب فى احتواء الجيب الاسرائيلى بعملية حشد سريعة ومكثفة ٠ وضعت القوات الاسرائيلية المحصورة داخله

فى موقف شديد الحرج والخطر ، وجعلت من عنق الزجاجة الذى حدث فى منطقة الدفرزوار شريان الحيـــاة الوحيـــد · فاذا ما انقطع أو أغلق انحصرت القوات الموجودة غرب القناة ، وامتنعت عنها أسباب الحياة ·

ولقـد أدركت رياســة الأركان العـامة وقيادة المنطقة الجنوبيـة الاسرائيلية هذه المخاطر منذ البداية ، وحاولت أن تضع حدا لها ، غير أن طموح بعض القادة العسكريين الاسرائيليين وقف حائلا دون ايقاف تدهور الموقف الاستراتيجى العام للقوات المسلحة الاسرائيلية ·

واضطرت القيادة الاسرائيلية أن تركز كل جهودها ، وما تحت يدها من امكانات وقدرات لحماية وتأمين قواتها المعرضة للابادة فى أية لحظـة داخل مصيدة الموت ·

وفى الوقت نفسه كانت القوات المسلحة المصرية ـ رغم خسائرها ـ تقف فى الشرق والغرب قوية متماسكة ، قادرة على مواصلة القتال العنيف كما كانت الصورة الجديدة للجندى المصرى كمقاتل كفء قادر على استخدام أحدث الأسلحة بمهارة ماثلة أمام أعين القادة الاسرائيليين · لذلك كان لزاما عليهم ألا يقنعوا بعلاج الموقف عسكريا ، اذ أن المزيد من التـــورط العسكرى لن يحسن الموقف ، بل قد يزيده سوءا ·

وهكذا أصبح العمل السياسى ضرورة لا غنى عنهــا لتهدئة الموقف بالسعى الى ايقاف القتال ، وفرض وقف اطلاق النيران ·

وكان الالتزام الامريكى بضمان أمن وسلامة اسرائيل ـ والذى يمثل خطا استراتيجيا رئيسيا فى السياسة الأمريكية بمنطقة الشرق الأوسط ـ بمثابة منطلق العمل الأمريكى فى هذا المجال ·

ولهذا سارع الرئيس نيكسون بتخصيص مبلغ ٢٢٠٠ مليون دولار لتوفير الدعم العسكرى السريع لاسرائيل دون انتظار موافقة الكونجرس الأمريكى ، كما سارع بفتح مستودعات الأسلحة الامريكية الحديثـــة فى مختلف أنحاء العالم لتتدفق منها الأسلحة والمعدات فى شكل جسر جوى وبحرى غزير يصب فى اسرائيل ، مستخدما أراضى وسماء عدد من الدول ، دون انتظار الاذن منهـــا ·

وفى الوقت نفسه أرسلت الولايات المتحدة عددا كبيرا من المتطوعين للعمل على الأجهزة الالكترونية المعقدة التى وصلت اسرائيل وغـــيرها من المعدات التى يصعب تحديد حجمها أو نوعها حتى اليوم ، وان اتفق دون شــك ، أنها كانت فعالة ، وأنهــا شاركت بقدر كبير فى استعادة القوات المسلحة الاسرائيلية لتوازنها ، ولكثير من قدراتها المفقودة ·

تطورات الموقف السياسى :

وفى خضم الأحداث العسكرية التى كانت تتوالى خلال فترة الحرب، راح الموقف السياسى العالمى يتطور بدوره تطورا جذريا فى صالح العرب، حيث تعاظم التأييد السياسى لوجهة نظرهم فى أنحاء العالم ٠

ولعل أبرز معالم هذا التطور وأهم سماته ، ما حدث على المستوى الأفريقى من قطع معظم دول هذه القارة علاقاتها السياسية والاقتصادية باسرائيل ٠ وادانتها بالعدوان ، وتحميلها مسئولية الأحداث التى كانت تدور وقتئذ فى الشرق الأوسط ٠

لقد بلغ عدد الدول الافريقية التى قطعت علاقتها باسرائيل خلال فترة الحرب ٢٢ دولة ، على حين كانت هناك ٨ دول أفريقية أخرى سبق أن قطعت علاقتها معها منذ عدوان ١٩٦٧ ، وبذلك لم يبق لاسرائيل علاقات الا مع ٤ دول أفريقية ، بالاضافة الى جنوب أفريقيا ٠

وأعلنت معظم الدول أن استمرار احتلال اسرائيل للأراضى العربية، وتعنتها المستمر طوال السنوات التى أعقبت عدوانها عام ١٩٦٧ ، هما السبب الرئيسى فى نشوب الحرب هذه المرة ، وتعريض السلام العالمى للخطر ٠

وهكذا وجدت اسرائيل نفسها فى عزلة سياسية كاملة ولم يبق بين دول العالم أجمع من يقف بجوارها ويقدم لها المساعدات الفعالة سوى الولايات المتحدة الأمريكية ، التى كانت مضطرة لاتخاذ هذا الموقف تنفيذا لالتزاماتها وحفاظا على خططها الاستراتيجى المرسوم لأسلوب عملها فى منطقة الشرق الأوسط ٠

ولم يقتصر تطور الموقف السياسى على تحقيق العزلة الكاملة لاسرائيل ، بل فى الوقت نفسه ، كان لاشتعال الحرب العربية الاسرائيلية فعل السحر **فى توحيد كلمة العرب** ، ووقوفهم صفا واحدا خلف مصر وسوريا ، ومشاركتهم الفعالة بالمال والسلاح والقوات ، فى القتال الدائر بالمنطقة ٠

وكان لهذا الموقف العربى العظيم أثره الفعال فى تقييم دول العالم لحجم الصراع الدائر ، وفى اعادة النظر فى مواقفهم السابقة من القضية، واستبان للعرب أجمع ما تحققه لهم وحدة الكلمة ، كما استبان للعالم ان **وحدة العرب** التى خالها مجرد كلمة جوفاء ، يمكن أن تتحول فى لحظات **الى حقيقة واقعة وسلاح باتر ، يفرض تأثيره على المنطقة ، بل يمكن أن يمتد الى كافة أنحاء العالم** ٠ وهو ما حدث فعلا عندما أصر العرب على استخدام كل الأسلحة المتاحة لهم فى مواجهة العدوان ، وممارسة الضغط على من يؤيدون العدوان ويساندون المعتدين ٠

وجاءت الخطوة العربية الحاسمة في شكل اعلان من وزراء البترول العرب صدر يوم ١٧ أكتوبر ١٩٧٣ بتخفيض انتاج البترول بنسبة ٥٪ كل شهر ، الى أن تنسحب اسرائيل من الأراضى العربية ، وتعود حقوق شعب فلسطين •

وكان لهذا القرار دوى هائل فى العالم ، وشكل دون شك الانطلاقة الرئيسية لمرحلة الصراع السياسى فى ادارة الحرب العربية وكفاحنا الضارى ضد الصهيونية ، ضمن اطار عام من الاستراتيجية الشاملة ، التى تنظم وتوجه كافة القوى العسكرية والسياسية والاقتصادية لخدمة هذا الصراع وتحقيق أهدافه العادلة ، التى تركزت فى المبدأين الأساسيين : استعادة كافة الأراضى العربية المحتلة ، واسترداد حقوق شعب فلسطين •

وقد ازداد تأثير هذا القرار فاعلية وعمقا عندما أعلنت الدول العربية المنتجة للبترول تباعا فيما بين ١٨ و ٢١ أكتوبر ١٩٧٣ قراراتها بوقف تصدير البترول الى الولايات المتحدة الأمريكية والدول المؤيدة لاسرائيل•

وفى الساعة ٠٦٥٠ يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ بتوقيت القاهرة صدر قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ الخاص بايقاف اطلاق النيران فى الشرق الأوسط ، وتضمن ما يلى :

١ ـ مطالبة جميع الأطراف المشتركة فى القتال الدائر بوقف اطلاق النيران ، وانهاء جميع الأنشطة العسكرية فورا ، ليس متأخرا عن ١٢ ساعة من لحظة اتخاذ هذا القرار ، فى كافة المواقع التى يحتلونها الآن •

٢ ـ دعوة الأطراف المعنية ، للبدء فورا ـ بعد وقف اطلاق النيران ـ فى تنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ (١٩٦٧) بجميع أجزائه •

٣ ـ البدء فورا مع وقف اطلاق النيران بعقد المفاوضات بين الأطراف المعنية ، وتحت اشراف مناسب ، بهدف اقامة سلام عادل ودائم فى منطقة الشرق الأوسط •

وقد وافقت كل من مصر واسرائيل على تنفيذ القرار فى الموعد المحدد ، وهو الساعة ١٨٥٢ يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ ، وأعلنتا ذلك ، كما التزمت مصر باحترام كلمتها وتنفيذ القرار ، فأصدرت القيادة العامة أوامرها الى جميع القوات باحترام قرار وقف اطلاق النيران ، وتنفيذه بكل دقة فى الموعد المحدد •

غير أن اسرائيل نقضت تعهداتها ، فلم تلتزم بالقرار، وأمرت قواتها بالاندفاع جنوبا فى اتجاه السويس ، وبهذا خرقت قرار مجلس الأمن ، قبل أن يمضى على تنفيذه بضع ساعات • ومن المعروف أن اسرائيل قد

اعتادت ذلك التصرف كلما ضاق بها الامر ، لتخرج من أى مأزق استراتيجى خطير تجد نفسها قد تورطت فيه ، واليك الآتى :

١ ـ كانت المساحة التى شغلتها القوات الاسرائيلية غرب القناة حتى ٢٢ أكتوبر محدودة للغاية ، اذ لم تتجاوز المنطقة بين الدفرزوار وفايد ، وكان تمركز القوات الاسرائيلية داخل هذه المساحة الصغيرة يعرضها للوقوع فى مصيدة القوات المصرية •

٢ ـ ومن ناحية أخرى فان توقف القوات الاسرائيلية على خطوط ٢٢ أكتوبر لم يحقق لهذه القوات أية مزايا استراتيجية ، كما أنه لا يؤثر فى موقف القوات المصرية شرق القناة ، أو فى خطوط امدادها ومواصلاتها ، ولذلك فهو موقف عديم القيمة الاستراتيجية •

وبادراك القيادة الاسرائيلية كل ذلك ، انتهزت فرصة ايقاف النار ـ الذى أعلنت عن قبوله وشيكا ـ فدفعت بقواتها جنوبا فى اتجاه السويس ، ليلة ٢٢/٢٣ أكتوبر ، ضاربة بالقرار عرض الحائط •

وكان لهذا العمل الغادر ـ الذى يعكس نمط الانتهازية اللا أخلاقية المترسب فى الذات اسرائيلية ـ أثره فى الموقف العسكرى •

وأطلقت الأركان العامة قواتها الجوية بكثافة عالية ضد الجيش الثالث شرق القناة على امتداد أيام ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ أكتوبر ، وضد مدينة السويس كذلك •

وكان الغرض من وراء هذا العدوان بالدرجة الأولى تحقيق كسب سياسى معنوى ذو دوى يغطى على الموقف الاستراتيجى السىء ، وذلك بالاستيلاء على مدينة السويس ذات الشهرة العالمية لارتباطها بالقناة ، بل تسرعت الدعاية الاسرائيلية فأعلنت عن سقوط المدينة وتعيين حاكم عسكرى اسرائيلى لها •

ولكن القوات الاسرائيلية فشلت فى تحقيق هذا الهدف ، وخسرت الكثير من قواتها ومدرعاتها التى حاولت اقتحام المدينة •

كما كان الغرض بالدرجة الثانية من هذا العدوان تحقيق كسب عسكرى كبير ، وذلك بحصار قوات الجيش الثالث الموجودة شرق القناة ، واجبارها على الاستسلام تحت ضغط الضربات الجوية المركزة ، التى استمرت تنهال عليها بكثافة شديدة عدة أيام •

واذا كانت القوات الاسرائيلية قد نجحت فى قطع خطوط الامداد لهذه القوات فانها لم تحقق هدفها الرئيسى ، وهو اجبار القوات المصرية المعرضة لضغط الحصار والقصف الجوى على التسليم •

لقد حدث العكس تماما ، اذ ازدادت هذه القوات صمودا وتماسكا ،

وبدت أشد صلابة فى القتال ، وكان استعدادها كاملا لمواصلة الحرب حتى النهاية • ويمكن القول أن هذا الموقف السياسى والعسكرى كان لهما الأثر الكبير على الموقف الاستراتيجى والسياسى العام فى المنطقة •

وفى اليوم التالى لخرق وقف اطلاق النيران ـ يوم ٢٣ أكتوبر ـ سارع مجلس الأمن الى الاجتماع ، وأصدر قراره رقم ٣٣٩ يؤكد قراره السابق بوقف القتال وانهاء جميع العمليات الحربية ، ويطالب بأن تنسحب القوات الى مواقعها التى كانت تحتلها لحظة تنفيذ وقف النيران • كما أوصى المجلس السكرتير العام باتخاذ الاجراءات للازمة لاسال مراقبى الأمم المتحدة فورا لمراقبة التزام قوات اسرائيل وقوات جمهورية مصر العربية بوقف النيران •

ولم تكن اسرائيل قد حققت شيئا يذكر حتى ذلك اليوم ، ولذا استمرت فى تجاهل قرارات مجلس الأمن ، وواصلت اعتداءاتها العسكرية فى منطقة السويس رغم تكبدها خسائر جسيمة •

واضطر مجلس الأمن للعودة الى الانعقاد يوم ٢٥ أكتوبر ، ليصدر قراره رقم ٣٤٠ بشأن تشكيل قوة طوارىء تابعة للأمم المتحدة ، ونص هذا القرار على ما يأتى :

« ان مجلس الأمن ، اذ يشير الى قراريه رقم ٣٣٨ الصادر فى ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ ورقم ٣٣٩ الصادر فى ٢٣ أكتوبر ١٩٧٣ ، يلاحظ بأسف الانتهاكات المتكررة لوقف اطلاق النار ، ومخالفة القرارين ٣٣٨ و ٣٣٩ ، كما يلاحظ بقلق ـ استنادا الى تقرير السكرتير العام ـ أن المراقبين العسكريين التابعين للأمم المتحدة لم يتمكنوا حتى الآن من اتخاذ مواقعهم على جانبى خط وقف اطلاق النيران •

- أولا : يطالب بالالتزام بوقف اطلاق النيران الكامل فورا ، وبانسحاب الأطراف المعنية الى المواقع التى كانت تحتلها فى الساعة ١٦٥٠ (بتوقيت جرينتش) يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ •
- ثانيا : يطلب من السكرتير العام أن يتخذ اجراء فوريا بزيادة عدد المراقبين العسكريين التابعين للأمم المتحدة على الجانبين •
- ثالثا : يقرر أن يتم فورا انشاء قوة طوارىء تابعة للأمم المتحدة ، تحت سلطة مجلس الأمن ، ويفوض السكرتير العام سلطة أيفادها على الفور الى المنطقة ، على أن يقدم تقريرا خلال ٢٤ ساعة عن الاجراءات التى اتخذت لهذا الغرض •
- رابعا : يطلب من السكرتير العام أن يقدم الى المجلس تقارير عاجلة ومنتظمة عن حالة تنفيذ هذا القرار ، والقرارين ٣٣٨ و ٣٣٩ •
- خامسا : يطالب جميع الدول الأعضاء بتقديم تعاونها الكامل فى تطبيق هذا القرار ، والقرارين ٣٣٨ و ٣٣٩ •

وعلى ضوء هذا القرار حدد الدكتور كورت فالدهايم طبيعة عمل قوة الطوارىء الدولية لتكون كالآتى :

١ ـ الاشراف على تطبيق الفقرة الأولى من قرار مجلس الأمن رقم ٣٤٠ ، التى تنص على ضرورة اقرار وقف النيران فورا وبصورة كاملة ، وان على الأطراف المتنازعة أن تعود الى المواقع التى كانت تحتلها يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ ٠

٢ ـ أن تبذل القوات قصارى جهدها لتفادى استئناف القتال ٠

٣ ـ أن تتعاون القوات فى نطاق مهامها مع المراقبين العسكريين التابعين للأمم المتحدة ٠ وقد عهد الى الجنرال الفلندى أنزيو سيلاسفيو بقيادة قوات الطوارىء الدولية فى المنطقة ٠

الاجتماعات العسكرية :

المرحلة الأولى من محادثات الكيلو متر ١٠١ :

تمت الموافقة يوم ٢٧ أكتوبر ١٩٧٣ على عقد اجتماعات عسكرية بين الجيشين المصرى والاسرائيلى لبحث الموضوعات المترتبة على قرارات وقف النيران ، والمشاكل الناجمة عن خرق اسرائيل لهذه القرارات ٠

واشترطت مصر شرطين أساسيين لعقد هذه الاجتماعات :

١ ـ أن تتم الاجتماعات بغرض مناقشة الجوانب العسكرية المتعلقة بتنفيذ قرارى مجلس الأمن ٣٣٨ و ٣٣٩ الصادرين فى ٢٢ ، ٢٣ أكتوبر .

٢ ـ أن تتم الاجتماعات تحت اشراف قوات الطوارىء الدولية ، وتحت علم الأمم المتحدة ٠

وفى الساعة ٠١٤٥ بعد منتصف ليلة ٢٨ أكتوبر عقد الاجتماع الأول فى منطقة الكيلو متر ١٠١ عن طريق القاهرة ـ السويس ، واستمر الاجتماع حتى الساعة الرابعة صباحا ٠

وقد ركز الجانب الاسرائيلى على عدة نقاط كان أهمها : ضرورة المحافظة على وقف النيران ، وترتيب تبادل أسرى الحرب ، وفك الحصار المصرى على باب المندب ٠

كما حاول الجانب الاسرائيلى منذ البداية أن يتفادى الالتزام بتنفيذ قرار مجلس الأمن القاضى بالعودة الى مواقع ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ ، اذ كان واضحا لها أن الالتزام بتنفيذ هذا القرار يعنى بالضرورة عودة قواتها الى الموقع الاستراتيجى السيىء الذى كانت عليه فى هذا اليوم ، والذى قامت من أجل تحسينه بخرق وقف اطلاق النيران ٠ ولذلك سارع الجانب الاسرائيلى بتقديم أفكار أولية عن ترتيبات الفصل بين القوات لتجنب

الاحتكاكات العسكرية دون الاشارة الى هذا الالتزام · وبدأ يتحدث عن انسحاب يجريه الجانبان على ضفتي القناة ، على أن تحتل قوات الأمم المتحدة المواقع التى تخليها قوات الجانبين ·

أما الجانب المصرى فقد ركز على ضرورة تنفيـذ قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٩ ، الذى ينص على عودة القوات الى مواقع ٢٢ أكتوبر ، وازالة الآثار المترتبة على خرق اسرائيل للقرار رقم ٣٣٨ ، وذلك كمنطلق لحل جميع المسائل الأخرى · غير أن الجانب الاسرائيلى - أعلن أنه غير مفوض لبحث تنفيذ قرار مجلس الأمن الخاص بعودة القوات الى مواقع ٢٢ أكتوبر - باعتباره موضوعا أساسيا - وفى الوقت نفسه رفض الجانب المصرى الاقتراح الاسرائيلى الخاص بالانسحاب المتبادل على جانبى القناة ·

وخلال الاجتماعات التالية دارت المناقشات حول الموضوعات العاجلة التى يمكن أن تدعم قرار وقف النيران ، وتهيىء المناخ المناسب للخطوات التالية · وأبدت اسرائيل اهتماما كثيرا بمسألة تبادل الأسرى ، وخاصة الجرحى منهم · كما اهتمت مصر بموضوع امداد منطقة السويس وشرق القناة بمواد الاعاشة والرعاية الطبية وتنظيم ذلك بشكل مناسب ·

كما أوضح الجانب المصرى أنه مع اهتمامه بالاجراءات العاجلة اللازمة لدعم وقف النيران الا أن ذلك يعتبر موضوعا فرعيا ، وأكد أن الاجراءات الفعالة يجب أن تتضمن تمركز قوات الأمم المتحدة بين القوات ، والانسحاب الى مواقع ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ ·

غير أن الجنرال أهارون ياريف دفع بأنه مع رغبة اسرائيل الحقيقية فى فض الاشتباك بين القوات الا أن العودة الى مواقع ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ تعتبر مستحيلة من وجهة نظر اسرائيل ، وأنه من الضرورى أن يتم الانتقال الى خطوط جديدة فى شكل « خطوة كبيرة » ، وأعاد طرح اقتراحه السابق الخاص بالانسحاب المتبادل ·

وكان رأى مصر واضحا ومحددا تاما بشأن رفض الارتداد المصرى عن أية مناطق شرق القناة ، أو التنازل عن أية مكاسب عسكرية ·

ومع سير المناقشات كان واضحا خلال هذه المرحلة عدم جدية اسرائيل فى حل مسألة فض الاشتباك ، أو قبول العودة الى مواقع ٢٢ أكتوبر · وأن دخولها هذه المباحثات كان بغرض المساومة للوصول الى حل لمشاكلها العسكرية التى تمثل ضغطا داخليا عليها ، وخاصة موضوع أسرى الحرب ·

ومع اسـتمرار اصرار الجانب المصرى على العودة للموضـوعات الرئيسية وقرارات مجلس الأمن ، ظهر واضحا أن المباحثات سوف تنتهى الى طريق مسدود ، وخاصة حين طالب الوفد المصرى فى اجتماع ٣ نوفمبر بضرورة تقديم ردود محدودة من اسرائيل على هذه الموضوعات الرئيسية · ثم تأجلت الاجتماعات حتى تصل هذه الردود ·

وفى الوقت نفسه بدأ المستر جوزيف سيسكو وكيل وزارة الخارجية الأمريكية يجرى اتصالات عاجلة بغرض انقاذ المباحثات من الفشل الذى بات يلوح فى الأفق القريب ٠

وفى ٨ نوفمبر ١٩٧٣ طلب الجانب الاسرائيلى عقد اجتماع مع الجانب المصرى ، وأوضح أن موضوع فض الاشتباك والعودة الى مواقع ٢٢ أكتوبر هو موضوع أساسى ومحل دراسة جادة من الحكومة الاسرائيلية تمهيدا لمناقشته ٠ كما طرحت للمناقشة المسائل الخاصة بامداد السويس باحتياجاتها ، وتنظيم تبادل الجرحى والأسرى ٠

وكانت النقاط التى نوقشت فى هذا الاجتماع هى فى الواقع النقاط الأساسية فى الاتفاقية ـ التى عرفت باتفاقية النقاط الست ـ والتى أرسلت بنودها الى السكرتير العام للأمم المتحدة عن طريق الولايات المتحدة حتى يتم توقيعها تحت اشراف الأمم المتحدة ٠

وقد أعلنت الحكومة الأمريكية يوم ٩ نوفمبر أن مصر واسرائيل قد وافقتا على اتفاقية من ست نقاط ، تهدف الى تمهيد الطريق أمام المحادثات للوصول الى تسوية دائمة فى الشرق الأوسط ٠

وفى يوم ١١ نوفمبر ١٩٧٣ عقد الاجتماع السابع فى الكيلو متر ١٠١ تحت اشراف الأمم المتحدة لتوقيع « اتفاقية النقاط الست » ٠ ووقعها اللواء محمد عبد الغنى الجمسى عن جمهورية مصر العربية ، والجنرال أهارون ياريف عن اسرائيل ، والجنرال أنزيو سيلاسفو عن الأمم المتحدة ٠ وقد تضمنت الاتفاقية النقاط الست التالية :

١ ـ توافق مصر واسرائيل على الالتزام بدقة بوقف اطلاق النيران الذى دعا اليه مجلس الأمن ٠

٢ ـ يوافق الجانبان على اجراء مناقشات تبدأ فورا لتسوية مسألة العودة الى مواقع ٢٢ أكتوبر ، فى اطار اتفاق بشأن الفصل بين القوات تحت اشراف الأمم المتحدة ٠

٣ ـ تتلقى مدينة السويس امدادات يومية من الأطعمة والمياه والأدوية ويتم اخلاء جميع المدنيين الجرحى من مدينة السويس ٠

٤ ـ عدم اعاقة الامدادات غير العسكرية الى الضفة الشرقية لقناة السويس ٠

٥ ـ تحل نقاط مراقبة تابعة للأمم المتحدة محل نقاط المراقبة الاسرائيلية على طريق القاهرة ـ السويس ، وعند نهاية الطريق قرب السويس يستطيع الضباط الاسرائيليون أن يشتركوا مع الأمم المتحدة فى الاشراف على الطبيعة غير العسكرية الشحنات عند ضفة القناة ٠

٦ ـ بمجرد اقامة نقـــاط المراقبة التابعة للأمم المتحـــدة على طريق القـاهرة ـ السويس يتم تبادل جميع أسرى الحرب بما فى ذلك الجرحى ٠

وقد اعتبرت هذه الاجراءات خطوة أخرى نحو تنفيذ الفقرة الثالثة من قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ الصادر فى ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ ، والذى تقدم به كل من الاتحاد السـوفيتى والولايات المتحـــدة ، ووافق عليه المجلس ٠

اجتماعات عسكرية اضافية :

واعتبارا من يوم ١٢ نوفمبر ١٩٧٣ بدأت سلسلة من الاجتماعات العسـكرية لبحث شروط تنفيـذ الاتفاقية ، وخاصـــة الجداول الزمنية لتبادل أسرى الحرب والجرحى ، وتنظيم مرور الامدادات واخلاء جرحى السويس ، وكذا أسلوب اخلاء طريق القاهرة ـ السويس وتسليمه لقوات الأمم المتحـــدة ٠

ثم انتقلت المباحثات بعـد ذلك الى دراســـة الفقرة الثـانية من الاتفاقية ، والخاصة بفض الاشتباك والفصل بين القوات ٠ وكان واضحا منذ بداية المباحثات أن اسرائيل لا تنوى العودة الى مواقع ٢٢ أكتوبر ، اذ تعتبر هذه العودة بمثابة وضع قواتها داخل مصيدة محاصرة بالقوات المصرية من كل جانب ٠

ولذلك راح الجانب الاسرائيلى يطرح مبادىء عامة عن فض الاشتباك، واقترح ألا يظهر فض الاشتباك كهزيمة لطرف من الأطراف ، وأن يتم بالتحرك الى خطوط مؤقتة ولكنها مناسبة ، وأنه من الضرورى الاقلال من احتمـالات الحرب وذلك بعودة الحياة الطبيعية والنشـاط الاجتماعى الى المنطقة ٠ كما تحدث كذلك عن مظاهر السيادة ، وعن ضرورة وجود منطقة عازلة بين قوات الطرفين ٠

وأجاب الجانب المصرى فاظهر بعض الحقائق الأساسية التى كان من أبرزها : أن الأرض التى دارت عليها المعارك هى أرض مصرية أولا وأخيرا ، وأن الشعب المصرى هو الذى يعانى منذ عام ١٩٦٧ بينما لم تتعرض اسرائيل لأية معاناة ٠ لذلك يجب أن يتم فض الاشتباك بارتداد القوات الاسرائيلية الى خط شرق القناة ٠

ورغم ان الجنرال ياريف وافق على أن يكون خط الانســحاب شرق القناة ، وأن يتم الانسحاب اليه فى مرحلة واحدة أو مرحلتين ، الا آنه عاد الى طرح مشروعاته القديمة ٠ وكان أولها خاصا بالانسحاب المتبادل شرق وغرب القناة لمســافة معينة ٠ أما ثانيهــا فكان خاصا بانسحاب

القوات من الاراضى التى استولت عليها ، على أن تحل قوات الامم المتحدة محلها • وكان الاقتراح الثالث خاصا بسحب قوات الجيش الثالث من الشرق فى مقابل انسحاب قوات اسرائيل من غرب القناة •

ورفضت مصر هذه المشروعات الثلاثة • كما رفضت رفضا قاطعا أى مشروع يقوم على تخلى القوات المصرية عن مواقعها شرق القناة •

وقد لاحظ الجانب المصرى أن المحادثات بدأت تدور فى حلقة مفرغة بسبب مراوغة الجانب الأسرائيلى وتناقضه • فتارة يتحدث عن ضمانات الارتداد ، ومرة يطلب وقتا كافيا لبحث الموضوع ، ثم يعود الى مشروعات قديمة سبق رفضها ، أو يدفع بأنه غير مفوض بمناقشة الخطوط النهائية ، وأن الحكومة فى انتظار نتيجة الانتخابات •

وكان لزاما أن يصر الجانب المصرى على تحديد موقفه ، وأن يحاول دفع الجانب الاسرائيلى لاتخاذ نفس الموقف حتى تسير المباحثات فى اتجاهها الصحيح • ولذلك ركز على النقاط التالية :

١ ــ انه اذا لم يتم الاتفاق على خط مناسب شرق القناة ، فان اسرائيل ملزمة بتنفيذ قرار مجلس الامن الخاص بالعودة الى مواقع ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ •

٢ ــ ان سير المناقشات بهذا الاسلوب مضيعة للوقت ، وليس من ورائها طائل •

٣ ــ ان أى خط لا يحقق تأمين مدن القناة لا يمكن قبوله •

٤ ــ انه من الضرورى أن تحدد اسرائيل بوضوح رأيها رسميا •

كما طالب الجانب المصرى أن يجيب الجانب الاسرائيلى على أسئلة محددة بشأن مكان الخط المنتخب ، والوقت اللازم لتنفيذ الانسحاب •

الاجتماع السابع عشر :

فى التاسع والعشرين من نوفمبر ١٩٧٣ عقد الاجتماع السابع عشر والاخير على أمل أن يجيب الجانب الاسرائيلى على الاسئلة المحددة • غير ان الجنرال ياريف لم يقدم الاجابات المطلوبة ، بل أعلن ان حكومته ترفض مناقشة العودة الى مواقع ٢٢ أكتوبر ، كما أنها لا توافق على أسس المشروعات التى طرحها الجانب المصرى •

وازاء ذلك أوضح الجانب المصرى ان هذا الموقف الاسرائيلى يهدف الى الوصول بالمباحثات الى طريق مسدود ، ولذلك طلب وقف الاجتماعات الى أن تحدد اسرائيل موقفها •

ومن الواضـــح أن الحكومة الاسرائيلية كانت تســـعى الى كسب الوقت ، وعرقلة الوصول الى قرار محـــدد بشأن فصل القوات في هذه المرحلة • وقد أدلى المتحدث الرسمي لمصر ببيان قال فيه ان مصر قررت وقف مباحثات الـــكيلو متر ١٠١ نظرا لمراوغة اسرائيل المستمرة في تنفيذ البند الثاني من اتفاقية النقـاط الست ، التى تم توقيعها فى ١١ نوفمبر • كما أعلن أن مصر تحمل اسرائيل كل النتائج المترتبة على عدم تنفيذها لقرارات مجلس الامن الاخيرة •

وقد عقدت عشرة اجتماعات لبحث تنفيذ اتفـاقية النقاط الست على امتداد ١٨ يوما خلال المدة من ١١ الى ٢٩ نوفمبر ، خصصت السبعة الاخيرة منها لتنفيذ البند الثانى الخاص بفض الاشتباك والعودة الى مواقع ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ •

مؤتمر جنيف للســلام ولجنة العمل العسكرية :

بينما كانت الحرب فى أوج شدتها والقوات المسلحة المصرية تحرز النصر ، طرح الرئيس محمد أنور السادات اقتراحا فى ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ أمام مجلس الشعب يدعو فيه الى عقـد مؤتمر للســـلام يضم الاطراف المعنية ، على أن يكون الهدف منه :

١ ـ التوصل الى حل للازمة على أساس القرار ٢٤٢ الصادر من مجلس الامن عام ١٩٦٧ ، وتحقيق الانســحاب من كافة الاراضى العربية المحتلة ، واحترام الحقوق المشروعة لشعب فلسطين •

٢ ـ أن يعقد هذا المؤتمر تحت اشراف الامم المتحدة •

وبعد اتصالات دولية عديدة أصدر مجلس الامن قراره رقـم ٣٣٨ يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ ، الذى نص على أن يبدأ أطراف النزاع فى تنفيذ القرار ٢٤٢ ، وأن تبدأ المفاوضات تحت الاشراف المناسب ، بهدف اقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الاوسط •

وقد تم الاتفـاق بعد ذلك على أن تجرى المباحثات فى مدينة جنيف السويسرية ، حيث المقر الاوربى للامم المتـــحدة ، على أن ينعقد المؤتمر خلال شـــهر ديســـمبر ١٩٧٣ ، وتحضره كل من مصر وسوريا والاردن واسرائيـــل والولايات المتـــحدة والاتحـــاد الســـوفيتى ، وأن يشترك الفلسطينيون فيه فى مرحلة تالية ، وأن يكون دور الامم المتحدة ووجودها مصونين •

وقـد قررت مصر حضـور المؤتمر على الأسس التالية :

١ ـ الالتزام بقرار مؤتمر القمة العربي في الجزائر في ٢٨ نوفمبر١٩٧٣ بأن العمل السياسى يكمل المعركة العسـكرية ، ويعتبر استمرارا لها في كفاح العرب ضد اسرائيل ٠

٢ ـ صدور قرار مجلس الامن رقـم ٣٤٣ في ١٥ ديسمبر ١٩٧٣ يحدد دور السكرتير العام وينص على أنه دور أساسي وفعال ٠

٣ ـ موافقة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي على عقـد المؤتمر تحت اشراف الأمم المتحـدة ، وتحت الرياسـه المشـتركة لكل منهما ، واخطار السكرتير العـام بذلك في ١٨ ديسـمبر ١٩٧٣ ، على أن يتولى الدعوة الى المؤتمر ، ورياسة مرحلته الافتتاحية ٠

وانعقـد المؤتمر في ٢١ ديسـمبر ١٩٧٣ ، وحضره كل من مصر والاردن واسرائيل والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ، بينما تخلفت سوريا ٠ ورأسه السكرتير العام للامم المتحدة ٠

وعقدت ثلاث جلسات ، اثنتان منها مفتوحتان ، والثـالثة سرية ٠ وقد حاولت اسرائيل التنصل من التزاماتها المترتبة على اتفـاقية النقاط الست ، والتهرب من موضوع الفصل بين القوات ، وذلك عن طريق عدم تضمين وفدها أعضـاء من العسكريين ٠ ولكنها عادت أمام اصرار مصر فأعلنت عن استعدادها للمحادثات العسكرية ، وانهـا ستوفد عسكريين للاشـتراك في المؤتمر ، كمـا وافقت على أن تبدأ المبـاحثات يوم ٢٦ ديسمبر ١٩٧٣ ٠

ولـما كانت مسألة الفصـل بين القوات قد اعتبرت مسألة حيوية يجب البت فيها أولا قبل الدخول في أية تفاصيل سياسية ، لذلك فقد وافق المؤتمر على أن يبدأ أعماله بمعالجة هذا الموضوع ٠

وفي يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٧٣ أصدر المؤتمر قراره الذى ينص على أن تستمر أعماله من خلال تكوين مجموعة عمل عسكرية تبدأ في مناقشة مسألة فض الاشتباك بين القـوات ، على أن تقـدم المجموعة توصياتها وتقريرها الى المؤتمر ٠

الاجتماعات الستة للجنة العسكرية :

عقدت الجلسة الاولى للجنة العسكرية في مقر الامم المتحدة بجنيف يوم ٢٦ ديسمبر ١٩٧٣ تحت اشراف الامم المتحدة ٠ واستمرت جلسات اللجنة العسكرية في جنيف حتى ٩ يناير ١٩٧٤ ، وعقدت خلالها ستة اجتماعات استمرت حوالى ١٥ ساعة ٠

وكان رأى الجانب المصرى أن تبدأ المباحثات بمناقشة مبادىء محددة لمسألة فض الاشتباك والفصل بين القوات حتى يتم الاتفاق عليها كأساس ضرورى لتحديد الخطوط العريضة والرئيسية للموضوع ٠ وانطلاقا من هذا المفهوم العام قدم الجانب المصرى خمسة مبادىء لفض الاشتباك تضمنت الآتى :

١ ـ أن يتم فض الاشتباك والفصل بين القوات بتحرك القوات الاسرائيلية من مواقعها غرب القناة الى خط يقع شرق القناة فى سيناء ٠

٢ ـ أن يكون هذا الخط على مسافة كافية من قناة السويس لتأمين منطقة القناة ومدنها ضد أى نشاط عسكرى ٠

٣ ـ ألا تقل المسافة (الفاصل) بين القوات الرئيسية للجانبين عن أقصى مدى لأسلحة المدفعية المتوفرة لديهما (وهى مسافة يجب ألا تقل عن ٣٥ كم) ٠

٤ ـ أن تحدد منطقة أمن أمام القوات الرئيسية لكل جانب تعمل فيها عناصر تأمين القوات والوحدات المناسبة ٠

٥ ـ أن تنشأ منطقة عازلة بين الجانبين ، تشغلها قوات الامم المتحدة ، بحيث يسمح اتساع هذه المنطقة لقوات الامم المتحدة بحرية الحركة والعمل ٠

وبعد مناقشة قصيرة قبل الجانب الاسرائيلى هذه المبادىء كأساس مناسب لفض الاشتباك ، ولكنه رأى أن يضيف اليها تحفظات محددة تكون بمثابة مبادىء اضافية ٠ وتركزت هذه التحفظات فى مبدأين رئيسيين :

١ ـ أن يكون هناك توازن فى التزامات الجانبين ، أى أن يكون العمل متبادلا ٠ بمعنى أن كل عمل يؤديه طرف يجب أن يقابله عمل مماثل يؤديه الطرف الآخر ، وألا يتحمل طرف واحد كل شىء ٠

٢ ـ أن يشارك كل طرف ، الطرف الآخر فى حل مشاكله ، بمعنى أن يقبل الحلول الوسط ٠

وكان رد الجانب المصرى على ذلك ، ان هذين المبدأين هما من المبادىء السياسية التى تستخدم فى التسويات السياسية ، وليس لهما علاقة مباشرة بما تناقشه اللجنة العسكرية فى هذه المباحثات من مسائل عسكرية بحتة ٠٠ خاصة والفصل بين القوات له شروط ومواصفات فنية محددة لا تحتمل الحلول الوسط ٠

ورغم وضوح النوايا الاسرائيلية الكامنة خلف هذه التحفظات

الملتوية ، الا أن الجانب المصرى رأى أن يطالب الجانب الاسرائيلى بمزيد من الايضاح ٠

وكشف الجانب الاسرائيلى عن نواياه ، فأوضح أنه يلزم لتطبيق المبدأ الاول ألا يجرى الانسحاب من جانب واحد ، بل ينبغى أن يتم الانسحاب بواسطة الجانبين ، وان كان ليس ضروريا أن يكون هذا الانسحاب بنفس القدر ٠ وفى مجال شرح المبدأ الثانى ذكر الجانب الاسرائيلى – على سبيل المثال – أن شرط الانسحاب شرقا ليس ضروريا أن يرتبط بمسافة كبيرة تفصل بين قوات الجانبين ٠

وقد رفض الجانب المصرى فورا الامثلة التى ساقها الجانب الاسرائيلى موضحا ما يلى :

١ – ان الارض التى دار عليها القتال هى أرض مصرية ، ولذلك فان مبدأ تخلى مصر عن شبر واحد من الاراضى التى تقف عليها قواتها مبدأ مرفوض من أساسه ، اذ لا يجوز مطالبة القوات المصرية بالتخلى عن جزء من الاراضى المصرية مهما كانت الدوافع الى ذلك ٠

٢ – أما عن مسافة الانسحاب فقد حددتها مصر على أسس علمية فنية سليمة لكى تحقق فعلا مبدأ فصل القوات وفض اشتباكها ، ولذلك فان الاقلال من هذه المسافة لن يحقق فض الاشتباك طالما ان قوات أحد الطرفين ما زالت واقفة داخل مرمى أسلحة الطرف الآخر ، الامر الذى لا يمكن قبوله ٠

كما أنه قد سبق لمصر أن شاركت فعلا فى حل المشاكل حين قبلت اتفاقية النقاط الست ، وخاصة البند الثانى المتعلق بتدابير العودة الى مواقع ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ فى اطار اتفاق لفض الاشتباك والفصل بين القوات ٠

وكان ذلك يعنى مرونة أكثر تساعد اسرائيل فى الخروج من مأزق العودة الى مواقع ٢٢ أكتوبر ، وما يترتب عليها من موقف استراتيجى سىء ، دعا اسرائيل الى رفض هذه العودة منذ البداية ٠

وعند هذه المرحلة من المناقشات التى استمرت ثلاث جلسات ، حدث تطور فى الموقف الاسرائيلى ، وان لم يخرج عن الخط العام الذى اتبعته اسرائيل منذ البداية ، وهو العمل على أن يكون انسحاب قواتها فى أضيق نطاق ممكن ، مع قبولها مبدأ الانسحاب الى الشرق ٠

وعرض الجانب الاسرائيلى نماذج مخططة لأفكاره ، كان أحدها يدور حول الاقتراح القديم الخاص بالانسحاب المتبادل عن ضفتى القناة ، والذى سبق رفضه ٠ وقد استبعد هذا النموذج ٠ ثم جاء الآخر بفكرة أن تكون المسافة بين قوات الجانبين محدودة بمدى النظر بين الطرفين (أى

٣ ـ ٤ كم) • وردد الجانب الاسرائيلى أن انسحابه الى الشرق فيه تضحية استراتيجية كبيرة ، كما أن ضغط المسافة يعتبر ثمنا ضئيلا بالنسبة لما خسره الجيش الاسرائيلى من أرواح •

وقد فند الجانب المصرى هذه المقترحات والتعديلات ، وأوضح أن الموقف العسكرى الاسرائيلى غرب القناة موقف استراتيجى سيء غير متوازن ، ولا يمثل أى قيمة عسكرية ، بل هو عبء عسكرى واقتصادى وسياسى كبير ، يضغط على كاهل اسرائيل وهى تسعى للتخلص منه ، وان هذا العمل العسكرى فى حد ذاته كان فى الاصل عملا نفسيا لرفع معنويات الشعب الاسرائيلى • لذلك فان التخلى عنه لا يعنى أى تضحية استراتيجية ، بل العكس هو الصحيح •

كما أوضح الجانب المصرى أنه لاحظ كثرة ترديد الجانب الاسرائيلى لكلمة « الثمن » ، وان هذا يكشف لنا نمط الفكر الاسرائيلى الذى يسعى دائما الى الحصول على المكاسب ، والذى يتميز بالميل الشديد الى المساومة ، وان هذا الاسلوب لا يخلق سوى المعوقات والمشاكل ، الامر الذى يستوجب أن تغير اسرائيل من نمطها الفكرى وأسلوب تعاملها مع العرب اذا كانت تسعى حقا نحو السلام •

ثم تساءل الجانب المصرى •• ألا يكفى أن يكون السلام ذاته ثمنا تقبله اسرائيل ؟ وأن يكون البعد على التضحية بمزيد من الارواح ثمنا آخر مناسبا لاسرائيل ؟!

ومع تطور المناقشات ، حاول الجانب الاسرائيلى أن يتفادى الحديث فى المبادىء والاسس الخاصة بفض الاشتباك ، والاغراق فى بحث التفاصيل العسكرية الفنية المتعلقة بفض الاشتباك ، وأن يوجه المباحثات الى متاهات تحولها عن الهدف الرئيسى وتجذبها بعيدا عن الخط المنطقى •

وفى اجتماع يوم ٩ يناير ١٩٧٤ (الاجتماع السادس والاخير) رفض الجانب المصرى هذه المراوغات ، وأصر على ضرورة العودة الى أصل الموضوع قبل الدخول فى أية تفاصيل • كما أصر على أن يطرح الجانب الاسرائيلى أفكاره المحددة عن فض الاشتباك فى شكل مشروع متكامل ، خاصة والجانب المصرى مستعد لطرح مشروعه فورا بشرط أن تطرح اسرائيل مشروعها المقابل •

وأوضح الجانب المصرى أن استمرار المناقشة بهذا الاسلوب غير مجد ، ولا بد من الانتقال الى جوهر الموضوع ، خاصة والانتخابات الاسرائيلية قد انتهت وظهرت نتائجها ، وأصبحت الفرصة متاحة أمام الوفد الاسرائيلى لطرح أفكاره •

ورد الجانب الاسرائيلى أنه يأسف اذ ليست عنده أفكار محددة ، كما أن الحكومة الاسرائيلية ما زالت تدرس الموضوع ، ولم تصل بعد

الى قرار بشأنه • واقترح البدء فى مناقشة المشروع المصرى الى أن يتلقى التعليمات اللازمة من حكومته ••

ورفض الجانب المصرى هذا الاقتراح ، وأعلن انه فى هذه الحالة يجب ايقاف الاجتماعات الى أن يتلقى الجانب الاسرائيلى تعليمات حكومته بشأن مشروع فض الاشتباك ، وأبدى استعداده للاجتماع فى أى وقت تحدده اسرائيل •

وطلب الجانب الاسرائيلى مهلة أسبوع ، فتحـدد يوم ١٥ يناير موعدا للاجتماع التالى • وفى يوم ١٠ ينـاير (اليوم التالى لوقف الاجتماعات) أعلنت الولايات المتحدة أن دكتـور هنرى كيسنجر يعتزم التوجه الى مصر للمساهمة فى حل المشـاكل القـائمة • وبعد اجتماعه بالرئيس السادات فى أسـوان يومى ١١ ، ١٢ ينـاير وطرحه مشروعا مقترحا للاتفاق ، توجه الى القدس يوم ١٢ واجتمع بالحكومة الاسرائيلية حتى ١٤ يناير ليقف على وجهة نظرها ، ثم تردد بين أسوان والقدس أيام ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، يناير ١٩٧٤ ، حتى أمكن التوصل بعد هذه الرحلات الاربع الى اتفاق قبلته مصر واسرائيل بشأن الفصل بين القـوات تحت اشراف الامم المتحدة ، وأذيع هذا الاتفاق فى الساعة التـاسعة من مساء ١٧ يناير بتوقيت القاهرة •

المرحلة الثانية لمباحثات الكيلو متر ١٠١ :

فى الساعة ١١٠٠ يوم ١٨ يناير١٩٧٤ عقد الاجتماع الاول للمرحلة الثانية من مباحثات الكيلو متر ١٠١ على طريق القـاهرة ـ السويس ، وقد رأس اللواء محمـد عبد الغنى الجمسى رئيس أركان حرب القوات المسلحة الوفد المصرى المكون من اللواء طه المجدوب والعقيد أ٠ح أحمد فؤاد هويدى والمستشار فوزى الابراشى من وزارة الخارجية ، بينما رأس الجنرال دافيد اليعازار رئيس الاركان العـامة الاسرائيلية الوفد المكون من الجنرال ابراهام آدن ، والـكولونيل دوف زبون ، ومائير روزين المستشار القـانونى بوزارة الخـارجية الاسرائيلية • وجلس الجنرال أنزيوسيلاسفيو قائد قوات الطوارىء الدولية على رأس الاجتماع ، ومعه المسـيو ريمى جورجيه مستشاره السـياسى والدكتـور جيمس جونا مستشاره القانونى •

وافتتـح الجنرال سيلاسفيو الاجتـماع معربا عن سروره بامكان التوصل الى اتفاق عسكرى بشأن الفصل بين القوات تحت اشراف الامم المتحدة • وبعد أن تلا بنود الاتفاقية قدم أصولها للجانبين ، حيث وقع اللواء الجمسى عن الجـانب المصرى ، ووقع الجنرال اليعـازر عن الجـانب الاسرائيلى ، والجنرال سيلاسفيو عن الامم المتحدة •

ونص الاتفاق على ان حكومتى مصر واسرائيل بمســاعدة حكومة الولايات المتحدة الامريكية وطبقا لقرار مؤتمر جنيف ، وقد توصلتا الى اتفاق لفك الاشــتباك والفصل بين قواتهما المسلحة مع التمسك بوقف اطلاق النار وايقاف جميع الاعمال العسكرية وشبه العســكرية فى البر والبحر والجو ٠

وحدد الاتفــاق الخطوط التى تنسحب اليهــا القوات الاسرائيلية ومناطق الفصل بين الجانبين والتى ترابط فيهــا قوات الامم المتــحدة ـ وأوضحها على خريطة أرفقت بنص الاتفاق ٠ كما تضمن توقيتات وضع تفاصيل خطة فك الاشتباك ، ونص على ضرورة انهاء أعمال الفصل خلال فترة لا تتجاوز ٤٠ يوما من بدء التنفيذ ٠

واختتم الاتفاق بالنص على :

« انه لا يعد الاتفاق سلام نهــائى وأنه يشكل خطوة أولى صوب سلام نهائى عادل ودائم طبقا لبنود قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ وفى اطار مؤتمر جنيف » ٠

وبعد انتهاء التوقيع وتبــادل الوثائق ، بدأت مناقشة عامة حول الاسلوب الذى سيتبع فى تنفيذه ، وعرض الجــانب المصرى عدة مبادىء رئيسية كان أهمها :

١ ـ ان ينفذ انسحاب اسرائيل من غرب القناة من الجنوب الى الشمال، وعلى مراحل ٠

٢ ـ أن تنشأ منطقة عازلة من قوات الامم المتحدة بين الطرفين فى كل مرحلة من مراحل الانسحاب ٠

٣ ـ أن يتم انشاء منطقة الامم المتحدة الفاصلة بين القوات فى الشرق تدريجيا وعلى مراحــل ، تبعا لخطة الانســحاب التى ستنفذها القوات الاسرائيلية ٠

وبعد أن وافق الجانب الاسرائيلى على هذه المبادىء نوقشت الفكرة العامة لتنفيذ الفصل بين القوات ومراحله على خرائط قدمها الجانبان ٠

وفى الاجتماع الثــانى يوم ٢٠ يناير استمرت المنــاقشات حول التنفيذ ، واستقر الرأى على الآتى :

١ ـ أن تنسحب القــوات الاسرائيلية من غرب القناة خلال ٢٨ يوما ، وعلى أربع مراحل ٠

٢ ـ أن ترتد القوات الاسرائيلية شرق القناة الى الخط « ب » المبين على خريطة الاتفاق عند المضايق خلال ١٢ يوما ، وفى مرحلة واحدة ٠

٣ ـ أن يتم خلال الانسحاب الاسرائيلى من الغرب والشرق اعادة تنظيم أوضاع الطرفين على جانبى الخطوط المحددة ٠

٤ ـ أن تتخذ قوات الامم المتحدة محـلاتها فى منطقة عازلة بين الجانبين طوال فترة تنفيذ مراحل الانسحاب الاسرائيلى غرب وشرق القناة٠ وتحتل المنطقة العازلة بين الخط « أ » (خط القوات المصرية شرق القناة) والخط « ب » (خط القوات الاسرائيلية عنـد المضايق) قبل نهاية الفترة المحددة لتمام التنفيذ وهى ٤٠ يوما ٠

وفى نهاية هذا الاجتماع تقرر أن تستمر الاجتماعات اليومية لوضع تفاصيل الانسحاب فى اجتماعات تالية ، على أن يرأس الجـانب المصرى اللواء طه المجدوب والجـانب الاسرائيلى اللواء ابراهام آدن ، وأن تنتهى الاجتماعات وتوضع الخطة النهائية قبل يوم ٢٥ يناير وهو الموعد المحدد لبدء أعمال الفصل بين القوات ٠

وقد عقـد الجانبان ثلاثة اجتماعات متتـالية أيام ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ يناير ١٩٧٤ ، تم خلالها مناقشة تفصيلية لمراحل الانسحاب وتوقيتاته ، وتنظيم دخول قوات الامم المتحدة ، وأسلوب حل المشاكل العاجلة التى قد تطرأ أثناء التنفيذ ٠ كمـا حددت مراحل تنفيذ انسـحاب القوات الاسرائيلية بصفة نهائية لتكون على النحو التالى :

١ ـ المرحلة الاولى :

من ٢٥ ـ ٢٨ يناير وتخلى فيها منطقة الادبية وعتاقة وقطاع طريق السويس ٠

٢ ـ المرحلة الثانية :

من ٢٨ يناير الى ٤ فبراير ، ويتم فيها انسحاب القوات الاسرائيلية من المنطقة الصحراوية شمال طريق السـويس غرب القناة ، والى منطقة متلا فى الشرق ٠

٣ ـ المرحلة الثالثة :

من ٥ الى ١٢ فبراير ، ويتم فيها انسحاب القـوات الاسرائيلية من منطقة جنوب البحـيرات حتى فنارة فى الغرب ، والى منطقة الجدى فى الشرق ٠

٤ ـ المرحلة الرابعة :

من ١٣ الى ٢١ فبراير ، ويتم فيهـا استكمال انسـحاب القوات الاسرائيلية من فايد والدفرزوار ، واخـلاء غرب قنـاة السويس تماما ، والمنطقة شرق القنطرة شرق ٠

٥ ـ المرحلة الخامسة :

من ٢٢ فبراير الى ٥ مارس ، ويتم فيها استكمال انسحاب القوات المتمركزة شرق القناة من مناطق الاسماعيلية والبحيرات المرة الى الخط « ب » المحدد للقوات الاسرائيلية • وفي الوقت نفسه تنتهي قوات الامم المتحدة من انشاء المنطقة العازلة للفصل بين الجانبين في سيناء •

وفي الساعة ١١٠٠ يوم ٢٤ يناير تم توقيع الوثيقة النهائية الخاصة بخطة تطبيق اتفاقية فصل القوات ، والجدول الزمنى التفصيلي الخاص بها • كما اتفق على بعض الالتزامات الخاصة بتسهيل عمل قوات الامم المتحدة ولتنفيذها واجباتها ، وتنظيم أعمال الاتصال أثناء مراحل فصل القوات ، وأسلوب حل المشاكل العاجلة ، وكيفية مراقبة الامم المتحدة لمدى التزام الطرفين بتنفيذ الاتفاقية •

كما التزم الجانب الاسرائيلي بتقديم خرائط الالغام التي زرعها في المناطق التي سوف تنسحب منها قواته ، والامتناع عن تخريب أو تدمير المنشآت المدنية في منطقة القناة ، وأن يتم الانسحاب في تعاون كامل مع قوات الطوارىء الدولية ، مع ضمان استمرار الحياة الطبيعية للسكان المدنيين في المنطقة دون ارباك •

وفي الساعة ١٢٠٠ يوم الجمعة الموافق ٢٥ يناير ١٩٧٤ وضعت الاتفاقية موضع التنفيذ ، وبدأت اسرائيل تسحب قواتها من المناطق المتفق عليها ، وسارت أعمال فصل القوات حسب الاتفاق •

وكان وقع ذلك شديدا على شعب اسرائيل •• اذ أدرك عمق الهزيمة التي حاقت بقواته ، ومدى التمزق الذى أصاب النظرية الصهيونية ، التي تقوم على العدوان والتوسع واغتصاب الارض وفرض الامن الواقع ورسم الخرائط الجديدة • ثم أيقن شعب اسرائيل من سوء العاقبة عندما استمع الى وكالة الانباء الفرنسية تنقل اليه يوم ١٥ فبراير ١٩٧٤ من تل أبيب تصريح زعيم المؤسسة العسكرية الجنرال موشى ديان الذى يقول فيه :

« ان هالة التفوق الاسرائيلي قد دحضها واثبت بطلانها قتال اكتوبر ١٩٧٣ » •

الباب الثامن

وتحطمت الأسطورة بعد الظهر..

وتحطمت الأسطورة بعد الظهر

● **كان وقـــع الهزيمة ثقيــلا على اسرائيــل ، هبط بمعنوياتها الى الحضيض ، واشعل بين طوائفها واحزابها الأحقاد الدفينة ، فانطلقت تكيل لبعضها اقذع الشتائم، واحط الاتهامات ٠**

واستفحل الأمر حتى غزا صفوف المؤسسة العسكرية نفسها ، اذ راح جنرالات اسرائيل يغمزون بعضهم ويلمزون ، ثم تطايرت بينهم أخطر الاتهامات ، فأسرعت رياسة الأركان العامة تصدر أمرا قاطعا لهم جميعا بالتزام الصمت المطبق ، بعد هذا الصخب المحرج ٠٠ والا فسوف توقع عليهم أقسى الجزاءات ٠٠ وتهددهم بالويل والثبور ٠٠

ثم جاءت لحظة حساب النفس وما أثقلهـــا وأقساها ٠٠ واستمع العالم مذهولا الى عمالقة الجولة الثالثة ، الذين كانت كلماتهم عام ١٩٦٧ تنضح بالغطرسة والخيلاء ٠٠ يهمسون عام ١٩٧٣ باعترافات ملؤها الألم والندم ، لما فرطت أيديهم، وما حاق بهم من هزائم ٠ وعندما صـــدرت قرارات لجنـة تقصى الحقائق برياسة القاضى شمعون اجرانات ، انكشفت هزيمة اسرائيل بكل ابعادها المؤلمة ٠

● **وتساءل العالم فى دهشة ٠٠** ولكن أين ما زعمت اسرائيـل من تخلف العـرب الحضارى ، وعنـاء الفجوة التكنولوجية التى تمســك برقابهم فلا تدع لهم فرصة لاجادة عمل ما . او تترك لهم بصيص أمل للتصدى لبأس اسرائيل ، حتى نهاية القرن الواحد والعشرين ..

ـ وأجاب العقلاء .. لقـد كان ذلك وهما صنعته اسرائيـل كى تنشر أمنا زائفا بين ظهرانيها .. فلما وقعت حرب رمضان ، انكشف

الوهم وزال الأمن الزائف .. وتأكد كل شعب اسرائيل المشدوه من هول الواقعة ان اخطر شيء أن يعيش في خدعة من صنع يديه .. حتى توقظه الحقيقة الأليمة ..

● **ثم تساءل العالم في دهشة** .. ولكن أين جهاز الحرب الاسرائيلي العملاق ، الذي وصل خطره الى درجة أن أصبح قادراً على أن يأمر طياري العرب بالقفز من طائراتهم وهي في كبد السماء .. فيسمعون ويطيعون لمؤسسة اسرائيل العسكرية ؟

ـ وأجاب العقلاء .. لقد كانت تلك فرية أخرى صنعتها اسرائيل لتنشر امنا زائفا بين ظهرانيها .. فلما كانت حرب رمضان افتضحت الفرية وزال الأمن الزائف .. واستبان لاسرائيل أن اخطر شيء أن تعيش في فرية من صنع يديها . حتى توقظها الحقيقة الأليمة ..

● **ثم تساءل العالم في دهشة** .. وما قيمة الحدود الآمنة اذن وقد أحرزت اسرائيل نصرا في الجولة الثالثة صيف ١٩٦٧ من حدود ملأت الدنيا بالشكوى انها غير آمنة ، ثم فوجئت بالجولة الرابعة في خريف ١٩٧٣ تأتيها بالهزيمة من حدود ملأت الدنيا ضجيجا انها حدود جد آمنة ، بل هي غاية الأمن ومنتهى الأمان في نظر زعماء اسرائيل ..

ـ وأجاب العقلاء .. ان الأمن والأمان أمران نسبيان شديدا الارتباط بالسلوك القويم وحسن الجوار .. فلا يقوم الأمن على اغتصاب حقوق الغير أو سلب أراضيهم ومنازلهم وقبورهم ، وتحويلهم الى لاجئين معلقين بين الأرض والسماء .. لا يقوم على ذلك مهما ارتكز على موانع طبيعية أو صناعية أو اعتمد على قوة غاشمة أو ذراع طويلة أو يد عليا ..

● **ثم تساءل العالم في دهشة** .. ولكن أين مخابرات اسرائيل التي تعلم الغيب وما تخفي الصدور .. وكيف عميت عن كل هذا الاستعداد الضخم ، وكل تلك الحشود الهائلة ، التي اخذتها على غرة ، وفاجأتها في السادس من أكتوبر فحطمت أسطورتها بعد الظهر ؟ !

ـ وأجاب العقلاء .. لقد كانت كلها أكاذيب روجتها دعاى اسرائيل لتنشر بها أمنا زائفا بين ظهرانيها .. أمنا تحجب به الحقائق الناصعة عن موقفها الميئوس منه .. والمحيط العربي الهادر ،في مجابهة القطرة الصهيونية الضئيلة ، والامكانات والقدرات العربية غير المحدودة والجبهات العربية المحيطة باسرائيل تأخذ بخناقها من كل جانب ، وفي مواجهة عقدة مسعدة التي عفى عليها الزمن ..

وانكشف لاسرائيل أن اخطر الأمور أن تعيش في أكذوبة من صنع يديها حتى تفاجئها الحقيقة الأليمة ..

ولكن هل تعترف اسرائيل أنهـــا فوجئت وهى غافلة فى السادس من أكتوبر ، فتحطمت أسطورتها بعد الظهر ؟!

انهم ما زالوا يتجادلون فى هذا الأمر الخطير ، فتختلف بهم الآراء وتتضارب المذاهب ·· وتخرج الحجج الواهيـــة والتبريرات السخيفة ، فلا تقنع أحدا ·· ولسوف نظهرها جميعا ونعرى كل دوافعها الخبيثة أو الساذجة فى الفصل التالى ·



عـن المفـاجـأة ..

● تحدث المفاجأة طبقا للمفهوم العسكرى ـ عندما ينجح أحد الأطراف المتحاربة فى مباغتة خصمه بعمل ايجابى ذى وقع كبير عليه ، من حيث طبيعته وحجمه ومكانه وتوقيته ونتائجه .. وبمعنى آخر يمكن القول أن المفاجأة تتحقق بتوجيه الضربات غير المتوقعة للعدو ، بما يذهله ويطيش صوابه ويشـل تفكيره وأداءه ، فتصبح بذلك الفرصة مواتية للطرف الذى حقق المفاجأة ليوقع الخسائر الفادحة بخصـمه فى وقت قصير ، ويشـيع الذعر فى صفوفه ، ويحرمه من القدرة على مواصلة ابداء المقاومة المنظمة ، بما يخلق الظروف الملائمة للقضاء على قوات الخصم حتى وان كانت متفوقة ..

وتتحقق المفاجأة بفضـل الجهود المضنية التى تبذل فى مجالات عديدة منهـا :

١ ـ تضليل العدو عن نوايانا .

٢ ـ سرية التحضير للهجوم .

٣ ـ المحافظة على سرية فكرة الأعمال المقبلة .

٤ ـ الاستخدام غير المتوقع لوسائل وأساليب قتال ، وأسلحة ومعدات جـديدة .

٥ ـ توجيه ضربات قوية للعدو فى وقت ومكان وبطريقة لا يتوقعها . وليس ثمة شك فى أن الطرف الآخر سوف يسعى بدوره لشن أعمال مفاجئة،ولهذا وجب أن يتوفر الاستطلاع المستمر النشط ، والاستعداد

العالى الدائم للقوات لخوض الحرب فى كل وقت ، حتى يمكن احباط نوايا الخصم فى الوقت المناسب ، وقبل أن يحقق نجاحا محسوسا ٠٠

ويجمع مشاهير القادة وفلاسفة الحرب على مر العصور على أن المفاجأة هى أهم مبادىء فى الحرب وأشدها خطرا وأكثرها تحقيقا للنصر فى أى عمل عسكرى كبر مستواه أو صغر ٠

وتكون المفاجأة استراتيجية أو تعبوية أو تكتيكية طبقا لحجم القوات المشتركة ، وبالتالى المستوى الذى تؤثر عليه فى الصراع المسلح ٠٠ وعلى سبيل المثال اذا ما كانت المفاجأة على مستوى الدولة بقواتها المسلحة كلها فهى مفاجأة استراتيجية ٠ أما اذا اقتصرت على مستوى جبهة أو جيش فحسب فهى مفاجأة تعبــوية ، واذا ما جاءت دون ذلك أصبحت مفاجأة تكتيكية أو موضعية ٠٠

ولقد حقق العرب فى السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ، ولأل مرة فى سجل صراعهم الطويل ضد اسرائيل المفاجأة الكاملة بمستوياتها الثلاثة ٠٠ وكان وقع ذلك أليما على اسرائيل ٠٠ بل على الصهيونية العالمية فى كل مكان ٠ وكانت حصيلته النهائية أشد ايلاما لهما من الهزيمة نفسها ، اذ قوضت تلك المفاجأة صروح نظرية الأمن الاسرائيلى التى طالما ارتكزت عليها المؤسسة العسكرية فى صيانة وجود الدولة الدخيلة وتدعيم مركزها فى المنطقة ٠٠ ولهذا راحت أجهزة الدعاية والاعلام الاسرائيلية والصهيونية على الفور ، وبكل ما تملك من قدرة وامكانات ، تشــن حملات مســعورة لتبرئة قيادتها السياسية والعسكرية من وصمة المباغتة ،وتنفى عنها عار الوقوع فى شرك المفاجأة ٠٠

وفى سبيل ذلك تعددت التبريرات وتنوعت الحجج ، ثم تناقضت الاقوال وتضاربت التصريحــات ، حتى تحــول الجدل الجاد الى تبادل الاتهامات والتجريح ، ثم القاء اللوم جزافا على بعضهم البعض ، الأمر الذى دفع بالقيادة العليــا الى اصدار التوجيهات بالكف فورا عن هــذه المهاترات على صفحات الجرائد ، وعبر أمواج الأثير ٠٠

وقبل أن تهدأ فورة الاتهامات وتخف حدة المهاترات كانت الحصيلة قد أدهشت أذن المستمع وشدت أنظاره ٠

فعلى المستوى السياسى ادعت رئيسة حكومة اسرائيل انها كانت تعلم يقينا بنية هجوم العرب بل بتوقيته ومراميه ، ولكنها تركت لهم المبادأة طوعا واختيارا لأسباب سياسية واقتصادية ملحة ٠٠ فزعمت أنها أحجمت عن توجيه ضربتها الابتدائية حتى لا تكون البادئة بالعدوان خشية ازدياد عزلتها السياسية فى المجال الدولى ، كما أنها فوتت فرصة التعبئة فى الوقت المناسب حتى لا تحمل الاقتصاد الاسرائيلى المثقل أعباء اضافية قاسية ، واكتفت من كل ذلك بالتأكيد على القيادة العسكرية بالاقتصار

على التعبئـة الجزئية فى أضيق الحـدود ، مع رفع درجة استعداد القوات المسلحة النظامية على مختلف المستويات ٠

وتستمر السيدة مائير فى ادعاءاتها العجيبة فتقول انها تركت الأمور على هذا الوضع الخطر حتى صباح السادس من أكتوبر ، عندما اضطرت الحكومة تحت ضغط الأحداث المتلاحقة أن تعلن التعبئة الشاملة فى الساعة العاشرة صباحا ، وأن تبدأ فى ادارة عجلة الحرب ٠٠

وتقصد السيد مائير بما تدعيه وتســوقه من حجج وبراهين أن تبرىء نفسها قبل الانتخابات الوشيكة من تهمة الغفلة التى عرضت أمن الدولة للخطر ، فتقول انها أحجمت اختيارا عن السـبق بالهجوم حتى لا تزيد سمعة اسرائيل سوءا ، كدولة دائمة العدوان مدمنة التعدى ، وانها امتنعت عن تعبئة الدولة حتى لا تثقل على الاقتصاد وتعرقل دولاب الانتـــاج ٠ ووراء تلك الحجج الساذجة رغبة دفينة فى القــاء اللوم على العسكريين ٠٠ الأمر الذى يكشفه بجلاء قولها فى مجال آخر ٠٠ « لو جاءنى مســـئول ـ تقصد الجنرال دايان ـ واقترح استدعاء الاحتياطى لوافقته فورا (١) » ٠٠

ويعزز نائبها ايجال آلون نفس الاتجـاه الذى تذهب اليه مائير فيقول « اننى أؤكد شخصيا ورسميا أيضا ، اننى أتعهد بشرفى الشخصى بصــحة البيان القائل بأننا لم نبدأ القتال ، بل على العكس ، حتى بعــد أن رأينا المجابهات الشاملة لقوات العـــدو فى أوضاع هجومية تجنبنا متعمدين الضرب أولا ، وقد تخلينــا عن تلك الميزة العســـكرية ، ميزة الضرب أولا » ٠٠

كما صرح الجنرال أهرون ياريف بصفته مستشار رئيسة الحكومة أن اسرائيل تعمدت أن تخاطر بترك المصريين والسوريين يتخذون بادرة الأعمال العسكرية مع ما يترتب على ذلك من مزايا (٢) ٠٠

وهــكذا يمضى الحرس القــديم من غلاة الصــهاينة السياسيين فى تلفيق الحجج وفبركة المبررات ٠٠ ولا يهم بعدئذ ان جاءت كلها تنــاقض بعضها البعض ، فالهدف هو تجريح العســـكريين واعادتهم الى حجمهم الطبيعى ، بعد أن أحالهم نصر يونيو ١٩٦٧ الى مردة وشياطين ٠٠

***

ولكن ايسر هاريل رئيس مخــابرات اسرائيل الأســبق يرى عكس ما يزعمه هذا الحرس القديم ، ويوجه اليهم الاتهام الصريح فى صحيفة يدعوت احرونوت الصادرة فى ٣١ ديسـمبر ١٩٧٤ فيقول ... « لقــد

(١) حديث تليفزيونى فى ١٦ نوفمبر ١٩٧٣ ٠
(٢) و٠ ا٠ ف ـ ٩ أكتوبر ٠

شعرت بالكارثة التي حلت بنا في حرب عيد الغفران ان أى اضافة نقدمها مهما كانت دوافعها أو مبرراتها سوف تثقل على معنويات الجمهور الذى كان في مسيس الحاجة الى الخروج من حالة الاحباط العميقة التى أصابته نتيجة هذه الحرب وانى أقول بلا تردد ان التقصير الأساسى فى حرب عيد الغفران نتج عن خطأ استراتيجى تسبب في مفاجآتنا . لقد كانت لدينا المعلومات الكافية ولكن القيادة السياسية فشلت فى تقييم الموقف تقييما سليما » .

وعلى الجانب الآخر وقف العسكريون الاسرائيليون فى مجموعات وان بدت متنافرة فانها يجمعها رأى واحد وهدف مشترك .. هو تبرئة أنفسهم وتجريح السياسيين .

وفى سبيل الحفاظ على النفس ليس هناك ما يمنع من كيل الاتهام الى الرئيس والزميل .. وليس هناك جناح من الالتجاء الى الشللية لتقوية الجبهات وتعرية الخصوم .. « وليس ثمة شخص يعترف بالخطأ أو يفكر فى الذهاب ، فالمتحدثون يتكلمون عن ضرورة ذهاب الآخرين وليس ذهابهم هم ، واحدى النتائج الناجمة عن هذا الوضع هى الانقسامات الجديدة التى نشأت فى القمة ، فالأشخاص ينظمون أنفسهم للحماية المتبادلة ، وكل شخص يخشى زميله . ولهذا نشأت ظاهرة غريبة هى أن الأشخاص المتورطين فى التقصير أخذوا يجمعون مادة للدفاع عن أنفسهم وتجريح الآخرين ، وراحوا يجمعون الوثائق وأشرطة التسجيل ويشحذون ذاكرة الشهود (١) .. » .

ويعترف الجنرال موشى ديان .. « انه توجد مفاجآت فى هذه الحرب أيضا ، الا أنه لم يحدث أى خطأ فى بناء قوة جيش الدفاع أو فى تشكيله وتكوينه (٢) .. » .

ويؤكد الجنرال دافيد اليعازر .. « أن هذه أصعب حرب واجهت اسرائيل .. لقد زحفت علينا بدون انذار سابق (٣) » .

ويناقض الجنرال هيرتسوج نفسه اذ يقول .. « ان الهجوم الذى شنه العرب أخذ اسرائيل على غرة ، وان تحريك العرب لقواتهم على طوال خطوط المواجهة لم يفاجىء اسرائيل ، ولكنه من الواضح أن الهجوم جاء مفاجأة (٤) .. » .

ويقرر الجنرال حاييم بارليف بأن اسرائيل .. « قد فشلت وفوجئت مرة واحدة ، وان ذلك لن يتكرر (٥) .. » .

---

(١) زيف شيف ــ هاآرتس ــ ٢٠ نوفمبر .
(٢) اسرائيل عبرى ــ ١٥ أكتوبر .
(٣) . أ. ف ــ ١٢ نوفمبر .
(٤) اسرائيل عبرى ــ ١٠ أكتوبر .
(٥) اسرائيل عبرى ــ ١ نوفمبر .

ويأمر الجنرال شموئيل جونين قائد جبهة سيناء جنوده فى أمر يومى بمناسبة عيد المظال قائلا ·· « انتم مكلفون بمهام فرضت عليكم بصورة مفاجئة (١) ·· » ·

وسواء كان غرض ساسة وجنرالات اسرائيل هو حجب الحقائق او هو التهوين من قيمة احراز العرب للمفاجأة الاستراتيجية والتعبوية والتكتيكية فى حرب رمضان ، أو انكار ذلك كلية ، فانهم أنفقوا على التقليل من شأن المعجزة التى حققها المقاتل العربى ضد حصون آلون المنيعة فى الجبهة الشمالية ، وحصون بارليف الاسطورية فى الجبهة الجنوبية··ويصل التناقض فى هذا المجال الى منتهاه ·· حيث نجد الشخص الواحد يتشدق بشىء قبل السادس من أكتوبر ، ثم يتحدث بنقيضه بعد السادس منه ·

وبين انكار السياسيين لوقوع المفاجأة واعتراف العسكريين بها فى مبدأ الأمر ، ثم تنصلهم من تبعاتها بعد ذلك ، دعنا نبحث تحت ضوء العلم ، وبمقاييس المنطق السليم عن الحقيقة ، لا سيما وهى ترتبط ارتباطا عضويا بنفس نظرية الأمن القومى الاسرائيلى ، التى تنادى بها المؤسسة العسكرية من قديم ، وتبنى عليها دعائم الدولة ، وتنظم بها حياة الأفراد ··

فنظرية الأمن الاسرائيلى ــ ووجود اسرائيل بالتبعية ــ تعتمد على أربع ركائز أساسية ، يتلاشى دونها الأمن المنشود :

١ ــ فقوة الردع المتفوقة هى ركيزة الأمن الأولى التى تضمن لاسرائيل اليد العليا فى المسرح ·

٢ ــ والحدود الآمنة التى يستحيل اختراقها أو تهديدها هى ركيزة الأمن الثانية ، التى تضمن لاسرائيل فسحة الزمن لاتمام التعبئة القومية لسحق الخصوم ·

٣ ــ وامتلاك المبادأة والحفاظ عليها فى كل الظروف هى ركيزة الأمن الثالثة ، التى تجبر الخصم على طلب السلامة بالسلبية والقعود عن ركوب الأخطار ·

٤ ــ وفوق كل هذا ضرورة توفير الحليف القوى المتأهب للمعاونة فى كل وقت ، سياسيا واقتصاديا وعسكريا ومعنويا ·

أفلا يثير العجب اذن أن نخرج حجج اسرائيل لتبرر الفشل الذى منيت به فى حرب رمضان ، فتدعى أنها قبلت التخلى عن بعض ركائز أمنها القومى استدرارا لعطف العالم ، وتخفيفا للأعباء الاقتصادية الثقيلة ؟ ··

---

(١) اسرائيل عبرى ــ ١٠ اكتوبر ·

ألا يدعو الى الدهشـــة أن يدعي ساسة اسرائيل انهم سلموا المبادأة للعرب طواعيه واختيارا حتى لايوصفون بالعدوان، فيالوقت الذى كرسوا فيه للعدوان باستمرار احتلال أرض العرب ، وانكار حقهم المشروع ، ضاربين عرض الحائط برغبات الأسرة الدولية المتمثلة فى قرارات وتوصيات منظماتها الدولية وهيئاتها العالمية ؟ .

ومنذ متى كانت اسرائيل تحرص على سمعتها بين الأمم ؟ أو تهتم برأى الآخرين فى تصرفاتها المعيبة .. وهى التى سفكت دماء وســيط الأمم المتحدة .. وقوضت كل المساعى الحميدة للسلام ، واعتمدت أولا واخيرا فى تنفيذ برامجها الجائرة على ماتملكه من وسائل دعاية واعلام قادرة على تضليل العالم أجمع كيفما تشاء الصهيونية ووقتما تريد .. ألم يقف مندوب اسرائيل الدائم أمام أعلى سلطة دولية ليقول لها دون حياء أو خجل « ان مجلس الأمن لا يخرج فى نظر اسرائيل عن كونه مجموعة من حيوانات القنغر (١) » .

أما الزعم بالتخفيف عن كاهل الاقتصاد المثقل الى درجـــة تهديد أمن الدولة بالاحجام عن اعلان التعبئـــة بعد أن كشف الخطر الداهم عن أنيابه ، فأمر مغرق فى الغرابة ، وبخاصة كل ما يتكلفه هذا الاقتصـــاد بالتبعية الشاملة لن يتجاوز ٥ر٤ ملايين جنيـــه ، كما أظهرت حسابات التعبئة التى تمت فى مايو ١٩٧٣ ، على حين يكلفها أحد الاضرابات العارضة ـ وهى كثيرة ـ عشرات الملايين .

ثم ان هناك العديد من مصادر الدخل والدعم المنظورة وغير المنظورة التى تكفل لاسرائيل سيلا لا ينقطع من الأموال والهبات ، ينشط بخاصة وقت الأزمات والمحن . ألم تتصـــدق عليهـــا مجمـــوعة من مليونيرات الصهاينة بالأمس فقط بخمسمائة مليون دولار فى جلسة واحـدة ، لم تستغرق الساعة فى أحد فنادق القدس !

وهذا نفس تركيب جيش الدفاع الاسرائيلى يعارض بشدة ما يزعمه قادتها وساستها من احجامهم عن اعلان التعبئة فى الوقت المناسب تخفيفا للأعباء الاقتصادية .. ان جبل الجليد العائم الذى يتحدث عنه بن جوريون، ويعنى به القوات المسلحة الاسرائيلية ، تتوقف شدة بأسه بالدرجة الأولى على ما يقبع منه تحت الماء ـ وهو قوات الاحتياطى (٢) ـ فكيف يقبل عقل أن تتنازل اسرائيل طواعية عن أربعة أخماس هذا الجبل ـ وهو الأشـد بأسا والأعظم تأثيرا على أمنها القومى ـ لتوفير ملايين قليلة من الجنيهات ، ويمكن أن تحصل على أضعاف أضعافها بمجرد ابداء الرغبة ..

وأغرب من كل ما ذكرناه آنفا تلك السرعة التى تهاوت بهـا نظرية

---

(١) جدعون رافائيل ـ مجلس الأمن ١٩٦٧/٦ .

(٢) بن جوريون ـ يستعيد الماضى ـ أحاديث مع موشى بيرلمان .

الحدود الآمنة تحت أقدام العرب فى بضع ساعات ٠٠ ولعلنا مازلنا نذكر كيف استرخى ديان فوق كرسى مريح فى حديقة منزله عصر يوم ١٢ يونية ١٩٦٧ وخاطب جمعا من الصحفيين قائلا ٠٠ « منذ أسبوع مضى من كان يحلم بأمن كهذا أو بحدود كهذه ؟ » ٠ ثم تمر ست سنوات حافلة بالجهد والانفاق على تقوية هذه الحدود ، وتدعيم هذا الأمن الى الدرجة التى وصفها ديان٠٠ « بأنها أصبحت الصخرة التى سوف تتحطم عليها عظام المصريين » ٠

وتقع حرب رمضـــان ٠٠ فيخرج ديان على العالم بتصريح يثير السخرية التى لا تهدأ مع توالى الأيام ـ فيقول ٠٠ « ان خط بارليف كان مثل قطعة الجبن السويسرى بهـــا من الثقوب أكثر مما بها من الجبن » فلا يحقق من هذا العبث بالألفاظ والضحك بالعقول الا سخط المعجبين به قبل سخرية العالم ، واجماع كلمته على أن سمعة ديان هى التى أصبح بها من الثقوب أكثر مما بها من ثقة ٠٠

وينحدر بارليف الى القاع فيتنكر للخط الذى يحمل اسمه ، ويتساءل بسذاجة أو خبث « من قال انه كان هناك خط يحمل اسمى على قنـــاة السويس ؟ » ٠٠

ولكن ما لنا ولأكاذيب ساسة اسرائيل وقادتها ، وأمامنا الحقيقـة شديدة الضـياء تدمغ اسرائيل ، وتكشف قدر صقورها وحمائمها سواء بســواء ٠٠

فهـذه الدولة التى لا تكف عن التباهى بأنهـــا تملك أعظم جهـاز للمخابرات وجمع المعـلومات بين دول العـــالم قاطبة ينطلى عليها تدابير العرب للخداع والاخفاء والتمويه بدرجة قل أن يوجد لها مثيل ٠٠

فحتى ظهر الجمعـة ٥ أكتوبر نجد القيادتين السياسية والعسكرية الاسرائيلية تجزمان بعدم وجود أى خطر لاشتعال الحرب فى المسرح ، على حين كانت القوات العربية على الجبهتين الشمالية والجنوبية تجرى آخر لمسات الفتح التعبوى للهجوم ، وهى من الضخامة والتدفق بما يصعب معه اخفاء أمرها عن الأعين مهما ضعف بصرها ، أو كتم ضوضاؤها عن الآذان مهما اشتد صممها ٠٠

ويظل الحال على هذا الوضع حتى فجر السادس من أكتوبر عنـدما ترجح الأركان العامة احتمال وقوع الحرب ، وتجمع السيدة مائير وزراءها وقادتها للتشاور ، ويطول الجدل حتى الظهر عندما يتفق المجتمعون على التحرك سياسيا بالاتصال بالولايات المتحدة ، والتحرك سياسيا بالاتصال بالولايات المتحدة ، والتحرك عسكريا باعلان التعبئة الجزئية ، ورفع درجة الاستعداد والتأهب ٠٠

وتكون الساعة قد جاوزت الواحدة بعد ظهر السادس من أكتوبر عندما تسرع مائير الى الاتصال بوزير خارجيتها الموجود فى واشنطن ليدق ناقوس الخطر ٠٠

ويبدأ الهجوم العربى قبل أن يصــل الى جنود اسرائيل على خطوط الجبهة أى انذار بالخطر الداهم ..

فاذا لم تكن هذه هى المفاجأة الكاملة الشاملة على كل مستوياتها ، والمباغتة التامة بأجلى صورها .. فأى شىء تكون اذا ؟ غفلة أم تفريط أم خيانة ؟ .. ويحضرنا قول الشاعر القديم ..

ان كنت لا تدرى فتلك مصيبة وان كنت تدرى فالمصيبة أعظم

عـــن العبـــرة ..

● « لقد حققت القوات المسلحة العربية في حرب رمضان معجزة على أى مقياس عسكرى ، ويستطيع هذا الوطن أن يطمئن الى أنه أصبح له درع وسيف (١) .. » .

... « لقـــد كان عبور القناة واجتياح حصون خط بارليف يعتبر ضربا من المستحيل ، وقد زارنا العديد من القادة وقال لنا بعضهم ان هذا المانع وتلك الحصون تحتاج الى قنبلة ذرية للتغلب عليها .

وكان العدو يركز جهوده على تفادى الحرب على جبهتين ، ولكننا تمكنا بالتنسيق مع سوريا من العمل فى وقت واحد ، فبدأت أول قصفة للطيران، وأطلقت أول طلقة على الجبهتين فى اللحظة نفسها . مما أربك العدو وكبده خسائر لم يتحمل مثلها فيما مضى ، وحتى اليوم لم يستطيع حصرها بدقة..

وكانت أهم نتائج حرب رمضـــان اننا قضينا على أسطورة جيش اسرائيل الذى لا يقهر ، وقد أصبحت طريقة اقتحامنا لحصـــون بارليف موضع الدراســـة والتحليل فى مدارس العـــالم العســـكرية جميعها ، كما أدت الى تغيير النظريات العالمية عن الاستراتيجية والتكتيك ..

وأكدت المعارك أيضا أننا قادرون على كتمان سر خططنا ونوايانا . وأثبتت للعدو بطلان حجته فى مفهوم الحـــدود الآمنة ، فقد ضربنا العـــدو فى شرم الشيخ ، وأمسكناه فى باب المنـــدب ، وقد تحركت معنا الدول العربية ، وقاتل جنود العرب فى كل الجبهات ..

وكان القائد الأعلى الرئيس السادات معنا أثنـــاء التخطيط وخلال المعارك ، ونحن نفخر به قائدا لنا ، واليه يرجع الفضل بعد الله فيما تحقق

(١) الرئيس محمد أنور السادات ـ مجلس الشعب ـ ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

من نصر ·· اذ كانت المهمة التى أوكلها الينا غاية فى الوضوح ، كما أحاطنا بالرعاية والمساعدة المادية والمعنوية التى وفرت لنا كل أسباب النجاح (١) ·· » ·

··· « لقد حققت حرب رمضان نتائج كثيرة يأتى على رأسها :

١ ـ انها كانت سببا فى وحدة عربية شاملة ، وموقف عربى موحد لم يشهده العالم من قبل ··

٢ ـ انها عززت الوحدة الوطنية بصورة لم تشهدها مصر سابقا ··

٣ ـ انها أعادت الى قوات مصر المسلحة ثقتها بنفسها ، كما أعادت لشعب مصر ثقته بقواته المسلحة ··

٤ ـ انها قضت على أسطورة جيش اسرائيل الذى لا يقهر ··

٥ ـ انها غيرت الاستراتيجية العسكرية فى العالم كله ، حتى باتت القيادة العسكرية فى الدول الكبرى تعكف على دراسة وتحليل حرب رمضان ، كما أوقفت بعضها انتاج بعض الأسلحة التى ثبت عدم جدواها ··

٦ ـ انها قلبت الموازين العسكرية فى العالم ··

٧ ـ انها حركت أزمة الشرق الأوسط بدرجة لم تحدث فى أى وقت مضى ، وأصبح العالم كله شرقا وغربا يتساءل عن حقوق شعب فلسطين (٢) ·· » ·

··· « ولم يكن هذا النصر العظيم الذى حققه العرب فى حرب رمضان خاتمة المطاف للصراع ضد اسرائيل ، فهو لا يعدو مرحلة من مراحله الكثيرة ، وما زالت أمامنا مراحل تالية نستعد لها بنفس القوة والصلابة حتى نحقق هدفنا النهائى (٣) » ·

ما أبعد الليلة عن البارحة ·· عندما تخيل صقور المؤسسة العسكرية الاسرائيلية فى يونية ١٩٦٧ « انها الحرب التى أنهت كل الحروب ·· ولم يبق أمام العرب الا التماس المقابلة لتقديم فروض الطاعة ، لا سيما وهم يعرفون رقم الهاتف (٤) ·· » ·

---

(١) الفريق اول أحمد اسماعيل ـ مجلس الشعب ـ ٨ ديسمبر ١٩٧٣ ·

(٢) الفريق أول أحمد اسماعيل ـ قاعة اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى ـ ندوة المغتربين المصريين ـ ٢٦ ديسمبر ١٩٧٣ ·

(٣) اللواء محمد عبد الغنى الجمسى ـ رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية ـ ١٥ ديسمبر ١٩٧٣ ·

(٤) الجنرال موشى ديان ـ وزير الدفاع الاسرائيلى ـ هاآرتس ـ ١٢ يونية ١٩٦٧ ·

ان هذا الفـارق الكبير فى فهم حقيقـة الصراع العربى الاسرائيلى وأبعاده الزمنية والجغرافية والأخلاقية تفصح عنه بوضوح هاتان الفقرتان المعبرتان أبلغ تعبير ، وتكشف عن الأصالة العربية فى مواجهة الانتهازية الصهيونية ، هو بعينه نفس الفارق الذى تحدثت عنه جريدة الفيجارو الفرنسية يوم ٩ أكتوبر ١٩٧٣ فقالت ٠٠ « ان الرئيس السادات يدرك بحق أن مصر وخلفها سبعة آلاف عام من الحضارة ، تشتبك فى حرب طويلة الأمد مع اسرائيل التى تكافح اليوم كى تعيش غدا ، ثم لا تفكر أبدا فيما قد تصبح عليه حالتها بعد ٢٥ عاما مثلا » ٠٠

***

ذلك هو الدرس الأول الذى أخرجته حرب رمضـــان ، عن صراع الأصالة العربية ضد الانتهازية الصهيونية فى أول معركة متكافئة تنشب بينهما على مدى سجلهما الحربى الطويل ٠٠ « **فالعرب يحاربون من أجل السـلام القائم على العدل ، واسرائيل تتحدث أحيانا عن السـلام ، ولكن شتان بين سلام العدوان وسلام العدل (١)** ٠٠ » ٠

ان أبرز انجـاز حققه العرب فى كفاحهم المسلح ضـد الصهيونية الامبريالية على مدى ربع قرن هو ظهورهم على المسرح الدولى بعـد حرب رمضـان **بحجمهم الحقيقى كقوة قادرة على التأثير ـ بالمنح والمنع ـ على الواقع العالمى المعاصر** ٠٠ وجمعت حرب رمضان صفوف العرب ، وأطلقت الطاقات ، وألغت المسافات والخـلافات ، وأصبحت صـــورة العرب غير الصورة ٠٠ فهم مقاتلون باسلون ووحدتهم حقيقة واقعة ، وهم مصممون على التحرير والتقـدم ، وهم يملكون ناصيتهما ومقوماتهما بلا حـدود ، والعـــدل هو سبيلهم الوحيـد الى السـلام فى الشرق الأوسط ، بل فى العـــالم أجمع ٠٠

ولقد غيرت حرب رمضان خريطة الشرق الأوسط التى أراد البعض أن يفرضها بالقوة والبغى على هذه المنطقة العربية الخالصة ، كمـا أحالت أسطورة جيش اسرائيل الذى لا يقهر الى أقصـوصة تثير السـخرية حينا وتبعث على الرثاء أحيانا ، وذلك « بفضـل القوات المسلحة المصرية التى قامت بمعجزة على أى مقياس عسكرى ، **وبفضل القوات المسلحة السورية التى خاضت معركة من أمجد معارك الأمة العربية** تحت القيادة المخلصـة والحازمة للرئيس حافظ الأسـد ، ولم يكن هناك رفقة سلاح أكثر مدعاة للطمأنينة والفخر من رفقة الجيش السورى العظيم الذى تشرفنا بالقتال معه ضد أمتنا العربية كلها (٢) ٠٠ » ٠

لقد حطمت الجيوش العربية الظافرة نظريات ومفاهيم كان العـالم

---

(١) الرئيس محمد أنور السادات ٠

(٢) الرئيس محمد أنور السادات ٠

أجمع قد اقتنع بها لكثرة ما رددتها أبواق الدعاية الصهيونية ، فهـذا المقاتل العربى قد استرد مكانته الجدير بها فى ساحة الوغى ، وأثبت قدرته على استيعاب كل جديد ومعقد من منجزات العلم والتكنولوجيا ، ثم أثبت بأسه وعلو كعبه فى صيغة الحرب وخوض القتال واقتحام الأهوال ٠٠
« فكان الجندى المصرى يتقدم فى موجات تلو موجات ، وكنا نطلق عليه النار وهو يتقدم ٠٠ ونحيل ما حوله الى جحيم ويظل يتقدم ٠ كان لون القناة قانيا بلون الدم ٠٠ ورغم ذلك ظل يتقدم (١) ٠٠ » ٠

***

٠٠٠ « وظهر أمامنا جيش عربى يثق فى معداته ، ويتمتع بثقة كبيرة فى نفسه وقيادته (٢) ٠٠ » ٠

ومن قبل ذلك حطمت القيادة العامة لقواتنا المسلحة فرية أخـرى من أباطيل المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ، هى أكذوبة قصـور جهاز الأركان العربى فى مجالات التخطيط الاستراتيجى والتعبوى ، وضعف قدرته على تنسيق التعاون بين الجبهات العربية المتباعدة ، وأحكام العمل من خطوط خارجية ٠٠

وبانتهاء الحرب كان واحد من أبرز قادة اسرائيل يؤكد لأحد الملحقين العسكريين الغربيين فى تل أبيب « أنه لابد أن نشهد لجهاز التخطيط المصرى بالبراعة ٠٠ لقد كانت خططهم دقيقة ، وكان تنفيذها أكثر دقة ٠٠ لقد حاولنا بكل جهدنا عرقلة عملية العبور ، وصدها بالقوة وردها على أعقابها ولكننا ما كدنا نتمثل ما حدث الا وقد تحققت لهم نتائجه ٠٠ كأننا أغمضنا عيوننا وفتحناها فاذا هم قد انتقلوا تحت النار من غرب القناة الى شرقها ، وفاجأونا صباح يوم السابع من أكتوبر بخمس فرق كاملة أمامنا على الضفة الشرقية من القناة (٣) ٠٠ » ٠

وكما حطمت القيادة العامة فرية ضعف جهاز الأركان العربى على التخطيط وتنسيق التعاون واحكام العمل من خطوط خارجية ، حطمت قيادتنا الميدانية دفاعات العدو ، ودمر مقاتلونا البواسل قلاع خط بارليف الحصين فيما لا يتجاوز الست ساعات ٠٠ « وقد أمسكت هذه العمليـات بالقيادة الاسرائيلية وهى عارية ٠٠ وتلك حقيقة لا تقبل الجدل (٤) ٠٠ » ٠

ثم رضخت اسرائيل للواقع الأليم ، واضطرت الى الاعلان عن أنها طردت من خط بارليف على الضفة الشرقية للقناة ، وكانت هذه واحـدة

---

(١) الجنرال شموئيل جونين ـ قائد جبهة سيناء ٠
(٢) جريدة هاآرتس ـ ٢٣ أكتوبر ١٩٧٣ ٠
(٣) الجنرال عوزى ناركيسى ٠
(٤) توماس تشيتهام ـ تل أبيب ـ ١٢ أكتوبر ١٩٧٣ ٠

من أسوأ النكسات العسكرية في تاريخ اسرائيل ، خاصة بعد أن اطمأن الاسرائيليون الى ما أكده لهم صقرهم المختال موشى ديان فى ساعات الحرب الأولى من أن النصر رهن اشارته ، وأنه سوف يحرزه فى بضعة أيام ٠

ثم لا تمضي هذه الأيام حتى يخرج المختال بتصريح يذهل الجماهير ، فيظلون في ذهولهم لا يفيقون منه ، اذ يقول ٠٠ « ان خط بارليف كان مثل قطعة الجبن السويسرى ، به من الثقوب أكثر مما به من الجبن ٠٠ » وترتب على هذا العبث بالعقول أن انهارت سمعة ديان نفسه ٠٠ « التى أصبحت بها من الثقوب أكثر مما بها من الثقة (١) ٠٠ » ٠

***

وتتسع الثقوب في سمعة زعيم المؤسسة العسكرية وطاووسها المختال عندما تضطره الحقائق الى الاعتراف .. « بأن حرب أكتوبر كانت بمثابة زلزال تعرضت له اسرائيل ، ان ما حدث فى هذه الحرب قد أزال الغبار عن العيون ، وأظهر لنا ما لم نكن نراه قبلها ، وأدى كل ذلك الى تغيير عقلية القادة الاسرائيليين ، ان اشد أيام اسرائيل العصيبة لم تمر بنا بعد ، وعلينا ان نظل صامدين فى فترة المحنة التى ما زالت أمامنا (٢) ٠٠ » ٠

وكما تهاوت سمعة جنرالات اسرائيل وطاووسها المختال، حطمت حرب رمضان نظرية الأمن القومى الاسرائيلى ، وخدعة الحدود الآمنة ، وثبت للعالم أجمع أنها لا تعدو وسيلة شيطانية لمواصلة الغزو والتوسع، ورسم الخرائط الجائرة ، وفرض الأمر الواقع المجحف ، كأن صاحب الحق قد غفل عما يمتلك وتركه نهبا لكل نصاب أو افاق زنيم ، حتى اجبر واقع الأمر اسرائيل .. « أن تتخلص من الفكرة القائلة بأن أمنها يمكن حمايته بسياسة تقوم على مجرد الاحتفاظ بالأرض دون برنامج سياسى وراءها (٣) ٠٠ » ٠

.. « وتحتم على اسرائيل ان تتخلى عن خرافة الأمن العسكرى المطلق عن طريق احتلال الأرض، مع الاعتراف بأن الأمن العسكرى المطلق لدولة ما يعنى عدم الأمن المطلق للدول المجاورة لها (٤) ٠٠ » ٠

.. « وادراك الاسرائيليون أخيرا أن أمنهم لا يمكن أن يتحقق بمجرد الاحتفاظ بالسيطرة العسكرية ، بعد أن صبحت هالة دولتهم التى لا تقهر موضع تساؤل (٥) ٠٠ » ٠

---

(١) مراسل وكالة يونايتدبرس انترناشيونال ـ تل أبيب ـ ١٠ أكتوبر ١٩٧٣ ٠

(٢) الجنرال موشى ديان ـ وكالات الأنباء ـ تل أبيب ـ ٢٥ ديسمبر ١٩٧٣ ٠

(٣) الديلى تلجراف اللندنية ـ ١٨ أكتوبر ١٩٧٣ ٠

(٤) السناتور وليم فولبرايت رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكى ـ ١٨ ديسمبر ١٩٧٣ ٠

(٥) جيمس شليزنجر ـ وزير الدفاع الأمريكى ـ ٢٦ ديسمبر ١٩٧٣ ٠

لقد اتاحت حرب رمضان ثمارا كثيرة لأمة العرب ، وفى عدة ميادين :

● **ففى المجال الدولى** كان السادس من أكتوبر نقطة التحول فى علاقة العرب بالعالم أجمع ، اذ فرضوا على الكافة احترامهم وحساب بأسهم ، وأظهروا للجميع أنهم أمة عريقة ذات ماض تليد وحاضر مجيد ومستقبل مشرق بالأمل والرفعة ..

.. « وأصبح الاسرائيليون من الجندى الذى يقف على خط النار الى الوزير فى الحكومة ينظرون الى العرب نظرة مختلفة بعد حرب رمضان (١) .. » .

.. « ودخل العالم نتيجة لحرب أكتوبر ـ فى مرحلة اقتصادية جديدة ، ولن تعود أحوال العالم الى سابق عهدها قبل هذه الحرب (٢) .. » .

***

معركة البترول

فلم يحدث من قبل ان ارتبطت القضايا العربية بالقضايا الأوربية كما ارتبطت بفضل حرب رمضان ، التى زلزلت الاقتصاد الغربى ، وفجرت أزمة الطاقة العالمية وعقدت الأزمة النقدية ، وهددت الانتاج العالمى ، واثرت على الحياة اليومية لملايين البشر ، ونالت من تضامن حلف الأطلنطى ، وفجرت التناقضات بين أوروبا وأمريكا ..

وبفضل حرب البترول التى واكبت حرب رمضان ادركت أوروبا واليابان أن التسوية السلمية لأزمة الشرق الأوسط تشكل ركيزة الأساس لمصالحهم الحقيقية ، خاصة وقد استبان لهم أن العرب مثلما يملكون قدرة النصر يملكون أيضا البترول « والبترودولار » بما لهما من تأثير على الاستراتيجية العالمية ، واثبت العرب انهما يمكن أن يكونا أقوى تأثيرا من الطاقة الذرية ..

وحتى يتضح الفارق الغريب بين سلاح البترول قبل حرب رمضان وبعدها فلنلقى نظرة على كتاب ايجال آلون «ستار من الرمال» حيث يقول فى الصفحة ٥٩٥ :

« وبالنسبة للبترول العربى فقد اتضح للعالم بعد حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧ أن الدول العربية اشد حاجة الى تسويق بترولها فى السوق الأوربية عن حاجة أوربا الى هذا البترول العربى ، ولهذا باءت محاولة العرب وقف ضخ بترولهم فى أعقاب الجولة الثالثة بالفشل اذ

(١) تيرنس سميث ـ مراسل وكالة ن.ى. ت ـ تل أبيب ـ ٢ ديسمبر ١٩٧٣ .
(٢) بيير ميسمير ـ رئيس وزراء فرنسا ـ ى.ب. أ ـ باريس ـ ٧ يناير ١٩٧٤

حطمت الدول العربية هذه المقاطعة بنفسها ، ثم اضطرت أن تعترف تدريجيا « أن البترول سلعة للمتاجرة وليس سلاحا للحرب » ..

ثم وقعت حرب رمضان، وادارالعرب معركة بترولهم باستراتيجية واعية ففتح سلاح البترول عيون العالم على كثير من حقائق الصراع العربى الاسرائيلى ، وفى مقدمتها أن العرب قادرون على نفع الصديق وضر العدو ..

وأثبت العرب أن قوتهم الذاتية هى الضمان الأكيد لتحقيق السلام العادل فى الشرق الأوسط ، وانها قوة عسكرية واقتصادية جبارة وان سلاح البترول من أمضى أسلحتها ..

ان المعركة الرائعة التى خاضها العرب بحكمة واتزان ، اعترف العالم أجمع انها حولتهم الى قوة دولية سادسة بعد أمريكا والاتحاد السوفيتى وأوروبا والصين واليابان .

وحرب البترول هى التى شاركت حرب رمضان فى صنع عالم جديد ، تختلف مقاييسه وموازينه اختلافا كاملا عن عالم ما قبل حرب رمضان ، بحسب وصف ايجال آلون سالف الذكر .

ولا يزال العالم مبهورا بالحكمة والدهاء والمرونة التى استخدم بها العرب سلاح البترول منذ أصدر مؤتمر الكويت يوم ١٧ أكتوبر ١٩٧٣ قراره بتخفيض الانتاج ٥٪ على أن يستمر التخفيض شهريا بعد ذلك حتى تنسحب اسرائيل من الأراضى المحتلة ..

وفى أوائل نوفمبر من العام نفسه اجتمع وزراء البترول العرب مرة ثانية فى الكويت وقرروا تصعيد استخدام البترول كسلاح سياسى لتدعيم قضيتهم بتخفيض الانتاج بنسبة ٢٥ ٪ وحظر تصديره الى أمريكا وهولندا مع استمرار تخفيضه بالنسبة لباقى الدول المستوردة بنسبة ٥٪ ..

وكان وراء هذا التدرج فى استخدام سلاح البترول بصورة عاملة وحكيمة ثلاثة اعتبارات أساسية هى :

١ ـ ان الحرب مع اسرائيل قد تطول ، ولهذا صار الأوفق توفير طلقات أخرى فى مخزون ترسانة البترول يمكن استخدامها تباعا حسب تطور القتال فى الميدان ..

٢ ـ ان الدول الصديقة والمتعاطفة معنا لن تضار ..

٣ ـ ان الدول العربية التى تحملت العبء المادى المباشر فى الحرب يجب أن تأخذ دعما من أرباح البترول العربى حتى تواصل الجهاد بكل القوة ..

ومن مجموعة البدائل المتاحة اختارت الدول العربية سياسة

خفض الضخ بنسبة مؤثرة وبحيث يصعب على الدول غير العربية تعويضها ، مع دراسة استهلاك أوروبا الحقيقى حتى لا يعاد تصدير أى فائض الى الولايات المتحدة أو هولندا ..

وتظهر أرقام الضخ أن التخفيض بلغ قدره ٦ ملايين و ٢٠٩ ألف برميل فى اليوم أسهمت فيه ثمان دول عربية كالآتى :

المملكة العربية السعودية	٣ مليون و ٧١٩ ألف برميل
الكويت	٧٨٥ ألف برميل
ليبيا	٦٠٠ ألف برميل
دولة الامارات العربية	٤٠٠ ألف برميل
الجزائر	٢٧٧ ألف برميل
قطـــر	١٥٠ ألف برميل
مصر	١٦٠ ألف برميل
سوريا	١٢٠ ألف برميل

أما العراق فكان له موقف خاص ..

وسرعان ما قطف العرب ثمار معركة البترول .. اذ تحركت دول أوربا الغربية وأصدرت قرارا جماعيا يطالب بانسحاب اسرائيل من جميع الأراضى التى احتلتها وفصلت نفسها انفصالا كاملا عن السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط ..

ثم أسرعت اليابان لتتخلى عن « حيادها » ، وتعلن انحيازها للعرب ولتشترك بصورة جدية فى عمليات تنمية الدول العربية .

ثم تحركت الولايات المتحدة نفسها ، وراحت تبحث عن حل لأزمة الشرق الأوسط بعد سبع سنوات من اقرار حالة اللاسلم واللاحرب، وبعد أن كانت تضع ازمة الشرق الأوسط فى قاع قائمة اهتماماتها ، قفزت بها الى القمة ، وراح وزير خارجيتها يمارس سياسة « المكوك » ليجد لها حلا عادلا ومقبولا ..

وكان لمعركة البترول وجه آخر لا يقل عن استخدامه كسلاح فى معركة التحرير .. اذ انتهزت الدول المنتجة له والمشتركة فى منظمة الدول المصدرة للبترول (أوبك) الفرصة ودخلت معركة ضارية مع الاحتكارات البترولية العالمية ، والدول الصناعية التى بنت حضارتها على الطاقة الرخيصة التى تحصل عليها من العرب لتعود وتبيعهم منتجاتها بأبهظ الأثمان ..

وحقق الوجه الثانى للمعركة نصرا حاسما أيضا .. اذ استطاعت دول البترول أن تفرض له سعرا عادلا ، فرفعت سعر البرميل منه من دولارين و ٩٠ سنتا وهو سعره فى أول يونية ١٩٧٣ ـ الى ٥ دولارات و ١٢ سنتا فى ١٦ أكتوبر ، الى ١١ دولار و ٦٥ سنتا فى أول يناير ١٩٧٤ .

وكان ذلك خيرا وبركة على العالم العربى بأسره ، وثمرة أخرى من ثمار حرب رمضان المجيدة ..

● **وفى المجال العربى** كان السادس من اكتوبر علامة فخار على طريق التجمع العربى الجاد ، اذ أظهر أصالة معدن العرب ، وكشف عن متانة العروة الوثقى التى لا انفصام لها ، التى تجمع شملهم . وتأكد اصرار العرب كافة على حمل المسئولية التاريخية ، والاستعداد للبذل والفداء ، حتى يتم تحرير الأرض ، كل الأرض ، واستعادة الحقوق ، كل الحقوق ، وتحقيق النصر المؤزر .

« لقد جاءت حرب رمضان بفجائية لا يدانيها غير الأداء العسكرى العربى الممتاز ، ووجد مائة مليون عربى أنفسهم أمام حقيقة عزيزة على انفسهم هى الوحدة . ومهما يكن ، فان السبب الرئيسي لهذه الوحدة العربية هو بوضوح وقبل كل شيء ذلك النجاح العربى الذى تحقق لهم فى ميدان القتال ، وفى فرض الحظر العربى على امدادات البترول(١)» .

.. « كما استعاد الجيشان المصرى والسورى شرفهما ، وهذا عامل جديد سوف يؤثر على المستقبل فى الشرق الأوسط كله (٢) .. » .

● **وفى معسكر العدو** حدث تفكك كبير فى سلسلة القيادة الاسرائيلية ، وتفسخ خطير فى روابط الثقة بين الحاكم والمحكوم والقائد والمرءوس ، ورغما عما يدعيه مقر القيادة العامة الاسرائيلية بعد المعركة من انه كان فى حالة تأهب تام قبل اندلاعها .. فالواضح أن القوات الاسرائيلية على الجبهتين الشمالية والجنوبية لم تبلغ بشيء اذا كان قائد جبهة سيناء يتمتع بأجازته حتي بدأت الحرب

وبالنسبة للكثير كان أول ما عرفوه من مظاهر الحرب هو نيران المدفعية الكثيفة التى انهالت عليهم ، وانطلاق طائرات الميج فوق رءوسهم فى هجوم مباغت .. ولم يكن الجنود وصغار الضباط هم وحدهم الذين فوجئوا وقد نشروا غسيلهم على خطوط الجولان وبارليف ، بل كان الأمر كذلك بالنسبة للجنرالات ، اذ انهم بعد نجاحهم فى حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧ تملك الاسرائيليون احساس بالغطرسة والزهو الكاذب، وقد لعب المصريون بمهارة على نقطة الضعف هذه ..

.. « لقد ثارت اتهامات مريرة ضد الجيش الاسرائيلى على أساس أن تقديرات المخابرات والسلطات العسكرية لم تكن خاطئة فحسب ، بل أن أجهزة الدفاع الاسرائيلى نفسها كانت منحلة ، لقد كان النظام يقتضي أن تتم التعبئة خلال ٢٤ ساعة ، وأن يرسل المقاتلون الى جبهات القتال خلال ٤٨ ساعة ولكن التعبئة جرى خفضها زمنيا الى

---

(١) مجلة نيوزويك ـ ١٧ ديسمبر ١٩٧٣ .

(٢) درو ميدلتون ـ الخبير الأمريكى فى شئون الشرق الأوسط ـ وكالة . ى. ت ـ ١٤ أكتوبر ١٩٧٣ .

٦ ساعات فحسب ، بسبب نجاح العرب فى تحقيق المفاجأة الكاملة ، وعلى ذلك لم يعد من المدهش ان تعم الفوضى قوات الدفاع الاسرائيلى (١) .. » .

.. « ان أول ما يجب علينا عمله هو أن نعيد بناء جهاز مخابرات اسرائيل حتى يستطيع الحصول على معلومات سليمة ودقيقة (٢) » .

.. « اذ فاجأتنا حرب أكتوبر على نحو لم نكن نتوقعه ، ولم تحذرنا أية حكومة أجنبية بوجود أى خطط محددة لأى هجوم عربى (٣) .. » .

.. « ولم يكن تقييمنا لمدى كفاءة العرب وقدرتهم القتالية سليما، رغم اننا كنا نعلم مقدما بطبيعة اسلحتهم وحجم قواتهم ، وبالجسور التى اعدوها لعبور السويس (٤) .. » .

.. « ومنذ أن سرى مفعول وقف اطلاق النار تبادلت الأحاديث مع عشرات من الجنود والشخصيات فى القيادة العسكرية والسياسية وقد توصلت من خلال هذه الأحاديث الى عدد من النتائج المحزنة :

- **فاولا :** نشأ انقسام واضح بين غالبية القيادة السياسية والعسكرية وبين جماهير الشعب والجنود ، فالذين فى القمة لا يحسون كما ينبغى بمشاعر الشعب ، ولا أقصد بقولى الجبهة الداخلية المتأرجحة من النقيض الى النقيض فقط ، بل أيضا جمهرة الجنود النظاميين والاحتياطيين ، الذين بقيت فى أذهانهم أسئلة لا حد لها ، لا يجدون أجوبة لها ..
- **وثانيا :** لم أجد شخصا فى القيادة مستعدا لأن يستخلص فورا النتائج الشخصية فيما يتعلق بالتقصير الذى حدث ويستقيل ، وليس ثمة شخص يفكر فى الذهاب ، والمتحدثون يتكلمون عن امكان ذهاب الآخرين لا ذهابهم هم .. واحدى النتائج الناجمة عن هذا الوضع هى الانقسامات الجديدة التى نشأت فى القمة .. فالأشخاص ينظمون انفسهم للحماية المتبادلة . والحقيقة هى أن المتورطين فى التقصير أخذوا يجمعون مادة للدفاع عن انفسهم كل شخص يخشى زميله . ونشأت ظاهرة هى أن ادانة الغير وتجريم الآخرين اذا تطلب الأمر ، انهم يجمعون وثائق وأشرطة تسجيل ويشحذون ذاكرة الشهود ..

---

(١) ونستون تشرشل الحفيد – مؤلف كتاب حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧ .

(٢) الحاخام ابراهام كاهان – جريدة هاموديع – ١٩ أكتوبر ١٩٧٣ .

(٣) هنرى كيسنجر – وزير خارجية الولايات المتحدة – ٢٨ ديسمبر ١٩٧٣ .

(٤) الجنرال موشى ديان – تل أبيب – ٢٩ ديسمبر ١٩٧٣ .

◆ **وثالثا :** ان الاستقصاءات والتحقيقات التى تمت حتى الآن يغلب عليها طابع استخلاص دروس تثقيفية ، كما لو ان مناورة كبرى قد انتهت توا وحدثت فيها أخطاء معينة ، وليس هذا تحقيقا هدفه تحديد التقصير واكتشاف المسئولين عنه ، ومن الصعب فهم لماذا لم يفصل رئيس الأركان هذا القائد أو ذاك ممن فشلوا فى تأدية واجباتهم ، وفضلا على ذلك فيبدو أن سير التحقيق بطىء ، وليس نشطا بالدرجة المطلوبة (١) .. » .

ثم صدر تقرير لجنة تقصى الحقائق فى أول ابريل ٧٤ فكان أشد دويا من القنبلة .

وهى اللجنة التى شكلت برياسة الدكتور شمعون اجرانات رئيس المحكمة العليا وعضوية موشيه لنداو قاضى المحكمة العليا والدكتور اسحاق نفتالى مراقب الدولة ، والجنرال ييجال ايادين ، والجنرال حاييم لاسكوف رئيسا الأركان العامة السابقين ، فكان مما وجهته من اتهامات خاصة بأوجه القصور التى تسببت فى هزيمة القوات المسلحة الاسرائيلية فى الجولة الرابعة الآتى :

١ ــ « **ان مصر وسوريا فاجأت اسرائيل يوم السادس من أكتوبر الساعة ١٤٠٠ بالحرب** ، وذلك لأن القيادة الاسرائيلية العليا السياسية والعسكرية لم تقدر حتى ساعات الصباح الباكر من ذلك اليوم ان حربا شاملة على وشك الاندلاع .. وفى الصباح عندما أصبح واضحا أن الحرب سوف تشتعل فورا افترضت هذه القيادة العليا خطأ انها لن تبدأ قبل الساعة ١٨٠٠ (السادسة مساء) . وتقع هذه الأخطاء الجسيمة فى التقديرات على عاتق شعبة المخابرات برياسة الأركان العامة وعلى قسم الأبحاث فى المخابرات الحربية اذ أخفقتا فى توفير الانذار الكافى للقوات المسلحة الاسرائيلية عن نوايا العدو (مصر ــ وسوريا) .

٢ ــ وعندما أعلن رئيس المخابرات الحربية الاسرائيلية ان مصر وسوريا تزمعان شن الحرب فى الساعة ١٨٠٠ مساء على الجبهتين الشمالية والجنوبية ، لم يمكن هذا الانذار القصير المدى أجهزة التعبئة الاسرائيلية من حشد الاحتياط بصورة منظمة ، واقتضى العمل بسرعة دون التقيد بالجداول الزمنية مسبقة التجهيز ، وادى هذا الخطأ الثانى الى مزيد من الارتباك فى استعداد القوات الاسرائيلية النظامية على مختلف الجبهات وكذا الارتجال والعفوية فى نشرها فى المسرح وخاصة على جبهة قناة السويس ..

٣ ــ لقد كانت هناك فى الواقع ثلاثة أسباب جوهرية لهذا الفشل

---

(١) زيف شيف ــ الناقد العسكرى لجريدة هاآرتس الاسرائيلية ــ ٢٠ نوفمبر ١٩٧٣ .

الجسيم انبعثت كلها من تمسكنا بتزمت بذلك التصور الخاطىء والذى لم يكن هناك فى الحقيقة ما يبرره ، والذى يقضى بأن :

(أ) **مصر لن تشن حربا على اسرائيل** الا بعد أن تضمن لنفسها العمق ، وخصوصا مطارات اسرائيل الرئيسية وقواعدها **الجوية** حتى تتمكن من شل سلاح اسرائيل الجوى .
بالدرجة الأولى القدرة الجوية على مهاجمة اسرائيل فى

(ب) **سوريا لن تشن هجوما شاملا على اسرائيل** الا فى وقت واحد مع مصر ، وطالما ان مصر لم تتوفر لها القدرة الجوية على مهاجمة مطارات وقواعد اسرائيل فى العمق فان سوريا بالتبعية لن تجرؤ على خوض القتال ..

وثانى هذه الأسباب الثقة المفرطة لدى جهاز المخابرات — والتى لم يكن لها أساس — فى قدرته على اعطاء الانذار المسبق للتعبئة . وثالثها أن المخابرات العسكرية الاسرائيلية فشلت فى تقدير المعلومات وتحليل حشود العدو على جبهتى القناة وسوريا بالحجم الذى لم يسبق له مثيل ، وراحت تؤكد ان كل هذه الاجراءات انما هى استعدادات دفاعية من جانب سوريا ، واجراءات مناورة الخريف المعتادة من جانب مصر .. وبهذا تمادى جهاز المخابرات الاسرائيلية فى الخطأ واستطاع العدو تضليل جيش اسرائيل ومفاجأته تحت قناع مناورة الخريف المزعومة .

٤ — ولم تكن أخطاء جهاز المخابرات العسكرية الاسرائيلية هى الأخطاء الوحيدة التى أربكت تحركات جيش الدفاع الاسرائيلى فى بداية الحرب ، بل أضيفت اليها **أخطاء فى استعداد الجيش خلال الأيام القليلة السابقة على السادس من أكتوبر** أدت الى :

(أ) تأخير الاحتياط بصورة لا مبرر لها .

(ب) اهمال اعداد خطة دفاعية مسبقة التحضير يصير اتباعها فى حالة الاضطرار الى الاعتماد على القوات النظامية فقط فى هجوم العدو — مصر وسوريا — اذا ما نجحتا فى مفاجأتنا قبل أن نستكمل تعبئة قواتنا الاحتياطية .

(جـ) قصور نشر القوات المدرعة على جبهة القناة وتقاعس قائد المنطقة العسكرية الجنوبية (سيناء) عن اصدار توجيهاته الى المرءوسين بالقدر الذى يرشدهم الى مهامهم القتالية وتأهبهم لمواجهة الهجوم الأمر الذى ترتب عليه أن ساد الغموض أرجاء الجبهة كلها .

وفى راى هذه اللجنة ان رئيس المخابرات العسكرية الاسرائيلية يتحمل كل المسئولية عن الخطأ الفادح جداً الذى ارتكبه جهاز المخابرات ولهذا السبب لا يصح أن يبقى فى منصبه بعد اليوم .

كما توصلت اللجنة الى اتفاق على أن رئيس الأركان العامة الجنرال دافيد اليعازر يتحمل بدوره مسئولية شخصية لما حدث عشية الحرب بالنسبة للخطأ فى تقدير الموقف والقصور فى تعبئة وحشد القوات المسلحة الاسرائيلية والاهمال فى وضع خطة منفصلة تكون معدة مسبقا لمقابلة أى هجوم تشنه مصر أو سوريا ضدنا على أساس تقدير واضح لقوات العدو وتأهبه ونواياه . لقد وثق رئيس الأركان العامة بصورة مبالغ فيها وبأنه سوف يحصل دائما على انذار كاف لتعبئة الاحتياط ، واذا ما أضفنا الى ذلك التصور الخاطىء الذى لم يكن هناك فى الواقع ما يبرره وتلك الثقة المفرطة والمبالغ فيها فى قدرة القوات المسلحة الاسرائيلية على صد وتدمير أى هجوم عربى شامل ضدها على الجبهتين بواسطة القوات النظامية .. **وازاء هذا الاهمال والتصور نرى من واجبنا التوجيه بانهاء تولى الجنرال دافيد اليعازر منصب رئيس الأركان العامة لاسرائيل ..**

وفى رأى اللجنة أيضا أن الجنرال شمويل جونين قائد المنطقة العسكرية الجنوبية (جبهة سيناء) لم يمارس سلطاته أو مسئولياته كما ينبغى فى اليوم الذى بدأت فيه الحرب ولا مما سبقه من أيام. وهو يتحمل جزءا كبيرا من المسئولية عن الوضع الخطير الذى دهم فيه العدو ــ مصر ــ قواتنا فى الجبهة الجنوبية يوم الغفران عندما بدأت مصر هجومها .. **وينطبق على الجنرال شمويل جونين نفس القرار الذى اتخذناه حيال رئيس الأركان العامة .. ان اهماله وتقصيره قبل الحرب ويوم اندلاعها تجبرنا على اتخاذ القرار الخطير باعفائه من منصبه .**

ان الحقيقة التى توصلت اليها اللجنة هى انه حتى بدء اطلاق النار من العدو على امتداد جبهة القناة لم تكن القوات الاسرائيلية قد انتشرت أو اتخذت أوضاع المعركة بعد .. وعندما اشتعلت الحرب كانت قواتنا على مسافة بعيدة من خط انتشارها النهائى فى الامام .. وعندما بدأت مدرعاتنا تتقدم نحو القناة اصطدمت بكمائن من مشاة العدو المسلح بالمدافع والصواريخ المضادة للدبابات كان أفرادها قد تمكنوا من اتخاذ مواقعهم بمهارة بين دباباتنا وخط المياه ، كما احتلوا الجانب الشرقى للقناة وصبوا نيرانهم المحكمة على دباباتنا فعطلوها وضربوها بشدة .. لقد برر الجنرال شمويل جونين ذلك الأمر البائس بعدم نشر مدرعاته كما ينبغى وفى الوقت الملائم بخوفه من استثارة العدو ودفعه الى بدء القتال دون تخطيط مسبق . وقال أيضا انه خشى ان يقصف العدو ــ مصر ــ دباباتنا قصفا مركزا بالمدفعية لو انه نشرها مبكرا فى مواقع المعركة .. وفى رأينا ان هذه المخاوف لا تبرر بأى حال من الأحوال تأجيل فتح قوات المنطقة الجنوبية وهو خطأ فاحش ارتكبه الجنرال جونين وأدى الى نتائج وخيمة جدا ..

كان يوم الغفران يوما حرجا على أى حال اذ واجه الجيش الاسرائيلى تحديا من أصعب التحديات التى يتعرض لها أى جيش

نتيجة الوضـــع الخطير الذى كان قائما عنـــدما بدأت الحرب وبسبب الأخطاء التى ارتكبت فى تلك الجولة والتى سبق تفصيلها » .

(مستخرج من التقرير الصـــادر عن لجنـــة اجرانات للتحقيق فى تقصـــير واخطاء القيـــادة الاسرائيليـــة . صدر فى القدس فى ١٩٧٤/٤/١)

الآثار الاجتماعية لحرب رمضان عـــلى المجتمـــع الاسرائيـــلى :

من الحقائق المعروفة ان التاريخ لا يعرف الوقوف عند زمن محدد يكون فاصلا حاسما بين حقبتين مختلفتين ، ذلك لأن مجراه الديناميكى المتتابع ، تتفاعل فى تياراته عنـــاصر شتى بصـــورة مستمرة ، حيث يتصارع القديم مع الجديد فى حركة جدلية لا تتوقف أبدا . وعلى ذلك، يمكن القول أن تيارات التغير المرتقبة فى المجتمعة الاسرائيلى لابد لها ان تحمل طابع التكامل والتناقض ، والاستمرار والانقطـــاع من خلال عملية مستمرة أبدا .

فى ضوء ذلك ، يمكن القول ان التغيرات المرتقبة لحرب رمضـــان على المجتمع الاسرائيلى ستأخذ صـــورة أو أكثر من صـــور العمليـــات الاجتماعية التالية :

١ ــ فهى أما أن تكون دعما لعمليات كانت تأخذ مجراها فعلا فى المجتمع الاسرائيلى قبل عـــام ١٩٧٣ .

٢ــ واما أن تكون انقطاعا فى عمليات اجتماعية كانت سارية .

٣ ــ واما أن تكون أخيرا ظهـــورا لعمليات اجتماعيـــة ولظواهر لم تكن موجودة من قبل فى المجتمع الاسرائيلى ، أو كانت ــ على الأرجح ــ كامنة ثم كشفت عنها بوضوح حرب رمضان .

التغيرات المرتقبة فى المجتمع

يمكن القـــول أن قيام حرب رمضـــان أدى الى اختـــلال الموازين الاسرائيلية والدولية اختلالا بالغ العنف ، اذ انتقل الصراع المتجمد الى الصدارة فى سلم الاهتمامات العالمية .

لقـــد كانت حرب رمضـــان ــ بتعبير عالم الاجتمـــاع الفـــرنسى الصـــهيونى المعروف ريمون آرون فى مقال نشره فى الفيجارو بتـــاريخ ١٩٧٣/١١/٦ ــ من أكبر مفاجآت العصر .

وهـذا الحكم فى الحقيقة يتضـمن معنى التسليم الأعمى بالادعاءات الاسرائيلية عن ضعف العرب وانهيارهم واستسـلامهم للامر الواقع ، الذى تهيمن عليه اسرائيل .

والحقيقة انه ترتب على تراجع الجيش الاسرائيلى أمام الجيـوش العربية ، وارتفاع عدد خسائره البشرية ، أصداء بالغة العنف فى المجتمع الاسرائيلى .

وفى تقديرنا ان هناك تغيرا جوهريا سيطرأ على المجتمع الاسرائيلى نتيجة لهذه الحرب ، يتمثل فيما يمكن ان نطلق عليه التغير الجوهرى فى الاطار الادراكى للاسرائيليين ، ومن ناحية أخرى لابد أن تترك الحرب بصماتها على عمليات التفكك والتكامل فى المجتمع الاسرائيلى التى كانت تأخذ مجراها قبل الحرب .

التغيير الجوهرى فى الاطار الادراكى للاسرائيليين :

لعل الاطار الادراكى للاسرائيليين ـ فيما يتعلق بالصراع العربى الاسرائيلى ـ يتمثل اكثر ما يتمثل فى النظرة للذات والنظرة للآخر ، والآخر هنا هم العرب بطبيعـة الأحوال . **والنظرة الاسرائيلية للذات تتضمن تصورا محددا لدولة اسرائيل : دورها ورسالتها ، ومن ناحية اخرى صورة ذاتية عن الاسرائيلية كأفراد وكشعب ، وأهل السـمة الأساسية لتصور اسرائيل لدورها ورسالتها كونه تصورا يسيطر عليه الوعى الزائف بكل ماتعنيه الكلمة من معان .**

فقد ألحت اسرائيـل على تقـديم صورة لنفسها أمام العالم الغربى باعتبارها مثلا للحضارة الغربية وللتقدم التكنولوجى فى العالم العربى الذى يسوده التخلف . ومن ناحية علاقات« القوة » ، فاسرائيل هى المخفر الأمامى للمصالح الغربية بوجه عام والامريكية بوجه خاص . ومن خلال قوتها العسكرية أعطت لنفسـها دور «رجل الشرطة» فى المنطقة الذى يستطيع حينما يشاء وحيثما يريد ردع العرب واخضاعهم .

اما رسالة اسرائيل فهى رسالة روحية منفردة فى العالم ، لايمكن لاى شعب تحقيقها سوى الشعب اليهودى فى اسرائيل . اما الصـورة الذاتية للاسرائيلية عن أنفسـهم كأفراد وكشـعب ، فسـيطر عليهـا الاحساس بالتميز ، حيث يشعرون فى قرارة أنفسهم بسموهم على غيرهم من الشعوب ، وعلى الشعب العربى ـ الطرف الآخر فى الصراع ـ بوجه خاص .

لقد وضع الاسرائيليون ثقتهم فى قادتهم السياسيين والعسكريين، وتضخمت ذواتهم بوجه خاص عقب الانتصار الاسرائيلى الكاسح فى يونيو ١٩٦٧ وأصبحوا يتصورون انهم اصبحوا سادة المنطقة الى الأبد .

لكل ذلك كانت حرب رمضان وما صحبها من تراجع للجيش الاسرائيلى ، وبروز للقوة الحقيقية للجيوش العربية ، بمثابة الصدمة الساحقة التى أصابت الاسرائيليين بالبلبلة ، والحيرة والاضطراب .

ولعل أبلغ وصف لهذه الحالة النفسية ما ذهبت اليه جريدة يديعوت أحرونوت من « **اننا نحس كما لو كنا نعيش بعد زلزال أصاب بلادنا** » .

ومما له دلالة كبرى بهذا الصدد ، تقطع وسائل الاتصال التقليدية فى المجتمع الاسرائيلى ، فقد أحس الاسرائيليون انهم لا يستطيعون التعبير عن انفسهم من خلال القنوات المعتادة : الأحزاب السياسية والمؤسسات الاجتماعية .

ومن هنا برزت ظاهرة ليس لها سابقة من قبل فى اسرائيل ، هى ظهور اعلانات مدفوعة فى الجرائد الاسرائيلية لجماعات مختلفة من الاسرائيليين ، يعبرون فيها كل بطريقته وبحسب ميوله وآرائه السياسية عن ردا فعلهم العنيف ازاء ما حدث لاسرائيل فى حرب رمضان . وتراوحت ما تنادى به هذه الاعلانات بين الدعوة الى مزيد من التشدد ، والمناداة بضرورة تحقيق السلام ولو على حساب الأراضى العربية المحتلة .

وظهرت فجوة واضحة بين الجماهير والحكومة ، حدثت فجوة تصديق ، كشفت عنها المظاهرات التى ثارت امام الكنيست أثناء القاء جولدا مائير لخطاب لها ، وكان من شعاراتها « ان شعب اسرائيل قوى، ولكن حكومته ضعيفة » .

وابتدأت بوادر تهاوى الوعى الزائف بدور اسرائيل ، فيما بدأ يظهر من مقالات لكتاب يهود واسرائيليين يتحدثون بصراحة عن « نهاية دولة اسرائيل الكبرى (١) .. » .

ويقرر سيجلمان ان « عقد الدولة الاسرائيلية الكبرى التى تقف فى مواجهة جيرانها العرب ، والتى كانت راسخة تماما ، ومستحكمة للغاية ، ومنذ مالا يزيد عن شهرين ، اختفت هذه الدولة تماما ، بدون أن تخلف أية آثار » .

وفى نفس هذا الاتجاه صرحت جولدا مائير فى مؤتمر الدولية الاشتراكية فى لندن «انه لأمر فظيع أن نكون دولة صغيرة تقف بمفردها» غير انه ينبغى الا يغيب عن بالنا أن اسرائيل دأبت على ممارسة اللعب على الفكرتين حسب الظروف والأحوال : اسرائيل الكبرى واسرائيل الصغرى .

---

(١) فيكتور سيجلمان ـ لونوفل أوبزرفاتور الفرنسية ـ ٢٥ نوفمبر ١٩٧٣ .

ولا تعنى الكتابات والتصريحات السابقة ان الاحلام الخاصة باسرائيل الكبرى قد تبددت ، ومع ذلك فمن المشروع أن نستنتج انه نتيجة لحرب رمضان لابد ان تثور تساؤلات جماهير الاسرائيليين حول امكانية السير فى طريق اسرائيل الكبرى ، بعد ما تبين ـ نتيجة لحرب رمضان ـ الحدود الدولية والاقليمية التى تقف حائلا دون تحقيق هذا الحلم ، ليس على مستوى المناقشة النظرية ، ولكن على أساس التطبيق ، وفى ضوء ما حدث فى الحرب الأخيرة .

واهم ما نريد أن نركز عليه انه قد حدث خلل جسيم فى مكونات الاطار الادراكى للاسرائيليين نتيجة لحرب رمضان . غير ان الاسرائيليين لا يمكن لهم ـ من وجهة النظر النفسية ـ تغيير اتجاهاتهم ازاء أنفسهم وازاء العرب فى فترة قصيرة .

ولذلك نتوقع أن الوعى الاسرائيلى سيمر فى المرحلة القادمة فى مرحلة انتقالية غير محددة الملامح ، سيحاول فيها اعادة صياغة مكوناته الأساسية . فى هذه المرحلة سيقاوم الاسرائيليون قبول الحقائق الجديدة التى أسفرت عنها الحرب ، وسيتذبذبون بين أقصى التمسك بالمفاهيم القديمة ، الى اقصى القبول اللفظى للواقع الجديد .

ولعل ما يكشف عن ذلك كله ما يقرره فيكتور سيجلمان فى المقال السابق الاشارة اليه ، من انه « اذا كان القادة الاسرائيليون يدعون أن اسرائيل قد انتصرت فى الحرب ، فان الاسرائيليين أنفسهم لا يشعرون بأنهم انتصروا على الاطلاق » .

ويتساءل عن اتجاه الاسرائيليين نحو السلام فيقول « انهم يريدونه ، بل يتمنونه ، ولا يكفون عن الحديث عنه ، **ولكنهم لا يؤمنون به »** واذا أردنا تحديد اتجاهات التغيير فى الوعى الاسرائيلى ، نتيجة للصدمة السيكلوجية التى نشأت عن حرب رمضان والتى استمرت طوال الحرب ، فيمكن القول ان الحرب أدت الى تكثيف اتجاهين فوريين فى الفكر الاسرائيلى .

١ ـ فمن ناحية تزايد الشعور بالحاجة الى تسوية سلام حقيقية ودائمة ، بعد فترة كان الراى العام فى اسرائيل ، قد ركن الى حد كبير الى اعتقاد مريح بأن اسرائيل يمكنها أن تقف صامدة على حدود الأمر الواقع التى تم تأسيسها فى عام ١٩٦٧ .

٢ ـ ومن ناحية أخرى ، فان الجرح الذى أصاب اسرائيل ، قد دعم مطالب أولئك الذين يتحدثون عن الحدود الآمنة التى يمكن الدفاع عنها .

ويقرر ريتشارد جونز فى مقاله « ثمن السلام قد يكون سقوط مائير فى الانتخابات (١) .. » ، ان هذان التياران الفكريان غالبا ما يتعايشان ، ويمكن تجمعهما فى فكر شخص واحد بدرجة أو بأخرى .

---

(١) الفاينانشال تايمز البريطانية ـ ٩ نوفمبر ١٩٧٣ .

ولكن عندما أصبح الأمر يتعلق ـ فى الوقت الراهن ـ بمفاوضات سلام كبيرة ينبغى النظر اليهما على انهما تياران متعارضان .

ويصل جونز الى نتيجة مفادها انه سيكون لكيفية حل هذا التناقض وحقيقة التعبير عنه ، مدلول حيوى بالنسبة لفرص السلام فى الشرق الأوسط .

ونستطيع جريا ـ مع بعض المعلقين السياسيين ـ التفرقة بين المدى القصير والمدى الطويل فى تغير اتجاهات الوعى الاسرائيلى ازاء الصراع ، ذلك على أساس أن عامل الزمن حاسم فى هذا المجال (١) .

فعلى المدى القصير ، قد يجد دعاة التوسع مساندة واسعة فى الرأى العام الاسرائيلى .

أما على المدى الطويل ، فقد تسود مع ذلك وجهة النظر المعارضة ، التى يمكن أن تستند الى أن حرب رمضان قد اثبتت ان خطوط ١٩٦٧ ليست آمنة كلية ، وانه لا يمكن تحقيق أمن اسرائيل الا بعد التوصل الى سلام حقيقى ، وان الحفاظ على الوضع الراهن يعمل ضد السلام .

هذه التفرقة بين المدى القصير والطويل اساسية ، ذلك انها يمكن أن تتيح لنا أن نفهم بعض الظواهر النفسية الاجتماعية السائدة الآن فى المجتمع الاسرائيلى .

فبناء على قياسات الرأى العام التى أجريت فى اسرائيل عقب الحرب ، استخلص بعض المعلقين السياسيين (الصنداى تايمز البريطانية ـ ١٩٧٣/١١/٤) أن الرأى العام الاسرائيلى ـ فى الأمد الطويل ـ سيحبذ « الحمائم » الذين يدعون الاعتدال .

غير أن أثر الحرب كان عاملا قصير الأمد فى تشدد الرأى العام . فان كثيرين من الاسرائيليين فوجئوا فى نهاية حرب بالغة القسوة على اسرائيل ، بانصراف العطف الدولى عنهم ، فشعروا بأنهم معزولون محاصرون .

ومن الطبيعى فى هذه الأحوال ـ بدون أدنى شك ـ أن يسعى الشعب المحاصر الى البحث عن بطل يتوحد معه ، وفى هذا المجال لعب الجنرال اريل شارون ، دور فارس الحرب الأصيل ، الذى قلب ميزان المعركة لصالح اسرائيل .

غير أنه فى يقيننا ، انه لا يمكن رصد اتجاهات التغير فى الوعى الاسرائيلى ، الا بعد مرور هذه المرحلة الانتقالية التى أشرنا الى سماتها الأساسية .

---

(١) يورام كيسيل ـ اسرائيل والسلام ـ جويش كرو نيكل البريطانية ـ ٢ نوفمبر ١٦٧٣ .

ولـكن محصلة التغير الكيفى ، لن يعتمد فقط على عامل الزمن ، والشفاء من الصدمة السيكلوجية العنيفة التى نجمت عن الحـرب ، ولكن أيضـا على تفاوت مستويات الوعى الاسرائيلى . هنا لابد أن نفرق تفرقة واضحة بين مستويات ثلاثة : مسـتوى الصفوة السياسـية ؛ ومسـتوى العلماء والمفـكرين الاجتماعيين ، ومسـتوى الرأى العـام الاسرائيلى .

ان التغيرات فى الوعى الاسرائيلى على **مستوى الصفوة السياسية** عملية بالغة التعقيد . لأنها من ناحية تعتمد على الخلافات التكتيكية أو الاستراتيجية بين أعضاء هذه الصفوة فيما يتعلق بمواقفهم من الصراع العربى الاسرائيلى من ناحية ، وعلى قدرتهم على التكيف مع الحقـائق الجديدة التى ترتبت على حرب رمضان من ناحية اخرى .

وفى تقـديرنا أن مقاومة أعضـاء الصفوة الاسرائيلية المتشددين ستزداد عنفا وضراوة فى المرحلة القـادمة . فليس ميسـورا على من صاغوا الاستراتيجية الأساسية للتعامل مع العرب بكل ما تتضمنه من أوهام اسرائيل الكبرى ، وسياسة التوسع ، وضم الأراضى ، وعبـادة القوة والاعتماد عليها ، والتضخيم فى الذات الاسرائيلية ، والتهوين من شأن العرب .. ليس ميسـورا عليهم أن يتراجعوا تراجعـا جوهريا فى موقفهم .

وقد يلعب المعتـدلون هنا دورا هاما فى اعـادة الوعى الاسرائيلى على مستوى الجماهير ، حتى يكون أكثر تطابقا مع الواقع الجديد .

ويأتى بعـد ذلك المسـتوى الثانى ، وهم العلمـاء والمفـكرون الاجتماعيون ، الذين أسهموا بدورهم فى صياغة صورة الذات الاسرائيلية وصورة الشخصية العربية . ان هـذه الفئة ــ نزولا على الاعتبـارات الأكاديمية التى وان كان من الممـكن ، كمـا فعلوا ، الانحراف عنهـا ، وخصوصا فى سـنوات العجز العربى عقب حـرب يونيو ١٩٦٧ ــ لن يستطيعوا طويلا الاستمرار فى خديعة الرأى العام الاسرائيلى ، ولابد لهم أن يعيدوا صياغة نظرياتهم التى جهدوا فى صياغتها والترويج لها ،

ولعل بدايات الحديث فى اسرائيـل عن القـدرة المنسية للمقاتل العربى ، التى ردمت تحت رمال الصلف والغرور الاسرائيلى ، الذى كان رد فعل للنصر الاسرائيلى فى ١٩٦٧ ، تشير الى هذا التحول الذى لابد له أن يتم .

ولا يبقى امامنا سـوى المسـتوى الثالث الخاص بالرأى العـام الاسرائيلى . وفى تقديرنا أن تغير الوعى لدى الرأى العـام الاسرائيلى نتيجة لحرب رمضان سيتم بمعـدل أسرع من معـدل تغير الصـفوة السياسية والعلماء والمفكرون . ذلك أن الحقائق السياسية والعسكرية الصلبة تكون أقوى نفاذا الى هذا الوعى ، خصـوصا بالنسبة لحـرب تساقط فيها ــ لأول مرة فى تاريخ اسرائيل ــ آلاف القتلى والجرحى ، ووقع مئات الأسرى فى أيدى القوات العربية .

ولعل مما سيساعد على هذا التغير نتائج الاتصال الواسع المدى مع العرب ، الذى تم تحت مظلة سياسة الجسور المفتوحة ، التى سبق أن أشرنا اليها ، غير أن هذا الاتصال السلمى ، أضيف اليه فى حرب رمضان اتصال عدائى بين القوات المسلحة الاسرائيلية والقوات المسلحة العربية .

وقد تكون هذه هى المرة الأولى التى يكتشف فيها المقاتل الاسرائيلى — على نطاق واسع وبصورة حادة وقاسية — المقاتل العربى وقدراته . ولابد للافكار القومية النمطية الثابتة التى كان يعتنقها الاسرائيليون عن العرب ، أن تتهاوى تحت وطأة هذا الاكتشاف . لن يحدث ذلك فورا بطبيعة الأحوال ، ولكن لا شك أن حرب رمضان من شأنها اطلاق بدايات هذا التغير .

عمليات التفكك والتكامل فى المجتمع الاسرائيلى :

● ما هو أثر حرب رمضان على عمليات التفكك والتكامل فى المجتمع الاسرائيلى ؟

ان ذلك يرتبط بالمشكلات النوعية التى كانت تجابه المجتمع الاسرائيلى قبل الحرب والتى يمكن حصرها فى أربع مشكلات : الصراع الطبقى والسلالى ، والصراع بين الأجيال ، والاغتراب والتفكك الاجتماعى ، واستراتيجية التعامل مع العرب .

١ — وفى تقديرنا ان تأثير حرب رمضان على الصراع الطبقى والسلالى سيكون حاسما . بعبارة أخرى نتوقع — نتيجة للاعباء المالية الباهظة التى وقعت على اسرائيل نتيجة للحرب — بالاضافة الى الخسارة الاقتصادية الضخمة نتيجة لنقص الانتاج وتوقفه فى بعض القطاعات — أن تزداد أعباء الضرائب على الاسرائيلى العادى.

هؤلاء الاسرائيليون سبق لهم أن خاضوا معارك شتى من خلال الاضرابات ووسائل الصراع الاجتماعى الأخرى ، لتحسين أحوالهم المعيشية . ولذلك يتوقع زيادة تبلور الوعى الطبقى بين الفئات الاجتماعية الاسرائيلية ، مما من شأنه أن يلعب البعد الطبقى — على المدى البعيد — ومواكبا لاكتمال صياغة المجتمع الاسرائيلى على نسق المجتمعات الرأسمالية الاستهلاكية — دورا أكثر بروزا من الدور الذى يلعبه المبدأ السلالى .

وفى الوقت نفسه ستشهد المرحلة القادمة من تطور المجتمع الاسرائيلى تصاعدا للصراع السلالى بكل أشكاله . وستتخذ هذا التصاعد صورة الصراع التقليدى الذى تمارسه الأقليات المتميزة فى المجتمعات التعددية ، بما يتضمن ذلك من الحفاظ على رموز

الحضـــارات الفرعونيــة وتنميتها والتــوحد مع قيمتها ازاء قيم المجتمع السائدة ، وابتداع صور شتى للتعبيرالسياسى والاجتماعى عن قيمها ومصالحها الاجتماعية والطبقية .

وقد يرجع هذه الاحتمالات جميعا ، الامكانات المطروحة لتحقيق تسوية سليمة بين اسرائيل والعرب • ان تحقيق ذلك ، فلا مناص من أن يفعل قانون الصراع الرئيسى فى المجتمع الاسرائيلى فعله . **وهو الذى يقوم على قاعدة مؤداها : اذا اختفى الصراع المسلح بين اسرائيل والعالم العربى ، ظهر الصراع الاجتماعى المكتوم والمقيد الى السطح •**

٢ ـ ونتوقع أن يكون لحرب رمضان وقع شديد على مسار الصراعات السابقة والحالية بين أجيال الصفوة السياسية الاسرائيلية الحاكمة• وقد تكون الحرب هى المعول الذى سيأتى على آخر الأرصدة المتبقية للحرس القديم الاسرائيلى •

ولعل صيحة يورى أفنيرى « **هل نترك حكامنا يردون على قضايا جديدة بأجوبة قديمة ؟** » ؛ تشير الى اتجاهات الصراع العنيف حيث سيشتد فى المرحلة القـــادمة بين الصـفوة الســياسية التقليدية ، والصفوة الشابة التى يكافح أعضـاؤها لكى يأخذوا فرصتهم فى الحكم واتخاذ القرار •

وقد يكون طبيعة المرحلة القادمة ؛ التى لن يتاح فيها لاسرائيل معارضة دورها القديم الذى سقط فى أكتوبر ١٩٧٣ ، هى الأرضية التى قد تسمح لأعضاء هذه الصفوة الصفوف الأولى •

أما الصراع بين الصفوة السياسية وجماهير الشباب الاسرائيـلى فيتوقع أن تزداد حدته نتيجة للنتائج المخيبة للآمال التى حققهـا الجيش الاسرائيلى فى ميدان القتال ، ولتساقط كثير من الدعـاوى والأساطير الاسرائيلية •

٣ ـ ان مظاهر الاغتراب والتفكك الاجتماعى ، يتوقع أن تزيد حدتها فى المرحلة المقبلة ؛ ما لم تحدث عملية اعادة صياغة خلاقة لنسق القيم فى المجتمع الاسرائيلى ، حتى تكون أكثر انسانية •

غير أن هذه عملية بالغة التعقيد ، يختلط فيها الوعى الزائف بالوعى الحقيقى ؛ وتؤثر عليها ارتباطات تاريخية وعاطفية بقيـم قديمة قام عليها المشروع الصهيونى منذ البداية ، ولذلك لا تتوقع

أن تتم هذه العملية فى المدى القريب مما سيترتب عليه شـــيوع حالة من حالات « تصدع القيم » ، حيث يفتقر الناس الى مستويات خلقية للحكم على السلوك الاجتماعى ٠

وسيساعد على ذلك الآثار المتزايدة لتداعى المجتمع الايديولوجى القديم واكتمال ملامح المجتمع الصناعى الاستهلاكى الجديد ، بما يتضمنه من تفاوت طبقى حاد ، مما يؤدى الى شيوع مشاعر الاحباط القاسية لدى أعضاء الفئات الاجتماعية المحرومة ٠

غير أنه أخطر من ذلك كله ، نتوقع أن تزداد حدة الاتجاه السلبى **الذى كان سائدا بين الشباب الاسرائيلي من قبـل ازاء الحرب ٠** فحرب رمضان ، بما تضمنته من سقوط آلاف القتلى الاسرائيليين ؛ ستترك آثارا عميقة فى وعى الشـــباب الاسرائيلى ، ســـتؤدى الى الاقناع بعبثية السياسة الاسرائيلية التقليدية ٠

٤ — وتبقى أخيرا التغيرات التى ستطرأ على نظرة الاسرائيليين الى العرب٠ مضى الزمن الذى كان يمكن فيه التهوين من شأن العربى ؛ والتلويح بعجزه وتخلفه ، فمن خلال معارك أكتوبر ، تساقطت الأوهـــام الاسرائيلية ، وظهرت الحقائق العربية ٠

وخلاصة دراستنا ، أن حرب رمضان ستكون بداية لتغييرات واسعة المدى فى بنية المجتمع الاسرائيلى ، وفى نسق القيم الذى يصدر عنه ؛ فى الاتجاهات التى تسود بين الاسرائيليين ، غير أن التغيرات الاجتماعيـــة ، لابد لها أن تتفاعل عبر مراحل زمنية كاملة ؛ حتى تظهر آثارها ٠ (*)

***

ليست بالقضية المقدسة

فى قضية الأرض والأمن ، وارتباطها بسلامة اسرائيل ، تحدث اثنان من صقور المؤسسة العسكرية ، فكشفا بآرائها المتضاربة عن عمق الشرخ الذى أصاب العقيدة الصهيونية التوسعية بعد السادس من أكتوبر ١٩٧٣٠

زعم يشعياهوجافيتش ، قائد جبهة سيناء فى الجولة الثالثة ؛ ان المناطق المحتلة هى وحدها التى تكفل لاسرائيل الحدود الآمنة ٠

---

(١) هذه الدراسة التحليلية بقلم الاستاذ السيد يس رئيس وحـــدة بحوث بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ٠

ثم تحدث بعده اسحق رابين ، رئيس الاركان العامة فى نفس الجولة. ورئيس وزراء اسرائيل الحالى ؛ فأكد ان مسالة الحدود ليست بالقضية المقدسة ، ولا هى أساس وجود اسرائيل . وحذر من أن الاسرائيليين يفقدون (أحيانا) الرؤية الواضحة عندما يقرنون قضية الأمن باستمرار سيطرتهم على المناطق المحتلة ، الى غير ذلك من الدعاوى المماثلة ، التى تربط بين سلامة اسرائيل ؛ وعدم التخلى عن سياسة التوسع والضم ...

واختلاف الرأى بين جافيش ورابين ، وهما صقرا المؤسسة العسكرية يعتبر مؤشرا للتمزق الذى أصاب العقيدة الصهيونية التوسعية بفضل انجازات العرب الرائعة فى الجولة الرابعة ، ونجاحهم فى احباط حجج اسرائيل بما أجبر رئيس وزرائها الى التسليم بحاجتها الى اعادة النظر ، للخروج من مأزق الاستعمار الاستيطانى الذى مارسته طويلا فى قلب الأمة العربية وأعز أجزائها ، على حين أن موجته تنحسر عن وجه الأرض فى باقى ساحات الاستعمار الأوربى الأبيض ..

وربما يرجع سبب تضارب الرأى بين جافيتش ورابين الى أن الأخير أكثر ادراكا للمتغيرات التى طرأت على القضية بعد النصر العربى فى أكتوبر ١٩٧٣ بحكم انه كان القائدالذىحقق لاسرائيل حلمها فى الحدود الآمنة عام ١٩٦٧ ، ثم خلف الحكومة التى داهمتها الهزيمه منها ...

وليست مشكلة اسرائيل كما اقتنع العالم مشكلة امن أو أرض بقدر ما هى رغبة دفينة فى التوسع والعدوان ، وفرض « السلام العبرانى » على المنطقة ؛ وان ضربت بحقوق العرب وبقوانين الأخلاق عرض الحائط .

والمفهوم العبرانى للسلامالذى يقوم على اربع ركائز هى انكار حقوق الآخرين ، وفرض الأمر الواقع ، والتسلط ، والعنصرية ؛ قد فضحته الجولة الرابعة ، واقنعت الرأى العام العالمى بفساده بما تسبب فى عزلة اسرائيل دوليا ...

فالسلام العبرانى يربط الأمن بالتوسع ، ولا يرى لهما تطبيقا الا فى اكتساب مواقع جديدة ، ثم يروح يصك تعاريف مخاتلة لتبرير عدوانه واخفاء أحلامه الشرهة فى أرض العرب .. تحت شعارات زائفة هى الحرب الوقائية .. والضربة المسبقة ، والحدود الآمنة .. وما أشبه .

ثم وقع الزلزال الذى هز بنيان العقيدة الصهيونية التوسعية من الأساس ؛ فأصبح من المستهجن أن يستمر جافينش واضرابه فى ترديد

ذات الأسطورة ، وتكرار الشعارات الزائفة نفسها ، التى حطمها العرب فى السادس من اكتوبر ..

ان أبرز دروس هذه الحرب انها وضعت **اسرائيل للمرة الأولى أمام** الاختيار بين الأرض والأمن ، وقد يكون هذا الاختيار صعبا ، وهو ما يضع أعباء اضافية على المستر هنرى كيسنجر وسياسة المكوك التى يتبعها بين القاهرة وتل أبيب ، ولكن المستقبل القريب سوف يكشف عن ان مسألة الحدود ليست بالقضية المقدسة كما يزعم جافيتش وأمثـــاله ، وان الاسرائيليين يفقدون الرؤية الواضحة عندما يقرنون بينها وبين الأمن .

وعن الاقتصاد الاسرائيلى :

صرح حاييم بارليف وزير التجارة والصناعة الاسرائيلى لجريدة هاآرتس فى ٢٠ نوفمبر ١٩٧٣ بأن ٧٧ الفا (يشكلون ٢٧٪ من مجموع ٢٧٥ الف عام فى الصناعة) لا يزالون حتى الآن مجندين .

وذكر بارليف : لقد وصل التصدير الصناعى ، خلال أكتوبر الى ٧٤ مليون دولار مقابل ٩٠ مليون دولار عن الشهر نفسه من الســـنة الماضية . كذلك فان الطلب على منتجات البناء قد نقص لأن اعمال البناء تدهورت بنسبة ٤٠ ٪ من حجمها العادى ولقد كان الطلب على منتجات صناعة الأغذية عاديا أما الطلب على الفراء والحلى فقد تقلص حتى الصفر تقريبا لعـــدم وجود سياح . ولقد بلغ حجم النشاط التجارى ؛ خـــلال أكتوبر ، نحو ٢٠ ٪ من حجمه العادى ..

وكشف الوزير أيضا أنه فى عشية الحرب كان نصف انتاج فروع الصلب والالكترونات ووسائل النقل معدا لخدمة جهاز الدفاع . ولكن بسبب الطلبات الكبيرة الجـــديدة التى وجهت الى مصـــانع كبيرة خـــلال الأسابيع الأخيرة ، ستكون المصانع ملزمة بتحويل من ٧٪ الى ٧٥٪ من انتاجها خلال السنة المقبلة لحاجات جهاز الدفاع .

واضاف بارليف أنه ينبغى تخطيط النشاط للأشهر القادمة ، ربما لثلاثة أشهر وربما لثمانية ، بحيث يبقى الآلاف من عمال الصناعة مجندين فى الاحتياط .

ويعلق يوفال اليتسور الاقتصادى الاسرائيلى الشهير فى جريدة معاريف يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٧٣ على الوضع الراهن للاقتصاد الاسرائيـــلى

بقوله « انه اذا ما استمر وقف اطلاق النار ، أو اذا تجددت الحرب ، فان الاقتصاد الاسرائيلي لن يعود ؛ خلال الأسابيع القريبة ، الى وضع من الاستقرار · ويمكن الافتراض أيضـــا ، ان الظروف التى سادت بالنسبة له قبل ٦ أكتوبر ١٩٧٣ لن تعود ثانية ·· ان عملية تسريح الاحتياط ستكون هذه المرة ؛ بحسب كل الدلائل ، بطيئة أكثر مما كانت عليه فى الماضى ، كذلك فان الانتقال الى فترة الأعمال العادية ستكون هذه المرة أطول » ·

وأضاف اليتسور أنه يتوقع أن يتسم النشاط الاقتصادى فى الفترة التى تلى الحرب بطابع شد الأحزمة ·· « واذا ما وضعنا فى الحسـبان زيادة الضرائب أيضا ، وكذلك تقلص المساعدات المالية (الحكومية) للحاجات الضرورية ــ وهى اجراءات كان من الواجب على أية حال اتخاذها بعـد الانتخابات لانقاذ الاقتصـاد من ضمن التضخم التى أصابته قبـل نشوب القتال ـــ فانه من الواضح أنه ستكون هنـاك حاجة الى تقليص مستوى المعيشة فى الاقتصاد الاسرائيلي خلال السنة أو السنتين المقبلتين بنحو ١٠٪ على الأقل » ·

·· « لقد استمعت اللجنة الفرعية المنبثقة عن لجنة القوات المسلحة التابعة لمجلس النوات الامريكى فى طوافها بمختلف الدوائر الحكوميـة الاسرائيلية بعـد الحرب فيما بين ١٧ ، ٢٠ نوفمبر ١٩٧٣ الى تقارير من وزارة المالية الاسرائيلية تؤكد حاجة اسرائيل الى المساعدة المالية العاجلة ·

فبينما كلفتها حرب يونيو ١٩٦٧ حوالى ملون دولار فى اليوم الواحد ، اذ بحرب أكتوبر ١٩٧٣ تكلفها حوالى ٢٥٠ مليون دولار فى اليوم · أى أن مجموع ما أنفقته اسرائيل على هذه الحرب تجاوز ٦ بلايين دولار ، ووصلت قيمة مجموع واردات الدفاع الاسرائيلي عام ١٩٧٣ الى حوالى ٨ر١ بليون دولار ، اى أكثر ١١ مرة منها عام ١٩٦٧ .

وهذا الرقم يشكل حوالى ثلث مجموع وارداتها عام ١٩٧٣ · وقد أنفق ما يزيد على ٤٠ ٪ من اجمالى الناتج القومى الاسرائيلي على شـئون الدفاع ومطالبه عام١٩٧٣ . ووصل مجموع الديون الخارجية الى ٥ بلايين دولار ، أى بواقع ١٥٠٠ دولار لكل مواطن اسرائيلي ، كما وصلت أقساط سداد هذه الديوان الى ٨٠٠ مليون دولار سنويا ؛ أى ما يعادل نصـف مجموع احتياطى اسرئيل من النقد ·

وكمثال على ضخامة العبء الضريبي على المواطن الاسرائيلي فان الفرد الذى يحصل على ألف دولار شهريا يصل صافي راتبه بعد استقطاع الضرائب المختلفة الى ٤٥٠ دولار في الشهر (١) ٠٠ » ٠

حصيلة الملحمة :

بقيت في الملحمة جولتان ، جولة في فكر القادة والرؤساء الذين خططوا الهجوم وأداروه ، وجولة أخرى في فكر أبرز فلاسفة الحرب المعاصرين عن الدروس المستفادة من حرب رمضان ٠

• **فيقول الفريق أول أحمد اسماعيل** « لنذكر بالفخار دائما شهداءنا الأبرار ، وقد كان أول من بذل حياته فداء للوطن هو الشهيد العميد شفيق مترى سدراك قائد اللواء ١٦ المشاة ، الذى جاد بروحه وهو على رأس جنوده (٢) ٠٠ » ٠

• **ويقول الفريق سعد الشاذلي** رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية (ان نجاح معركة العبور هو حصيلة مشتركة لجميع الجهود ٠ لقد كانت توجيهات السيد الرئيس المؤمن محمد أنور السادات ، ومشاركته الدائمة في مناقشة المسائل وايجاد الحلول لها خير موجه للقيادة العامة للقوات المسلحة وهي ترسم وتحسب كل الاحتمالات ٠

كما كان الفريق أول أحمد اسماعيل على قمة جهاز القيادة يشارك بقدر طاقته ومسئوليته في التجهيز والاعداد والتنفيذ ؛ حتى استطعنا في النهاية أن نحقق في ٦ أكتوبر نجاحا شهد به العالم أجمع ، وسوف يبقى هذا اليوم دائما يوم فخار للعرب وقواتهم المسلحة (٣) ٠٠) ٠

• ويقول الفريد أحمد فؤاد ذكرى قائد القوات البحرية ٠٠ « كانت خطط البحرية تعتمد أساسا على مهاجمة العدو على جبهة عريضة في البحرين الأبيض والأحمر ، مع استخدام أقصى جهد للوحدات البحرية

---

(١) من تقرير اللجنة الفرعية المنبثقة عن لجنة القوات المسلحة التابعة لمجلس النواب الامريكي في الجلسة الأولى للدورة الثانية والتسعين للكونجرس الأمريكي ــ ١٢ ديسمبر ١٩٧٢ ٠

(٢) مجلس الشعب ــ ٨ ديسمبر ١٩٧٣ ٠

(٣) الأخبار القاهرية ــ ٢١ نوفمبر ١٩٧٣ ٠

خلال الأيام الأولى للعمليات ؛ واستغلال عامل المفاجأة الى **أقصى حد** مستطاع ، وتثبيت جهود العدو وارباك قيادته (١) ٠٠ » ٠

● **ويقول اللواء محمد علي فهمي** قائد قوات الدفاع الجوى ٠٠ « ان سر تفوق الدفاع الجوى هو **التخطيط الجيد ، واستيعاب الرجال للأسلحة** الحديثة المعقدة ، وقدرتهم العالية على استعادة الموقف بسرعه ، واصلاح المعدات بحيث كانوا دائما على أهبة الاستعداد لملاقاة العدو ، وتكبيده خسائر حطمت معنويات الطيارين الاسرائيليين (٢) ٠٠ » ٠

● **ويقول اللواء محمد حسني مبارك** قائد القوات الجوية ٠٠ « لقد اعطتنا نكسة ١٩٦٧ منطلقا جادا لاعادة بناء قواتنا الجوية من الأساس ٠ كما وفرت لنا خبرة عريضة ، وزودتنا بالدروس المستفادة التى كان لها فضل انشاء قوات جوية متطورة ، امكنها تنفيذ اعقدالمهام واخطرها حيال الطون (٣) ٠٠ » ٠

● **ويقول اللواء محمد عبد الغني الجمسي** رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة « ان الدور الرئيسى فى حسم هذه المعركة وتحقيق النصر كان للمقاتل المصرى الذى يتمتع بايمان راسخ وروح معنوية وقتالية عالية ؛ المؤمن بالهدف الذى يحارب من أجله (٤) ٠٠ » ٠

● **ويقول اللواء محمد سعد الدين مامون** قائد الجيش الثانى الميدانى ٠٠ « لقد كانت مشاعر الأهالى المدنيين **فى أرض المعركة مدعاة للفخر** والثناء ، فبمجرد أن هدرت نيران مدفعيتنا فى الجبهة ، واستمع المواطنون الى الجنود وهم يهللون بأعلى صوت ٠٠ الله أكبر ، الله أكبر ، هب الشباب والشيوخ والأطفال ، ذكورا واناثا ، يقدمون المساعدة قدر طاقتهم؛ ويشاركون بوجدانهم وأجسامهم فى القتال المحتدم (٥) ٠٠ » ٠

● **ويقول اللواء محمد عبد المنعم واصل** قائد الجيش الثالث الميدانى ٠٠ « هؤلاء جنودى البواسل ، لن يقف فى وجههم مانع مهما

---

(١) الأهرام القاهرية ــ ١٢ ديسمبر ١٩٧٣ ٠

(٢) الأهرام القاهرية ــ ١١ ديسمبر ١٩٧٣ ٠

(٣) الأهرام القاهرية ــ ١١ ديسمبر ١٩٧٣ ٠

(٤) تقرير رئيس هيئة العمليات أمام مجلس الشعب ــ ١٣ نوفمبر ١٩٧٣ ٠

(٥) تقرير قائد الجيش الثانى امام مجلس الشعب ــ ١٣ نوفمبر ١٩٧٣ ٠

بلغت وعورته ، أو حصن مهما اشتدت مناعته ؛ فهم المنصورون بعون الله وعدالة قضيتنا (١) ٠٠ » ٠

◆ **ويقول اللواء جمال محمد علي** مدير المهندسين ٠٠ « يقف وراء النجاح العظيم الذى حققته قواتنا المسلحة بقفزتها الباسلة عبر القناة ، واجتياحها الجارف خط بارليف الحصين ، تلك الجهود المضنية للمهندسين العسكريين وابتكاراتهم الفذة ، وحلولهم العملية للمشاكل الكثيرة التى كانت تواجه عملية العبور فوق المانع العريض ـ قناة السويس ـ ثم المانع الحصين ـ خط بارليف (٢) ٠٠ » ٠

◆ **ويقول العميد نبيل شكرى** قائد القوات الخاصة ٠٠ « لقد كانت البداية قبل أن يطلق قائدنا الاعى شرارة الملحمة الخالدة بسنوات طويلة ، قضيناها فى اعداد أنفسنا بالجهد والعرق والدم ؛ يدفعنا ما وفره لنا شعبنا العظيم من أجل المعركة المرتقبة ، وكان شوقنا الى خوض القتال لنرد للشعب دينه بدمائنا وأرواحنا لا يعادله شوق أو يدانيه (٣) ٠٠ » ٠

❋ ❋ ❋

● **أما حصيلة الجولة الثانية فى فكر أبرز فلاسفة الحرب المعاصرين فتخلص أيضـا فى عشر نقاط ، يسوقها الجنرال أندريه بوفر فى ندوته التى عقدها بأكاديمية ناصر العسكرية العليا بالقاهرة يوم ١٥ نوفمبـر ١٩٧٣ وقال فيها :**

١ ـ « أريد أن أبدى اعجابى الشديد بالعمل الذى أنجزته القـوات المسلحة المصرية والسورية ، مشفوعا باعجابى بذلك التقدم الذى أظهرته هذه القوات فى الميدان » ٠

٢ ـ « لقد أبرزت حرب رمضان ـ كما تابعتها من بعيد ـ دروسا عديدة فى المجالات الفنية والتعبوية والاستراتيجية والسياسيـة ٠ فالصواريخ الموجهة المضادة للطائرات والمضادة للدبابات قد أثبتت كفاءتها وبأسها الشديد ؛ وبفضل هذه الصواريخ فشلت الدبابات

---

(١) مقابلة خاصة ـ ١٢ اكتوبر ١٩٧٣ ٠

(٢) الأهرام القاهرية ـ ١١ ديسمبر ١٩٧٣

(٣) الأهرام القاهرية ـ ١٢ ديسمبر ١٩٧٣ ٠

والطائرات الاسرائيلية فى احراز التفوق ، ومــالت الموازين الى جانب العرب » ٠

٣ ـ « وأثبتت حرب رمضان أن المعركة في مجالها الفنى سوف تزداد تعقيدا نظرا لأن كل خطوة للتطور سوف تعقبها خطوة أخرى مضادة لهــذا التطور ، وسوف يصبح التفوق التكنولوجى تبعا لذلك شديد الواقع عظيم التأثير على أحداث القتال » ٠

٤ ـ « لقد أصاب الشلل اسرائيل فى الفترة الاولى من الحرب حتى حصلوا على معــدات أمريكية شــديدة التطور ، ورغم ذلك فلم يستطيعوا أن يحرزوا ذلك التفوق الكامل الذى أحرزوه فى حرب ١٩٦٧ » ٠

٥ ـ « ومن وجهة النظر التعبوية فقد كان الدرس الأهم فى حرب رمضان هو أن القوات الجوية اذا أحسن انتشارها وحمايتها سوف تتمكن من الاستمرار فى البقــاء فتحرم بذلك الخصم من التمتع بميزة كبرى هى التفوق أو السيطرة الجوية ٠

وقد أدى توفر الصواريخ المضادة للطائرات لتقديم الوقاية الفعالة للقوات البرية ـ حتى فى غياب الحماية بواسطة الطائرات ـ أدى الى خلق موقف جديد تماما لم يسبق ممارسته فى الحروب السابقة، وأعنى به ذلك التوازن بين القوات الجوية لدى الطرفين الذى خلق موقفا يختلف تماما عما لمســناه فى الحرب العالمية الثانية ، أو فى الجولات العربية الاسرائيلية السابقة ، عندما كان أحد الخصــوم ينجح فى احراز التفوق أو السيطرة الجوية على سماء المسرح خلال المرحلة الافتتاحية او المرحلة الأولى للحرب ٠

٦ ـ « أما عن المعركة البرية فقد أبرزت حرب رمضان أن الدفاع مهما كان حصينا ـــ كقلاع خط بارليف ـــ فسوف يظل عرضة للاختراق والتدمير ما دامت القوات المهــاجمة من القوة والكثافة والتصميم بالقدر الذى يضمن لها الغلبة » ٠

٧ ـ « وهناك نقطة أخرى ، هى أن العمليات الليلية تعتبر ضرورية جدا ؛ واننى أعرف مقدار صعوبتها ، ولكن اذا وثق المقاتل من

نفسه أصبح الليل صديقه وعدو عدوه ، انها مسألة عادة وروح معنوية » .

٨ ـ « وعلينا أن نتذكر دئما أن الأمن والسلام يكمنان فى مداومة الحركة والمناورة ، ويجب على القوات أن تغير أوضاعها باستمرار لأنها اذا توقفت ضاعت ، وخاصة ضد عدو كاسرائيل ؛ فاذا ما توقفتم فليكن ذلك عند مانع أقوى كثيرا من قناة السويس ، أو بعد هزيمة عدوكم بما يجعلكم سادة الموقف » .

٩ ـ « وعلى المستوى الاستراتيجى فان الموقف العالمى الحالى ، ووجود القوتين الأعظم وتهديدات الحرب النووية قد جعل الحرب بين الدول الصغيرة محدودة من حيث الأهداف ومن حيث الزمن ومن حيث الساحة .. وقد كانت حرب رمضان حربا محدودة ، وذلك لآن المبركة المسلحة لا تخرج فى الواقع عن كونها جزءا من مباراة أكبر ، تتطلب معارك دعائية واقتصادية ودبلوماسية وسياسية مكثفة ، تلك هى المباراة الكاملة .

وليست القوات المسلحة سوى الطبلة الكبيرة وسط اوركسترا تعزف سيمفونية، وليست ـ كما يرغب بعض العسكريين ـ معزوفه منفردة (سولو) . ومن وجهة النظر هذه يعتبر الهجوم المصرى السورى فى السادس من أكتوبر عملا رائعا اذ كسر طبقة الثلج السميكة التى كست الموقف السياسى ، وخلق فهما أفضل لحقيقه أنه اذا لم ترضخ اسرائيل للحل الوسط فان عليها أن تواجه حروبا أخرى .

ووعى العالم كله هذه الحقيقة التى كانت غائبة عنه قبل حرب رمضان ، التى كانت عملا أنجزه العرب بجدارة وشجاعة : وجعلت اسرائيل تدرك مدى كفاءة العرب بعد أن كانوا قد بالغوا فى التقدير وقللوا من قدرتهم فنشأ بذلك عنصر المفاجأة ذو الطبيعة التكنولوجية عندما اصطدموا بالواقع فى مسرح الحرب » .

١٠ ـ « وفى الثالث والعشرين من أكتوبر خرق الاسرائيليون اتفاقية وقف اطلاق النار ، واستطاعوا بالغش أن يتقدموا ، وهى خدعة اسرائيلية معروفة ، طالما لجئوا اليها فى الماضى ، اذ دفعوا باغارات مدرعة الى السويس والى الغرب ، وأعتقد أن الهدف هنا كان سيكولوجيا محضا ، اذ كانوا يتوقعون أن يحمى وقف اطلاق النار

قواتهم من الدمار ؛ لذلك فهى ليست عملية عسكرية بل مظاهرة تليفزيونية ..

ويبين ذلك أن خطة مصر للحرب كان ينبغى أن تمتد لتشمل وقف اطلاق النار ، وتحدد ما تراه مناسبا ؛ وما يلزم توفيره والا كان العدو سوف يستغله فى تحسين موقفه .. وعلى العرب أن يدركوا هذه المشكلة ، فهى احدى ألاعيب اسرائيل » ..

وفى الختام فلنستعرض أثر كل ذلك على الأمن الاسرائيلى ،والواضح هنا أن الجيش الاسرائيلى لم يعد يتمتع بالتفوق الساحق الذى كان يتمتع به سابقا ، وتلك حقيقة لا تقبل الجدل ، وأعتقد أنهم قد فهموها تماما ، ولم يعد أمامهم الا أن يختاروا أحد أمرين :

• فاما أن يشعروا بمزيد من عدم الأمن ، وبالتالى يزيدوا من قوتهم العسكرية وخاصة من الناحية النوعية ، ويصبحوا أكثر تشددا فيما يتعلق بما يسمونه الحدود الآمنة .

• واما أن يوافقوا على التوصل الى تسوية باعتبار أنها أفضل وسيلة لبث الفرقة بين العرب .

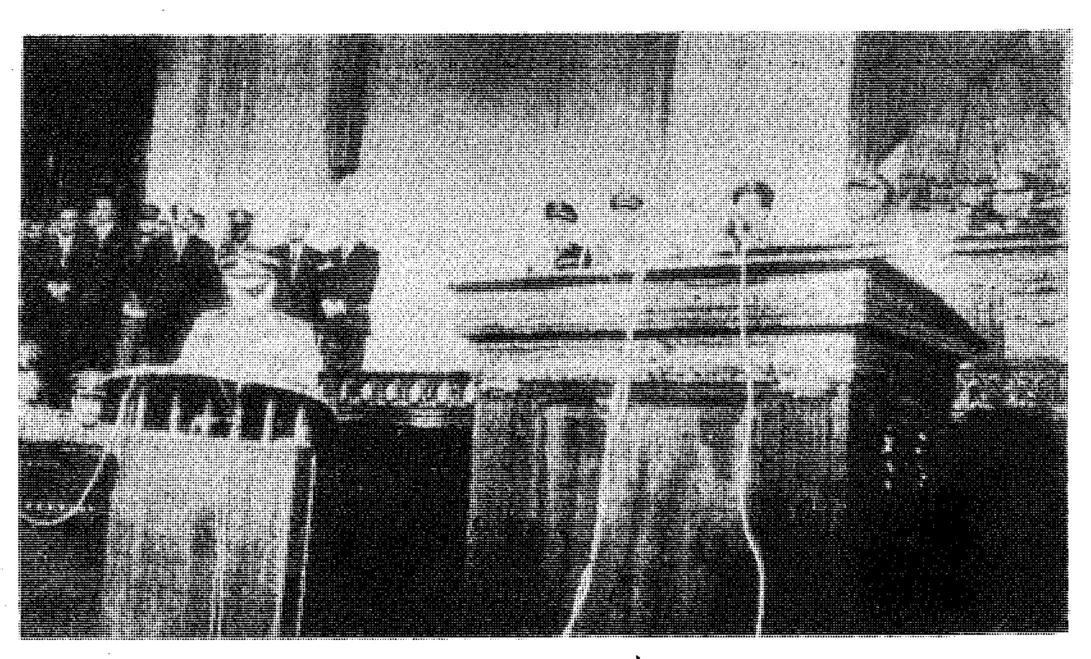
« ومهما يكن الاختيار فسوف يستمر الاسرائيليون فى السباق النوعى للتسليح ؛ وأنا متأكد من ذلك تماما ؛ وعلى الطرف الآخر فان النجاح العظيم الذى حققه العرب فى هجومهم يوم ٦ أكتوبر يكمن فى أنهم حققوا تأثيرا سيكولوجيا هائلا فى معسكر الخصم ، وفى المجال العالمى الفسيح ، ويبقى عليهم بعد ذلك أن يفكروا فى نتائج هذا التأثير على العالم ليحصلوا على مؤازرته وتأييده » .

(جنرال الجيش أندريه بوفر — ندوة فى أكاديمية ناصر العسكرية العليا — القاهرة — ١٥ نوفمبر ١٩٧٣)



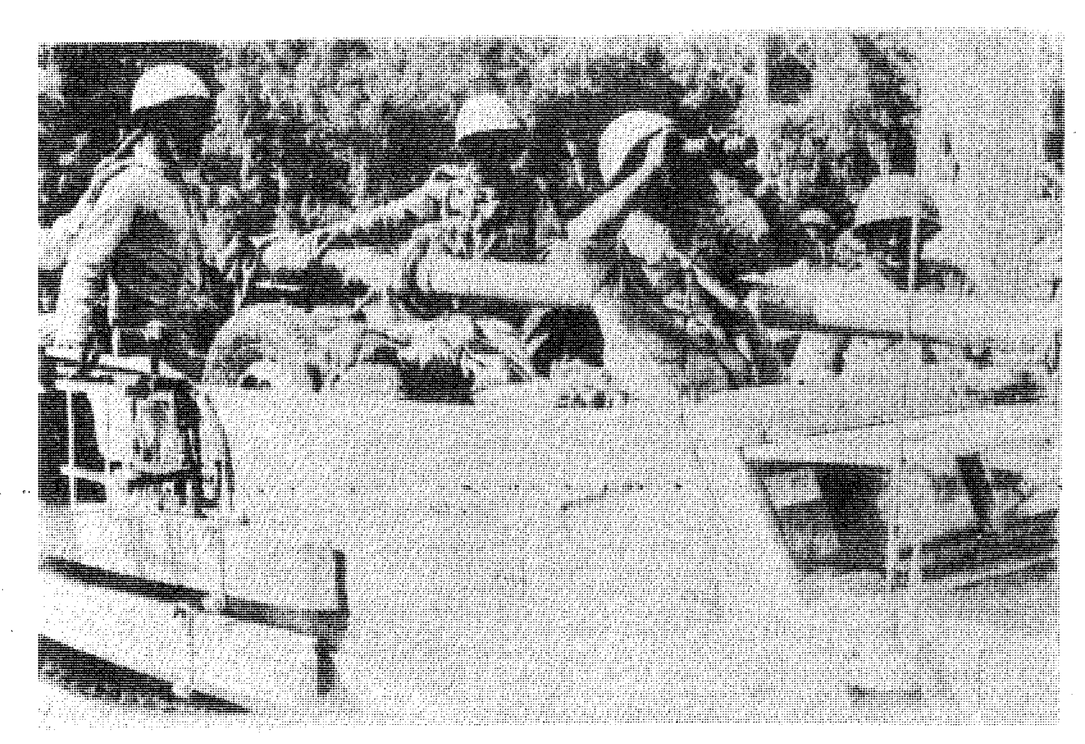
✡ الرئيس السادات :

« أحمد الله أننا وصلنا لهذه اللحظة لنضع اللمسات الأخيرة على العمل ونقول للعالم أننا أحياء ، ويسترد شعبنا ثقته في نفسه وفيكم ، وأنا واثق أن كل فرد فى قواتنا المسلحة سيؤدى واجبه كاملاً لاحساسه بمسئولياته تجاه وطنه وسأتحمل معكم المسئولية كاملة



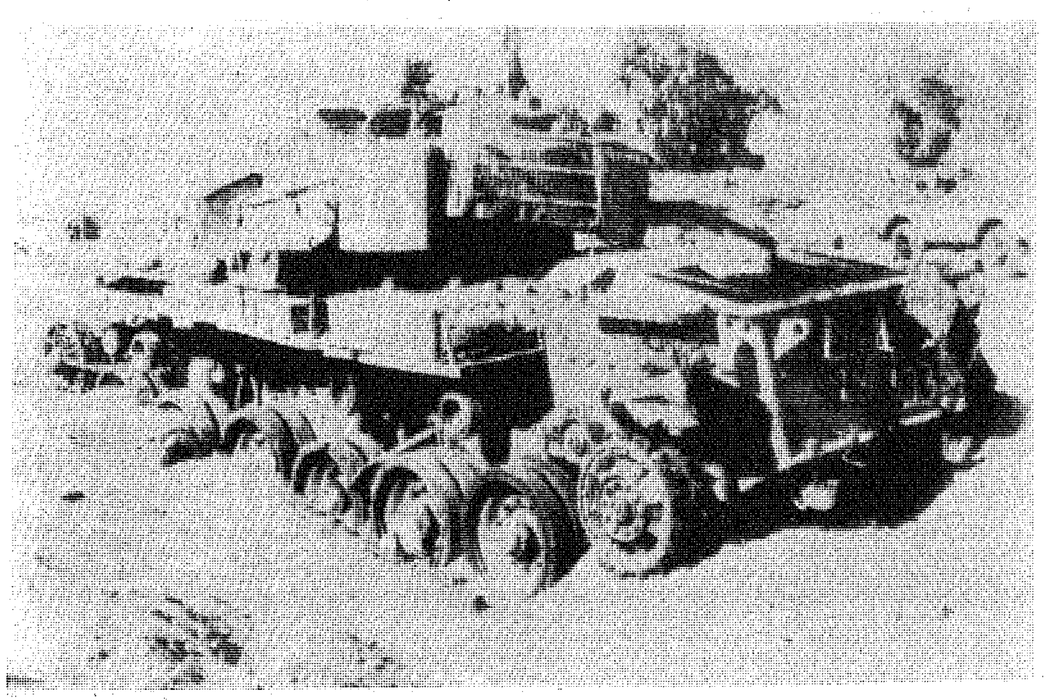
* لنكرم بالحب وبالتقدير وبالعرفان أبطالنا ضباطنا وجنودنا وشهداءنا الذين رفعوا فى العالم رأسنا وأكدوا فى الدينا شرفنا وحقنا وسطروا فى العاشر من رمضان أروع صفحة فى تاريخنا .

حافظ بدوى



« . . . واستخدم المقاتل المصرى الأسلحة المضادة للدبابات بكفاءة »

الأسير الملازم أول رامى دورون



« . . ولا يزال حطام الدبابات الاسرائيلية مبعثراً على امتداد الصحراء . . » .

« جرانفيل وست »



وحملوا قتلاهم ورحلوا . .



الباب التاسع

حرب رمضان..
في الميزان

الفصل الأول

فى الداخل والخارج

والفضل ما شهدت به الاعداء :

● لم تنقطع شكوى اسرائيل من مرارة الهزيمة منذ توقفت نيران الجولة الرابعة ، وبعد مرور عام كامل تحولت الشكوى الى نقد لاذع مبعثه العاطفة الجريحة ، وظهرت آثاره فى كل وسائل الاعلام الاسرائيلية .

ولعل ندوة جريدة ها آرتس التى عقدتها لتقييم نتائج حرب يوم الغفران بمناسبة انقضاء عام كامل عليها ، فجمعت لها عشرة من مشاهير قادة وعلماء اسرائيل كفيلة بتوضيح مدى الحزن والخوف الذى انتشر داخل اسرائيل بعد الهزيمة .

● **يقول الجنرال يشعياهو جافيتش** قائد مسرح سيناء فى جولة ١٩٦٧ ان العرب قد حققوا أهدافهم فى حرب يوم الغفران وأثبتوا للملأ قدرتهم على خوض القتال بشجاعة واقتحام أعصى الموانع مع قيادة قوات كبيرة جدا فى تنسيق حاذق وتخطيط استراتيجى ممتاز من خلال تعاون سياسى رائع .

● **ويروى البروفسير روفائيل موشيه** عالم الطب النفسى ان حرب يوم الغفران قد فتحت أعين الاسرائيليين على واقع جديد عندما اكتشفوا ان جنودهم عرضة للهزيمة بعد أن كانوا يظنون ان لديهم مناعة ضدها ، بالاضافة الى ان الصهيونية قد تحولت الى كلمة شائنة يتنصل منها الجميع بعد أن كانت مبعث فخارهم قبل هذه الحرب .

● **ويشير البروفسير نوح مليجرام** الى ان الاسرائيليين كانوا على يقين قبل الحرب انهم أعظم قوة عسكرية فى المنطقة ، وان قدرتهم على الردع

سوف تمنع العرب من مجرد التفكير فى شن القتال ، لأنهم اذا ما جرءوا على ذلك فسوف يدق جيش اسرائيل عظامهم ·· ولـــكن العرب خاضوا الحرب فكسروا عظام اسرائيل ، وبرهنوا ان حياتها ســـوف تستمر فى تعبئة دائمة وخوف مستمر ··

◆ **ويعترف البروفسير بوعز عفرون** ان هناك شعورا بالكآبة والحزن نجم عن اكتشاف الاسرائيليين فجأة انهم لا يعيشون فى فراغ القوة كما ظنوا بعد ١٩٦٧ ، وان هنـــاك قوة مضادة ـ هم العرب ـ تحظى بتأييد الرأى العام العالمى ، وتشكل قوة سياسية واقتصادية وعسكرية رهيبة ، فى الوقت نفسه الذى خربت حرب يوم الغفران اقتصاد اسرائيل وسببت افلاس سياستها ··

◆ **ويضيف البروفسير ميخائيل فيلدمان** الاســـتاذ بمعهد وايزمان سببا آخر للأزمة التى تعيشها اسرائيل بعـــد الحرب ، فيعزوها الى انها دولة من المهاجرين الجدد الذين تنقصهم التقاليد العريقة التى تساعد على امتصاص الهزائم والتغلب على الازمات مثل العرب ··

◆ **ويؤكد البروفسير اليعازر شفاير** أستاذ الفلســـفة اليهـــودية بالجامعة العبرية ان اسرائيل تجابه اليوم شعورا أليما بأنهـــا تقف أمام مشاكل عسكرية وسياسية واقتصادية واجتماعية طاحنة لا تعرف ماينبغى عليها أن تفعله حيالها ولا كيف يجب عليها أن تستعد ·

◆ **ويعزو البروفسير هارون بيخار** سبب فقدان الاسرائيليين للثقة فى قدرة جيشهم ان طاقته تبدو بعد الحرب مثـل الساق المكسورة وهو ما يضفى على اسرائيل طابع الحزن العميق ··

◆ **ويوضح البروفسير امنون كابيلوك** خبير الشـــئون العربية ان العوامل السياسية والاقتصادية والعســكرية قـد طوعها العرب فى حرب يوم الغفران بشكل فعال ومنسق ضد اسرائيل ، بحيث كانت هذه الحرب هى المرة الاولى التى أحسن فيها العرب الاستعداد والتخطيط والاداء ، وقد كسب العرب عطف الرأى العـام الذى اقتنـع بحقهم فى تحرير أرضهم المحتلة ، أما ســلاح البترول فقد استخدموه بمهـارة وجدارة ، فدفعت اسرائيل ثمنا فادحا نتيجة ذلك ·

◆ **ويشعر البروفسير رئيف ليف** أستاذ العـلوم الطبيعية بالجامعة العبرية انه وزملاءه من رجال العلم أمام حالة طوارىء كتلك التى واجهت بريطانيا بعد مأساة دنكرك بعد عام ١٩٤٠ ، لأن هناك أمرا فظيعا قد حدث يوم الغفران نتيجة القوة والمهارة التى أصبح العرب يتصفون بهما ··

◆ **ثم يجمل البروفسير شمعون شامير** مدير معهد شلواح للدراسات الشرقية بجامعة تل أبيب انجازات العرب الرائعة فى حرب يوم الغفران فيما يلى ·

١ ـ انهم استطاعوا تغيير سياسة الولايات المتحدة الاميركية للمرة الاولى في تاريخ الصراع العربي الاسرائيلي ·

٢ ـ انهم أثبتوا ان الحل العسكري ليس وقفا على اسرائيل وحدها ·

٣ ـ انهم برهنوا على قدرة عالية على التنسيق السياسي والعسكري والاقتصادي والاعلامي في الاعمال المشتركة بينهم ·

٤ ـ انهم استعادوا القدرة على الحركة السياسية بين مجموعة الدول بعد أن فقدوها عام ١٩٦٧ ·

٥ ـ انهم هدموا نظرية الأمن الاسرائيلي من اساسها ·

تلك هي خلاصة آراء عشرة من قادة وعلماء اسرائيل عن نتائج الجولة الرابعة في مختلف المجالات ، وهي خلاصة ما وراء ندوة جريدة ها آرتس في مناسبة مرور عام كامل على نصر العرب ·· والفضل ما شهدت به الأعداء ·

مثل يحتذى في حروب المستقبل

ويمثل ما عقدت جريدة هاآرتس ندوتها سالفة الذكر لتقييم نتائج حرب يوم الغفران داخل اسرائيل بمناسبة انقضاء عام كامل عليها ، عقد المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية بلندن ندوة مماثلة من نخبة من العلماء والخبراء في مختلف العلوم والفنون ، اجتمعوا في المؤتمر السادس عشر للمعهد في جامعة سسكس بجنوب بريطانيا لبحث النظام الدولي الذي ترتب على الجولة العربية الاسرائيلية الرابعة ، ولتقييم نتائجها في الخارج ·

وقد استهل الاستاذ هشام شرابي الحديث بعرض وجهة نظره عن طبيعة المرحلة القادمة من الصراع التي تحول الزمن فيها الى جانب العرب ودخل الفلسطينيون فيها طرفا أساسيا في الصراع ·

ثم اعقبه الأستاذ مالكولم ماكينتوش فتناول تأثير مشكلة الشرق الاوسط على علاقات القوى العظمى فانتهى الى أن العرب قد نجحوا بفضل نصرهم في رسم خريطة جديدة للقوى العالمية ·

وانقسم المؤتمر بعدئذ الى لجنتي بحث تناولت الاولى موضوع النفط والاستراتيجية فأكدت ان العرب قد أداروا معركة البترول بحنكه وذكاء فجاءت اثارها موازية في قوتها لآثار الحرب ، اذا حولت قطاعات كبيرة من الدول الى صفهم ·

أما اللجنة الثانية فقد ركزت على الدروس المستفادة من حرب رمضان والاحتمالات المترتبة عليها ، وقد اجمل الجنرال مارجلين ـ عضو الندوة ـ أهم هذه الدروس في الآتي :

ان الحرب قد كشفت عن حقيقتين مؤكدتين هما الكفاءة غير المتوقعة للصواريخ المضادة للدبابات والمضادة للطائرات ، والنجاح غير المتوقع للهجوم المفاجيء الذى شنه العرب عصر السادس من أكتوبر فحققوا به المفاجأة التامة ٠٠

ويرى الجنرول مارجلين ان الفضل يعود الى هذين العاملين فى تغيير موازين القوى فى الشرق الأوسط ٠٠

فقد أثبتت الصواريخ الخفيفة المضادة للطائرات والمضادة للدبابات جدراتها على يد جنود مصر وسوريا ، مثلما أثبتت مدافع الماكينة عندما استخدمت بفاعلية لأول مرة فى الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ انها السلاح الحاسم لقد حرمت هذه الصواريخ كلا من الدبابة والطائرة من احتلال مركزهما المرموق الذى تمتعتا به فى الجولات السابقة وبخاصة الجولة الثالثة صيف ١٩٦٧ ٠

فهذه الصواريخ وان سبق وأثبتت بأسها فى سماء فيتنام الشمالية، عندما أثرت بشده على الروح المعنوية للطيارين الامريكان وعلى تكتيكاتهم ومستواهم التكنولوجى الا ان وقعها جاء أشد تأثيرا على اسرائيل فى حرب ١٩٧٣ ممـا أثار دهشة الخبراء العسكريين قاطبة ، اذ أثبت المصريون والسوريون بما ألحقوه من خسائر فادحة بطائرات اسرائيل ان صواريخهم ذات قدرة هائلة بدرجة لم يتوقعها أحد من قبل ، اذ تمكنت خلال أسبوعين من القتال النشط أن تدمر نصف دبابات اسرائيل وربع طائراتها وهو ما يكشف عن مدى بأسها ويؤكد ضرورة الاعتماد عليها بصورة متزايدة فى معارك المستقبل وفى حشود أكثر كثافة لتعطى نتائج أشد حسما سواء فى الهجوم أو الدفاع ٠

ان المقارنة بين تأثير نيران هذه الصواريخ وتأثير نيران الدبابات وعربات القتال المدرعة والقصف الجوى التكتيكى بالطائرات والهليكوبتر تثبت ان الصواريخ أسهل استخداما وأكثر دقة وأرخص تكلفة بالقدر الذى سوف يحرم اسرائيل من تفوقها الجوى ٠٠ **ولعل ذلك هو ماحدى بالجنرال بنيامين بيليد أن يصرح وسط الحرب ٠٠ ((انه من الغباء ان نضحى بطائراتنا الباهظة الثمن كفريسة سهلة لصواريخهم الرخيصة الثمن))** ٠

لقد أثبت العرب انهم قادرون على خوض حرب الصواريخ بكفاءة ، خاصة وان معركة الصاروخ ضد الطائرة أو الدبابة تقل كثيرا من حيث التكلفة عن معركة الطائرة ضد الطائرة أو الدبابة ضد الدبابة فثمن الطائرة بضع ملايين من الدولارات على حين لايتعدى ثمن الصاروخ المضاد لها بضع آلاف من الدولارات ، وثمن دبابة واحدة يعادل ثمن ١٦ قاذف صواريخ و ٨٠ صاروخا معا ٠

وتظهر القيمة الحقيقية للصواريخ بصورة أوضح فى المسارح الفسيحة حيث تؤدى دورا حاسما بتدمير مراكز القيادة والسيطرة ، وعقد المواصلات الهامة ، والمستودعات الادارية والفنية والمناطق الصناعية ومواقع المدفعية وما أشبه ... كما يمكن لاطقم محدودة العدد أن تتسرب الى العمق وهى مسلحة بهذه الصواريخ فتنشر الدمار وهى على مسافة بعيدة من فريستها تكفل لها الامن النسبى ..

وعندما تتحول المعركة الى قتال مرن ، وتنتشر القوات المتضادة فوق مساحات شاسعة فسوف تعثر الصواريخ على ضالتها فتوقع الدمار فى أعداد كبيرة من الدبابات والطائرات بدلا من تدميرها بالاسلوب المعهود سابقا ، عن طريق تركيز حشود نيران المدفعية وقصفات الطيران ضدها، وما كان يترتب عليه من تأثير طفيف لا يقارن مع ما حققه المصريون والسوريون بصواريخهم فى حرب رمضان ..

ثم ختم الجنرال مارجلين بحثه فى ندوة المعهد الدولى للدراسات الاستراتيجية بلندن بأن أكد أن عصر الصواريخ قد بدأ فعلا على يد العرب فى جولتهم الرابعة ، وانهم قد اعادوا للدفاع مركزه الهام فى معركة الأسلحة المشتركة الحديثة ، وانها أصبحت بذلك مثلا يحتذى فى حروب المستقبل ..

الفصل الثانى

الدروس المستفادة

● اجتمعت كلمة خبراء وفلاسفة الحرب ان ما قدمته الجولة الرابعة من دروس تتصدر باقى الحروب المعاصرة بفضل تأثيرها الكبير على عمليات التعديل والتطوير التى أدخلتها على التكتيكات والتنظيمات والمعدات ٠

وبالاضافة الى ذلك فان الصراع العربى الاسرائيلى ينفرد من بين الصراعات المعاصرة فى أن جولاته تكررت بين الخصوم بالأسلحة نفسها والمعدات نفسها طبقا للأسلوب نفسه وعلى المسرح نفسه الذى يجمع بين مختلف أشكال تضاريس الارض وخصائصها الطبوغرافية والديموغرافية٠

هذا الاستمرار والتكرار الذى يتتالى فى جولات متشابهة نوعا وحجما يفسح الفرص الفريدة أمام فلاسفة الحرب وخبراء القتال للخروج من هذه الجولات بدروس مؤكدة ٠٠

ثم ان المسرح يشتمل أيضا على الابعاد الاربعة لمعركة الاسلحة المشتركة ــ البرية ــ والبحرية ــ والجوية ــ والدفاع الجوى ٠

وفضلا عن ذلك فهو أيضا مسرح قد تكرر اصطدام أحجام كبيرة من التشكيلات فوق اديمه ، واقتتلت أعداد وفيرة من أدوات الحرب عليه ، وتصارعت عقائد حربية وأساليب قتالية انبثقت عن أهم مدارس العالم المعاصرة ، النظرية البريطانية والتطبيق النازى فى جانب ، والنظرية والتطبيق السوفيتى فى جانب آخر ٠

كما اعتمد الصراع على أسلحة اعتى ترسانات الحرب وأكثرها تطورا وابتكارا وأسبقها الى تطبيق التكنولوجيا الحديثة ، واستراتيجية التسليح المنظورة ٠٠

لكل ذلك أضحى مسرح الشرق الاوسط بمثابة حقل للتجارب بالنسبة لصنعة الحرب فى الربع الأخير من القرن العشرين ..

واذا ما قارنا بين هذا المسرح ومسرحي الشرق الاقصى وشبه القارة الهندية اللذين دار فيهما القتال عنيفا تارة ومتراخيا تارة أخرى لوجدنا ان سمات الحرب فيهما لم ترق بعد الى مستوى فن الحرب وأدوات القتال فى مسرحنا ..

ولكل ما سبق ذكره ، يكون طبيعيا أن تبذل دول العالم قاطبة غاية الاهتمام فى دراسة الجولات العربية الاسرائيلية التى توالى اشتعالها خلال ربع القرن المنصرم ، فتعقد الكثير من الندوات والمناقشات لتحليل خططها وتمحيص ديناميكيتها ، واستخلاص دروسها المستفادة ..

لهذا أوفد العالم خبراءه لزيارة ميادين القتال ولما ينقشع عنها دخان الحرب بعد ، فلم يدخروا وسعا للوقوف على أدق التفاصيل ، وصرفوا الوقت فى تفقد أرض المعارك ، والبحث فى سجلات القتال ، ومناقشة القادة والمقاتلين ، وبعد أن اكتملت أمامهم الصورة ، خرج كل واحد منهم بوجهة نظره عن هذه الجولة ، فزخرت بآرائهم الكتب والمجلات المتخصصة، بل حتى الجرائد اليومية فى كل بقاع العالم ..

والملاحظ من دراسة ما صدر من وجهات نظر عن الجولة الرابعة انها تتصف بسعة الاطلاع وشدة التعمق وشمول الدراسة بعكس ماعانت منه دراستهم فى الجولات السابقة ، التى كان الاعلام الاسرائيلى يحتكر فيها الحديث ، والدعاية الصهيونية تطمس الحقائق .. لهذا جاءت الاستنتاجات والدروس هذه المرة أكثر التصاقا بالوقائع وأشد التزاما بمنطق الامور .. وهى وان اتفقت فى أغلب الامور فانها تضاربت فى أمور بعينها واختلفت ببون شاسع .

ويأتى على رأس قائمة التحليل العسكرى لحرب لرمضان ان خطة الهجوم المصرية التى رمت الى اقتحام قناة السويس واقامة خمسة رءوس كبارى على الضفة الشرقية قد حققت كل أهدافها ، اذ أقامت رءوس الكبارى الخمسة طبقا للخطة الموضوعة وفى زمن أقصر مما كان مؤملا .. وليس فى السوابق شىء مشابه لهذا النجاح أو قريب منه ، فأقصى مايطمع فيه المخطط أن ينجح فى تحقيق نصف ما طمعت فيه خطته ، ولكن حرب رمضان حققت كل ما تمناه ، وبأسرع مما توقع .. وسبب ذلك فى نظر غالبية من تصدى لحرب رمضان بالدراسة هو المفاجأة والتدريب الجيد على مهام القتال من جانب مصر .. والغرور القاتل من جانب اسرائيل ..

١ ــ وكان مما اتفقت عليه الآراء فى حرب اكتوبر ــ الجولة الرابعة ــ فى المجال الطبوغرافى للمسرح ، ان نظرية الحدود الآمنة التى اصطنعتها اسرائيل لتخفى سياستها التوسعية العدوانية فى اغتصاب أرض العرب ، وفرض الامر الواقع فى المسرح تحت ستار

ضرورات أمنها القومى ، هذه النظرية العدوانية قد انهارت تماما ، وظهر زيفها للعالم أجمع الذى أبدى دهشته أن تأتى انتصارات اسرائيل فى الجولات السابقة من حدود غير آمنة ملأت اسرائيل الدنيا ضجيجا بالشكوى من خطرها الداهم على كيانها ، على حين حاقت بها الهزيمة فى الجولة الرابعة وهى تقف على حدود آمنة ، أكد زعماؤها وقادتها أنها تشكل لهم غاية السلامة .

٢ ــ وبمثل ما انهارت نظرية الامن الاسرائيلية القائمة على اكذوبة الحدود الطبوغرافية الآمنة ، التى ترتكز على موانع طبيعية أو صناعية هائلة ، انهارت استراتيجية العمل من خطوط داخلية ، التى فازت اسرائيل بفضلها بمزايا كثيرة فى الجولات السالفة نتيجة ضعف التنسيق السياسى والعسكرى بين الجبهات العربية الثلاث ــ الشمالية ، والشرقية ، والجنوبية ــ بما أتاح لها توجيه الضربات المتفوقة بكل أو أغلب قواتها البرية والجوية التى يطلق عليها صقور المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ــ يد اسرائيل العليا ــ الطيران وذراعها الباترة ــ المدرعات ــ فى تتابع لحسم الموقف فى احدى هذه الجبهات قبل التحول بسرعة وحدة الى الجبهة التالية .

٣ ــ وفضلا على انهيار نظرية الحدود الآمنة ، والفشل الذى أصاب استراتيجية العمل من خطوط داخلية ــ وهما الخلاصتان اللتان اتفقت عليهما كافة الآراء ، فقد اجتمعت الكلمة ــ بالتبعية ــ على نجاح الاستراتيجية العربية فى ممارسة العمل من خطوط خارجية، بكل ما وفرته من مزايا أجبرت القيادة الاسرائيلية ــ لأول مرة فى تاريخ الصراع ــ على بعثرة قواتها وتشتيت جهودها فى مختلف الجبهات المحيطة بها ، فعانت من جراء ذلك على المستوى التكتيكى والتعبوى والاستراتيجى أشد المعاناة ، ووقع الجمود الفكرى فى قياداتها الرئيسية ، والشلل العضوى فى تشكيلاتها الميدانية بمجرد أن اشتعلت نيران الجولة الرابعة ، ثم استمر تأثيرها عظيما طوال المرحلة الأولى للعمليات .

٤ ــ ثم كان مما اتفقت عليه الدراسات التى عقدت عن الجولة الرابعة فى مجالات العقائد وأساليب القتال التى انتهجتها الاطراف المتصارعة ان استمرار اعتماد اسرائيل على سلاح الردع ــ الطيران والمدرعات ــ وعلى سرعة التعبئة والحشد والفتح التعبوى فى مختلف الجبهات ، لن يحقق لها فى المستقبل التفوق نفسه الذى تمتعت بمزاياه العميمة فى الماضى ، نتيجة اختلاف الظروف السائدة فى مسرح الحرب ، وتغير العوامل المؤثرة على القتال فى الجولة الرابعة ، بما قلبها من حجر زاوية نحو النجاح الى حجر عثرة صوب الفشل .

٥ ــ وكانت الجولة الرابعة هى المرة الاولى التى واجهت فيها القيادة

العسكرية الاسرائيلية مشكلة امتداد خطوط مواصلاتها الى الجبهات المختلفة ، فعانت بالتبعية من المشاكل والمصاعب التكتيكية والادارية المترتبة على ذلك ، والتى كان من أبرزها طول فترة الفتح التعبوى فى المسرح ، بعد اتمام التعبئة القومية والحشد ، ووصول القوات مجزأة ومنهكة الى خطوط المواجهة ، بعد أن قطعت مسافات شاسعة فيما بين منطقة التعبئة وأرض المعركة ، الامر الذى كان على النقيض تماما فى الجولات الثلاث السابقة عندما كان العرب عموما ، ومصر بخاصة ، هم الذين يعانون من هذه المشاكل والمصاعب الخطيرة ٠ لقد استغرق الفتح التعبوى من الأركان العامة الاسرائيلية النصف الثانى من ليلة ٤/٥ يونيه ١٩٦٧ ، على حين استغرق منها كل أيام ٦ ، ٧ ، ٨ أكتوبر ٠٠ أى اثنى عشر مثلا لما استغرقته عملية الفتح التعبوى من وقت فى الجولة الثالثة ٠

ويعود الفضل فى ذلك الى مباغتة العرب لاسرائيل ، والى نجاح العرب فى ممارسة استراتيجية العمل من خطوط خارجية ، بتنسيق الهجوم فى لحظة واحدة من جبهتى القتال الشمالية والجنوبية ، ثم — وبالدرجة الأولى — الى امتداد خطوط المواصلات الاسرائيلية بما أجبر القوات الاسرائيلية الرئيسية على قطع مسافات شاسعة من الأرض قبل الوصول الى الخطوط الأمامية حيث كانت المعارك محتدمة فى أعتى صورها ٠

٦ — واتفقت الآراء جميعها على فشل جهاز المخابرات الاسرائيلية فى تقدير الموقف العسكرى رغم توفر الشواهد وتوالى المعلومات من مصادر موثوق بها عن قرب الهجوم العربى ٠ وأرجعت الدراسات العديدة التى قام بها الخبراء العسكريون فى البحث عن أسباب هذا الفشل الى الصلف والغرور القاتل الذى أصاب المؤسسة العسكرية الاسرائيلية بعد الجولة الثالثة ، والمفاهيم الخاطئة التى صنعتها خيالات صقورهم عن الفجوة الحضارية التى تفصل بينهم وبين العرب وعن التخلف التكنولوجى الذى يمسك بتلابيب أعدائهم فلا يدع لهم فرصة لممارسة العمل الايجابى أو انجاز المهام المعقدة التى يتصف بها القتال فى الربع الاخير من القرن العشرين ٠

٧ — لقد دار القتال فى الجولة الرابعة على مستوى تكنولوجى أرفع بكثير عما سبقه من حروب ، كما تم تجربة واختبار كفاءة عدة أسلحة ومعدات تحت النيران لأول مرة ٠ وكانت نتائج هذه التجارب والاختبارات بالغة الاهمية عظيمة التأثير فى شكل وسمة المعارك المقبلة ومن هنا كان اهتمام العالم أجمع فى الوقوف على أسرارها والحصول على دروسها المستفادة ٠ وبسبب شدة الاهتمام ٠٠ والعجلة الزائدة للحصول على النتائج والدروس المستفادة ٠٠ فقد شاب هذا العمل نوع من التسرع فى القفز الى الخلاصات والنتائج التى لم تكن بالضرورة ترتكز على الاحصاءات الدقيقة أو المعلومات

الصحيحة . لقد نجح العرب مرة أخرى فى حجب هذه الاحصاءات والمعلومات ضمانا لقصر الاستفادة منها عليهم وعلى أصدقائهم فقط.

٨ - ولم يتعرض سلاح الى الجدل والنقاش بمثل ما تعرضت له الصواريخ العربية أرض جو ، والصواريخ المضادة للدبابات فى هذه الجولة ، اذ تضاربت فى شأنها آراء الخبراء وما زالت بدرجة يبدو أنه لن يحسمها الا اشتعال جولة خامسة ، وذلك على الرغم من اقتناع الكافة بأن الصواريخ أرض جو ، قد أثبتت فاعليتها ضد الفانتوم، وأن الصواريخ المضادة للدبابات قد أعادت الدبابة الى حجمها الحقيقى بعد أن كانت الدعاية الاسرائيلية المغرضة قد أحالتها فى الجولة الثالثة الى عملاق رهيب أو شيطان مريد . ويذكر خبراء الحرب كيف استخدم هذان السلاحان بكثرة فى مسرحى فيتنام وشبه القارة الهندية دون أن يلفتا اليهما الانظار .. ثم كيف شدت هذه الصواريخ انتباه الكافة فى الجولة الرابعة بفضل نجاح تكتيكات العرب فى استخدامها بأساليب وأنماط متطورة . ويتوقع الخبراء أن يترتب على هذا النجاح العظيم ادخال تغييرات ذات شأن على شكل المعركة المقبلة ، سوف تعيد الثقة الى قلوب جنود المشاة الذين استردوا اليوم قدراتهم على التصدى للدروع والمصفحات .. وقتلها ..

٩ - ولا يغرب عن البال أن وقفة جندى المشاة فى وجه الدبابة مهما كان سلاحه قويا أو باترا ، فانها تتطلب منه أن يتحلى بمعنويات عالية، وأن يتصف بقدر كبير من البسالة والشجاعة خاصة وانه حتى بعد نجاحه فى اصابة الدبابة بصاروخه الموجه اصابة مباشرة من قرب فما زال الاحتمال كبيرا أن تنهال عليه - منهسا أو من دبابة أخرى قريبة - نيرانها المصوبة من رشاشاتها سريعة الطلقات ، أو من داناتها شديدة الانفجار ، كما تظل الفرصة أن تنقض عليه الدبابة فتسحقه بجنازيرها الفتاكة .

١٠ - وفى مجال الشئون الادارية والفنية فقد أثبت العرب فى جولتهم الرابعة نجاحا منقطع النظير فى حل أعقد مشاكل الاعاشة والامداد، وأعوص مواقف الاخلاء والعلاج والاصلاح ، فى مواجهة أشق ظروف القتال وأعتى أشكال الصراع ، وتمكنوا على امتداد أيام المعركة أن يلبوا مطالب التشكيلات والوحدات المقاتلة بحاجتها من الذخائر والوقود والمؤن والمياه بكميات تفوق التصور ، ومعدلات منقطعة النظير ، على حين كان غريمهم يعانى من نقص هذه المطالب وندرة الاحتياجات نتيجة سوء الخدمة الادارية والفنية فى المسرح رغم ذلك الجسر الجوى الهائل الذى تدفق على اسرائيل دون انقطاع من الترسانات والمستودعات الامريكية الغنية .

١١ــ وعن مبادىء الحرب التى أحسن هــذا الجانب تطبيقها فمكنته من الفوز أو غفــل ذلك الطرف عنها فأنزلت به الخســارة .. فان العرب ــ بشهادة كل خبراء فن الحرب وفلاسفة التاريخ العسكرى ــ قد حققوا المفاجأة والمبادأة والتعاون والامن والاقتصــاد فى المجهود والروح المعنوية بصورة تكاد تكون مثلا يحتذى للآخرين فى تطبيق هذه المبادىء التى لا غنى عنها للنصر .

ــ فهل هناك قدر من المفاجأة يفوق ما حققه العرب بمباغتة عدوهم بالقتال وهو فى اغفاءة القيلولة من يوم الغفران ، فينجحوا فى اقتحـام أهول الموانع ، واحتلال أقوى الحصون ، فيما لا يتجاوز المائتى دقيقة ، وهى ذات الحصون التى صرفت اسرائيل ألفى يوم أو تزيد فى اقامتهــا وتجهيزها بأفتك آلات الحرب وأخطر أدوات القتال ..

ــ وهل هناك أفضل من هــذه المبادأة التى حققهــا العرب عصر السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ، فكالوا لاسرائيل الضربة الأولى للمرة الأولى فى تاريخ الصراع ، وهدموا بذلك نظرية الهجوم المسبق وضربة الاجهاض التى تمتعت اسرائيل فى ظلها بالطمأنينة أمدا طويلا ، وهددت بها العرب دهرا امتدت سنينه فتجاوزت ربع القرن ؟

ــ وهل هناك أوثق من التعاون الذى نسج العرب خيوطه فيما بين جبهتى الشمال والجنوب ، وداخل كل جبهة منهما ، فجاءت أنشطتهما القتالية شديدة التنسيق كأنها السيمفونية التى يضبط ايقاعها المايسترو الحاذق ، فترتبط بهذه النغمات مختلف أوجه الأداء القتــالى للأطراف المتصارعة وفق مشيئة القائد العام للجبهات العربية المتحالفة .

ــ وهل هناك أمن أكثر رسوخا من أن يحشد العرب كل هذه القوات وتلك الأسلحة والمعدات فى المناطق الأمامية من الجبهات فلا يتعرض فرد منها أو معــدة واحدة لأعمال العدو المضادة طوال فترة التحضير للعمل الهجومى التى أمتدت أيامها طويلا واستمر نشاطها كثيفا دون أى تدخل من العدو ــ سواء أكبر شأنه أم صغر .

ــ وهل هناك اقتصاد فى المجهود أفضل من ان يســتدرج العرب طائرات اسرائيل ومدرعاتها ــ يدها العليا وذراعهــا الطويلة ــ الى فخ مدبر وأرض قتل معدة من قبل ، حيث يقضون على أغلبها بأقل مجهود وأرخص ثمن .

ــ وهل هنــاك روح معنوية يمكن أن تفوق معنويات ذلك المقاتل العربى الذى اندفع يعبر الموانع الأسطورية ويقتحم الحصون الشيطانية بصدره العارى وايمانه العميق ، فكأنه يطير فوق الماء ويخترق الســدود ويقتحم النيران ، محطما فى اباء وشمم كــل ما أطلقته دعاية اسرائيل من أكاذيب وافتراءات عن ضعف حيلته أمامها ، وسوء المصير الذى ينتظره

على حصونها وقلاعها ، والنهاية الأليمة التى سوف يلقاها على يد « صقور المؤسسة العسكرية الاسرائيلية الكواسر » .

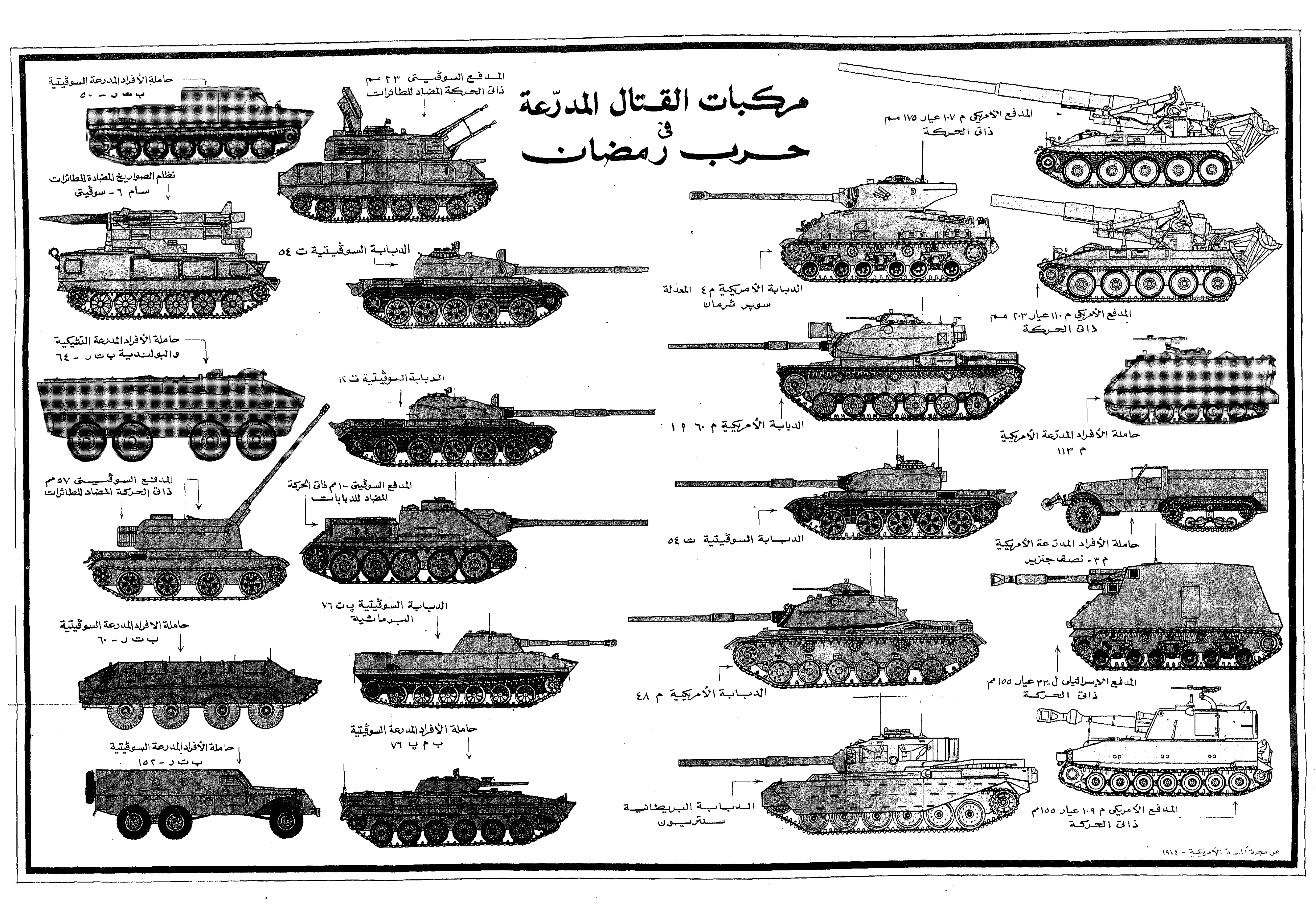
١٢ ـ لقد اتفقت آراء المعلقين والخبراء العسكريين على ان جهاز التخطيط العربى أصاب التوفيق فى انتخاب أسلوب القتال الذى يضمن له كل ركائز القوة ويضع امام اسرائيل كل العراقيل والصعاب . وتركز أطنابهم على وجه الخصوص على اهتمام خطه الاقتحام ان تنتشر مواجهة الهجوم على طول خط المواجهة من جنوب بور سعيد شمالا الى شمال عيون موسى جنوبا ، على جبهه يبلغ اتساعها نحو مائة وخمسة وسبعين كيلو مترا ، اذ ضمن العرب بذلك أن يستولوا بقفزة واحدة على كل خط بارليف بتحصيناتة الأسطورية وموانعه الطبيعية والصناعية ؛ ثم يتركون العدو يتخبط بحثا عن رد الفعل الأفضل حيال هذا العمل الجرىء ، خاصة وان المعروف عن جهاز الحرب الاسرائيلى انه يحسن القتال على المواجهات الضيقة حيث تتاح له فرصة حشد وتركيز يده العليا وذراعه الطويلة ـ الطيران والمدرعات ـ بكثافة عالية لاجراء عمليات القطع والتطويق ، والاندفاع الى مؤخرة العدو عن طريق الأجناب المفتوحة لهز أتزانه التعبوى فى المسرح تمهيدا للهزيمة . وعندما فرض عليه جهاز التخطيط المصرى المعركة بشكلها المنتشر على هذا النحو ، حرمه فى الوقت نفسه من ممارسة أسلوب القتال على مواجهات ضيقة ، وأجبره على دخول معركة من اختيار العرب مكانا وزمانا ، وتكتيكا وأسلوبا .

١٣ ـ وأخيرا وليس آخرا فقد أجمع المعلقون والخبراء ان الغرور القاتل والصلف المقيت اللذين كانا قد استشرى أمرهما بين صفوف أفراد المؤسسة العسكرية الاسرائيلية فأدار رءوسهم ، وحلق بهم فى عالم الخيال ، وطمس بصائرهم ، هذان الغرور والصلف هما سبب ما حاق باسرائيل من هزيمة .

١٤ ـ ثم يشهد شاهد من أهلها ، فيستمع العالم أجمع الى ابراهام كاتزير رئيس دولة اسرائيل ـ وهو يكشف للشعب يوم ٢٤ أكتوبر طرفا من الحقيقة الأليمة فيقول له ..

« لقد كانت اسرائيل تعيش فيما بين ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ فى نشوة لم تكن الظروف تبررها ، بل كنا نعيش فى عالم من الخيال لا صلة له بالواقع ، وهذه الحالة النفسية هى المسئولة عن الاخطاء التى حدثت قبل الحرب ، وفى الأيام الأولى منها ، لأنها كانت قد تفشت فى كل المجالات العسكرية والسياسية والاجتماعية ، واحدثت فيها مواطن ضعف خطيرة يجب على الاسرائيليين جميعا أن يتحملوا مسئوليتها ، وعلينا أن نتعلم بعد هذه الحرب الفظيعة أن نكون أكثر تواضعا كما يتحتم علينا أن نبذل كل طاقتنا لازالة الفجوة الاجتماعية والتغلب على المادية التى أحدقت بنا » .

فهل تراهم يفعلون !



مركبات القتال المدرّعة
في
حرب رمضان
حاملة الأفراد المدرعة السوفيتية
ب ت ر - ٥٠
المدفع السوفيتي ٢٣ مم
ذاتي الحركة المضاد للطائرات
نظام الصواريخ المضادة للطائرات
سام ٦ - سوفيتي
الدبابة السوفيتية ت ٥٤
حاملة الأفراد المدرعة التشيكية
والبولندية ب ت ر - ٦٤
الدبابة السوفيتية ت ٦٢
المدفع السوفيتي ٥٧ مم
ذاتي الحركة المضاد للطائرات
المدفع السوفيتي ١٠٠ مم ذاتي الحركة
المضاد للدبابات
الدبابة السوفيتية ب ت ٧٦
البرمائية
حاملة الأفراد المدرعة السوفيتية
ب ت ر - ٦٠
حاملة الأفراد المدرعة السوفيتية
ب م ب ٧٦
حاملة الأفراد المدرعة السوفيتية
ب ت ر - ١٥٢
المدفع الأمريكي م ١٠٧ عيار ١٧٥ مم
ذاتي الحركة
الدبابة الأمريكية م ٤ المعدلة
سوبر شرمان
المدفع الأمريكي م ١١٠ عيار ٢٠٣ مم
ذاتي الحركة
الدبابة الأمريكية م ٦٠ أ ١
حاملة الأفراد المدرعة الأمريكية
م ١١٣
الدبابة السوفيتية ت ٥٤
حاملة الأفراد المدرعة الأمريكية
م ٣ - نصف جنزير
الدبابة الأمريكية م ٤٨
المدفع الإسرائيلي ل ٣٣ عيار ١٥٥ مم
ذاتي الحركة
الدبابة البريطانية
سنتريون
المدفع الأمريكي م ١٠٩ عيار ١٥٥ مم
ذاتي الحركة
عن مجلة "المشاة" الأمريكية - ١٩١٤

فهـــرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٦/٧٤٩٢

ISBN ٩٧٧ - ٠١ - ١٢٠٧ -